سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (١٣)

شرح

كتاب التوحيد

للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

شرح

سماحة الشيخ العلامة
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

مميزات هذه النسخة:

١- أنها النسخة الشرعية الصادرة عن مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، وفق الضوابط العلمية التي أقرتها اللجنة العلمية المشكلة من طلاب وملازمي سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لتخرج مؤلفاته قريباً من مراده، وقد تفضّل بمراجعتها وإقرارها سماحة المشرف العام على النشاط العلمي للمؤسسة، مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ "سدده الله".

٢- أنها النسخة المستوفية لشرح سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على جميع أبواب الكتاب.

٣- أنها تضمنت تعريف سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بالإمام محمد بن عبدالوهاب وبكتابه (كتاب التوحيد).

٤- أنها اشتملت على تعريف سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ برواة الأحاديث والآثار، ومخرّجيها من المحدّثين، والحكم على الأحاديث صحة وضعفاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فيطيب لـ«**مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيريَّة**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب التوحيد للإمام المجدد الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكتاب التوحيد: بيَّن فيه الشَّيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ حقُّ الله على العباد، **من** إفراده جلَّ وعلا بالعبادة وتخصيصه بها، وألَّا يصرفوا شيئًا منها لغيره كائنًا من كان، كما بيَّن فيه رَحِمَهُ اللَّهُ خطر الشِّرك وأنواعه وصوره، والتحذير منه، ومن سائر المعاصي والبدع.

كما أبرز رَحِمَهُ اللَّهُ في الكتاب فضل التوحيد، وثواب الموحِّدين في الدنيا والآخرة، معتمدًا في ذلك كله على نصوص الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح رحمهم الله.

ولأهمية ما تضمنه الكتاب اعتنى به أئمة الدعوة وغيرهم من أهل العلم فشرحوه وبينوا معانيه ومقاصده لطلابهم ولعامة المسلمين، وممن اعتنى به كثيرًا وشرحه مرارًا وعلق على شروحه وحواشيه في دروسه العلمية في المساجد: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد تميَّز شرحه رَحِمَهُ اللَّهُ بالإيضاح والبيان بأسلوب سهل وعبارة دقيقة وطريقة خاصة في التدريس والتعليم عُرف بها سماحته كالإكثار من الاستدلال بالنصوص من الكتاب والسُّنَّة، مع العناية بالأحاديث والآثار

والحكم عليها والتعريف برواتها ومُخرجيها، واستنباط الأحكام والفوائد مباشرة من الأدلة؛ وقد رأت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أهمية إخراج شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب التوحيد وطبعه ليكون بين يدي طلاب العلم لينتفعوا به.

وأصل هذا الشرح تفريغ لمواد صوتية لدروس سماحته للكتاب، الذي شرحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من ثلاث مرات، حيث جرى تفريغها وتكميل بعضها ببعض، وجرت خدمتها العلمية، وفق منهجية التفريغ الصوتي المعتمدة في لائحة اللَّجنة العلمية في المؤسسة.

ومما ينبغي التنويه عنه: أن شروح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تكن مشتملة على شرح المسائل الملحقة بأبواب كتاب التوحيد، وكان أحد طلاب الشيخ قد قرأ عليه المسائل استقلالًا على سماحته ولم يكمل جميع مسائل الكتاب، وجاري البحث عما تم توثيقه منها لإرفاقها بعون الله تعالى في طبعة قادمة.

وعليه فنهيب بمن لديه مواد صوتية لسماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبادر بتزويد المؤسسة بها ليكون شريكًا بعون الله في أجر نشرها وإفادة المؤلف من ذخرها والقارئ من معينها الثر، كما تتطلع المؤسسة لأي اقتراح أو تصويب يخدم إخراج الإرث العلمي لسماحة الشيخ ليكون أقرب لمراد المؤلف رحمه الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ونافعًا لعباده المؤمنين، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة شيخنا، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يضاعف له به الأجر والمثوبة.

كما نسأله تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكلٍّ من تسبب في إخراج هذا الشرح، وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة، الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن محمَّد آل الشَّيخ** «رئيس مجلس الأمناء والمشرف العام على النشاط العلمي للمؤسسة» حفظه الله ووفقه

لكل خير.

كما نسأله سبحانه أن يكتب الأجر لكلٍّ من شارك وأعان في إخراج هذا الشرح، أو ساهم في طبعه ونشره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ (١)

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلَّامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٢/١٢/١٣٣٠هـ) وبالرياض نشأ وشبَّ وكبر، ولم يخرج منها إلا ناويًا الحج أو العمرة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف.

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن

(١) ينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٩ ـ ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) والإبريزية في التسعين البازية، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٣٣٣هـ) وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته وتنشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًّا من سماحته.

وكان لوالدته -رحمها اللَّه- التي توفيت عام (١٣٥٦هـ) دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشيخ عبد الله بن مفيريج رحمه الله، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية، على أيدي كثير من علماء الرياض، ومن أعلامهم:

١- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم اللَّه-.

٢- الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) -رحمهم اللَّه-.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رحمه الله.

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رحمه الله.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رحمه الله أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ، حيث كان يتردد على الشيخ سعد في دكانه مدة شهرين.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله وقد لزم حلقاته صباحاً ومساءً، وحضر كل ما يقرأ عليه، ثم قرأ

عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، وقرأ عليه شيئاً كثيراً في التفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته[١].

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصرهم ونحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة حدود سبعين عامًا، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمٰن الرحمة في ترجمة سماحته أكثر من (٤٧٤ طالبًا)[٢].

وأمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال، **منها:** القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا، (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ) **ومنها:** التدريس في المعهد العلمي في الرياض، ثم كلية الشريعة (١٣٧١- ١٣٨١هـ) درَّس الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها:** العمل إداريًّا في التعليم، (١٣٨١ ـ ١٣٩٥هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتى مطلع سنة (١٤١٤هـ).

وفي (٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز (ص٣٣، ٣٤).

(٢) ينظر: الإنجاز في ترجمة سماحة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٨٤ - ١٢٤).

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي؛ كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها، وما من منصب تقلّده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات خالدة رَحِمَهُ اللَّهُ.

صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمَّا صفاته الخَلقيَّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلًا، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمَّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الرحمة في ترجمته لسماحة الشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته[(١)].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم،

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للرحمة (٣٧، ٤٥ ـ ٦٠) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز للحمد والموسى (٣٩ ـ ٤١).

فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه»[(١)].

۞ مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًّا[(٢)]: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» الذي قام بجمعه وترتيبه معالي الشيخ الدكتور/ محمَّد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللهُ في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

كما حوِّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلى كتاب بعنوان: «فتاوى نور على الدرب» وطبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في (٣٥) مجلداً.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «تعليق التبصير في معالم الدين» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ، وتعليق سماحته على «مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعليق على تفسيره لسورة الفاتحة» وشرح «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني بن

---

(١) اقتباس بتصرف من: تقديم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ لكتاب فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤) جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

(٢) ذكر منها سماحته في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» ثلاثة وعشرين مؤلفًا له (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤ عنوانًا) في مقدمة كتاب «**التحفة الكريمة**» (ص٢٠ ـ ٢٦) كان قد أفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتيبا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «**الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز**».

عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «الواسطية» و«العقيدة الحموية» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «كشف الشبهات» وشرح كتاب «القواعد الأربع» وتعليقات على كتاب «فضل الإسلام» وشرح كتاب «التوحيد» وشرح كتاب «الأصول الثلاثة» جميع هذه الكتب الخمسة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «وظائف رمضان» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللَّهُ، من لـ«طائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرها.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: ما اعتنى به تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، كـ«التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة» و«تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان» و«تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان» وغيرها.

وتعليقات سماحته على كتاب التقريب للحافظ ابن حجر، بعنوان: «النكت على تقريب التهذيب» بتحقيق: د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «الفوائد العلمية من الدروس البازية» الذي جمعه معالي الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

زوجاته وعقبه ووفاته:

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ أربع نسوة: أولى زوجاته تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي:** ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، **ورابع زوجاته** تزوجها عام ١٣٨٦هـ

وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته: عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشرور والنقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين[١].

۞ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه، آمين.

* * *

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٣٤، ٣٥) والإبريزية في التسعين البازية للشتوي (ص٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للقاسم (ص٢٣).

توطئة الشارح حول جهود الإمام محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى الله وتأليف كتاب التوحيد

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، كتاب التوحيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] هذه الآية ذكرها المؤلف هاهنا لبيان أنَّ الله سبحانه هو المستحق للعبادة، لا يستحقها أحدٌ سواه، وقد كان المشركون في الجاهلية يعبدون معه الأصنام والأشجار والأحجار والملائكة والجن وغير ذلك.

ثُمَّ بعث الله نبيَّه محمَّدًا ﷺ فأرشد النَّاس إلى توحيد الله، وأنكر عليهم الشِّرك، وعلّمهم ما يجب عليهم من توحيد الله والإخلاص له، فهدى الله على يده من هدى، وعلى يد أصحابه، ومن بعدهم من دعاة الهدى.

ثُمَّ عاد كثير من النَّاس إلى الشِّرك وعبادة الأصنام والأوثان، ووقع في نجد في هذه الجزيرة من الشِّرك بالله الشيء الكثير، ولا سيما في القرون المتأخرة العاشر، والحادي عشر، والقرن الثاني عشر، فيسر الله جلَّ وعلا خروج هذا الشَّيخ الإمام محمَّد رحمة الله عليه، فإنه تعلم من الصِّغر، ورأى ما عليه النَّاس من الكفر والشِّرك، وعبادة الأشجار والأحجار، ففتح الله بصيرته، وشرح صدره، حتَّى دعا النَّاس إلى توحيد الله والإخلاص له.

وقام بذلك أتم قيام، وصبر على الأذى في ذلك، وساعده من ساعده من دعاة التَّوحيد من أولاده وغيرهم، حتَّى ظهر دين الله في هذه الجزيرة، وحتَّى أزال الله الشِّرك، وعبادة الأصنام والأوثان، وعاد ودخل النَّاس في دين الله أفواجًا، واستقر الإيمان والتَّوحيد في هذه الجزيرة،

وأيده على ذلك من هداه الله، ووفقه من آل سعود، وأنصارهم وأعوانهم وأمرائهم حتَّى ظهر دين الله، وحتى تركت الآلهة المعبودة من دون الله من أشجار وأحجار وبله ومجانين، وغيرهم.

واستقر توحيد الله في الأرض، وعمرت المساجد بالدروس وبيان الحقِّ، وبالدَّعوة إلى دين الله ﷻ، ونُصّبتْ القضاة، وحُكم بشريعة الله ﷻ، واستقر أمر التوحيد والإيمان في هذه الجزيرة على يد الشَّيخ محمَّد وأنصاره، رحمة الله عليهم جميعًا، وعلى أتباعه في الحقِّ.

فالمقصود: أنَّ هذا الكتاب ألَّفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان حقيقة التوحيد، وبيان حقيقة الشِّرك، والرد على المشركين، وبيان أنَّ العبادة حقّ الله وحده، وأنَّ الواجب إخلاصها لله وحده، وأنَّ الواجب الحذر من الشِّرك قليله وكثيره، دقيقه وجليله.

وأضاف إلى ذلك بيان شيء من وسائل الشِّرك وذرائعه، وشيء من البدع الَّتي تقدح في التوحيد، وشيء من المعاصي الَّتي تنقص ثواب أهل التوحيد، حتَّى يستكمل قارئ هذا الكتاب ما ينبغي أن يستكمل من توحيد الله، واتِّباع الشَّريعة، وترك البدع والخرافات، وسائر المعاصي التي حرمها الله ﷻ.

هو كتاب لا نعلم أنَّه سبق أن أُلِّف مثله في معناه، على صغر حجمه وكثرة فائدته، فينبغي حفظه، وتأمل ما فيه من الآيات والأحاديث لما فيها من العلم النافع والهدى المستقيم، والدلالة على توحيد الله والإخلاص له، وعلى بطلان الشِّرك، وسائر ما حرّمه الله من البدع والمعاصي الَّتي نهى عنها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❋ ❋ ❋

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كتاب التوحيد

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] **وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ **الآية** [النحل: ٣٦] **وقوله:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ **الآية** [الإسراء: ٢٣] **وقوله:** ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعد: فيقول المؤلف الشَّيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي المجدد؛ لما اندرس من المعالم الإسلامية في هذه الجزيرة في القرن الثاني عشر الهجري.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«كتاب التوحيد»** قبلها: **«بسم الله الرحمٰن الرَّحيم»** هذه عادة أهل العلم يبدؤون كتبهم بالبسملة، كما بدأ الله كتابه بالبسملة: «بسم الله الرحمٰن الرَّحيم» وقد يبدؤون بالحمدلة مع ذلك، وكله حسن، فإنَّ السُّنَّة أن تبدأ الكتب بالتسمية، وفي الحديث: «**كُلُّ أمْرٍ ذِي بَالٍ لا يَبدأُ فِيهِ بِاسْمِ الله، فَهُوَ أجْذَمٌ**» وفي لفظ: «**أَبْتَرٌ**» وفي لفظ: «**أَقْطَعٌ**»(١) ومعناه: ناقص البركة.

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أبو داود في كتاب الآداب، باب الهدي في الكلام، برقم (٤٨٤٠) بلفظ: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ لله فَهُوَ أَجْذَمُ**» وابن ماجه في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم (١٨٩٤) بلفظ: «**كُلُّ كَلَامٍ أَوْ** =

فالتّأسي بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يقتضي البدء بالبسملة، كما بدأ الله كتابه بها، فالبدأ بالتسمية، ثم إذا ثنَّى بالحمدلة، فهذا حسن أيضًا؛ لأن الله هو أهل أن يُحمد ويثنى عليه، وهو مستحق لكل ثناء ﷻ.

«بسم الله الرحمٰن الرَّحيم»: باسم الله أستعين في تأليفي، أو معناه: باسم الله أُؤلف كتابًا في كذا وكذا، فالباء هنا للاستعانة والتبرك باسمه ﷻ.

و«الله»: عَلَمٌ على الذّات، على الرّب ﷻ، لا يسمى به سواه ﷻ، وهو المستحق الألوهية، وهي معناها: الإلٰه، أصله الإلٰه، وهو المستحق؛ لأن يعبد وحده، فهو الإلٰه الحقّ الذي لا تصرف العبادة إلا له: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

و«الرحمٰن الرَّحيم»: اسمان عظيمان من أسماء الله الحسنى، دلَّا على وصفه بالرحمة، فهو الرحمٰن، الرَّحيم بعباده، الذي برحمته خلق الخلق وهدى من هدى لعبادته، ومن رحمته أن أوجد لهم ما يعينهم على طاعته من ماء وثمار وغير ذلك، وبرحمته أحسن إليهم، وجاد عليهم مع عصيانهم إيّاه وكفرهم به إلا من هدى الله.

هو الرحمٰن الرَّحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وتعلقت رحمته بجميع الخلق، فهو بالناس رؤوف رحيم، وبرحمته وجدوا وعاشوا.

«كتاب التوحيد» المعنى: هذا كتاب التوحيد، والتوحيد: إفراد الله بالعبادة، مصدر وحَّد يُوحدُ توحيدًا[(١)] **والمعنى**: هذا كتاب يوضح فيه

= أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ لله فَهُوَ أَقْطَعُ» وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: «**كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ الله ﷻ فَهُوَ أَبْتَرُ**» أَوْ قَالَ: «**أَقْطَعُ**» (٢/ ٣٥٩) برقم (٨٦٩٧) وبلفظ: «**بسم الله**» أخرجه عبد القادر الرهاوي في الأربعين (ص٥ برقم ١) وقد حكم عليه سماحته بأنه حسن لغيره لكثرة طرقه. ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٢٥/ ١٣٥).

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة: [وحد] باب الدال فصل الواو (ص٣٠٦) والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الواو مع الحاء مادة: [وحد] (ص٩٦٢).

توحيد الله بالعبادة، وإفراده بها، وبيان ما جاءت به الرسل في ذلك، ويبيّن فيه أنه المستحق للعبادة، كما يبين فيه أنه الخلاق الرزاق المنفرد بالتدبير والخلق، ويبيّن فيه أيضًا أنه ذو الأسماء الحسنى والصّفات العلى، وأنه لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ند له، فهو الواحد في أسمائه وصفاته، وهو الواحد في تدبيره للخلق، وهو الواحد في استحقاقه للعبادة سبحانه وتعالى.

وهذه أقسام التوحيد الثلاثة وأنواعه، توحيد في الربوبية، توحيد في الأسماء والصفات، توحيد في الإلٰهية، وهذا معلوم بالاستقراء من كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو الواحد في إيجاد الخلائق، الخالق لكل شيء ﷻ، ليس له شريك في خلق عباده، وتدبير أمورهم، وهو الواحد في أسمائه وصفاته لا شبيه له ولا كفء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ﷿، وهو الواحد في استحقاق العبادة لا يستحقها سواه، ولهذا **قال**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. في آيات كثيرات كلها تدل على أنَّه المستحق للعبادة.

ولهذا **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«كتاب التوحيد»** وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فيبيّن سبحانه أنَّه ما خلقهم ليتكثر بهم من قلة، ولا ليتعزز بهم من ذلة، فهو الغني عمّا سواه جلَّ وعلا، ليس به حاجة إلى الخلق، فله الغنى المطلق، ولكنه خلقهم ليعبدوه ويخصوه بالعبادة، في دعائهم، ورجائهم، وتوكلهم، وصلاتهم، وصومهم، وغير ذلك. وهذا الذي خلقوا له هو الحكمة الشّرعية في إيجادهم.

كما أنَّه خلقهم ليبتليهم أيضًا، وليعلموا صفاته، قال جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢] وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢] فهو خلقهم ليعلمهم أنَّه الخالق، وأنَّه الرّزاق، وأنَّه العالم بكلِّ شيء، والقادر على كلِّ شيء، وأنَّه المستحق؛ لأن يُعبد وابتلاهم بالأوامر والنواهي والتكاليف؛ ليعبدوه على بصيرة، ويَدَعُوا ما نهوا عنه على بصيرة، ويعلموا أنَّه المستحق للعبادة.

ثم بعث الرسل لهذا الأمر الذي خلقهم لأجله، بعث إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب؛ ليعلموا حقه، وليتبصروا في دينه، ويعبدوه على بصيرة ﷻ، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] يعني: أمرهم الله أن يقولوا للنَّاس: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يعني: اعبدوا الله وحده، واجتنبوا الطَّاغوت.

فالطاغوت: هو كل ما عُبِد من دون الله من الأصنام، والأشجار، والأحجار، ومن الإنس والجن، ممن عُبد وهو راض، أمَّا ما عُبد من دونه وهو لا يرضى بذلك؛ كالرسل، والأنبياء، والمؤمنين، فليسوا بطواغيت؛ لأنه يبرأ من ذلك، ولكن الطّاغوت: هو الشيطان الذي دعا إلى ذلك وزيَّن ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] يعني: أمر وأوصى ألا تعبدوا إلا إيّاه، فدل ذلك على أنه مستحق للعبادة، وهذا هو معنى «لا إلٰه إلا الله» فإنّ معناها: «لا معبود حق إلا الله» وهذا معنى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ هو معنى: «لا إلٰه» وقوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ معنى «إلا الله».

قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] يعني: وحدوه خصوه بالعبادة، ولا تشركوا معه أحدًا، لا ملكًا، ولا نبيًّا، ولا جنيًّا، ولا صنمًا، ولا غير ذلك، فهو المستحق للعبادة ﷻ، فلا يستحقها سواه جلَّ وعلا، وهذا هو الذي بعث الله به جميع المرسلين، وأنزل به جميع الكتب، وخلق لأجله الخليقة، فوجب على المكلّف أن يؤمن بذلك، وأن يصدق بذلك، وأن ينقاد لتوحيد الله، وأن يخصه

بالعبادة، وأن يحذر الشِّرك كله، وسائر ما حرم الله من البدع والمعاصي، والله أعلم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ **الآيات** [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣].

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«مَن أَرادَ أَن يَنظُرَ إِلَى وَصِيةِ مُحمَّدٍ** ﷺ **الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمهُ، فَلْيَقْرأْ قولَهُ تعَالَى:** ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ **الآيــة.. إلــى قــولــه:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ **الآيات** [الأنعام: ١٥١، ١٥٣][(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ الآيات..

تقدم قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في أوّل كتاب التوحيد:** كتاب التوحيد وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ الآية [النحل: ٣٦] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣] وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦] هذه الآيات الأربع التي تقدَّم شرحها، كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأنَّ الله خلق الخلق ليعبدوه، وأمرهم بذلك، وابتلاهم بما ابتلاهم به؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً.

وأرسل الرُّسل بهذا الأمر الذي خلق الله الخلق من أجله، أرسلهم

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الأنعام، برقم (٣٠٧٠) وقال: حسن غريب.

يدعون النّاس إلى توحيد الله، وينهونهم عن الشِّرك بالله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وأمر النَّاس بذلك، هذا الذي خلق من أجله الثقلان، وأرسل الله من أجله الرسل، أمر العباد به، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

فدلَّ ذلك على أنَّ هذا الأمر هو أفرض الفروض وأهم الواجبات، وهو إخلاص العبادة لله وحده دون كل ما سواه، بطاعة الأوامر وترك النواهي، والثبات على الحقِّ، والوقوف عند الحدود.

ثُمَّ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ذكر هذه الآية لما فيها من بيان تحريم الشِّرك.

﴿قُلْ﴾ يعني: قل يا أيها الرَّسول للنّاس ﴿تَعَالَوْا﴾ يعني: هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ يعني: أخبركم وأقصّ عليكم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: عن علم وعن يقين لا عن شك وظن ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ يعني: حرم الله عليكم أن تشركوا به شيئًا و«لا» صلة، والمعنى: حرَّم عليكم الشِّرك به، كما حرّم ما حرم من المحرمات من الزنا، والسرقة، والعقوق، والربا، وغير ذلك، حرم الشِّرك، لكن الشِّرك: هو أعظم المحرمات وأشدّها وأغلظها وأولها تحريمًا، وهو ضد التوحيد، ضد «لا إلٰه إلا الله».

فالتوحيد: إخلاص العبادة لله وحده، والشِّرك صرف العبادة أو بعضها لغير الله، من جن، أو إنس، أو ملائكة، أو أنبياء، أو أصنام، أو أشجار، أو أحجار، أو كواكب أو غير ذلك، فالعبادة حقّ الله وحده، ليس لأحد أن يصرف منها شيئًا لغير الله، وليس لأحد أن يدعو غير الله، أو يسجد له، أو يركع له، أو يستغيث به، أو غير ذلك من أنواع العبادة، فالعبادة كلّها لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذه الآية وما بعدها من الآيات قد اشتملت على عشرة أمور:

أولها: تحريم الشِّرك. ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾.

والثاني: الأمر بالإحسان إلى الوالدين ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾، فدلَّ ذلك على أن حقهما عظيم؛ لأن الله قرنه بحقِّه سبحانه، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] وهنا كذلك قرنه بتحريم الشِّرك، والشِّرك أعظم الذّنوب، فدلَّ ذلك على أن عقوقهما وعدم الإحسان إليهما من أقبح السيئات والجرائم، وقد قرن الله حقهما بحقِّه في غير ما آية[(١)].

ثم قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾.

هذه **الثالثة**، والإملاق: الفقر، كان بعض أهل الجاهلية إذا افتقر قتل بعض أولاده، وربما قتل البنات خوف العار، فنهاهم الله عن ذلك، وأخبر أنّ الرّزق بيده ﷻ هو الذي يرزقهم ويرزق أولادهم.

الرابعة: قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾

الفواحش: المعاصي، سميت فواحش؛ لأن العقل السليم والفطرة السليمة تنكرها، وتراها فاحشة وتراها خبيثة؛ كالعقوق، وقطيعة الرحم، والرّبا، والزّنا، واللّواط، وظلم النّاس في أموالهم ودمائهم، وغير ذلك مما حرم الله، من جميع المعاصي الظاهرة من النميمة، والغيبة، والزنا، والسرقة، والكبر، والخيلاء، والرياء، كلّها محرمة ظاهرها وباطنها

ثم قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ هذه **الخامسة**.

بعد أن نهى عن قربان الفواحش كلها خص من ذلك قتل النفس بغير حق لعظم هذه الجريمة، وسوء عاقبتها أكثر من غيرها من المعاصي التي دون الشِّرك وإن كانت جميع المعاصي الظاهرة والباطنة، محرمة ظاهرها وباطنها[(٢)].

---

(١) ينظر مثلًا: سورة البقرة آية (٨٣) والنساء آية (٣٦) والأنعام الآية المذكورة (١٥١) والإسراء آية (٢٣).

(٢) بتصرف يسير. ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٢٣٤).

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وصاكم بهذه الأشياء؛ لتعقلوها، وصَّاهم بأن يحذروا الشِّرك، وصَّاهم بأن يحسنوا إلى الوالدين، وصَّاهم بألَّا يقتلوا أولادهم من إملاق، وصَّاهم بأن يبتعدوا عن الفواحش ظاهرها وباطنها، وصَّاهم بألَّا يقتلوا نفسًا بغير حق.

الوصية: هي الأمر المؤكد الذي يؤكده الإنسان، يقال: وصى بكذا؛ يعني: أكّد كذا، فالله وصانا بهذا؛ يعني: أكّد علينا، وأمرنا بهذه الأمور، حتى نقوم بها ونلتزم بها إن كنّا نعقل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فالعقلاء: هم الذين يفهمون هذه الأمور ويأخذون بها ويلتزمون بها، بخلاف غير العاقل؛ كالمجنون، والطفل الذي لا يعقل.

فالمقصود هنا: أن الله جلَّ وعلا أوجب عليهم هذه الأمور، وحرم عليهم انتهاك هذه الحرمات؛ ليلتزموها بما أعطاهم الله من العقول.

ثم قال بعده في السادسة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

اليتيم: هو الذي ليس له أب، مات أبوه وهو صغير قبل أن يحتلم، يقال له: يتيم، فإذا بلغ زال عنه اليتم، فالله أوصى بالأيتام، والإحسان إليهم، وحفظ أموالهم، وألا يفسد فيها، بل يعمل فيها بما هو أصلح حتَّى يبلغوا أشدهم، حتى يرشدوا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ التي هي أحسن: التجارة فيها والعمل فيها بما ينفع اليتيم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

السابعة والثامنة: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل، لا يبخسوا النّاس ميزانهم ولا مكاييلهم، لا يظلموهم. أوصاهم الله بأن يعدلوا في الكيل والميزان، وألا يظلموا الفقير، والمغفل، والذي لا ينتبه، بل يجب أن يوفوا الكيل والميزان للجميع، والقسط العدل. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فالواجب تحري الحقّ والحرص على الوفاء.

والتاسعة: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هذه التاسعة، ومعنى ذلك: وجوب العدل بين العدو والصديق، بعض الناس قد يعدل في حق القريب والصديق، لكن لا يعدل مع العدو، والبعيد، لا،

الواجب العدل، ولو كان عدوًّا لك، ولو كان بينك وبينه شحناء، الواجب العدل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فعلى الحاكم والمصلح وغيرهما العدل في أقوالهم وأعمالهم، مع القريب والصديق، ومع العدوّ والبغيض.

العاشرة: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ عهد الله ما أوصى به عباده، وما أمرهم به من طاعته وتوحيده والإخلاص له وترك معاصيه، هذا عهد الله ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] عَهِدَ إلى العباد على أيدي الرّسل أن يتقوه ويعبدوه، ويطيعوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه، فعليهم أن يوفوا بهذا العهد ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وصاهم بهذه الوصايا؛ ليتذكروا هذه الوصية، ويعملوا بها ويلتزموها.

ثم قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] يعني: هذه الأوامر وترك هذه النواهي هو صراط الله، الإخلاص لله، والاستقامة على أمره، وترك ما حرم، هو صراط الله المستقيم، فعلى العباد أن يلتزموه، ويستقيموا عليه حتى يموتوا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يعني: إلزموه، وسيروا عليه، واستقيموا عليه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ والسبل: هي البدع والأهواء، والشهوات المحرمة يجب الحذر منها، ويجب الاستقامة على الطريق السّوي، وهو صراط الله الذي هو فعل أوامره وترك نواهيه، وهو الإسلام، وهو الإيمان، وهو الهدى. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ فالإنسان إذا أخذ بالأهواء والبدع والمعاصي ضيعته، وأضلته السبيل، وصار في تيه الضلالة وميدان الهلاك.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وصَّاكم بهذه الوصايا؛ لكي تتقوه، وتعظموه، وتستقيموا على أمره، فذكر العقل أولًا، ثم الذكرى، ثم التقوى؛ وذلك لأن العبد إذا تأمل وتعقل، عرف وتذكر، ثم يتقي بعد المعرفة والذكرى والتعقل، يتقي ربه ويأخذ بالصالح ويدع الفاسد، يلتزم الأوامر ويدع النواهي، وهكذا أوامر الله ونواهيه، يذكر بها أهل الألباب، أهل البصائر حتى يستقيموا عليها ويأخذوا بها، ويَدعوا ما نهى عنه.

«**قال ابن مسعود** رضي الله عنه» ابن مسعود هو: عبد الله بن مسعود الهذلي الصَّحابي الجليل، أحد علماء الصَّحابة، وأحد السابقين الأولين من المهاجرين، مات سنة اثنتين وثلاثين، أو ثلاثٍ وثلاثين من الهجرة، في خلافة عثمان رضي الله عنه[١] قال: «**مَن أَرادَ أَن يَنظُرَ إِلَى وَصِيةِ مُحمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمهُ فَلْيَقْرأْ هَذِهِ الآيَاتِ**».

وكان الصَّحابة قد أسفوا لما أراد النَّبيّ أن يوصي ثم ترك ذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنه عند هذا: «**إنَّ الرَّزيةَ كُلَّ الرّزية مَا حالَ بينَ رسولِ الله وبينَ أن يكتبَ الوصيةَ**»[٢] لما قال: «**هاتوا كتابًا أكتب لكم الوصية**» ثم تنازعوا، قال بعضهم: أحضروا كتابًا، وقال بعضهم: لا تشغلوه هو مريض، ثم أمر بإخراجهم، وقال: «**مَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبيٍّ تَنَازُعٌ**»[٣].

«**فقال ابن مسعود**» عند هذا: «**مَن أَرادَ أَن يَنظُرَ إِلَى وَصِيةِ مُحمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمهُ ـ يعني: كأنه كتبها وختمها بختم ـ فَلْيَقْرأْ هَذِهِ الآيَاتِ**» فإنَّها وصية الله جلَّ وعلا، ووصية الله هي وصية رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، فما وصَّى الله به عباده هو وصية أيضًا لرسوله هذا يدل على عظمة هذه الآيات، وأن شأنها عظيم، وقد جاء في الحديث: «**ألا تُبايعُونِي عَلَى هَذِه الآيَاتِ**»[٤] عليه الصَّلاة والسَّلام.

هذه الآيات عظيمة وشأنها كبير؛ لما فيها من الوصايا العظيمة،

---

(١) أبو عبد الرحمٰن الهذلي. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٢٣ برقم ٣٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم، برقم (١١٤) ومسلم في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم (١٦٣٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، برقم (٣١٦٨) ومسلم في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، برقم (١٦٣٧).

(٤) أخرجه الحاكم وصححه في المستدرك في كتاب التفسير، برقم (٣٢٤٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فينبغي للمؤمن والمؤمنة، ولكل مسلم أن يفهم ما فيها، وأن يستقيم على ما فيها لأنه الصراط المستقيم، ولأنه دين الله الذي بعث به رسله عليهم الصَّلاة والسَّلام، والله أعلم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَعَن مُعَاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ رَديفَ النَّبِيّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعاذُ أَتَدري مَا حَقُّ الله عَلَى العِبادِ، وَمَا حَقُّ العِبادِ عَلَى الله؟» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ، قَالَ: «حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى الله أَلا يُعَذِبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قُلتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا أُبَشِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لا تُبشِرْهُمْ فَيَتَكِلُوا» أخرجاه في الصَّحيحين[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الحديث العظيم، حديث معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول: أنه كان رديف النَّبِيّ على حمار، فقال له: **«يَا مُعاذُ أَتَدرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبادِ؟ وَمَا حَقُّ العِبادِ عَلَى الله؟»** قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ، قَالَ: **«حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى الله ألا يُعذِبَ مَن لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئَا»** قُلتُ: يَا رَسُولَ الله أَفَلا أُبَشِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: **«لَا تُبشِرْهُمْ فَيَتَكِلُوا»** أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

معاذ: من أئمة الصَّحابة وكبارهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ توفي في الشام سنة ثمان عشرة أو سبع عشرة من الهجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، جاء في هذا الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) البخاري بمعناه في: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، برقم (٢٨٥٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، برقم (٣٠).

(٢) هو: أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس مشهور من أعيان الصحابة ومن أعلمهم بأحكام القرآن والحلال والحرام. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٣٥ برقم ٦٧١٥).

حادثه وخاطبه وهو رديفه، دلَّ ذلك على حسن خلقه وتواضعه من وجوه:

من جهة كونه أردفه على الحمار، ومن جهة كونه ركب الحمار، ومن جهة كونه حادثه وسأله، كل هذا يدل على التواضع؛ لأن بعض المتكبرين لا يرضون أن يركبوا الحُمر، وبعضهم لا يرضى أن يكون له رديف في دابته، وكان النَّبِيّ يردف على دابته: الحمار، والإبل، فلربَّما أردف معه في الدابة وجعل أمامه واحدًا أيضًا، فيكونون ثلاثة، كما فعل هذا عند قدومه إلى المدينة في بعض مرات قدومه، أردف بعض الصبية، وجعل بعضهم بين يديه ﷺ.

وهذا يدل على تواضعه العظيم عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو يركب الحمار، ويركب البعير، ويركب البغل، ويردف على الدابة، ويحادث أصحابه ويسمع كلامهم، وكل هذا من كمال تواضعه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وفيه من الفوائد: إخراج السؤال بصيغة الاستفهام، إخراج الفائدة والحكم بصيغة الاستفهام؛ ليكون ذلك أوقع في قلب السامع، وليكون متهيئًا لمعرفة الجواب؛ لأنه إذا هجم عليه الجواب من غير سؤال ربما لم يفطن له، وربما لم يحفظه؛ لأنه مشغول، لكن متى سئل ثم أجيب، كان هذا أقرب إلى أن يحفظه جيدًا، ولهذا ربما كان كثيرًا ما يسأل أصحابه ثم يجيبهم عليه الصَّلاة والسَّلام.

قال له: «**أَتَدرِي مَا حَقُّ الله عَلَى العِبادِ، وَمَا حَقُّ العِبادِ عَلَى الله؟**» فقال معاذ قلت: الله ورسوله أعلم! هذا الجواب فيه الأدب الطيب والأدب الواجب فيمن سئل عما لا يعلم ألا يتكلف، وألا يقول بغير علم، بل يقول: الله أعلم، أو لا أدري، في حياة النَّبِيّ يقول: الله ورسوله أعلم، لا بأس، وبعد وفاته يقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري؛ لأن الرسول ﷺ لا يدري ما أحدث الناس بعده، ولا يعلم حال النّاس بعد ما توفي عليه الصَّلاة والسَّلام، ولهذا إذا رأى بعض المرتدين يوم القيامة من أصحابه، قال: «**هَؤُلاءِ أَصْحَابِي فَيُقالُ لَهُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ،**

قَالَ: فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]»(١).

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

❖ وفِيهِ مَسَائِلُ(٢):

- **الأولـــــــــــــى:** الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.
- **الـــثـــانـــيــة:** أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ.
- **الـــثـــالـــثـــة:** أَنَّ مَن لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ الله، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٣].
- **الـــرابـــعــــة:** الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ.
- **الــخـــامـــســة:** أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.
- **الـــســـادســـة:** أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.
- **الـــســابـــعـــة:** المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ الله لَا تَحْصُلُ إلا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ الآيَةَ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] برقم (٣٣٤٩) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم (٢٨٦٠).

(٢) **تنبيه مهم:** أوردنا هذه المسائل كما جاءت في كتاب التوحيد حتى تكتمل نصوص الكتاب، فالمسائل التي يذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عقب كل باب من أبواب الكتاب تعتبر كشرح وفوائد مستنبطة من نصوص الآيات والأحاديث والآثار التي ساقها في الباب، **وأن** سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الشرح لم يتعرض لشرح المسائل، وإن كان في آخر شرحه للكتاب شرح منها مسائل (٣٨) بابًا كما ذكر ذلك في كتاب الإلمام بطريقة دروس سماحة الإمام (ص٣٥) وسنوردها في طبعة قادمة إن شاء الله.

- **الـثـامـنـة:** أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ الله.
- **الـتـاسـعـة:** عِظَمُ شَأْنِ ثَلَاثِ الآيَاتِ المُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنْعَام عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ؛ أَوَّلُهَا اَلنَّهْيُ عَنِ الشِّرك.
- **الـعـاشـرة:** الآيَاتُ اَلْمُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ، وَفِيهَا ثَمَانِيةَ عَشَرَ مَسْأَلَةً، بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] ونبّهنا الله سبحانه عَلَى عِظَم شَأْنِ هَذِهِ المَسَائِلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩].
- **الحادية عشرة:** آيَةُ سُورَةِ اَلنِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى: آيَةَ الحُقُوقِ العَشَرَةَ، بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].
- **الثانية عشرة:** التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.
- **الثالثة عشرة:** مَعْرِفَةُ حَقِّ الله عَلَيْنَا.
- **الرابعة عشرة:** مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.
- **الخامسة عشرة:** أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.
- **السادسة عشرة:** جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.
- **السابعة عشرة:** اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ اَلْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.
- **الثامنة عشرة:** الخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ الله.
- **التاسعة عشرة:** قَوْلُ المَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».
- **الـعـشـرون:** جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.
- **الحادية والعشرون:** تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِهِ الحِمَارَ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.
- **الثانية والعشرون:** جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ.
- **الثالثة والعشرون:** عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ.
- **الرابعة والعشرون:** فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

١- بَابٌ فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ **الآية** [الأنعام: ٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلٰه إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» أخرجاه(١).

ولهما في حديث عِتْبَانَ: «فإِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى النَّار مَن قَالَ: لا إِلٰه إلا الله يَبْتَغي بَذلكَ وجْه الله»(٢).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب بيان فضل التوحيد، وما يكفِّر من الذنوب»** هذا الباب أراد به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بيان شيء من فضل التوحيد، وتكفيره للذنوب، وأنَّ التوحيد هو أعظم الحسنات، وهو أعظم الواجبات، وهو أعظم الأعمال تكفيرًا للذنوب، ليس هناك عمل أعظم من التوحيد في تكفير الذنوب؛ لأنه رأس الأعمال وأساسها وأهمها وأوجبها، وكل الأعمال بعده، لا تصح إلَّا بعد وجوده؛ ولهذا قال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] برقم (٣٤٣٥) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، برقم (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصَّلاة، باب المساجد في البيوت، برقم (٤٢٥) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، برقم (٣٣) ساقه بعد رقم (٦٥٧).

«**باب فضل التوحيد، وما يكفِّر من الذنوب**» أي: بيان فضله، وما يترتب عليه من تكفير الذنوب حتى يعلم المؤمن هذا الشيء، فيكون له أشدّ عناية وأكمل قيامًا بحقِّه.

«**والتوحيد**»: هو إفراد الله بالعبادة، وحَّد الله؛ يعني: أفرده بالعبادة، سمي توحيدًا؛ لأنَّ المؤمن يعتقد أنَّ الله واحد لا شريك له.

«**فالتوحيد**»: هو اعتقاد أنَّ الله واحد لا شريك له، لا في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في العبادة، فهو الإلٰه الحق المتفرد بالربوبية، والأسماء والصِّفات الكاملة، ولكونه إلٰه العالمين المختص بعبادته، ليس معه إلٰه آخر، بل جميع الآلهة كلّها باطلة، وهو الإلٰه الحق سبحانه وتعالى.

وقد جاءت الرُّسل جميعًا بذلك، جاءت الرُّسل جميعًا عليهم الصَّلاة والسَّلام تدعوا إلى توحيد الله: إفراده بالعبادة وتخصيصه بها، وإنكار الشِّرك على جميع الخلق وقد جاءت النُّصوص دالَّة على أنَّ الله خلقهم لهذا الأمر، خلقهم ليعبدوه ويوحدوه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] كما أرسل الرُّسل عليهم السلام بذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقول الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿ءَامَنُوا۟﴾ يعني: وحدوا الله، خصُّوه بالعبادة، وآمنوا بأنه ربهم وإلٰههم الحق، وصدقوا رسله: ﴿ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يعني: يخلطوه؛ اللبس: الخلط، يلبسوا؛ يعني: يخلطوا إيمانهم: توحيدهم، بظلم: بشرك، بل أخلصوا لله العبادة وأفردوه بها سبحانه وتعالى.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ يعني: الأمن الكامل، والهداية الكاملة، إذا كان إيمانهم سليمًا من الظلم كله دقيقه وجليله، لا شرك ولا غيره، ومن لم يلبس إيمانه بظلم، لا بشرك، ولا بشيء من المعاصي، ولا بظلم العباد، فهو له الأمن الكامل والهداية الكاملة.

ولما نزلت هذه الآية شقَّت على أصحاب النَّبِيّ ﷺ، وجاءوا إليه، وقالوا: يَا رَسُولَ الله، أيُّنا لَمْ يَظْلمْ نَفسَهُ؟ ظنوا أن المراد بالظلم جنس الظلم من جنس المعاصي، فقال: «**أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ العَبْدِ الصَّالِحِ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)]. بيَّن لهم أن المراد به هنا الشِّرك، فمن سلم من الشِّرك حصل له الأمن والهداية، بخلاف الكافر والمشرك، فإنه لا أمن له ولا هداية، بل هو إلى النَّار نعوذ بالله من ذلك، أمَّا الموحِّد المؤمن فله الأمن والهداية، إذا سلم من الشِّرك الأكبر، والأصغر، والمعاصي وظلم العباد، صارت له الهداية الكاملة، والأمن الكامل في الدنيا والآخرة.

أمَّا إن كان معه شيء من الذُّنوب أو شيء من الشِّرك الأصغر، فإن هدايته ليست كاملة، وأمنه ليس كاملًا، بل هو على خطر من دخول النَّار بالمعاصي التي يموت عليها، أو الشِّرك الأصغر الذي يموت عليه، فالواجب على المؤمن أن يحذر الشِّرك كله دقيقه وجليله، وجميع الظلم كلّه من المعاصي والسيئات، وظلم العباد حتى يحصل له الأمن الكامل والهداية الكاملة.

والنُّصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّة دالَّة على هذا المعنى، والرسول ﷺ أخبرهم بما يحصل لهم به الأمن المطلق والهداية المطلقة وهو ترك الشِّرك، لكن دلَّت النُّصوص الأخرى على أن الأمن لا يكمل والهداية لا تكمل إلا بالسّلامة من المعاصي، وظلم العباد، وسائر أنواع الشِّرك الأصغر، فعلى المؤمن أن يحذر جميع أنواع الشِّرك، وأن يبتعد عن المعاصي كلّها وظلم العباد حتى يحصل له الأمن الكامل والهداية الكاملة.

---

(١) متفق عليه عن ابن مسعود، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] برقم (٣٤٢٩) ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، برقم (١٢٤).

* ثم ذكر المؤلف حديث عبادة بن الصامت[١] الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى» يعني: ابن مريم نبي الله «عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» مريم أمه «وَرُوحٌ مِنْهُ» يعني: روح من الأرواح التي خلقها جلَّ وعلا وأوجدها «وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» من شهد هذه الشَّهادة صادقًا عالمًا بمعناها مؤمنًا بها، أدخله الله الجنَّة.

وهو من الأحاديث المطلقة الدَّالة على فضل التوحيد وأنه يُكفِّر الذُّنوب وأن أهله موعودون بالجنَّة والكرامة، ولكن هذا الإطلاق مقيَّد بما دلَّت عليه النُّصوص الأخرى بأنَّ هذا الجزاء مقيَّد، بمن أدَّى حقّ هذه الشهادة، شهد هذه الشهادة وأدى حقها، شهد أنَّ «لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» شهادة جازمة، تتضمن إخلاص العبادة لله وحده، وترك الإشراك به، ليس فقط قولًا باللِّسان، بل شهد هذه الشهادة عن إيمان وعن صدق وعن إخلاص وعن محبة وقبول للحقّ وانقياد له.

فمن شهدها ولكنه لطخ الشهادة بالمعاصي والسيئات، أو قالها باللّسان وهو يشرك بالله بالعمل كالمنافقين والوثنيين، لا تنفعه هذه الشهادة؛ لأن القول بدون عمل لا ينفع قائله، وقد كان المنافقون يقولون: «لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ» ويشهدون أنَّ محمَّدًا رسول الله، ولكنهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم قالوها باللّسان، وكفروا بها بالقلب والأعمال فلم تنفعهم «لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ» فلا بد من قولها باللّسان وتصديقها بالجنان بالقلب، والعمل بمقتضاها من توحيد الله، والإخلاص له، والبراءة من الشِّرك كله، دقيقه وجليله.

---

(١) ابن قيس أبو الوليد المدني أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة (٣٤هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٩٢ برقم ٣١٥٧).

كما أنَّه لا بد من الشَّهادة بأنَّ محمَّدًا رسول الله، والانقياد لما جاء به، والاهتداء بهداه، والثَّبات على دينه، وعدم الانحراف عنه، ولا بد أيضًا من طاعته في الأوامر وترك النواهي، وإلا فإن الشَّهادة تكون حينئذ مدخولة، إذا لطخها بالمعاصي والسيئات، صارت شهادة ناقصة، لا تقوى على إدخاله الجنَّة ونجاته من النَّار إلا بعفو الله ومغفرته ﷻ، فلا بد أن يتبع هذه الشهادة بالعمل الصَّالح، الصَّادق، فيدع المعاصي، ويؤدي الواجبات، ويقف عند الحدود، وبهذا تكون له الجنة والكرامة والسعادة، ويدخله الله الجنَّة على خير حال.

وقوله: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» يعني: من صلاح وفساد، ما دام قالها عن إخلاص وتوحيد وإيمان، لكن هذا الدخول قد يكون مع أول الداخلين من أول وهلة، إذا مات على توبة وصدق وعمل صالح، وقد يكون بعد ذلك بعدما يبتلى به من عذاب وعقاب، إذا مات على السيئات والمعاصي ولم يتب، ولم يعف الله عنه، فإنه يدخل النَّار، ويعذب فيها على قدر جرائمه، ثم يكون مصيره إلى الجنَّة بعد ذلك، بعد التطهير والتمحيص وإخراجه من النَّار.

فالحاصل: أنَّ هذا الحديث يدل على فضل التوحيد، لكنه مقيد بالأدلة الأخرى، فإن قال هذه الكلمات، وشهد هذه الشهادات، وأدَّى الحقّ الذي عليه، دخل الجنَّة من أول وهلة، فإذا مات على المعاصي والسيئات؛ فهو تحت مشيئة الله، إن شاء ربك غفر له وأدخله الجنَّة، وإن شاء عذبه على قدر الجرائم، ثُمَّ مصيره بعد هذا إلى الجنَّة، كما قاله النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام وبيّنه.

وهكذا حديث عتبان بن مالك[1] الأنصاري: «إِنَّ الله حَرَّم عَلَى النَّار مَن قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا الله يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجْهَ الله» يعني: من قالها عن

(١) هو: عِتْبَان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري صحابي، مات في خلافة معاوية رضي الله عنهما. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٨٠ برقم ٤٤٢٥).

إخلاص وصدق، ومات عليها أدخله الله الجنَّة، فإن كانت له ذنوب ومعاصي لم يتب منها فهو تحت مشيئة الله تعالى، ولكن من قالها ابتغاء وجه الله عن صدق وإخلاص كامل، فإنَّه لا يصر على السيئات، فإن إخلاصه الكامل وإيمانه الكامل يمنعه من الإصرار على السيئات، ويمنعه من الإقامة على المعاصي، فحينئذ يدخل الجنَّة من أوَّل وهلة بسبب إيمانه الصادق وتقواه لله وقيامه بحقِّه، لكن من لطخ توحيده بالمعاصي والسيئات، فهذا تحت مشيئة الله، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وكما دلَّت عليه الأحاديث المتواترة الدَّالة على أن أهل المعاصي معرضون للوعيد، وأنَّ كثيرًا منهم يدخلون النَّار ويعذبون فيها على قدر جرائمهم، وأنَّهم بعد هذا يخرجون من النَّار بشفاعة النَّبِيّ ﷺ وبشفاعة الأنبياء والمؤمنين، وبشفاعة الأفراط، وبعفوه سبحانه المجرد من غير شفاعة أحد.

هذا ما جاءت به النصوص من القرآن، ودلَّت عليه الأحاديث المتواترة، وأن أهل المعاصي معرضون للوعيد، ولن يحصل لهم الأمن الكامل، ولا الهداية الكاملة؛ بسبب ما تلطخوا به من المعاصي والسيئات التي أضعفوا بها توحيدهم، وأضعفوا بها إيمانهم، وصاروا بذلك معرَّضين لوعيد الله ولدخول النَّار، إلا من عفا الله عنه سبحانه وتعالى.

فينبغي أن نفهم هذا جيدًا؛ لأنَّ هذه مسائل عظيمة يجب أن يفهمها المؤمن كما فهمها أهل السُّنَّة والجماعة، خلافًا لأهل البدع الذين اختلفوا في هذا المقام، وغلطوا غلطًا عظيمًا، وفسروا النُّصوص بما لا تدل عليه من المعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم، أهل السُّنَّة والجماعة: هم الذين وُفِّقُوا لمعناها، وهُدوا لما دلت عليه من المعنى، وبيّنوا ذلك للعباد، وصار الحقّ بما قالوا فرحمة الله عليهم.

؟ أسئلة:

• **السؤال:** ما الحكم إذا شهد الشهادتين وأتى بمكفر؟

○ **الجواب:** إذا شهد الشهادتين وأتى بمكفر، لا تنفعه الشهادة كفر، إذا سبَّ الله كفر، إذا سب الرسول كفر، وإذا استحل الزنا كفر، وإذا استحل السرقة كفر، إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام بطلت الشهادة، نسأل الله العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ، قَالَ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ، قَالَ: يَا ربُّ! كُلُّ عِبادكَ يَقولونَ هَذا، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلٰهَ إِلا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلٰهَ إِلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه(١).

وللترمذي وحسنه، عَن أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(٢).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الحديث، عن أبي سعيد وحديث أنس كلاهما في بيان فضل

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، برقم (٦١٨٥) والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء، برقم (١٩٣٦) وصححه ووافقه الذهبي. ينظر: التلخيص مع المستدرك (١/ ٧١٠).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، برقم (٣٥٤٠).

«لَا إِلٰه إلا اللهُ» وأنَّها أفضل الكلام، وأن من مات عليها صادقًا مخلصًا رجحت بسيئاته كلّها، وغفر الله له ما معه من الخطيئات إذا حقق ذلك.

وأبو سعيد: هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الصحابي الجليل[١] من الأنصار رضي الله عنه وأرضاهم، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «قَالَ مُوسَى»: هو موسى بن عمران كليم الرحمٰن، أحد أنبياء بني إسرائيل، «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ فقال: قل يا موسى: لَا إِلٰه إلا اللهُ» قال موسى: يَا ربُ كُلُّ عِبادكَ يَقولونَ هَذا» وفي لفظ: يقولون مثل هذا، فقَالَ: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلٰه إلا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلٰه إلا الله».

هذا الحديث يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة، وأنها ذكر ودعاء؛ لأن موسى قال: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، فدل ذلك على أنَّها ذكر ودعاء، فهي ذكر لله بالشهادة له بالوحدانية وأنه الإلٰه الحق، وهي دعاء؛ لأن قائلها يرجو ثوابها، يريد من قولها ثوابها، ويطلب ثوابها بالمعنى، فهي ذكر ودعاء.

وهكذا جميع الأذكار كلها ذكر ودعاء، سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله، كلها ذكر ودعاء، يذكر الله بها عز وجل، تعظيمًا له سبحانه وتعالى وتنويهًا بذكره جلَّ وعلا، وصاحبها أيضًا يريد الثواب ويطلب الثواب، ويدعو بالثّواب في المعنى.

وفي هذا دلالة على أن هذه الكلمة لها شأن عظيم، وأنها تجمع بين الأمرين، بين الذكر والدعاء، وأنه قد يخفى بعض فضلها على بعض الأنبياء، ولهذا قال موسى: «يَا رَبِّ كُلُّ عِبادكَ يَقولونَ هَذا» وإنّما أراد

---

(١) له ولأبيه صحبة وقد روى الكثير، مات سنة (٣ أو ٤ أو ٥ وستين، وقيل: سنة (٧٤هـ) روى له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٣٢ برقم ٢٢٥٣).

شيئًا يخصه به، كما في الرواية الأخرى «**وَإِنَّمَا أَرَدْتُ شَيْئًا تَخُصني بِهِ**».

فقال: «**قل يَا موسى: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» وبيَّن له بعض معناها، وبيَّن له فضلها وعظمتها، فهي تحقق العبادة لله وحده وتثبتها لله وحده، وتنفيها عما سوى الله ﷻ، ولهذا قال: أفضل الكلام وأصدق الكلام: لا إلٰه إلا الله؛ أي: لا معبود حقٍّ إلا الله، فجميع الآلهة المعبودة من دون الله كلها باطلة، والإلٰه الحق هو الله وحده سبحانه وتعالى.

ولهذا قال مبينًا لعظمتها وشأنها: «**لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري**» يعني: نفسه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه سبحانه وتعالى، وهو فوق العرش، وبه قامت السماوات، وبه عمرت السماوات، وهو الذي أمسكها، وهو الذي أقامها سبحانه وتعالى، وهو الذي أقام العرش وأقام الكرسي وأقام السماوات، وبه قامت هذه المخلوقات سبحانه وتعالى، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] فلولا أنه أمسكها لسقطت، ولهذا في الآية الأخرى يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١] يعني: ما أمسكهما من أحد بعده، وإن: نافية.

قال جلَّ وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ فهو القائم عليها والمقيم لها جلَّ وعلا، والأرضين السبع كذلك «في كِفة» يعني: في كِفة الميزان، و«**لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» في كِفة أخرى، مالت بهنَّ «**لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» والميزان له كفتان، فلو وضعت السماوات والأرض والمخلوقات كلها في كِفة، و«**لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» في كفة مالت بهنَّ «**لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ**».

إذن العبرة بالمعنى وليس الاعتبار بالأجرام، هذه الأجرام وإن كانت عظيمة واسعة، لكن بالنَّظر إلى المعاني والحقائق، فكلمة التوحيد ترجح بها من هذا المعنى، من حيث أنها اشتملت على أعظم معنى وأكبر معنى وأهم معنى وأصدق معنى، وهو أنه سبحانه الواحد الأحد، الذي لا شريك له جلَّ وعلا، فأصحابها ترجح موازينهم على غيرهم متى صدقوا فيها وكملوها وأدوا حقها، فإنها ترجح بجميع ما لديهم من

سيئات؛ ولهذا جاء في حديث أنس رضي الله عنه[١] قال: «ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» فكلمة التوحيد لا يعادلها شيء في حقِّ من صدق فيها وأدَّى حقها.

وأصل الحديث: يقول أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» يدل على أن الخطايا كلها في مقابل عقيدة التوحيد كلها مرجوحة.

وقد جاء هذا المعنى أيضًا في الصَّحيح من حديث أبي ذر؛ أن العبد لو أتى الله بكل خطيئة ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك بالله شيئًا لرجح بذلك[٢] وقابل تلك الخطايا بقرابها مغفرة، والقُراب: بالضم؛ يعني: ما يملأ الأرض أو يقارب ملأها[٣].

فالمعنى: أن جميع الخطايا وجميع السيئات في مقابل هذه الكلمة العظيمة، كلها مرجوحة، كما أنها ترجح بهذه المخلوقات العظام هكذا ترجح بجميع السيئات، وهذا عند أهل العلم يفسر بأحد **الوجهين**:

أحدهما: أن هذا في حق من قالها صادقًا مُخلصًا لم يصرّ على سيئة أصلًا، بل أتى بها خالصة، قد كملها وأدى حقها وليس معه سيئة أصلًا، بل قد جردها وأحْكمها، حتى صار مؤدِّيًا لجميع الواجبات، تاركًا لجميع السيئات، مستقيمًا على شرع الله ﷻ في أي شريعة، وفي

---

(١) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي أبو حمزة خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، مات سنة (٩٢ أو ٩٣هـ) وقيل: جاوز المائة، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١١٥ برقم ٥٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، برقم (٢٦٨٧).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير حرف القاف، مادة [قرب] (ص٧٤٠).

أي وقت، وفي أي زمان، فهذا له الجنة والكرامة؛ لأنه لم يأت بسيئة تمنع ذلك أو تقدح في ذلك.

المعنى الثاني: أن هذا في حق من قالها وأتى إلى الله تائبًا من خطاياه وسيئاته، غير مصرٍّ على سيئة، بل قد تاب وأقلع، فخطاياه كلها مرجوحة، وكلها ساقطة بسبب إخلاصه لهذه الكلمة التي تتضمن توبته من جميع الذنوب، وإقلاعه من جميع الذنوب.

وهذا المعنى لا بد منه؛ لأن النصوص الأخرى من الآيات والأحاديث دلّت على أن أهل المعاصي على خطر، وأنهم متوعدون بالنّار، وأنهم تحت مشيئة الله، والنصوص لا ينقض بعضها بعضًا، ولا يكذب بعضها بعضًا، بل هي صدق، ويصدق بعضها بعضًا، فوجب أن يفسر هذا المعنى بما ذكر؛ حتى لا يكون هناك اختلاف، ولا تناقض بين النصوص.

وقد تعلق من لا يعلم من العصاة، ومن الجهلة بمثل هذه الإطلاقات، وزعم أنه لا يضره ما تركه من الواجبات، من الصلوات وغيرها، وقال: يكفيه أن يقول: لا إلٰه إلا الله، وأن يشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، ويفعل ما يشاء من المعاصي والكبائر، أو يدع ما يشاء من الواجبات، وهذا من الجهل بالله والجهل بدينه.

وهذا مخالف للنّصوص، ومخالف لما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وعلماء المسلمين، فلا بد من أداء الواجبات، ولا بد من ترك السيئات، ولا بد من الوقوف عند حدود الله، فمن أصرّ على ترك الواجبات، أو على فعل المعاصي، فقد خالف الكتاب والسُّنَّة، وتعرض لغضب الله وعقابه، وإن كان معه ما يثبت إسلامه وإيمانه فهو تحت مشيئة الله فيما معه من المعاصي.

وإن كان معه ما ينقض إسلامه، صار مرتدًّا كافرًا لم تنفعه شهادة: أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله؛ لأن التّرك أنواع:

قد يأتي بترك يوجب كفره وردته عن الإسلام، نسأل الله العافية؛

كترك الصلاة في أصح أقوال العلماء، وقد يأتي بأفعال تنقض إسلامه؛ كاستهزائه بالدين، وجحده ما أوجب الله أو بعض ما أوجب الله أو استهانته بكتاب الله أو ما أشبه ذلك من الأفعال التي توجب كفره وردته، فليس كل من قال هذه الكلمة ينجو حتى يحققها ويحقق معناها، وحتى يستقيم على ما دلت عليه من إخلاصٍ لله، وأداءٍ لما أوجب، وتركٍ لما حرَّم.

وهذا مقام عظيم يجب التنبه له، وأن هذه الشهادة لا بد فيها من أداء الواجبات، وترك المحرمات، والوقوف عند حدود الله، وإلا صار صاحبها على خطر، وصار توحيده ناقصًا، وإيمانه ضعيفًا؛ بما اقترفه من السيئات والمعاصي، فلا يسلم الإنسان من الخطر إلا بتحقيق الإيمان بما أوجب الله، وترك ما حرم الله، وأداء ما أوجب ﷻ، أو توبة صادقة يوفق لها في آخر حياته، فيموت على توبة صادقة من جميع السيئات، مع إخلاصه وتوحيده لله، فينجو من عذاب الله، وينجو من غضبه ﷻ.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** سَعَةُ فَضْلِ الله.
- **الثانية:** كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الله.
- **الثالثة:** تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.
- **الرابعة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الأَنْعَام.
- **الخامسة:** تَأَمُّلِ الخَمْسَ اللَّوَاتِي فِيْ حَدِيْثِ عُبَادَةَ.
- **السادسة:** أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ: «لا إِلٰه إلا اللهُ» وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغْرُوْرِينَ.
- **السابعة:** التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.
- **الثامنة:** كَوْنُ الأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لا إِلٰه إلا اللهُ».

- **التاسعة:** التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانها بِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانه.
- **العاشرة:** النَّصُّ عَلَى أَنَّ الأَرَاضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.
- **الحادية عشرة:** أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.
- **الثانية عشرة:** إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلأَشْعَرِيَّةِ.
- **الثالثة عشرة:** أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ: «لا إِلٰه إلا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» أَنَّ تَرْكَ الشِّرك، لَيْسَ قَوْلُهَا بِاللِّسَانِ.
- **الرابعة عشرة:** تَأَمُّلِ الجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيْسَى وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِ الله وَرَسُولَيْهِ.
- **الخامسة عشرة:** مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيْسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ الله.
- **السادسة عشرة:** مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.
- **السابعة عشرة:** مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإِيمَانِ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ.
- **الثامنة عشرة:** مَعْنَى قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».
- **التاسعة عشرة:** مَعْرِفَةُ أَنَّ المِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.
- **العشرون:** مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الوَجْهِ.

٢- بَابُ من حقَّق التوحيد دخل الجنَّة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب من حقَّق التوحيد دخل الجنة بغير حساب**» تحقيق التوحيد: تخليصه وتصفيته من شوائب الشِّرك والبدع والمعاصي، هذا هو تحقيق التوحيد؛ يعني: من حقق توحيده حتى سلم من الشِّرك والبدع والمعاصي؛ دخل الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، كما وعد الله بذلك أهل الإيمان؛ لأن الشِّرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية، والأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد، وتنقص ثوابه، والمعاصي كذلك تنقص ثوابه، فلا يكون توحيده سالمًا كاملًا إلا إذا سلم من الشِّرك الأكبر والأصغر والبدع والمعاصي، وهذا هو تحقيق التوحيد، سلامته، ونظافته من الشِّرك والبدع والمعاصي.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فوصف خليله إبراهيم بصفات عظيمة تدل على كمال توحيده وكمال إيمانه عليه الصَّلاة والسَّلام:

الأولى من الصفات: أنه ﴿أُمَّةً﴾ فسَّر الأئمة معنى «أمَّة» أنه الداعي إلى الخير وحده، الصَّابر على ذلك، وفُسر: بأنه الذي يثبت على الحقِّ ويستقيم عليه وحده عند فساد النَّاس، وهذان الأمران مجتمعان في إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنه كان ثابتًا على الحقِّ ليس عليه غيره، ومع ذلك يدعو إليه ويرغّب فيه، وهو داعٍ إلى الحقِّ وحده، وثابت عليه وحده.

ولما أخذ الجبار زوجته سارة، سأله عنها قال: إنَّها أختي،

فأخبرها بعد هذا: أنك أختي في الإسلام، ليس على الإسلام غيري وغيرك، فدل ذلك على أنه كان في زمانه قد انفرد بالحقِّ واستقام على الحقِّ وحده عند فساد الناس.

الصفة الثانية: ﴿قَانِتًا﴾ يعني: مُطيعًا لله، ثابتًا على الحقِّ، مستمرًّا في الخير؛ يعني: القنوت دوام الطاعة، القنوت من معانيها دوام الطاعة والاستمرار فيها، وكان إبراهيم كذلك قانتًا ذا عبادة واستقامة عليه الصَّلاة والسَّلام، والذّلة فيها الإخلاص، فكانت طاعاته لله ليست لغيره، فكان ثابتًا على الحقِّ، داعيًا إليه، مستمرًا في العبادة لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الصفة الثالثة: ﴿حَنِيفًا﴾ الحنيف: هو المقبل على الله، المعرض عما سواه، من الحنف وهو الميل، سمي بذلك؛ لأنَّه مال عن الأديان كلها، فتركها وأعرض عنها، واستقام على دين الله وحده، وثبت عليه وحده.

ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل قد فارقهم في عقيدته وفي أعماله وأقواله، وفي منزله، مهاجرًا عنهم، ابتعد عنهم يريد ما عند الله والدار الآخرة. هذه الصفات العظيمة تدل على كمال إيمانه وكمال توحيده وإخلاصه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وللمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا كلام عظيم: قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال: كان داعيًا إلى الحقِّ وحده ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ قال: مطيعًا لله، لله لا لغيره، و﴿حَنِيفًا﴾ قال: مقبلًا على الله معرضًا عما سواه ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بل فارقهم، ولم يكثر سوادهم، كما يفعله كثير من الناس، فكان عليه الصَّلاة والسَّلام أمة وحده على الحقِّ، داعيًا إليه، قانتًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا للملوك، ولا للتجار، ولا لغيرهم، بل لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حنيفًا مقبلًا على الله معرضًا عما سواه ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال: خلافًا لمن كثر سوادهم وزعم أنَّه من المسلمين ﷺ.

المقصود: أنَّه ﷺ استقام على الحقِّ وحده، ودعا إليه وحده، وثبت على الحقِّ قانتًا مطيعًا لله عَزَّ وَجَلَّ، مخلصًا له العمل، معرضًا عما سوى الله، ثابتًا على الحقِّ وحده، مقبلًا عليه جلَّ وعلا، عابدًا له وحده،

تاركًا للمشركين مفارقًا لهم في بلادهم وفي عقائدهم وفي أخلاقهم.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون على هذا الإخلاص، وعلى هذه الاستقامة، بعيدًا عن كل شر حتى يكون بذلك قد حقق توحيده، وحقق إخلاصه لله سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] هذا وصف لعباد الله المؤمنين حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٥٩] هذا من صفات أهل التوحيد والإيمان، أنَّهم مع خشيتهم لله، ومع إشفاقهم من عذابه، كانوا مخلصين له العمل، موحدين له سبحانه وتعالى.

ثـم قـال بـعـد هـذا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] فهذه صفة أهل الإيمان، أهل التوحيد الخلّص، أهل الاستقامة، أنهم مع خشيتهم لله، ومع إشفاقهم من عذابه، فهم مخلصون له موحدون له، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ بل حققوا توحيدهم بخوفهم من الله، وقيامهم بحقِّه، وإخلاصهم له، ومسارعتهم إلى أداء ما أوجب الله عليهم، وترك ما حرَّم عليهم.

وهذا هو كمال التحقيق للتوحيد، وإذا كان إبراهيم الخليل قد حقق توحيده، وقد حقق إيمانه فنبينا صلى الله عليه وسلم من باب أولى؛ لأنه عليه الصَّلاة والسَّلام أكمل الناس إيمانًا وأحسنهم خلقًا، وأكمل الأنبياء طاعة لله عز وجل وجهادًا في سبيله واستقامة على دينه عليه وعليهم جميعًا الصَّلاة والسَّلام.

فهكذا يكون التحقيق للتوحيد، وهكذا يكون البراءة من الشِّرك، وهكذا يكون العمل بطاعة الله عز وجل، وترك معصيته سبحانه وتعالى، فمن استقام على هذا دخل الجنَّة بغير حساب ولا عذاب.

وهذا هو التحقيق للتوحيد، أن يستقيم على دينه، وأن يحذر الشِّرك كله، دقيقه، وجليله، وأن يحذر البدع جميعها، ويحذر المعاصي كلها، ومتى وقع منه شيء، بادر بالتوبة وبادر بالإخلاص والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى،

وبهذا يكون قد حقق توحيده، واستحقّ من الله فضلًا وإحسانًا، ودخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عَن حُصَيْنُ بْنُ عبد الرحمٰن، قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ، قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَن بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ الأَسْلَمِيِّ أنه قَالَ: «لَا رُقْيَةَ إلا مِن عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ.

وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أنه قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيّ وَمَعَهُ الرَّهطُ، وَالنَّبِيّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنهمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ الله أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ الله أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ:

«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا حديث حصين بن عبد الرحمٰن[(٢)] وهو حديث طويل عظيم الفائدة، قال: **«كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إنِّي لم أكن في صلاة، ولكني لدغت»** هذا يبين أنَّ السَّلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتحرزون من إظهار أعمالهم الصَّالحة، خوفًا من الرِّياء، وخوفًا من تزكية النّفوس، ولهذا قال لما قال سعيد: أيّكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ انقض؛ يعني: هوى بشدّة؟

فقال حصين: أنا، ثم خاف أن يظنوا أنَّه قام يصلِّي، وأنَّه أراد أن يمدح نفسه بما لا يفعل، فقال لهم: لم أكن أصلي ولكني لدغت؛ يعني: أنا استيقظت من أجل لدغة حصلت عليَّ، وهي لسع ذوات السّموم من العقرب والحية، يقال: لدغ، إذا أصابته لسعة من عقرب أو حية ونحوهما، قال له سعيد: فما صنعت؟ قال: «ارْتَقَيْت» وفي رواية أخرى: **«اسْتَرْقَيْتُ»** يعني: طلبت من يرقيني، قال: **«فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ»** وهذا فيه الفائدة، وهي أن الإنسان إنَّما يفعل بحسب الدليل، لا بحسب هواه ورأيه.

وهذا يدل على أنَّ السَّلف كانوا يتذاكرون في أمور العلم، ويبحثون ويطلبون الدليل؛ ولهذا لما درى أنَّه لدغ، قال: «فَمَا صَنَعْتَ لَمَّا لُدِغْتَ»

---

(١) متفق عليه واللَّفظ لمسلم، أخرجه البخاري في عدة مواضع منها في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتوي، برقم (٥٧٠٥) وفي باب من لم يرق، برقم (٥٧٥٢) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، برقم (٢٢٠).

(٢) هو: حصين بن عبد الرحمٰن السُّلمي أبو الهذيل الكوفي ثقة تغير حفظه في الآخر، من الخامسة مات سنة ست وثلاثين ومائتين (٢٣٦هـ). ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٧٠ برقم ١٣٦٩).

أراد أن يعرف ما فعل في هذا؟ قال: «اسْتَرْقَيْتُ» أي: طلبت من يرقيني؛ لأنَّ الرقية ينفع الله بها من لدغ الحيات والعقارب.

قال: «فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ» ما دليلك على ما فعلت؟ فقال له حصين: «حديثًا حدثناه الشعبي» قال: وما حدثك؟ قال: حدثنا عن بريدة بن الحصيب[(١)] أنَّه قال: «لا رُقْيَةَ إلا مِن عَيْنٍ أَوْ حُمةٍ» وهذا الحديث جاء موقوفًا على بريدة، وجاء مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «لَا رُقْيَةَ إلا مِن عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»[(٢)] قال له سعيد: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع» يعني: من انتهى إلى ما بلغه من العلم فقد أحسن، أن يتعلم كي يعمل بالعلم، قد أحسن، إنما المسيء الذي يتعبد على جهالة، أو يخالف العلم؛ يعني: يعلم ولكن لا يعمل بعلمه، هذا هو المسيء، أما الذي يتعلم ويتبصر ويعمل بعلمه، فقد أحسن.

وفي هذا فائدة، وهو أن من أصيب بلسع الحيات والعقارب، أو بأمراض أخرى، فلا بأس أن يسترقي، أو يرقي نفسه، وأنه لا حرج في ذلك، لكن أولى ما يسترقى له: العين والحمة، ولهذا قال: «لَا رُقية» يعني: لا رقية أولى وأشفى وأحق، ليس المراد الحصر على الصحيح.

وإنَّما قال العلماء: لا رقية أولى وأشفى، ويفسر الحديث بهذا؛ لأن الأحاديث دلت على أنه لا بأس بالرقى من العين والحمة، كما قال النَّبِيّ ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَم تَكُنْ شِرْكًا»[(٣)] وقد رقى ورقي في غير

---

(١) هو: بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي صحابي أسلم قبل بدر، مات سنة (٦٣هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٢١ برقم ٦٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب ما رُخص فيه من الرقى، برقم (٣٥١٣) وأما الموقوف فقد ورد ضمن حديث الباب والذي سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك في كتاب السلام، باب بالرقى ما لم يكن فيه شرك، برقم (٢٢٠٠).

مرَّة ﷺ[١] فدل ذلك على أنَّ الرقية لا بأس بها، والمسح على المريض، والقراءة عليه بالآيات والدعوات التي يرجى نفعها.

و«**العين**»: عين عائن، أي: المس، والنظرة و«**الحمة**»: سم ذوات السموم، وكلها ترقى، فالعين ترقى، ولسع الحيات والعقارب ونحوها ترقى أيضًا، وهذا كما جاء به النص فهو مجرب أيضًا، ونافع بإذن الله سبحانه وتعالى، فيستحب لمن أصيب بشيء من هذا أن يرقي نفسه أو يرقيه أخوه، ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَن يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**»[٢].

«**فالاسترقاء**»: طلب الرقية، وكما يأتي تركه أفضل وأولى، لكن إذا احتيج إليه فلا بأس، ولهذا استرقى النَّبِيّ ﷺ لأولاد جعفر، كما يأتي قال لأسماء أمهم: «**استرقي لهم**» لما أصابتهم العين.

ثم بيَّن له سعيد ما هو أولى وأفضل من الاسترقاء، فقال: حدثنا ابن عباس عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ**» عرضها عليه كان في ليلة الإسراء على الصَّحيح.

قال: «**فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ** ـ وفي لفظ آخر: **الرُّهَيْط** ـ **وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**» يعني: يوم القيامة يأتون هكذا، منهم من معه الرهيط، العدد القليل من العشرة، ومنهم من معه الرجل والرجلان قد تبعوه، ومنهم أنبياء ما معهم أحد، ما تبعهم أحد، خالفهم الناس، ومنهم من قتله قومه نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) ثبت كل ذلك في الصحيحين، فقد رقي جبرائيل النبي ﷺ فقد أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها، وأبي سعيد رضي الله عنه في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٥، ٢١٨٦) كما أخرجا عنها رضي الله عنها البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ برقم (٥٧٤٣ ـ ٥٧٤٦) ومسلم في كتاب السلام، في باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) وفي باب رقية المرض بالتعوذات والنفث، برقم (٢١٩٢) وفي باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، برقم (٢١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في كتاب السلام، باب استحباب الرقى من العين والنملة والحمى والنظرة، برقم (٢١٩٩).

وهذا يبيّن لنا قلة من استجاب للأنبياء، كما قال المؤلف في المسائل، وأن المستجيبين للحقِّ هم القليل، والأكثر على الباطل نسأل الله العافية، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

فأتباع الرسل هم الأقلون، والأكثرون خالفوهم؛ ولهذا قال ﷺ هنا: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ».

«ثُمَّ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنهمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ» دلّ على فضل موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، وعلى أنَّه استجاب له كثير من بني إسرائيل، ودخلوا في دين الحق «ثُمَّ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قَدْ سَدَّ الأُفُقِ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ» ـ وفي لفظ آخر قال: **انْظُر إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ**، فَإِذَا هُمْ قَدْ سَدُوا الأُفُقِ الآخَرِ أَيْضًا «فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُك، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ» هذا في فضل هذه الأمَّة، وأنه كثير أتباع محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنه هو آخر الأنبياء، وأرسله الله للنّاس عامة، وهو رسول الله إلى الأمَّة كلها إلى قيام الساعة، ولسماحة شريعته، ولهذا كانت أمته أكثر الأمم.

وفي حديث آخر، قال: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١) وفي لفظ آخر: «**أَنَّ أَهْلُ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا**»(٢) يعني: الثلثين، فأتباع محمَّد ﷺ هم الأكثرون من بقية الأمم لرسلها.

«وَفِيهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ» جاء في

(١) أخرجه مسلم عن عبد الله رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم (٢٢١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند ابن مسعود رضي الله عنه (١/ ٤٥٣ برقم ٢٣٤٣) وفي مسند بريدة رضي الله عنه (٥/ ٣٤٧، برقم ٢٢٩٩).

الأحاديث الأخرى أنَّه: «**اسْتَزَادَ رَبَّهُ فَزَادَهُ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْـفًا**»(١) وفي لفظ: «**مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ**»(٢).

هذا في فضل هذه الأمَّة، وأن فيها جمًّا غفيرًا يدخلون الجنَّة بغير حساب ولا عذاب؛ لكمال تقواهم وكمال إيمانهم، واستقامتهم على شريعة الله ﷻ، فكلّما كان العبد أكمل في طاعة الله واتِّباع شريعته، كان أسهل لدخوله الجنَّة، ونجاته من النَّار بغير حساب ولا عذاب خاض النَّاس في أولئك، من هم؟

«**فقال بعضهم: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ**» يعني: ولازموه «**وقال بعضهم: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ**» فلم يكونوا في الجاهلية، بل ولدوا في الإسلام «**وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ**» غير هذا، ينظرون في أعمال هؤلاء السبعين ما هي أعمالهم؟ هذا فيه شرعية البحث في العلم، والمذاكرة في العلم، بل ينبغي لأهل العلم أن يتذاكروا في العلم، ويبحثوا وينظروا في معاني النصوص ليستفيدوا، هكذا كان السلف الصالح، فخرج عليهم النَّبيُّ ﷺ، فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» هؤلاء هم السبعون، لا يسترقون: لا يطلبون من يرقيهم، هذا يدل على فضل ترك سؤال الناس، والاستغناء عنهم حتى في طلب الرقية تركه ذلك أولى وأفضل، لكن لم ينه عن هذا عليه الصَّلاة والسَّلام، إنَّما ذكر فضله، فإذا دعت الحاجة إلى ذلك، فلا بأس للعلاج، ولهذا لما رأى في أولاد جعفر بعض المرض من العين،

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ في كتاب صفة القيام والرقائق والورع، باب منه (١٢) من باب ما جاء في الشفاعة، برقم (٢٤٣٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما جاء في صفة أمة محمد ﷺ برقم (٤٢٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي بكر الصديق ﷺ (١/٦، برقم ٢٢).

أمر أُمهم أن تسترقي لهم، فالمقصود أن الحاجة إذا دعت للاسترقاء، فلا بأس، ولكن تركه أفضل عند عدم الحاجة إلى ذلك.

وهكذا الكي تركه أفضل لهذا الخبر؛ لأنه نوع من التعذيب، فإذا تيسَّر دواء غير الكي، فهو أولى، فإن دعت الحاجة إليه فلا كراهة، لقوله ﷺ: «**الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: كَيَّةِ نَارٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ**»[(١)] وفي لفظ: «**وَأنهى أُمَّتِي عَنِ الكَيِّ**»[(٢)] وهذا نهي تنزيه لا تحريم، ولهذا كوى بعض أصحابه عليه الصَّلاة والسَّلام[(٣)]، وذكر الصَّحابة أمراضًا أصابتهم فاكتوو[(٤)] فالكي جائز عند الحاجة إليه، ولكن تركه أفضل؛ لأنه ليس من عمل السبعين، فتركه أفضل عند الاستغناء عنه، وعند وجود دواء آخر، فإذا دعت الحاجة إليه، فلا بأس ولا كراهة.

«**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**» الطِّيرة من الشِّرك، وهي: التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات، حتى يرجع عن حاجته، يتوقف عن قصده هذه الطيرة، وهي لا تنفع في رد أمر مقدَّر، وهي منكر، نهى عنها النَّبيّ ﷺ وقال:

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب التداوي بالعسل، برقم (٥٦٨٣) ومسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، برقم (٢٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، برقم (٥٦٨٠).

(٣) فقد ثبت عند مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ: «كَوَى أُبَيَّ بن كعب، وأرسل إليه مَنْ يَكْوِي كما حَسَمَ سَعْدَ بن عُبَادَةَ رضي الله عنهما فِي جرح» أخرجه في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي بالكي، برقم (٢٢٠٧، ٢٢٠٨) كما روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ: «كوى سعد بن زرارة رضي الله عنه» أخرجه في كتاب الطب، باب ما جاء في الرخصة من التداوي بالكي، برقم (٢٠٥٠).

(٤) ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه كُوِيَ بحضرة الرسول ﷺ من ذات الجنب، أخرجه عنه البخاري في كتاب الطب، باب ذات الجنب، برقم (٥٧١٩).

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(١) وقال: «**وَلَا ترد مُسْلِمًا**»(٢) وقال: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»(٣) وفي لفظ: «**اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلٰه غَيْرُكَ**»(٤).

فإذا رأى الإنسان ما يكره، فلا يرجع عن حاجته ولا يتطير، بل يقول ما قاله النَّبِيّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ**» الحسنات؛ يعني: النعم والخيرات، والسيئات؛ يعني: المصائب والنّقم «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**» أو يقول: «**اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلٰه غَيْرُكَ**» هذا دعاء كفارة الطيرة، فلا يتشاءم، ولا يرجع عن حاجته.

«**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» يعني: يعتمد على الله، ويفوضون إليه أمورهم هذا شأنهم، فهم معتمدون على الله جلَّ وعلا، واثقون به ﷻ، يعلمون أنَّه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، ومع ذلك يبتعدون عن الشِّركيات كالطيرة، وعن المكروهات كالكي والاسترقاء، ثقة بالله واعتمادًا عليه، وحرصًا على كمال إيمانهم وسلامة دينهم.

هذه أعمال السَّبعين أنَّهم أدوا الواجبات، وتركوا المحرمات والشِّركيات واعتمدوا على ربهم وتوكلوا عَليه، وفوضوا إليه أمورهم، مع أخذهم بالأسباب المباحة، الأسباب المباحة أخذوا بها كطلب الرِّزق

(١) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩١٠) وابن ماجه في كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، برقم (٣٥٣٨).
(٢) أخرجه أبو داود من حديث عروة بن عامر رضي الله عنه في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩١٩).
(٣) جزء من الحديث السابق الذي تم تخريجه في الحاشية السابقة.
(٤) أخرجه الإمام أحمد، في مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (٢/ ٢٢٠، برقم ٧٠٤٥).

والتِّجارة، وأنواع الطب المباح إلى غير ذلك، لكنهم تركوا الأشياء التي فيها الحاجة إلى النَّاس، كالاسترقاء، أو ما فيه نوع تعذيب كالكيّ إذا لم يضطروا إليه اعتمادًا على الله وثقة به وتوكلًا عليه ﷻ، فهذه حالهم أنَّهم قوم اجتهدوا في الطاعات، وابتعدوا عن السّيئات، وعن بعض المباحات التي فيها نقص، ثقة بالله واعتمادًا عليه، فلهذا جازاهم الله بأن أدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب.

* **فائدة:**

الرقية بدون سؤال وطلب لا بأس بها، أمَّا مع السؤال فتركها أولى عند عدم الحاجة، لكن إذا رقاك أخوك من غير سؤال منك، أو رقيت نفسك، فهذا من أسباب العافية الأسباب المباحة لا بأس به، وأمَّا الرقى بالطلاسم شرك.

والرقية الشرعية جائزة بشروط ثلاثة:

١ ـ أن تكون بلسان معروف المعنى.

٢ ـ وأن تكون لا محذور فيها.

٣ ـ وأن يفعل ذلك طلبًا للشفاء من الله ﷻ لا اعتمادًا عليها[(١)] بل يعلم أن الرقية سبب من الأسباب، وأن العافية منه جلَّ وعلا، وأنَّ الرقية ليست هي الشافية، ولا بقية الأسباب أيضًا، وإنَّما الشفاء بيد الله ﷻ، فإذا فعل ذلك بهذا الوجه، فلا بأس بذلك.

الخلاصة: أن تكون بلسان معروف المعنى، وأن يكون المعنى ليس فيه محذور من جهة الشرع، وأن يعتمد على الله وحده لا على الرقية، بل يعلم أنها من الأسباب فقط، وهكذا الكي يجوز عند الحاجة إليه، وتركه أولى لما فيه من التعذيب.

---

(١) ذكر هذه الشروط جمع من العلماء، منهم الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/١٩٦) عند شرحه لحديث رقم (٥٧٣٥).

أمَّا بقية الأسباب فلا بد منها، والمؤمن لا بد أن يتعاطى الأسباب، كما يأكل ويشرب لئلا يموت، وكما يتجر ويعمل الأسباب الأخرى لطلب الرِّزق، وكما يعمل بما أنزل الله عليه طلبًا للجنة، ويدع ما حرَّم عليه حذرًا من النَّار.

فالأسباب لا بد منها، لكن الرَّسول ﷺ أخبر عن هؤلاء بترك أسباب فيها نقص، وهو سؤال النَّاس للاسترقاء، أو الكي الَّذي فيه نوع من التعذيب، تركوا ذلك واستغنوا عن ذلك بالأسباب الأخرى التي ليس فيها سؤال النَّاس، وليس فيها تعذيب.

«فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»» وفي لفظ آخر قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**» فقتل شهيدًا رضي الله عنه في أيام الردة[(١)].

«ثم قام آخر فقال: ادع الله أَن يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»» سد الباب عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لئلا يستسهل الأمر، فيقوم من لا يستحقها، ولهذا قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

قال أهل العلم: في هذا استعمال المعاريض، مثل استعمال الكلمات التي تسد باب الشيء الذي قد لا يحسن، أو قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، فيستعمل المسلم الكلمات التي يسد بها الباب الموصل إلى الشرِّ، من دون أن يتعرض لإهانة أحد، أو إيذاء أحد، أو فضيحة أحد، ولهذا قال الرسول: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» لم يقل له: لست منهم، ولا قال: أنت منهم، بل قال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» سدًّا للباب وحسمًا للمادة التي قد يسألها من ليس أهلًا لها.

والخلاصة من هذا الحديث: فيه الدلالة على أن المستجيبين للأنبياء هم القليلون، وأنَّ الواجب على المؤمن أن يحقق توحيده باتِّباع

(١) قتلاه كل من طلحة وأخوه سلمة ابني خويلد الأسدي سنة (١١هـ). ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٩٢).

الشرع، والاستقامة عليه والبعد عما حرم الله ﷻ، وأن يتحرى من الأسباب المباحة الطيبة التي ليس فيها حاجة إلى النَّاس كالسؤال، وليس فيها ما يضره كالكي، بل يستعمل الحاجات الأخرى والأسباب الأخرى مع ثقته بالله، والاعتماد عليه والتوكل عليه ﷻ. وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل قوله ﷺ: «**وَلا يَسْتَرقُونَ**» يدل على كراهية الرقية؟

○ **الجواب:** لا، سؤال الناس هو المكروه، كونه يسأل النَّاس أن يرقوه، هذا تركه أولى، وأمَّا كونه يرقي نفسه، هذا ليس فيه كراهة.

• **السؤال:** هل للإنسان أن يسأل غيره أن يدعو له؟

○ **الجواب:** جاء في حديث عمر رضي الله عنه قوله ﷺ: «**يَا أَخِي لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ**»(١) فلا بأس، كونه يدعو لأخيه لا بأس به.

• **السؤال:** هل الرُّقية خاصة بأمور معينة؟ ولأناس خاصين؟

○ **الجواب:** لا، ليس للخاصة، بل للعامة، لكن الأولى والأفضل فيها ما كانت من العين والحمة، وإلا فالرقية عامة، لجميع الأمراض والأشخاص.

• **السؤال:** هل في الابتعاد عن المرضى وعدم مخالطتهم فيه محذور؟

○ **الجواب:** لا، هذا فيه التوقي من أسباب الشر، إذا كان عنده مرض معدي مثلًا، يتقى عن المخالطة، مثل ما قال ﷺ: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»(٢) فإذا اتقى أسباب الشَّر لا بأس، وإذا خالطهم ثقة

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصَّلاة، باب الدعاء، برقم (١٤٩٨) والترمذي في كتاب الدعوات، باب (١١) برقم (٣٥٦٢) وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل الدعاء، برقم (٢٨٩٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة، برقم (٥٧٧١) ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا =

بالله واعتمادًا عليه؛ ولإيضاح الإيمان والثقة بالله فلا بأس، كما أكل النَّبيّ ﷺ مع مجذوم، فقال: «**كُلْ ثِقَةً بِالله وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ**»[(١)] فالاتقاء من الأسباب الضارة مشروع.

- **السؤال:** كم عدد صفوف أهل الجنَّة؟

○ **الجواب:** مائة وعشرون صفًا، أربعون صفًا لغير أمَّة محمَّد ﷺ وثمانون صفًا من أمَّة محمَّد ﷺ.

- **السؤال:** كيف تكون الرقية على المريض؟ وما الآيات والأحاديث الدالة عليها؟

○ **الجواب:** ينفث عليه، ويقرأ ما تيسَّر من الآيات؛ كالفاتحة، وآية الكرسي والمعوذتين، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ «الإخلاص» وبعض الآيات يقرأ ما تيسر

- **مداخلة:** هؤلاء الذين ينفثون في ماء هل فعلهم جائز؟

○ **الجواب:** الرقية على الماء لا بأس به، ثبت عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه نفث في ماء لثابت بن قيس رضي الله عنه[(٢)] والقراءة تكون مما يتيسَّر من القرآن.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.
- **الثَّانية:** مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ؟

= هامة... ولا يورد ممرض على مصح، برقم (٢٢٢١).

(١) أخرجه أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩٢٥) والترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، برقم (١٨١٧) وابن ماجه في كتاب الطب، باب الجذام، برقم (٣٥٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب ما جاء من الرقي عن ذات الجنب، برقم (٣٨٨٥).

- **الثالثة:** ثَنَاؤُهُ سبحانه عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.
- **الرَّابعة:** ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِن الشِّرك.
- **الخامسة:** كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالكَيِّ مِن تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.
- **السادسة:** كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلَ.
- **السابعة:** عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ لِمَعْرِفَتِهِمْ أنهمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إلا بِعَمَلٍ.
- **الثامنة:** حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ.
- **التاسعة:** فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالكَمِّيَّةِ وَالكَيْفِيَّةِ.
- **العاشرة:** فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى ﷺ.
- **الحادية عشرة:** عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ، عليه الصَّلاة والسَّلام.
- **الثانية عشرة:** أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.
- **الثالثة عشرة:** قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلأَنْبِيَاءِ.
- **الرابعة عشرة:** أَنَّ مَن لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.
- **الخامسة عشرة:** ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ.
- **السادسة عشرة:** الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ.
- **السابعة عشرة:** عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا» فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي.
- **الثامنة عشرة:** بُعْدُ السَّلَفِ عَن مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.
- **التاسعة عشرة:** قَوْلُهُ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**» عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّةِ.
- **العشرون:** فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.
- **الحادية والعشرون:** اسْتِعْمَالُ المَعَارِيضِ.
- **الثانية والعشرون:** حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

٣- بَابُ الخوف من الشِّرك

وقـول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وفي الحديث: «أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرك الأَصْغَرُ» فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»[(١)].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري[(٢)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «باب الخوف من الشِّرك» يعني: باب وجوب الخوف من الشِّرك؛ يعني: يجب على المؤمن أن يخاف الشِّرك، وأن يحذره، مَنْ مَنَّ الله عليه بالتَّوحيد والإيمان والدخول في الإسلام، فلا يأمن، بل يجب عليه أن يخاف الشِّرك ويحذره، ويحذر المعاصي ويبتعد عنها، ولكن أعظم الأمور المنهي عنها وأكبرها وأخطرها الشِّرك، فيجب أن يخاف منه أكثر من غيره.

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥/٤٢٨، ٤٢٩ برقم ٢٣٦٨٠، ٢٣٦٨٦) وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ برقم (٤/٢٥٣ برقم ٤٣٠٢).

(٢) أخرجه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥] برقم (٤٤٩٧) ومسلم بغير هذا السياق في كتاب الإيمان، باب من مات...، برقم (٩٢).

والشِّرك معناه: هو تشريك غير الله في العبادة، سمي الشِّرك شركًا؛ لأنَّ المشرك شرك غير الله في العبادة، دعا غير الله، طلب المدد من غير الله، صلى لغير الله، سجد لغير الله، ذبح لغير الله، والمعنى: أنه جعله شريكًا لله في العبادة، والعبادة حق الله وحده، لا يجوز أن يشرك معه أحد فيها، فإذا صرف بعضها لغير الله؛ صار هذا شركًا بالله ﷻ.

وأعظم من ذلك وأكبر، أن يجعل العبادة كلها لغير الله، وينسى الله بالكلية، هذا أعظم كفرًا وشركًا، نسأل الله العافية.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فهذا بيان من الله جلَّ وعلا لعظم الشِّرك وخطره، وأنه ذنب خطير عظيم لا يغفر لمن مات عليه، نسأل الله العافية؛ فلهذا وجب الخوف منه، فالذنوب كلها تحت مشيئة الله إذا مات عليها العبد، إذا مات على الزِّنا، على العقوق، على شرب المسكر، على غيرها من الذنوب، هو تحت مشيئة الله، قد يعفى عنه، وقد يعذب على قدر الجريمة، لكن إذا مات على الشِّرك والكفر، إذا مات مشركًا بالله كافرًا بالله، صار إلى النَّار خالدًا مُخلدًا فيها أبد الآباد، لا يخلص ولا يغفر له نسأل الله العافية.

قوله: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢] **فالمقصود:** أنَّ الشِّرك أعظم الذُّنوب وأكبر الجرائم، فيجب الحذر منه.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩] فيها بيان عظم الشِّرك، وأن من صفات المؤمنين وأعمالهم العظيمة أنهم لا يشركون بالله جلَّ وعلا.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:

٣٥] يعني: إبراهيم الخليل أنه قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ هذا يُبيِّن لنا أن خطرها عظيم، إذا كان إبراهيم الخليل وهو سيد الأنبياء وإمامهم وأفضلهم بعد نبيّنا محمد ﷺ، يقول هذا الكلام، يسأل ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام؛ دلّ ذلك على أن خطرها عظيم، فوجب التأسي بالأنبياء، والحذر من الشِّرك الذي هو أعظم الذنوب وأعظم الجرائم.

وعبادة الأصنام: هي السجود لها ودعوتها، ونحو ذلك، والأصنام: جمع صنم، وهو ما نحت على صورة، يقال له: صنم، صورة إنسان أو أسد، أو غير ذلك من الصور، فهذا الصّنم، وهو ما ينحت على صورة تعبد من دون الله، يقال له: صنم.

والمشركون كانوا أقسامًا: منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأوثان التي هي غير الأصنام؛ كالشجر، والقبر، والحجر، ونحو ذلك الذي لم يصور، ويطلق على الصّنم أنه وثن أيضًا، وكذلك كان منهم من يعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر، فهم أقسام وأصناف، نسأل الله العافية، يجمعهم صرف العبادة لغير الله.

وفي الحديث الصَّحيح، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَر**» فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**الرِّيَاءُ**» هذا الحديث رواه أحمد وغيره بإسناد جيِّد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه(١) عن النَّبِيِّ ﷺ.

وتمام هذا الحديث، يقول الله يوم القيامة للمرائين: «**اذْهَبُوا إِلَى مَن كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُ مِن جَزَاءً**»(٢) ما

---

(١) هو: محمود بن لبيد بن عقبة رضي الله عنه الأشهلي السلمي أبو نعيم المدني، صحابي صغير وجُل روايته عن الصحابة، مات (سنة ٩٦، وقيل: ٩٧، وقيل: ٩٩هـ) وله تسع وتسعون سنة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأهل السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٢٢ برقم ٦٥١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بتمامه (٥/٤٢٨، ٤٢٩ برقم ٢٣٦٨٠، ٢٣٦٨٦).

عندهم جزاء، ما عندهم إلا الخيبة في هذا نسأل الله العافية. **فالمقصود:** أن هذا يوجب الحذر من الرياء، في الصلاة، في القراءة، في غير ذلك.

وجاء له شواهد(١) وكلها تدل على وجوب الحذر من الشِّرك الأصغر، وهو الرياء، وأنه خطير؛ ولهذا خافه النَّبِيُّ ﷺ على أمته، ويبتلى به الصُّلحاء، فقد يرائي بعبادته، وقد يرائي بقراءته، قد يرائي بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فيقع في هذا في الأغلب من ينتسب للصلاح، فيجب الحذر من ذلك، نسأل الله السلامة.

وفي الحديث الصَّحيح: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ**»(٢).

والرِّياء: المراءاة، مصدر راءى يرائي، ومن هذا الحديث الآخر، وهو قوله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشّركاءِ عَنِ الشِّرك مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٣) رواه مسلم.

هذا يفيد الحذر من الرياء، وأن الواجب على العبد أن تكون

---

(١) **منها**: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الإمام أحمد (٣/ ٣٠ برقم ١١٢٧٠) وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم (٤٢٠٤) قال البوصيرى في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٣٧): هذا إسناد حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في كتاب الرقاق (٤/ ٣٦٥ برقم ٧٩٣٦).
ومنها: عن عبد الرحمٰن بن غنم فيما أخرجه البزار في مسنده (٧/ ١٠٦ برقم ٢٦٦٣) وعزاه إليه الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير (٧/ ١٠٤ برقم ١١١٥٤).

(٢) متفق عليه من حديث جندب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، برقم (٦٤٩٩) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في علمه غير الله، برقم (٢٩٨٧).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في علمه غير الله، برقم (٢٩٨٥) وستأتي روايته في ص٣٢٦ كما أخرجه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، برقم (٢٩٨٦).

العبادات لله وحده، إذا صلى، صلى لله، وإذا صام؛ صام لله، وإذا قرأ؛ قرأ لله، وإذا دعا إلى الله؛ يخلص لله، وإذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر؛ يكون لله، لا يقصد مراءاة النَّاس وحمدهم وثناءهم، هذا خيبة، يضره ذلك ويأثم بذلك، ويبطل عمله، نسأل الله السلامة.

وعن ابن مسعود ﵁[1]، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو لله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**» يعني: من مات يتخذ لله ندًا؛ يعني: شبيهًا أو نظيرًا، يدعوه مع الله، يستغيث به، ينذر له دخل النَّار؛ يعني: مخلدًا فيها نعوذ بالله من ذلك.

وفي رواية: كان ابن مسعود يقول: قال الرسول ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو لله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**» وقلت: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ لَا يَدْعُو لله نِدًّا دَخَلَ الجَنَّة**» فحديث ابن مسعود هذا من أحاديث التوحيد، أنه من مات على التوحيد دخل الجنَّة.

هذا فيه الحذر من الشِّرك، وأن اتخاذ الأنداد من أسباب دخول النَّار، واتخاذ الأنداد معناه: تشريك غير الله مع الله في العبادة، سواء كان نبيًّا، أو صالحًا، أو جنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك، فمن اتخذ لله ندًّا يدعوه مع الله، يستغيث به، يذبح له، ينذر له، يصلِّي له، يسجد له، دخل النَّار بهذا؛ لأنَّ هذا شرك أكبر، نسأل الله السَّلامة.

قال المؤلف ؒ:

ولمسلم عن جابر ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[2].

قال الشارح ؒ:

وفي حديث جابر ﵁، جابر: هو جابر بن عبد الله الأنصاري

(١) تقدمت ترجمته في (ص٢٦).
(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، برقم (٩٣).

صحابي جليل، وأبوه صحابي جليل[١]، يقول رضي الله عنه أَنَّهُ سمع النَّبِيّ ﷺ يقول: «**مَن لَقِيَ الله لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» هذا يدل على شدّة الخوف من الشِّرك، وأن عاقبته النَّار، ويدل على فضل التَّوحيد، وأنه من مات عليه دخل الجنَّة، فالحديث فيه موجبتان: من مات على التوحيد دخل الجنَّة، ومن مات على الشِّرك دخل النَّار.

ولهذا جاء في اللَّفظ الآخر؛ أنَّه أخبره قال: «**المُوجِبَتَانِ مَنْ لَقِيَ اللهَ عز وجل لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللهَ عز وجل وَهُوَ مُشْرِكٌ دَخَلَ النَّارَ**» فهاتان موجبتان، إحداهما: توجب الجنَّة، والثانية: توجب النار، من مات على التوحيد والإيمان فله الجنة، ومن مات على الشِّرك بالله فله النّار، فهذا يوجب الحذر من الشِّرك، وأنَّ الواجب على المؤمن أن يبتعد عن ذرائعه ووسائله، ويتفقه فيه، ويسأل ربّه العافية من ذلك، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** بعض النَّاس يُلَبِّسُ عليهم الكُهَّان وأهل الضلال، ويقولون لهم: هذا هو الدِّين الحقّ، أنَّك تتوسل إليهم، وتنذر إليهم؟

○ **الجواب:** يحذر منهم إذا ابتلي بهم يحذرهم، ولا يطيعهم، ويسأل أهل العلم، ويتبصر، ولا يخضع للكهان والمنجمين، ولا للصوفية المنحرفين، ولا لدعاة القبور، ويكون عنده حذر، ويسأل أهل العلم المعروفين الذين يدعون إلى توحيد الله، وإلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لا يخضع لهؤلاء.

---

(١) وهو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، مات بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٣٦ برقم ٨٧١).

● **مداخلة:** وإذا مات الشخص مشركًا فما مصيره؟

○ **الجواب:** إذا مات على الشِّرك فمصيره هو مع المشركين إلى النَّار.

● **السؤال:** الشِّرك الأصغر كما هو معروف أعظم من كبائر الذنوب؟

○ **الجواب:** نعم. هذا هو الصواب: أن الشِّرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب.

● **السؤال:** هل يجوز ترك بعض الطاعات مخافة الرياء؟

○ **الجواب:** لا، لا يجوز، هذا غلط، لا ينبغي، بل ينبغي أن يجتهد في الطاعات، ولا يترك مخافة الرياء، لا يترك للناس ولا يعمل للناس كله سواء.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

● **الأولى:** الخَوْفُ مِن الشِّرك.

● **الثانية:** أَنَّ الرِّيَاءَ مِن الشِّرك.

● **الثالثة:** أنه مِنَ الشِّرك الأَصْغَر.

● **الرابعة:** أنه أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

● **الخامسة:** قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

● **السادسة:** الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

● **السابعة:** أنه مَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخلَ النَّارَ، وَلَوْ كَانَ مِن أَعْبَدِ النَّاسِ.

● **الثامنة:** المَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ: سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

● **التاسعة:** اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

● **العاشرة:** فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إلا اللهُ» كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

● **الحادية عشرة:** فَضِيلَةُ مَن سَلِمَ مِنَ الشِّرك.

٤- بَابُ الدُّعاء إلى شهادة: أن «لا إله إلا الله»

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُن أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى شَهَادَةُ: أَن لا إله إلا اللهُ».

وَفِي رِوايةِ: «إِلَى أَن يُوحِدُوا الله، فَإِن هُمْ أَطَاعُوك لِذَلِك فَأعلمهم أَنَّ الله افْترَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُل يَوْم وَلّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوك لِذَلِكَ، فَأعلمهم أَنَّ الله افْترَضَ عَلَيْهُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِك، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإنه لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ» أخرجاه(١).

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في الدعوة إلى الله، لمَّا ذكر المؤلف رحمه الله: حقيقة التوحيد وفضله وتحقيقه، وذكر الخوف من الشِّرك، ذكر بعد ذلك الدعوة، فقال: «باب الدُّعاء إلى شهادة: أن «لَا إلٰه إلا الله» المعنى: باب وجوب الدعاء وفرضية الدعاء إلى شهادة أن لَا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله؛ لأنها أختها وقرينتها، فمراد المؤلف رحمه الله الدعوة إلى

(١) البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، برقم (١٤٦٩) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩).

التوحيد، واتِّباع الرسول ﷺ وذلك تنبيهًا منه على أن المؤمن متى منَّ الله عليه بالعلم والبصيرة، فعرف التوحيد والإيمان وتفقه في الدين، فإن الواجب عليه أن يدعو إلى الله وينشر العلم، كما علَّمه الله ينفق مما أعطاه الله، وهذا واجب على الأمَّة وفرض عليهم أن يدعوا إلى توحيد الله وإلى اتِّباع رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذا الذي قاله المؤلف أخذه من الكتاب والسُّنَّة؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [الحج: ٦٧] وقوله: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] وقوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣] في آيات كثيرات.

فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يدعوا إلى الله؛ يعني: إلى توحيده، والإخلاص له، وترك الإشراك به ﷻ، كما يجب عليهم أن يدعوا إلى الإيمان برسول الله ﷺ، وتصديقه واتِّباع ما جاء به من الهدى، وترك ما خالف ذلك، هذا واجب على أهل العلم جميعًا.

ومن الدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ يقول الله لنبيّه محمَّد ﷺ: ﴿قُلۡ﴾ يا أيها الرسول للناس، هذه سبيلي فالأمر: ﴿قُلۡ﴾ للنبي ﷺ وهكذا الأمَّة بعده.

﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ يعني: هذه التي أنا عليها من توحيد الله والإخلاص له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم والحج والجهاد، وغير هذا، هذا هو سبيل الله، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يعني: هذه طريقتي، وهذه محجتي، وهو صراط الله المستقيم، وهو الإسلام والهدى، هو سبيل محمَّد ﷺ سبيل محمَّد هو صراط الله المستقيم، وهو الإسلام والإيمان والهدى الذي بعث الله به نبيه محمَّدًا ﷺ.

قوله: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يعني: لا إلى حظّ، ولا إلى مُلْكٍ، ولا إلى مال، ولا إلى غير هذا من شؤون الدنيا، ولكني أدعو إلى الله، يدعو إلى توحيد الله وطاعة الله، ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ إلى توحيد الله وطاعة الله واتِّباع شرعه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: على علم وهدى، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ يعني: أنا أدعو إلى هذا على بصيرة، وأتباعي كذلك يدعون إلى الله على بصيرة.

وهذا يدل على أن أتباع الرسول ﷺ هم أهل البصائر، وهم الدعاة إلى الله، فالعالم الذي لا يدعو إلى الله ولا يهدي الناس إلى الحق، ليس من أتباع الرسول ﷺ على الحقيقة، وإنَّما أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى الله، على بصيرة الذين يدعون إلى الله على علم لا على جهل، فلا يسكتون، ولا يدعون على جهالة، فأتباع الرسول ﷺ يجمعون أمرين: يجمعون الدعوة إلى الله، ومع ذلك على علم، على هدى لا على جهالة، وهذا هو الواجب عليهم، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ وهي العلم ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فالدعوة إلى الله هي طريق الرسل، وهي سبيلهم من أولهم إلى آخرهم وهي سبيل العلماء الصَّادقين الموفقين، وهي طريقهم وهي منهجهم، هذا يدلنا على أن الواجب عليك يا عبد الله حسب علمك أن تدعو إلى الله على بصيرة، كما أمر الله نبيه ﷺ.

فالله أمرنا أن نتبع الرسول ﷺ ونتأسى به ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] ومن الأسوة به أن ندعو إلى الله، وأن نبلغ الناس دين الله، وأن نصبر على الأذى في ذلك حسب الطاقة والإمكان، في بلدك وفي غير بلدك، في مسجدك وفي غير مسجدك، في الطريق وفي غير الطريق، حسب الطاقة.

وفي الصَّحيحين عن النَّبِيِّ ﷺ، الصَّحيحين؛ يعني: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهما أصح الكتب المؤلفة في الحديث الشريف، هذان الكتابان هما أصح وأعظم كتاب في الأرض بعد كتاب الله ﷻ، بعد القرآن.

رويا جميعًا عن ابن عباس رضي الله عنهما، إذا قيل: ابن عباس فهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[1] الصحابي المعروف بالعلم والفضل والفقه في

---

(١) ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٠٩ برقم ٣٤٠٩).

الدين عن النَّبِيِّ ﷺ: أنه لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له ـ يعني: أوصاه ـ، قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ» ليسوا جهلاء، عندهم علوم، عندهم شبه، فنبهه كي يستعد لهم، وأن يبلغهم أمر الله «فَلْيَكُن أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ: أَن لا إِلٰه إلا اللهُ» يعني: لا تلتفت إلى ما عندهم من علوم باطلة وشبه داحضة، لا، ولكن بلِّغهم ما أمرت به من الدعوة إلى توحيد الله، فادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله.

وفي اللفظ الآخر: «فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» يعني: إلى أن يخصوه بالعبادة، دون عزير أو غيره، من أحبارهم ورهبانهم، فليعبدوا الله وحده ﷻ، «فَلْيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ» يعني: أول شيء تدعوهم إليه: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فـ«أَوَّلُ» خبر مقدم، و«شَهَادَةُ» مبتدأ مؤخر.

وفي لفظ: «فَلْيَكُنْ أَوَّل مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه عِبَادَةُ اللهِ» وهو تفسير شهادة: أن لا إلٰه إلا الله، معناها: عبادة الله وحده.

وفي الرواية الأخرى: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» وهذا هو معنى لا إلٰه إلا الله، فإنَّ لا إلٰه إلا الله، معناها: توحيد الله، لا إلٰه، معناه: لا معبود حق إلا الله، فالإيمان بهذا والاستقامة عليه هو توحيد الله ﷻ.

ثم قال: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِك» يعني: وحدوا الله، وأخلصوا له العبادة، وتركوا عبادة ما سواه من المخلوقات «فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» هذا يدلنا على أنَّ المشرك يُدعى أولًا للتوحيد قبل كلّ شيء، فإذا أجاب للتوحيد وانقاد للتوحيد وعبد الله وأذعن لهذا وآمن، يُدعى بعد هذا للصلاة، ثم الزكاة، ثم أمور الدين الأخرى بعد ذلك.

«فَإِنْ هُمْ أَجَابُوا لِذَلِكَ» يعني: وافقوا على الصلوات وأجابوا إليها وأقاموها، فادعهم إلى الزكاة، وأخبرهم «أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً» وهي الزكاة، «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» وهذه الزكاة حق الله في الأموال المخصوصة، لها نُصب مخصوصة، تؤخذ منها هذه الأموال

وتصرف في الفقراء، وفي بقية أصناف أهل الزكاة، كما بيَّنه الله في سورة براءة في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠].

وذكر الفقراء هنا يدل على أنهم أهم الأصناف، ولهذا بدأ الله بهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ فأهم الأصناف وأوسعها وأعمها: الفقراء والمساكين، فالصدقة تؤخذ من الأغنياء ويعطاها الفقراء مواساةً لهم، وإعانةً لهم ورحمةً لهم، فهي شكر من الأغنياء لله على ما أعطاهم من المال، وهي إحسان منهم إلى إخوانهم الفقراء والمحاويج.

ثم قال: «فَإِنْ هُمْ أَجَابُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» يعني: إذا أجابوك إلى ما تقدَّم من التوحيد والصلاة والزكاة، فإيَّاك وكرائم أموالهم؛ يعني: احذر ظلمهم، لا تأخذ الكريمة، خذ الوسط، كرائم الأموال المقدمة عندهم، الرفيعة عندهم؛ يعني: لسمنها، أو لنجابتها، أو كونها لبون، أو لغير هذا من أسباب كونها من كرائم الأموال، فلا تجبرهم عليها وتأخذها منهم، لا، خذ الوسط؛ يعني: يجعل المال ثلاثة أقسام: وسط، وكرام، ولئام، فالزكاة من الوسط، إلا إذا طابت نفوسهم بالكرام ودفعوها عن طيب نفس، فإنها تقبل منهم، ولهم في هذا أجر.

ثم قال: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ» يعني: احذر أن تظلمه، فيدعو عليك، فتصيبك دعوة المظلوم؛ لأن دعوة المظلوم مستجابة؛ ولهذا قال: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» هذا فيه الحث على التبليغ، وتقوى الله في التبليغ، والحذر من ظلم المدعوين، فالمرسل يبلغ ولا يظلم.

وإنَّما اقتصر على التوحيد والصلاة والزكاة؛ لأنها أهم الأمور، هذه الأركان الثلاثة هي أهم الأمور، فمن أجاب إليها، أجاب إلى ما سواها، من أجاب إليها، أجاب للصوم والحج والجهاد وغير ذلك؛ لأنه إنَّما يجيب إليها عن إيمان وعن اقتناع، فهذا الإيمان وهذا الاقتناع يحمله على أداء بقية الواجبات.

ولهذا اقتصر الله سبحانه على ذكرها في مواضع، وهكذا

الرسول ﷺ؛ لأنها هي الأصول الأم، فإذا أجاب إليها المؤمن وصدّق بها واستقام عليها؛ أجاب إلى ما سواها، كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث يقول ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لَا إِلٰه إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**»[١] متفق عليه.

هذا يُبيِّن لنا أنَّ هذه الأصول الثلاثة هي الأم، والأس وأنَّ الإنسان المؤمن متى أجاب إليها واستقام عليها، فإنَّه ينقاد لما بعدها بموجب الأدلة الشَّرعية، وإيمانه بها.

حديث ابن عباس في بعث معاذٍ إلى اليمن داعيًا إلى الله، أخرجاه، وإذا **قال المؤلف**: «**أخرجاه**» يعني: في الصَّحيحين، هما البخاري ومسلم رحمهما الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] برقم (٢٥) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، برقم (٢٢).

أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِي بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِن حَقِّ الله تَعَالى فِيهِ، فَوَ الله لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرُ النَّعَمِ». «يَدُوكُونَ»[١] أي: يخوضون.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **«وَلَهُمَا»** يعني: البخاري ومسلم، إذا قال المؤلفون في الحديث، وفي التوحيد، وفي الفقه: لهما أو أخرجاه، أو في الصَّحيحين، يعنون بهما: البخاري ومسلم رحمهما الله.

«ولهما عن سهل بن سعد»[٢]: هو الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **«أنَّ النَّبِيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام قال يَوْمَ خَيْبَرٍ»** يعني: يوم غزوة خيبر، وخيبر بلدة معروفة في نواحي المدينة، تقع شمال المدينة، غزاهم النَّبِيّ ﷺ في عام سبع من الهجرة، وفتحها الله عليه، وكان فيها اليهود، وبعد فتحها واستنقاذها من أيديهم، استعملهم عليها ﷺ فلاحين فيها بنصف ما يخرج منها من ثمر أو زرع، وصارت من بلاد المسلمين وتحت يد المسلمين، وبقوا فيها حتى أجلاهم منها عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خلافته أجلاهم إلى الشام، بعد ما أنزل الله فرض إجلاء اليهود والنَّصارى من الجزيرة العربية[٣]، وقد توفي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، برقم (٣٧٠١) ومسلم في كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، باب في فضائل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، برقم (٢٤٠٦).

(٢) ابن مالك بن خالد الساعدي الخزرجي أبو العباس، له ولأبيه صحبة مات سنة (٨٨هـ) روى له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (ص٢٥٧ برقم ٢٦٥٨).

(٣) جاء ذلك في وصيته ﷺ عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مسلم، أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، برقم (١٧٦٧).

رسول الله ﷺ ولم يجلو منها فأجلاهم عمر رضي الله عنه، قال ﷺ في ذلك اليوم لما طال الحصار؛ لأنَّهم حاصروا خيبر مدة، فلم تفتح عليهم، صار بينهم وبين اليهود قتال.

فقال في بعض الأيام عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**» الراية يسميها النَّاس اليوم: البيرق «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا**» يعني: صباحًا «**رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ**» فتشوق النَّاس لهذا الأمر، وكلٌّ أحبّ أن يكون له هذا الأمر؛ لما فيه من وصف الرجل بأنه يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، من شهادة بالتعيين له، وإلا فكل مؤمن يحبّ الله ورسوله، وكل مؤمن يحبّه الله ورسوله هذا أمر معلوم، ولكن هنا الرسول ﷺ يشهد لواحد معين بهذا الوصف، كل واحد يحب هذا من المؤمنين.

«**فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ**» بات النَّاس يدوكون ليلتهم؛ يعني: يخوضون فيها وينظرون من يعطى هذا الأمر، من يتولى هذا الشيء، من يحصل له هذا الشرف، من يفوز بهذا الشرف، كلهم يرجو أن يعطاها، فلما أصبحوا وغدوا على النَّبيِّ ﷺ كل يرجو أن يعطى هذه الراية لما فيها من الخير العظيم، حتى قال عمر: «**مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إلا يَوْمَئِذٍ**»(١) أو قال: «**مَا تَشوفت لها إلا يومئذ**» أو كما قال رضي الله عنه.

فقال: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»(٢) وهو: ابن عمه ﷺ وزوج ابنته فاطمة، «**فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ**» يقاد «**فَبَصَقَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب فضائل الصَّحابة، باب من فضائل علي، برقم (٢٤٠٥).

(٢) ابن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أول من أسلم من الصبيان، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، أبو السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما، مات سنة (٤٠هـ). ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٠٢ برقم ٤٧٥٣) وسيأتي مزيد من الترجمة في شرح سماحته في (ص١١٨).

فِي عَيْنَيْهِ» أي: تفل في عينيه ودعا له، فبرأ من مرضه؛ كأن لم يكن به وجع، وهذه من الآيات والدلائل على صدقه ﷺ وأنه رسول الله حقًّا عليه الصَّلاة والسَّلام كونه أبرأ بريقه الشريف ودعواته المباركة هذا المرض في لحظة، فهذه من آيات الله جلَّ وعلا، وهو دالٌّ على قدرة الرب، وأنه سبحانه يقول للشيء كن فيكون، فهذا البرء الفوري من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة، وهي أيضًا من الآيات والدلائل على صدق رسوله محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، ففيها فائدتان.

«**فأعطاه الراية**» يعني: البيرق، وقال: «**انْفُذْ**» يعني: سر «**عَلَى رِسْلِكَ**» يعني: على مهلك، «**حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ**» يعني: حتى تنزل بقربهم، فساحة القوم ما قرب منهم؛ يعني: لا تنزل بعيدًا فإن هذا يضعف الجند، ويشجع الأعداء، ولكن انزل قريبًا منهم حتى يكون أضعف لهم، وأشجع للمؤمنين؛ لأنهم قد دنوا من عدوهم حتى يعدوا العدة اللازمة.

«**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ**» يعني: إذا وصلت إليهم فادعهم إلى الإسلام، ولو كانوا قد دُعوا، من باب إقامة الحجة وكمال المعذرة، وهذا فيه دلالة على أنه ينبغي لأهل الإيمان أن يعنوا بالدعوة، وأن يجتهدوا في دعوة أعدائهم؛ لعلهم يهتدون، لعلهم يرجعون للصواب، حتى ولو دعوا قبل ذلك، لا مانع من التكرار.

ويستحب التكرار إذا دعت إليه الحاجة؛ لإقامة الحجة وقطع المعذرة، ولا سيما مع اليهود؛ لأن عندهم علوم، عندهم بصيرة فيما جاء به النَّبِيّ ﷺ، ولكنهم حملهم الحسد والبغي وإيثار الدنيا على الآخرة، فكذبوا وهم يعلمون أنه صادق وأنهم كاذبون، فالتّكرار عليهم لعلهم ينتبهون، لعلهم يستجيبون.

فأصروا ولم يستجيبوا نعوذ بالله، فلهذا قاتلهم علي رضي الله عنه قاتلهم قتالًا عظيمًا ومعه المسلمون، ففتح الله عليه خيبر، وأنقذها الله على يدي علي رضي الله عنه وأرضاه، فهذا فيه منقبة كبيرة لعلي رضي الله عنه من جهة أن الله فتح

على يديه، ومن جهة أنَّ الرسول ﷺ وصفه بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهذا لا شك فيه، فهو ممن شهد له النَّبِيّ ﷺ بالجنَّة، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وهو المعروف بالشجاعة والإقدام والفضل العظيم والعلم الكبير ﵁ وأرضاه، ولكن لا يستقيم هذا مع الشيعة؛ لأن الشيعة يغلون فيه، وبعضهم يجعله إلٰهًا مع الله قبحهم الله، فهو صحابيّ جليل من بني آدم، يمرض وتصيبه الأوجاع، وقد قتل ولم يدفع عن نفسه ﵁ الموت، وقتل في رمضان سنة أربعين من الهجرة، قتله الخوارج، ولو كان إلٰهًا لدفع عن نفسه، ولكن الرَّافضة لا يعقلون ولا يفهمون، نسأل الله العافية.

المقصود: أنَّه من خيرة الصَّحابة، ومن أفاضل الصَّحابة، بل هو أفضلهم بعد الثلاثة، بعد الصِّديق وعمر، وعثمان هو الأفضل، هو الرابع، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة ﵁ وأرضاه، ولكنه بَشَر لا يجوز أن يعبد من دون الله، إذا كان الرسل وهم أفضل الخلق لا يعبدون، فعلي وغيره من باب أولى ألّا يعبد، بل عبادته والتعلق به، والزعم أنَّه إلٰه، والاستغاثة به، أو الزعم أنه يعلم الغيب، كل هذا كفر بالله، وشرك أكبر، نعوذ بالله من ذلك.

ثم قال: «**فَوَ الله لأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرُ النَّعَمِ**»: هذا فيه دلالة على فضل الدعوة، وأن الإنسان كونه يهتدي على يديه جماعة أو أفراد خير له من الدنيا وما عليها، فلا ينبغي له أن يحرص على القتال، بل يكون همه أولًا الحرص على الدعوة؛ لعل الله يهديهم، فحرصه على هذا أكثر وأكبر؛ إذ المقصود هو الدعوة، وليس المقصود القتال، مقصود الرسل والدعاة إلى الله هو هداية الناس، مقصودهم إنقاذ الناس من الشِّرك، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، هذا المقصود الأول من الجهاد، فإذا أصروا وعاندوا وكابروا، جاء القتال بعد ذلك؛ حتى يستراح منهم، وحتى لا يصدوا الناس عن سبيل الله، وحتى يستعان بأموالهم ونسائهم وذرياتهم على دين الله وطاعته.

«**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ**» يقسم وهو الصَّادق وإن لم يحلف، هذا فيه دلالة على أنه لا بأس بالقسم للتأكيد إن كان صادقًا، بل قد يستحب، ويشرع عند الحاجة للتأكيد حتى يفهم المخاطب أن هذا حقّ، وأنَّه أمر مطلوب.

«**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرُ النَّعَمِ**» حُمْر: بضم الحاء وتسكين الميم، جمع أحمر، أمَّا حُمُر بالضّم، فهو جمع حمار، وليس المراد هنا، المراد هنا: الحُمْر جمع حمراء وأحمر؛ يعني: خير لك من جميع الإبل الحُمر التي تعرف عند العرب ويعظمونها، ويرونها أشرف الإبل، فبيَّن هذا الشيء للدلالة على أن الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيل الله ليس لها شيء يوازنها، والمعنى: خير من الدنيا وما عليها.

فينبغي للمؤمن أن يكون همّه إصلاح الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن لا يكون همّه أن يأخذ أموالهم أو يقتلهم، لا، المقصود الأول والحكمة الأولى والهدف الأول: هداية الناس، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتعليمهم، وإرشادهم؛ لعلهم يهتدون، هذا المقصود من إرسال الرسل، ومن الجهاد، فإذا لم يتيسر هذا وعاند الناس وكابروا، حينئذٍ يشرع قتالهم، وعدم الإبقاء عليهم، حتى يستعان بما عندهم من مال وذرية ونساء لمصالح المسلمين، وحتى يفتح الطريق لغيرهم من المسلمين، وحتى لا يبقوا عقبة في طريق المسلمين، ولا عقبة في طريق الدعوة إلى الله ﷻ.

والشاهد من هذا قوله: «**ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ**» دلّ ذلك على أن العلماء يدعون إلى الله، كما دعا النَّبيّ ﷺ في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن الشريعة جاءت بالدعوة إلى الإسلام، وإعلام الناس الخير، وإرشادهم إلى الحقِّ قبل قتالهم، ويجوز أن يغار عليهم من غير تكرار دعوة إذا كانوا قد دعوا، كما أَغَارَ النَّبِيّ ﷺ «**عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ**»(١) هذا جائز، إذا دعوا وأنذروا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر ﵄، أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب من =

فأبوا وأصروا، جاز أن يغار عليهم على غفلة، لكن إذا كررت الدعوة لهم للمصلحة أو لأهداف أخرى، فلا بأس أن يكرر الدعوة لهم؛ لعلهم يهتدون، لعلهم يستجيبون، كما فعله النَّبيّ مع اليهود عليه الصَّلاة والسَّلام.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الله طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ الله ﷺ.
- **الثانية:** التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلاصِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.
- **الثالثة:** أَنَّ البَصِيْرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.
- **الرابعة:** مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ كَوْنُهُ تَنْزِيهًا لله تَعَالَى عَنِ المَسَبَّةِ.
- **الخامسة:** أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرك كَوْنَهُ مَسَبَّةً لله.
- **السادسة:** وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنْ المُشْرِكِينَ، لَا يَصِيرُ مِنْهُمْ؛ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.
- **السابعة:** كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.
- **الثامنة:** أنه يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى اَلصَّلَاةِ.
- **التاسعة:** أَنَّ مَعْنَى «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**»: مَعْنَى شَهَادَةِ أَن لا إِلٰه إلا اللهُ.
- **العاشرة:** أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ اَلكِتَابِ وَهوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.
- **الحادية عشرة:** التَّنْبِيهُ عَلَى اَلتَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ.

= ملك من العرب رفيقًا، برقم (٢٥٤١) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكُفَّار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة، برقم (١٧٣٠).

- **الثانية عشرة:** البَدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ.
- **الثالثة عشرة:** مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.
- **الرابعة عشرة:** كَشْفُ اَلْعَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنْ المُتَعَلِّمِ.
- **الخامسة عشرة:** النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ اَلأَمْوَالِ.
- **السادسة عشرة:** اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُوم.
- **السابعة عشرة:** الإِخْبَارُ بِأنها لَا تُحْجَبُ.
- **الثامنة عشرة:** مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الرُّسُلِ وسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالوَبَاءِ.
- **التاسعة عشرة:** قَوْلُهُ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ**» إِلَخْ: عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ اَلنُّبُوَّةِ.
- **العشرون:** تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ: عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.
- **الحادية والعشرون:** فَضِيلَةُ عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.
- **الثانية والعشرون:** فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.
- **الثالثة والعشرون:** الإِيمَانُ بِالقَدَرِ؛ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا، وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.
- **الرابعة والعشرون:** الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «**عَلَى رِسْلِكَ**».
- **الخامسة والعشرون:** الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.
- **السادسة والعشرون:** أَنَّه مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.
- **السابعة والعشرون:** الدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ**».
- **الثامنة والعشرون:** المَعْرِفَةُ بِحَقِّ الله فِي الإِسْلَام.
- **التاسعة والعشرون:** ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.
- **الثلاثون:** الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

٥- بَابُ تفسير التوحيد، وشهادة: أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧] وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآية [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١] وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥].

وفي الصَّحيح، عن النَّبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰه إلا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى الله ﷻ»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «باب تفسير التوحيد، وشهادة: أن لا إلٰه إلا الله»: هذا الباب باب عظيم، بيَّن فيه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تفسير التوحيد، وتفسير شهادة: أن لا إلٰه إلا الله بما يوافق لفظها، وبما يضادها؛ لأنَّ الشيء يعرف بضده، كما قيل: والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء.

فالمؤلف ذكر في هذا تفسير التوحيد بمعناه وبضده؛ حتى يتضح لطالب العلم حقيقة التوحيد وما هو التوحيد وحقيقته أنه إفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه، وهذا هو معنى: «لا إلٰه إلا الله» فإن معناها: لا معبود حقّ إلا الله، ولهذا قال النَّبيّ ﷺ في

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك سعد عن أبيه طارق الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، برقم (٢٣).

حديث معاذ رضي الله عنه: «**ادعهم إلى أن يوحدوا الله**» فتوحيده إفراده بالعبادة، وتخصيصه بها، فلا يُدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يصلى إلا له، ولا يسجد إلا له إلى غير ذلك.

فهذا هو التوحيد: أن تؤمن بقلبك أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق العبادة دون كل ما سواه، دون الملائكة، دون الرسل، دون الصَّالحين، دون الأصنام، هو مستحق العبادة وحده، تعتقد هذا بقلبك وتعمل بجوارحك، وتعبده وحده، وتخصه بدعائك، وضراعتك وعباداتك، لا تعبد معه سواه سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ﴾ [النحل: ٥١] ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] وما أشبهها من الآيات.

يقول: «**باب تفسير التوحيد**» يعني: باب تفسير هذه الكلمة: «**التوحيد**» وأن معناها توحيد الله، وإفراده بالعبادة، معناها: تخصيصه بالعبادات، وحدته توحيدًا: إذا جعلت العبادة له وحده باعتقادك وعملك.

«**وشهادة: أن لا إله إلا الله**» من باب العطف للدلالة على المدلول؛ لأن التوحيد هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فعطفها على التوحيد عطفًا يقتضي بيان معناها ومرادها، وأن معناها ومرادها هو توحيد الله سبحانه وتعالى، هذا يقال من باب عطف الدال على المدلول، فالمدلول هو التوحيد، والدال هو شهادة أن لا إله إلا الله.

قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] قبلها قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] ثم قال بعدها: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ فدعاؤهم من دون الله بالنفع والضر وأن يجلبوا الخير، هذا هو الشِّرك، وتخصيص العبادة لله وحده هذا هو التوحيد.

فقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾ يعني: قل يا معلم لهؤلاء الناس، قل يا محمد لهؤلاء الناس: ﴿ٱدۡعُواْ﴾ من باب التقريع لهم والتوبيخ: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يعني: من آلهتكم؛ من أصنام، أو أشجار، أو أحجار، أو ملائكة، أو غير ذلك ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾ هؤلاء المدعوون لا يملكون كشف الضر عن داعيهم بالكلية، ولا تحويله من حال إلى حال، لا تحويله من الرأس إلى الرجل، ولا من الرجل إلى الرأس، ولا إلى الصدر، ولا غير ذلك، ليسوا قادرين على هذا الشيء، بل هذا إلى الله ﷻ، هو الذي يكشف الضر، وهو الذي يجلب النفع ﷻ.

ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعني: أولئك الذين يدعوهم أهل الشِّرك، وفي الآية الأخرى: {تَدْعُونَ} أراد بهم: من يعبد الله من الملائكة والصَّالحين والأنبياء، فلهذا قال بعده: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ يعني: المدعوون صالحون في أنفسهم، ومع هذا لا يستطيعون كشف الضر ولا تحويله، فإذا كان الصالحون من الرسل والأنبياء لا يملكون، فغيرهم من باب أولى أن لا يملك كالأصنام، والأشجار والأحجار، من باب أولى؛ لأنها جماد عاجز.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ يعني: أهل الشِّرك، وفي القراءة الأخرى: {أولئك الذين تَدْعُونَ} يعني: تدعونهم معشر المشركين ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يعني: يطلبون إلى ربّهم الوسيلة والوسيلة القربة إليه بطاعته ﷻ.

﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ يعني: يجتهدون في أيهم أقرب بتوسله إلى الله بدعائه لله، وطاعته إياه، وتقربه إليه بأنواع الطاعات، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ لأنهم عبيده يخشونه ويخافونه، فكيف يدعون من دون الله!؟ كيف يستغاث بهم!؟ فيبين التوحيد بهذه الآية، وأن ضد هذا هو التوحيد، تخصيص الله بالعبادة، والرجاء والخوف هو العبادة، هو التوحيد، وصرف هذا لغير الله هو الشِّرك.

وهي نزلت فيمن يعبد آلهةً من دون الله هي في نفسها صالحة، هي نفسها عابدة لله؛ كالملائكة، والرسل والأنبياء، وكعيسى وأمه، والعزير،

كلهم يعبدون الله، فعابدوهم قد خسروا وضلوا، بحيث عبدوا عبيدًا يعبدون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه، والواجب عليهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

وهكذا **قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] هذا تفسير التوحيد بمعناه؛ فـ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ معنى «**لا إله**» **وقوله**: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هو معنى «**إلا الله**» فبيَّن سبحانه وتعالى معنى «**لا إله إلا الله**» وأنها براءة من عبادة غير الله، وإنكار لها وإبطال لها، وموالاة لله وحده بالعبادة، تخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه جلَّ وعلا، ومعنى ﴿فَطَرَنِى﴾: خلقني وأوجدني من العدم.

فالمعبود الحقُّ هو الله وحده، هو الذي فطر العباد وأوجدهم، وأمرهم أن يعبدوه خلقهم لذلك، فالواجب أن يعبد وحده لا شريك له، والواجب إنكار عبادة غيره، والبراءة منها، واعتقاد بطلانها، والعبادة بالحقِّ لله وحده دون كل ما سواه جلَّ وعلا.

وهكذا قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]: يبيّن بهذا أنَّ هذا الشِّرك ضد التوحيد، وأن التّوحيد أن لا يتخذ مع الله، لا حبر، ولا راهب ولا غير ذلك من ملك أو نبي أو صالح، بل يجب أن يعبد الله وحده دون كل ما سواه سبحانه وتعالى.

والمشركون من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾ يعني: علماؤهم ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ يعني: عبادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بحيث أحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا من دون حجة ولا برهان، بل عظموهم في التحليل والتحريم وإن خالف شرع الله، وما جاءت به الرسل في التوراة والإنجيل، فصاروا بهذا عابدين لهم، متخذين لهم أربابًا؛ لأنهم قدموهم على شرع الله، واستحلوا ما أحلوا، وحرموا ما حرموا بغير حجة ولا برهان فصاروا بهذا عابدين لهم، كما في حديث عدي بن حاتم لما سمع هذه الآية قال: «إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ» فَقَالَ: «**أَلَيْسَ**

يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»(١).

فالمقصود: أن اتخاذ الأحبار: وهم العلماء، والرهبان: وهم العباد، أربابًا، بمعنى: أنهم يعبدون مع الله ويدعون، أو يستغاث بهم، أو ينذر لهم، أو يحل ما أحلوا، ويحرم ما حرموا، وإن خالف الشَّرع، ويعتقد أن هذا هو الصواب، هذا كفر أكبر وشرك أكبر، ينافي التوحيد.

والتوحيد: هو اتِّباع الشَّرع، وطاعة الله ورسوله، وتحليل ما أحلّ الله، وتحريم ما حرّم الله، والامتثال لشرع الله، وتخصيص الله بالعبادة دون كل ما سواه، هذا هو التوحيد، وهذا هو الحق، وهذا هو العبادة لله وحده ﷻ ولهذا سماهم مشركين بقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] فجعل عملهم شركًا وضلالًا وكفرًا، نسأل الله العافية.

والآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥] هذا أيضًا من باب تمثيل التوحيد بضده وهو الشِّرك، فإن بعض الناس يتخذ الأنداد من الأنبياء والصالحين والأصنام، يعبدهم، ويعظمهم، ويدعوهم، ويستغيث بهم، ويحبهم حبًّا خاصًّا يقتضي عبادتهم من دون الله، هذا هو الشِّرك الأكبر، وتخصيص الله بالعبادة دون كل ما سواه هذا هو التوحيد.

فالله يذم هؤلاء المشركين الذين يتخذون الأنداد، يحبونهم كحب الله، فهو يذمهم، ويعيبهم، ويتوعدهم بالنار، كما في آخر الآيات: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] يعني: بأسباب كفرهم واتخاذهم الأنداد.

فالتوحيد: هو ألا يُتخذ مع الله ندًّا، بل يعبد وحده دون كل ما

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن تفسير سورة التوبة، برقم (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (١٥/ ٩٢ برقم ٢١٨) واللفظ له.

سواه، فيدعى وحده، ويستغاث به وحده، ويصلى له وحده، ويتقرب إليه بالعبادات وحده دون كل ما سواه، هذا هو التوحيد، أمَّا التقرب للأنداد من الأصنام والأشجار والأحجار والأنبياء، ودعائهم، والاستغاثة بهم، هذا هو التنديد، هذا هو اتخاذ الأنداد، وهذا هو الشِّرك الأكبر.

وفي الصحيح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى الله» هذا رواه مسلم في الصحيح عن أبي مالك عن أبيه طارق الأشجعي(١) أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: **«مَن قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ»** وفي لفظ: **«مَن وَحَّدَ الله»** هكذا رواه مسلم، **«مَنْ وَحَّدَ الله»** بدل **«مَن قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ»** وهذا يبين معناها، وأن معنى: لا إلٰه إلا الله، التوحيد، معناها تخصيص الله بالعبادة.

«وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله» يعني: أنكر عبادة غير الله وكفر بها، واعتقد بطلانها، حرمه الله على النار بعقيدته الإيمانية التوحيدية التي مضمونها أنه أفرد الله بالعبادة، وخصه بالعبادة، وتبرأ وكفر بعبادة غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **«حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ»** يعني: صار مسلمًا يحرم ماله ودمه، ويلزمه القيام بشرائع الإسلام.

«وَحِسَابُهُ عَلَى الله» عَزَّ وَجَلَّ إن كان صادقًا في إيمانه وتوحيده، فله الجنة، وإن كان قال ذلك نفاقًا ورياءً لا عن إيمان؛ فإنه يكون له حكم المنافقين، ويكون في الدرك الأسفل من النّار، نعوذ بالله من ذلك.

وهذا يبيِّن لنا أن من وحَّد الله صادقًا، وكفر بما يعبد من دون الله صادقًا، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن إن كان صادقًا مثلما تقدم، صار سعيدًا في الدنيا والآخرة، وله الجنة والكرامة؛ إذا أدى

(١) طارق بن أَشْيم بن مسعود الأشجعي، والد أبي مالك سعد، صحابي له أحاديث، قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأهل السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨١ برقم ٢٩٩) وابنه سعد (ص٢٣١ برقم ٢٢٤٠).

حق الله، وأدى ما يلزمه من حقِّ «لَا إِلٰه إلا الله» وإن كان قال ذلك رياءً ونفاقًا، صار له حكم المنافقين في الدنيا، وله حكمهم في الآخرة من دخول النار، نعوذ بالله من ذلك، نسأل الله العافية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل الَذين يستغيثون بالقبور يدخلون فيمن اتخذوا الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله؟ وهل يقاتلون على ذلك؟

○ **الجواب:** نعم هذا من هذا الباب، عُبَّاد البدوي وعُبَّاد الحسين وعُبَّاد الشَّيخ عبد القادر، هو من هذا الباب، هم ممن اتخذ الآلهة مع الله، فنقضوا قول: لا إلٰه إلا الله وأبطلوها بعملهم السَّيئِ، نسأل الله العافية.

لا يقاتلون، يبين لهم، يُدعون إلى الله ويوضح لهم الحق، بأن عملهم كفر وضلال، بل هذا من أعظم الكفر الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم، ولكن لا يقتلون، ولا تستحل دماؤهم وأموالهم حتى يبيِّن لهم من باب إقامة الحجة، يبيِّن لهم الحقّ، فإن أصروا قتلوا، إذا يسر الله لهم من يقيم ذلك عليهم، والله المستعان.

• **السؤال:** حول نزول الله في الثلث الأخير من الليل إذا كانت بعض البلدان تكون ليلًا وبعض البلاد تكون نهارًا؟

○ **الجواب:** هذا النزول يليق بالله لا يخاض فيه، ليس مثل نزول الناس والله ليس مثل المخلوقين، فنزوله نزولًا يليق بالله في كل بلد بحسبها.

• **السؤال:** هل يكفر من يترك الصَّلاة، وهو يقول: **لا إلٰه إلا الله؟**

○ **الجواب:** يصير كافرًا؛ لأنه لو كان مؤمنًا ما ترك الصَّلاة؛ لأنَّ الصَّلاة عمود الإسلام من تركها كفر، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره من حديث ابن أبي بريدة في كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصَّلاة، برقم (٢٦٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، =

وقال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرك وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[(١)] فالذي يترك الصَّلاة ليس عنده إيمان، لو كان عنده إيمان ما ترك الصَّلاة، ومثل ذلك لو قال: **لا إلٰه إلا الله** شهد أن لا إلٰه إلا الله، ولكنه يسب الرَّسول!! من سبَّ الرَّسول يصير كافرًا!! وهو يقول: لا إلٰه إلا الله، ويقول: أنا أؤمن بالرَّسول عليه الصَّلاة والسلام، ولكن أسبه، يصير هذا ما عنده إيمان، لو كان عنده إيمان ما سبَّ الرَّسول، ولو كان عنده إيمان ما يترك الصَّلاة.

• **السؤال:** بالنسبة لمن عنده شبهات الصوفية، إذا ما مات وكان يصلي هل يصلى عليه أو لا؟

○ **الجواب:** هذا فيه تفصيل، الصوفية أعمالهم تختلف، فيها الشِّرك وفيها غير الشِّرك، فإن كانت البدعة دون الشِّرك، فحكمه حكم المسلمين، وإن كان الشِّرك الأكبر، فحكمه حكم الكفار، نسأل الله العافية، لا يصلى عليه.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فيه مسائل:

فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة.

منها آية الإسراء: بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشِّرك الأكبر.

ومنها: آية براءة بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

= والنسائي في كتاب الصَّلاة، باب الحكم على تارك الصَّلاة، برقم (٤٦٣) وابن ماجه في كتاب إقامة الصَّلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصَّلاة، برقم (١٠٧٩).

(١) أخرجه مسلم عن جابر في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصَّلاة، برقم (٨٢).

وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلٰهًا واحدًا مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم.

ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآيَةَ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] فاستثنى من المعبودين ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة: أن لا إلٰـه إلا الله، فـقـال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًّا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها: قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عز وجل».

وهذا من أعظم ما يبين معنى: **لا إلٰه إلا الله**، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

* * *

٦- بَابُ من الشِّرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ الآية [الزمر: ٣٨].

عَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِن صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الحَلْقَةُ» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ، قَالَ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[(١)] رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ الله لَهُ، وَمَن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ الله لَهُ»[(٢)] وفي رواية: «مَن تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[(٣)].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][(٤)].

---

(١) أخرجه في المسند (٤/ ٤٤٥ برقم ٢٠٠١٤) واللفظ له، وأخرجه ابن ماجه مختصرًا دون قوله: «**فإنك لو مت**» في كتاب الطب، باب تعليق التمائم، برقم (٣٥٣١) وحسنه البوصيري إسناده في مصباح الزجاجة (٤/ ٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٥٤ برقم ١٧٤٤٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١٩٧ برقم ٢٨٠) وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي في التلخيص (٤/ ٢٤٠ برقم ٧٥٠١ و٤/ ٤٦٣، برقم ٨٢٨٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٦ برقم ١٧٤٥٨). قال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ورجاله ثقات (٥/ ١٢٤ برقم ٨٢٩٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسيره (برقم ١٢٤٠).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حقيقة التوحيد وتحقيقه وفضله، والخوف من ضده ذكر في هذا الباب وما بعده، بعض أنواع الشِّرك وبعض أنواع البدع المفضية إليه، ومن ذلك هذا الباب «**باب من الشِّرك**» يعني: الأصغر، «**لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو رفعه**» هذا يقع لكثير من الناس الجهلة، وهو من الشِّرك لبس الحلقة والخيط أو غيرهما يسمونها الحروز ويسمونها التمائم ولها أسماء أخرى، وهي كل ما يُلبس لقصد دفع البلاء أو رفعه، يرى أن لبسها سبب لرفع البلاء بعد نزوله أو دفعه قبل وقوعه، هذا اللبس والاعتقاد ممَّا حرَّمه الله، وهو من الشِّرك الأصغر.

يقول الله جلَّ وعلا رادًّا على المشركين: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨] يعني: أن آلهتكم لا تملك شيئًا فلا تنفع ولا تضر، وإنما هي أوهام وقعت للمشركين في تعلقهم بالأصنام والأنداد والقبور وغير ذلك، وهي باطلة لا تنفعهم ولا تضرهم؛ بل هي ما بين جمادات وما بين ميتٍ لا تملك شيئًا.

وهذه الآية تدل بعمومها على تحريم تعليق التمائم؛ لأنها تعلق على غير الله فيما لا ينفع ولا يضر، بخلاف الأسباب الشرعية لا بأس بها كالرقية والتَّداوي بالكيَّة وبالعلاج الطبي المعروف كل ذلك لا بأس به جائز، يقول ﷺ: «**عِبَاد الله تَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَام**»[(١)] فالأدوية الشرعية المباحة لا حرج فيها، أما تعليق التمائم فليس من الأسباب وليس من الدواء؛ بل هو مجرد اعتقاد باطل، فلا يجوز تعليق حلقة ولا خيط ولا

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون قوله: «عِبَاد الله» في كتاب الطب، باب في الأدوية المكرهة، برقم (٣٨٧٤) وبلفظ: «**عِبَاد الله تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً**» وأخرجه الترمذي وصححه عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الطب، ما جاء في الدواء والحث عليه، برقم (٢٠٣٨).

قرطاس ولا رقع يكتب فيها ولا غير ذلك؛ بل هذا كله يسمى تميمة ويسمى حرزًا وهو من الشِّرك الأصغر، وإن اعتقد معلقه أنه ينفع ويضر بنفسه صار شركًا أكبر، نسأل الله العافية، أما إذا اعتقد أنها أسباب، فمن الشِّرك الأصغر.

وفي الحديث عن عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي رضي الله عنه(١) «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ حَلْقَةً مِن صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذا؟» قَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ؟**» يعني: من مرض الواهنة، وهو مرض يأخذ باليد من المنكب يحصل له بها ضعف، قَالَ: «**انْزِعْهَا** ـ أي: أزلها ـ **فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا**» وفي رواية: «عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفِي عَضُدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» **فَقَالَ: مِنَ الوَاهِنَةِ؟**» قَالَ: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ تُوكَلَ إِلَيْهَا انْبُذْهَا عَنْكَ**»(٢).

هذا يدل على أنَّ هذه العلاجات غير المشروعة لا تزيد صاحبها إلا وهنًا ومرضًا على مرضه وشرًّا على شره لسوء اعتقاده «**فإنَّك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» هذا يدل على وجوب نزع التمائم من الحلق أو الخيوط أو الرقاع أو غير هذا مما يعلقه الناس في العضد أو الحلق، ويزعمون أنَّه ينفع من المرض، وأن فعل ذلك من المحرمات الشِّركية، بنص هذا الحديث وما جاء في معناه، وما ذاك إلا لأنَّ هذه الحلق أو الخيوط نوع من التَّمائِم الَّتي يُعلقها الجهلة، وهي نوع من الشِّرك؛ لأنَّها تُعلِّق القلوب على غير الله، وتُلفتها إلى غير الله، فلهذا أنكرها الشَّارع ونهى عنها(٣).

---

(١) ابن خلف أبو نُجَيْد أسلم عام خيبر، وصحب وكان فاضلًا وقضى بالكوفة مات سنة (٥٢هـ) بالبصرة روى له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب (ص٤٢٩ برقم ٥١٥٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٨/ ١٥٩ برقم ٣٤٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في المستدرك مع تلخيصه في كتاب الطب (٤/ ٢٤٠ برقم ٧٥٠٢).

(٣) ينظر لمزيد حول هذا الموضوع: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٢٠٦ و٢/ ٣٨٤ و٦/ ٧٠ و٢٧/ ٢٤١) وفتاوى نور على الدرب لسماحته أيضًا =

وهكذا حديث عقبة بن عامر[(١)] رضي الله عنه، يقول ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**» وفي رواية: «**ومن تعلق تميمة فقد أشرك**» الودع معروف، **والتمائم**: هي ما يعلَّق على الأولاد وعلى المرضى من ودع أو طلاسم أو عظام أو أسنان أو غير هذا مما يعلقه الجهلة، في الناس وربما يعلقونه في البهائم والحيوانات، يزعمون أنَّها تشفي المريض، وأنَّها تمنعه من الجن أو من العين، وكل هذا باطل لا يجوز فعله، وهو من الشِّرك الأصغر؛ لأنها تعلق القلوب على غير الله، وتجعلها في إعراض وغفلة عن الله عز وجل، والواجب تعليق القلوب بالله وحده، ورجاء الشفاء منه، وسؤاله والضراعة إليه في طلب الشفاء؛ لأنَّه المالك لكلِّ شيء وهو النافع الضار، وهو الذي بيده الشفاء سبحانه وتعالى.

فلهذا شرع الله عز وجل ترك هذه التعاليق ونهى عنها حتى تجتمع القلوب على الله وعلى الإخلاص له والتوكل عليه وسؤاله الشفاء دون كل ما سواه، فلا يجوز للمسلم أن يعلق حلقة من حديد، ولا من صفر، ولا من ذهب ولا من غير ذلك، لقصد الشفاء في اليد أو نحو ذلك.

ومن هذا الأسورة المعدنية الجديدة التي يستعملها بعض الناس هي من جنس هذا المنهي عنه يجب منعها، يقول بعضهم: أنَّها تمنع من الروماتيزم، وهذا شيء لا وجه له، بل يجب منعها كالحلقة التي علقها عمران، وهكذا ما يعلق من عظام الذئب أو من شعره أو من ودع أو من طلاسم وأشياء مجهولة، كلّ هذا يجب منعه[(٢)]، وكله داخل في قوله ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**».

= (٣١٣/١) طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية بالإفتاء.

(١) الجهني: صحابي مشهور اختلف على كنيته على سبعة أقوال وأشهرها أنه: أبو حماد، وكان فقيهًا فاضلًا مات في قرب الستين، أخرج له الجماعة. ينظر: التقريب والتهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٩٥ برقم ٤٦٤١).

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب لسماحته (٣١٣/١).

ولما دخل حذيفة رضي الله عنه[(١)] على رجل مريض ووجده قد علَّق خيطًا قال: «**ما هذا؟ قال: من الحمى، فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾** [يوسف: ١٠٦]» يعني: أن حذيفة رضي الله عنه رأى أن هذا الخيط من جنس التمائم؛ ولهذا تلا الآية، وذلك يدل على أن الشِّرك الأصغر داخل في العموم، ولهذا استدل بالآية التي وردت في الشِّرك الأكبر، على الأصغر؛ لعموم الشِّرك، وهكذا السلف يحتجون بالآيات التي في الشِّرك الأكبر على الأصغر؛ لأن الشِّرك يجمع بينهما، فناسب أن يحتج عليهما بالآيات التي في الأكبر؛ ولأن هذا واقع في المشركين فالآية تحذر من ذلك.

فالواجب على جميع المسلمين الحذر من تعليق الحلق والخيوط، والتمائم وغير ذلك، بل يجب أن يبتعد عن هذه الأمور التي كانت تعتادها الجاهلية، ويلتزم بأمر الإسلام الذي فيه الهدى والنور، وفيه الصلاح والإصلاح، وفيه العاقبة الحميدة، والله ولي التوفيق.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــــى:** التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.
- **الـثـانـيـة:** أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ؛ فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرك الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.
- **الـثـالـثـة:** أنه لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ[(٢)].

---

(١) هو: حذيفة بن اليمان العبسي صحابي جليل من السابقين، أعلمه النبي بما سيكون إلى قيام الساعة، مات في خلافة علي رضي الله عنه سنة (٣٦هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: التقريب للحافظ ابن حجر (ص١٥٤ برقم ١١٥٦).

(٢) مسألة العذر بالجهل لمن وقع في الشِّرك فيها تفصيل لسماحته. ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩/ ٧٩) وفتاوى نور على الدرب له أيضًا (١/ ٣١٣).

- **الـــرابـــعـــة:** أنها لا تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ؛ بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «**لا تَزِيدُكَ إلا وَهْنًا**».
- **الـخـامـسـة:** الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.
- **الـســادسـة:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ.
- **الـســابـعـة:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ.
- **الـثـامـنـة:** أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ.
- **الـتـاسـعـة:** تِلاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرك الأَكْبرِ عَلَى الأَصْغرِ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ البَقَرَةِ.
- **الـعـاشـرة:** أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعَ عَنِ العَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.
- **الحادية عشرة:** الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ؛ أَيْ: تَرَكَ اللهُ لَهُ.

٧- بَابُ ما جاء في الرُّقى والتمائم

في الصَّحيح، عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كَانَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا أَن لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إلا قُطِعَتْ»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[(٢)] رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عُكيم رضي الله عنه مرفوعًا: «مَن تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[(٣)] رواه أحمد والترمذي.

التّمائِمُ: شيء يعلق على الأولاد؛ يتقون به العين، ولكن إذا كان المعلق من القرآن فرخَّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرُّقَى: هي التي تسمى العزائم، وخصَّ منها الدليل ما خلا من الشِّرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، برقم (٣٠٠٥) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة بعير، برقم (٢١١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٨١ برقم ٣٦١٥) وأبو داود في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، برقم (٣٨٨٣) وابن ماجه في كتاب الطب، باب تعليق التمائم، برقم (٣٥٣٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣١٠، ٣١١ برقم ١٨٨٠٣، ١٨٨٠٨) والترمذي في كتاب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية التعليق، برقم (٢٠٧٢).

والتِّولةُ: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**باب ما جاء في الرُّقى والتمائم**» يعني: باب ما جاء فيها من الأحاديث والآثار الدالة على تحريم التمائم، وعلى التفصيل في الرُّقى.

فالتّمائم: جنسها محرم، وقد فصَّل فيها بعض أهل العلم؛ لكن الصواب: عدم التفصيل، أمَّا الرُّقى كما يأتي ففيها التفصيل، و«**الرُّقى**»: جمع رقية، وهو ما يقرأ على المريض، ما يقرأ على المريض يُقال له: رقية.

«**والتمائم**»: جمع تميمة، وهي ما يعلق على المريض أو على الأطفال من الودع والخرز والعظام والطلاسم، وغير هذا مما يعلقه الناس في الجاهلية، وهكذا بعض الناس في الإسلام يعلقونه؛ ظنًّا منهم أنه يدفع العين، أو يدفع الجن، وقد دلت الدلائل الشرعية على تحريم التمائم، وأنه لا يجوز تعليقها على الأولاد ولا على المرضى، بل يجب ترك ذلك، للأدلة الواردة في منع ذلك.

وأمَّا «**الرُّقى**» ففيها تفصيل:

إن كانت رقية معروفة بالآيات والدعوات المعروفة؛ فلا بأس، بشرط: أن لا يعتقد أنها تشفي بنفسها، بل هي سبب من الأسباب، إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها ذلك، فالرُّقى جائزة **بشروط ثلاثة**:

الأول: أن تكون بلسان معروف المعنى ليس فيه جهالة.

والثاني: أن يكون ذلك المعنى سليمًا ليس فيه ما يخالف الشَّرع المطهر.

والشرط **الثالث**: أن لا يعتمد عليها بذاتها، بل يعتقد أنها سببٌ من الأسباب إن شاء الله نفع به، وإن شاء سلبه المنفعة.

بهذه الشروط الثلاثة تكون الرُّقى جائزة عند أهل العلم، لقول

النَّبيِّ ﷺ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا**»[(١)] رواه مسلم.

ولأنه ﷺ رَقى وَرُقِيَ عليه الصَّلاة والسَّلام والصَّحابة رضي الله عنهم فعلوا ذلك، فلا حرج في الرُّقى إذا كانت بهذا المعنى، إذا كانت معروفة المعنى، إمّا بآيات، وإمّا بدعوات معروفة، بشرط أن يكون المعنى ليس فيه محذور، أمَّا إذا كان فيه توسل بالشياطين، أو توسل بحق فلان أو جاه فلان؛ منع ذلك، أو كان فيه حروف مقطعة مجهولة، يمنع ذلك، لا بد يكون معروف المعنى سليم المعنى ليس فيه شيء يخالف الشَّرع، ومع عدم الاعتماد عليها، بل يعتقد أنها سبب.

وأمَّا التِّولة: كما يأتي قد بيَّنها المؤلف، أنها شيء يصنع؛ لتحبيب الرجل إلى امرأته والمرأة إلى زوجها، وأكثر من يتعاطاها النساء، يصنعون أشياء بواسطة الجن والشياطين، ويزعمون أنه يحصل به تحبيب الرجل إلى امرأته والمرأة إلى زوجها، يسمونها الصرف والعطف، وهو نوع من السحر، والسحر كله منكر، كله كفر وضلال، قال تعالى عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآيات [البقرة: ١٠٢].

في الحديث الأول: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[(٢)]، **يقول** ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**».

والحديث الثاني: حديث عبد الله بن عُكيم رضي الله عنه[(٣)]: «**مَن تَعلَّقَ شيئًا**

---

(١) أخرجه عن عوف بن مالك رضي الله عنه في كتاب الطب، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك، برقم (٢٢٠٠)، وسبق تخريجه في (ص٤٩).

(٢) ابن مسعود، سبقت ترجمته في صفحة (٢٦).

(٣) أبو معبد الجهني مخضرم من الثانية، وقد سمع كتاب النَّبيّ ﷺ إلى جهينة، مات في إمرة الحجاج، روى له مسلم وأهل السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٤ برقم ٣٤٨٢).

وُكِلَ إِلَيهِ» فهذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يعتمد على الله، وأن لا يعتمد على غيره، بل من وكل إلى الله فقد وكل إلى الخير والسعادة والصلاح، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيه.

فالواجب على أهل الإيمان أن يتوكلوا على الله في كل أمورهم، وأن يعتصموا بحبله، وأن يعتمدوا عليه في كل شيء، مع الأخذ بالأسباب، من الأدوية، والأعمال الصالحة، واتقاء ما يضر، فالأسباب لا بد منها، ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِز**»[(١)] فالأخذ بالأسباب أمر لازم لا بد منه، فعلى المرء أن يستقيم على طاعة الله التي فرض عليه، ويدع محارم الله، هذه أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، وعليه أن يأكل ويشرب ويتعاطى أسباب العافية وأسباب السلامة لنفسه من الموت، ويأخذ بالأسباب الأخرى التي تنفعه من طلب الرِّزق والبيع والشراء والزراعة، كل هذه أسباب شرعية مباحة يستعين بها على طاعة الله، وعلى الاستغناء عما في أيدي الناس.

فالأسباب ما بين جائز وما بين واجب، فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة، ولا يأبى ذلك، أو يعتقد أن ذلك يقدح في التوحيد أو يضره، كل هذا غلط، بل ترك الأسباب يقدح في العقل والتوحيد جميعًا، وينبغي للمؤمن أن يتعاطى الأسباب ويأخذ بالأسباب الجائزة والمشروعة والواجبة، ويدع ما حرم الله من الأسباب التي حرمها؛ كالسحر، والتمائم، والتولة، وأكل الحرام، وظلم الناس، وما أشبه ذلك مما حرم الله.

«**والتمائم**» عرفتها وأنها شيء يعلق على الأولاد وعلى المرضى، وربما على البهائم عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فقد رخَّص فيه بعض العلماء وأجازوه، ونهى عنه آخرون وحرموه، وممن حرَّمه عبد الله بن مسعود ﵁ وأرضاه، وممّن رويَ عنه الجواز عبد الله بن

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁ في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

عمرو والصواب التحريم، وهو الذي تدل عليه الأدلة العامة، فإن الرسول ﷺ قال: «**من تعلق تميمة فلا أتمّ الله له**» «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» كما تقدم في الباب السابق.

والواجب حسم هذا الباب والقضاء عليه بالكلية، وأنه لا يجوز منه شيء؛ لأنه متى فتح الباب جاءت التمائم المحرمة والمنكرة، والرسول ﷺ منع منعًا باتًّا ولم يستثن شيئًا، فوجب منع التمائم كلها، عملًا بالأحاديث العامة، وسدًّا لذرائع الشِّرك ووسائله.

وأمَّا «**الرُّقى**»: فعرفنا التفصيل فيها، وأن ما كان منها من الآيات القرآنية، أو ما جاء في الأحاديث النّبوية، أو من دعوات معروفة فلا بأس بها، وما كان منها مجهولًا أو فيه محذور شرعي، فإنه يمنع، ويشترط في الجائز أن لا يعتمد على الرُّقى بنفسها، بل يعتقد أنها من الأسباب التي شرعها الله، إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها النفع سبحانه وتعالى.

وأمَّا السحر: كله بجميع أنواعه، فهو ممنوع، ومن التولة التي هي الصرف والعطف، فهذا ممنوع ولا يجوز؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بالكفر، إلا بطاعة الشياطين وعبادتهم، فيجب منع ذلك، وسدّ بابه بالكلية.

قال المؤلف رحمه الله:

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحيَاةَ تَطُولُ بِكَ فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ»(١).

وعن سعيد بن جبير قال: «مَنْ قَطعَ تميمةً مِن إنْسانٍ كَانَ كَعِدلِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عنه (٤/١٠٨، ١٠٩ برقم ١٧٠٣٦، ١٧٠٣٧، ١٧٠٤١) وأبو داود في كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجي به، برقم (٣٦).

رَقبةٍ» رواه وكيع[١]، وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»[٢].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: وروى أحمد، هو: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الإمام المعروف، أحد الأئمة الأربعة المشهورين، ولد سنة أربع وستين ومائة، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] روى في مسنده عن رويفع بن ثابت[٤] الأنصاري، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: «**يَا رُوَيْفِعُ لَعَلَّ الحيَاةَ تَطُولُ بِكَ**» وهذا على سبيل الظن والرّجاء، وقد طالت به الحياة، ومتع رضي الله عنه وأرضاه، «**فأخبر النَّاس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإنَّ محمَّدًا بريء منه**» هذا فيه **أربع مسائل**:

المسألة الأولى: من عقد لحيته، قال أهل العلم في معناه: إن جعدها وعني بها ونفشها تكبرًا وتعاظمًا، **أو عقدها معناه**: صففها تصفيفًا يليق ويناسب تصفيف أهل التخنث والتشبه بالنساء في كلامهم وفي مشيهم وغير ذلك، إذا كان على هذا الوجه، أمَّا إعفاؤها والعناية بها، وتسريحها وتحسينها فهذا ليس بداخل في هذا، من دون أن يقصها ويعتني بها تسريحًا وتكريمًا وحفاظًا عليها، فهذا غير داخل في العقد، وإنَّما العقد المذموم إما أن يجعلها على هيئة يشابه فيها أهل التخنث

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الطب، باب في تعليق التمائم والرقى (٥/ ٤٢٨ برقم ١٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في الكتاب والباب السابق (٥/ ٤٢٨ برقم ١٢).

(٣) هو: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٨٤ برقم ٩٦).

(٤) ابن السكن بن عدي بن حارثة، صحابي سكن مصر ومات بها سنة (٥٦هـ). ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢١١ برقم ١٩٧١).

والتشبه بالنساء، أو على هيئة التكبر والتعاظم والخيلاء، إذا كان يتعاطى ذلك من يتعاطاه للتكبر فيتشبه بهم، والحديث في سنده بعض اللين، لكن له شواهد.

«**أو تقلد وترًا**» يعني: تعلق وترًا، والأوتار هي أوتار القسي ما يتخذ من الأمعاء أو العصب أو غيره، تربط بين القسي، كان في الجاهلية إذا أطلقوه بين القسي واستغنوا عنه، تقلدوه، جعلوه تميمة، وجعلوه على الإبل، يزعمون أنها تدفع عنهم العين، ولهذا تقدَّم أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث رسولًا: «**أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلا قُطِعَتْ**» كما تقدم، وهذا من أمر الجاهلية، يقلدون الأوتار على الإبل، والتمائم على الأولاد، وكله من أعمال الجاهلية، فأبطلها الإسلام، ونهى عنها.

فالواجب أن لا يفعل ذلك المؤمن، بل يحذر ذلك؛ ابتعادًا عن خصال أهل الجاهلية، وعوائدهم الذميمة، فالله جلَّ وعلا هو الذي يمنع البلاء ويدفع البلاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب التعلق به، والتّوكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو تعاطي الأسباب التي أباحها وشرعها من العلاج الشرعي، من الدواب وغيرها مما يصيبها من الأمراض، لا بالأوتار ولا بالتمائم.

الثالثة والرابعة: الاستنجاء برجيع الدابة وعظمها، كونه يستنجي برجيع الدابة هذا أذى، من الخارج من بول أو غائط، رجيع الدابة: بعر الإبل، أو الغنم، أو البقر أو شيء من ذلك، أو عظم يتمسح به من بوله أو غائطه، كل هذا منهي عنه، وفي الحديث الآخر؛ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهى أن يستنجى بعظم أو روث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُسْتَنْجَى بِرَوْثٍ أَوْ بِعَظْمٍ، وَقَالَ: إنهمَا لَا يُطَهِّرَانِ**»[1].

فثبتت الأحاديث في النهي عن هذا عن النَّبِيِّ ﷺ فلا يجوز للمؤمن أن يستنجي بأبعار، أو عظام، بل يجب أن ينصرف عن ذلك إلى أشياء

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب الطهارة، باب الاستنجاء (١/ ٥٤ برقم ٩).

أخرى طاهرة مثل: التراب، من اللبن، والحجر، أو مناديل طاهرة، يستنجي به بدلًا من الماء أو مع الماء، أما العظام والأرواث، فلا، ولو فعل ما تطهر، فيجب تركها ابتعاد للتشبه بالجاهلية في ذلك.

قوله: «فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ» وعيد شديد يدل على تحريم هذه الأشياء، وأنها منكرة محرمة.

والشاهد من هذا قوله: «أَوْ تَقَلَّدَ وِتْرًا» هذا الشاهد تقدَّم أنه أنكر الأوتار والتمائم، فلا يجوز للمسلم أن يتعلق أوتارًا أو تمائم أو ودعًا، أو غير ذلك مما يفعله أهل الجاهلية، بل يجب أن يعلق قلبه بالله ويتوكل عليه، ويعظم أمره ﷻ، ويستند إليه في كل الأمور؛ ولا مانع من تعاطي الأسباب التي أباحها من رقية، ومن الكي، ومن العلاج بالأشياء الأخرى التي ثبت بالتجارب أنها تنفع.

أمَّا أن يعلق وترًا أو تميمةً أو خيطًا هذا كله لا يجوز؛ لأنه من عمل الجاهلية؛ ولأنه يصرف القلوب عن التّعلق بالله والتّوكل عليه، إلى التعلق على هذه الأشياء التي لا فائدة منها ولا خير فيها.

في الحديث «**رواه وكيع**»: هو وكيع بن الجراح بن مليح الرُّواسي(١) المعروف، إمام مشهور رحمه الله المتوفى سنة مائة وستة وتسعين، وهو من شيوخ أحمد والشَّافعي رحمة الله على الجميع.

وعن سعيد، قال: «مَنْ قَطعَ تميمةً مِنْ إنْسانٍ كَان كَعِدلِ رَقبةٍ» سعيد هذا: هو ابن جبير، تابعي جليل من أصحاب ابن عباس، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين من الهجرة، ظلمًا وعدوانًا، وهو ممن عرف بالعلم والفضل والفقه في الدين رحمه الله(٢).

(١) أبو سفيان الكوفي ثقة ثبت عابد، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٨١ برقم ٧٤١٤).

(٢) قال عنه الحافظ ابن حجر: ثقة ثبت فقيه، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٣٤ برقم ٢٢٧٨).

يقول: «**مَنْ قَطَعَ تميمةً مِنْ إنْسانٍ كَانَ كَعِدلِ رَقَبةٍ**»: هذا يدل على فضل قطع التمائم، وأن التميمة من الشِّرك، إذا كان عتق الرقبة فيه فضل عظيم، فتخليص النَّاس من الشِّرك كذلك فيه فضل عظيم، بل هو أعظم من عتق الرقاب، دعوة النّاس إلى التوحيد وتخليصهم من الشِّرك أعظم من عتق الرقاب؛ لأن الشِّرك يوقعه في النار نعوذ بالله، والذي يسعى في تخليص الناس من الشِّرك ويبين لهم التوحيد ويدعوهم إلى ذلك ويصبر على الأذى في ذلك، فهو على خير عظيم، وله فضل كبير حتى قال سعيد: أنه كعتق رقبة، بل الأمر أعظم من ذلك، وهذا قد يقال في حكم المرسل؛ لأن سعيد قد لا يقوله من جهة رأيه، ويحتمل أنه من تفقهه، وأنه شبَّه عتق الناس من الشِّرك كعتق الرقاب.

ولكن عند التحقيق والتأمل والنظر يكون أعظم من عتق الرقاب؛ يعني: إعتاقهم من الشِّرك وتخليصهم من الشِّرك أعظم وأكبر من عتق الرقاب التي يكون بها الإنسان حرًّا طليقًا، بعيد عن مشابهة البهائم، وهؤلاء إعتاقهم فيه تخليصهم من النار ومن غضب الله ﷻ، فالأمر أعظم، فتعليق التمائم من الشِّرك، وإن كان أصغر، لكن خطره عظيم، ويجر إلى الأكبر.

وفي هذا فضل الدعوة إلى الله، وما لأهلها من الخير العظيم، وأنهم يسعون في إعتاق الناس من النّار وتخليصهم من النار؛ ولهذا جعل الله لهم فضلًا عظيمًا، حتى قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَوَ اللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[1].

وقال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»[2] وقال: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ**

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧٣).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العلم، باب من سن سُنَّة حسنة أو سيئة...، برقم (٢٦٧٤).

فَاعِلِهِ»[١] فالدعوة إلى الله وهداية النَّاس إلى الخير فيه الفضل العظيم والخير الكبير، والعاقبة الحميدة والنفع العام.

قال إبراهيم: **«كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن»**

إبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، تابعي معروف، من صغار التابعين، من أصحاب ابن مسعود رضي الله عن الجميع[٢].

يقول: **«كانوا»** يعني: أصحاب عبد الله بن مسعود؛ كعلقمة والأسود والحارث بن سويد وعبد الله بن يزيد النخعي، وأشباههم، **«يكرهون التمائم كلها؛ من القرآن، وغير القرآن»** وهكذا جاء عن شيخهم ابن مسعود النهي عن التمائم بالقرآن وغير القرآن، وذلك **لأمرين**:

أحدهما: عموم الأحاديث الدالة على تحريم التمائم والنهي عنها.

والأمر الثاني: سد الذرائع الموصلة إلى الشِّرك؛ فإنه متى علقت التمائم من القرآن جرت إلى التّمائم الأخرى، وقد جاءت الشريعة بسد الذرائع الموصلة إلى الشِّرك والمعاصي.

فالواجب على أهل الإسلام الحذر منها مطلقًا، وأن لا يعلقوا شيئًا من التمائم، لا من القرآن، ولا من غير القرآن.

و**«التَّمائم»** تقدَّم بيانها، وأنها خرزات كانت العرب تعلقها على الأولاد من العين، وقد يعلق على المريض، وقد يعلق على النساء، يزعمون أنها تدفع الشياطين والجن، أو تدفع العين، وهذا غلط من جهلهم لأنَّ الرسول ﷺ نهى عن التَّمائم كلها، وقال: **«من تعلق تميمة، فلا أتم الله له»** **«من تعلق تميمة، فقد أشرك»** **«إنَّ الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شرك»**.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله . . .، برقم (١٨٩٣).

(٢) أبو عمران من الخامسة مات سنة (٢٩٢هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: التقريب للحافظ (ص٩٥ برقم ٢٧٠).

فدل ذلك على تحريمها مطلقًا، ومن استثنى القرآن، فعليه الدليل، إنما الرقية في القرآن هو المشروع، أمَّا تعليقه وجعله في قرطاس أو في رقعة أو في كيسة تعلق، أو مصحفًا صغيرًا يعلقونه على أولادهم الصغار، فهذا كلّه منكر، وإهانة للقرآن، وتساهل بكتاب الله ﷻ، فلا يجوز هذا العمل، لا تعليق المصحف، ولا تعليق آيات منه، ولا أحاديث، ولا طلاسم، ولا عظام، ولا غير ذلك مما يعلقه الجهلة.

؟ الأسئلة:

● **السؤال:** بعض الناس يضع مصحفًا في آخر السيارة، فما حكم ذلك؟

○ **الجواب:** هذا منكر لا يجوز، أمَّا إن كان القصد أنه سيقرأ فيه يضعه في المحل المناسب، أما أن يضعه في آخرها أو في مقدمها لغير قصد القراءة هذا لا يجوز، هذا من جنس التَّمائم، أو يضع حيوانًا ككلب، أو هر، أو شيء آخر لهذا القصد كله هذا لا يجوز.

● **السؤال:** حكم تعليق الآيات بغير قصد التبرك؟ ويوجد الآن كثير منها في المكاتب والمساجد.

○ **الجواب:** أمَّا تعليق الآيات في المساجد لا ينبغي تعليقها؛ لأنها تشغل، فلا تجوز وأقل أحوالها الكراهة، أمَّا في غير المساجد في المكاتب أو في المجالس، الأمر فيها واسع، الأمر فيها أسهل، إذا كان لغير قصد التبرك.

● **السؤال:** وما حكم تعليقها على الأبدان، كبعض الحلي؟

○ **الجواب:** لا، ما ينبغي تعليقها الآيات على الأبدان؛ لأنها قد تمتهن؛ لأن الثياب تطرح ويستهان بها، فلا تكتب الآيات في الحلي وغيره مما يمتهن.

● **السؤال:** ما الحكمة في منع الاستنجاء بالعظم والروث؟

○ **الجواب:** لأنهما من طعام إخواننا الجن، جاء في حديث

ابن مسعود عند مسلم بأن الله جلَّ وعلا جعل لهم فيها خيرًا، فيطعمون «**لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**»(١) فنهى عن الاستنجاء والاستجمار بهما.

• **السؤال:** معنى قول النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحد**» هل هذا الأجر في حق هداية الكفار أو يعم؟

○ **الجواب:** الحديث في الكُفَّار في اليهود، قاله ﷺ لما بعثه إلى اليهود، المقصود من يهتدي منهم، لكن إذا هداه الله عن معصية فتركها بسبب دعوتك، يكون له أجر عظيم، لا مانع من أن يعمه للحديث السابق: «**من دلَّ على خير**».

• **السؤال:** ما حكم تعليق التمائم من الآيات القرآنية للتبرك بها؟ أو لتعويذ الأطفال بها؟

○ **الجواب:** لا يجوز تعليق التمائم، لا الآيات ولا غيرها، لا يجوز التعليق، ولو على الأطفال، ولكن يعوذون، يعوذهم أبوهم أو أمهم عند النوم: «**أعيذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**» كان النَّبِيّ ﷺ يعوذ الحسن والحسين بهذا التعوذ، يقول: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**»(٢) عند النوم أو في أي مكان.

• **السؤال:** هل ورد أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رقَى أو رُقي؟

○ **الجواب:** نعم، النَّبِيُّ ﷺ رقى ورُقي(٣) أما الكتابة كونه يكتب في ورقة أو في صحن، هذا فعله بعض السلف، ويروى عن ابن عباس لكن

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، برقم (٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في كتاب أحاديث الأنبياء، برقم (٣٣٧١).

(٣) ينظر: ما سبق ذكره في صفحة (٥٠) وتخريجه فيها الحاشية (١).

لم يعرف ثابتًا عنه، فإذا فعل فلا بأس له أصل، فعله من أهل الخير، ومن يعرف بالخير والعلم والفضل، لا نعلم فيه شيء، فعله الأئمة، ذكره ابن القيم في زاد المعاد وغيره، ولكن الرقية أولى أن ينفث على المريض.. يقرأ على المريض مباشرة أولى، وأنفع.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ الرُّقَى وَتَفْسِيرُ التَّمَائِمِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.
- **الثالثة:** أَنَّ هَذِهِ الثَّلاثَةَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرك مِنْ غَيْرِ اسْتِثْنَاءٍ.
- **الرابعة:** أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الْحَقِّ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ.
- **الخامسة:** أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ القُرْآنِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لا؟
- **السادسة:** أَنَّ تَعْلِيقَ الأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِ مِنَ الْعَيْنِ: مِنْ ذَلِكَ.
- **السابعة:** الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيْمَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا.
- **الثامنة:** فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.
- **التاسعة:** أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الاخْتِلَافِ؛ لأَنَّ مرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ.

٨- بَابُ من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

عن أبي واقد اللّيثي ﷺ قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِّدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إنها السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بنو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]» قَالَ: «إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(١) رواه الترمذي وصححه.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما**» كالقبر والصنم ونحو ذلك، والتبرك بها: طلب البركة منها، كما يفعل عُبَّاد القبور وعُبَّاد الأشجار والأحجار، ترك الجواب؛ لأنه معلوم، والمعنى: فقد أشْركَ.

«**باب من تبرك**» أي: حكمه أنه قد أشرك، وهذا هو جواب «**من تبرك**» يعني: باب حكم من تبرك بغير الله.. إلخ، أو باب: من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما؛ يعني: فقد أشرك، ترك الجواب ليتدبر الطالب ويتأمل الحكم مما ذكر في الآية والحديث.

(١) أخرجه في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم (٢١٨٠).

والتَّبرك بالأشجار والأحجار من طبيعة ومن عمل الجاهلية وأخبارهم، وأعمالهم المعروفة، فكانوا يتبركون بالأشجار والأحجار والأصنام، ويدعونها ويستغيثون بها، وينذرون لها إلى غير ذلك من الشِّرك الأكبر.

فجاء الله بالإسلام فأبطل ذلك، وبيَّن لهم النَّبيّ ﷺ أنها لا تنفعهم ولا تضرهم، وأن عملهم هذا باطل، وأمرهم بترك ذلك، والبراءة من ذلك، وألا يعبدوا إلا الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمنهم من أجاب وهم السعداء وهم الأقلون، ومنهم من كفر وأنكر وهم الأكثرون، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٣] ولكن العرب الموجودين في الجزيرة أجاب أكثرهم ودخلوا في دين الله بعدما فتح الله مكة، ودخل النّاس في دين الله أفواجًا، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٢] المعنى: كما قال أهل التفسير؛ يعني: أنفعت أم ضرت!! حتى تعبدوها من دون الله؟ المعنى: أنها لم تنفع ولم تضر أنها ليس عندها فائدة، ولكنّه الجهل والضلال؛ فأي فائدة عند شجرة وهي العزَّى، أو صخرة وهي الصّخرة التي كان يَلُتُّ عليها السَّويق، أو نفسه هو وجسده وقبره؛ أي فائدة عند هؤلاء؟ وهكذا مناة صخرة عند المشلل عند قديد فما يلي ساحل البحر.

فهذه الثلاث التي عبدها المشركون في الجاهلية، العزَّى في مكة لأهل مكة ومن كان على طريقهم، واللات لأهل الطائف ومن كان على مذهبهم ونهجهم وأتباعهم، ومناة لأهل نجد والمدينة ومن كان على نهجهم في ذلك، هذه الأصنام الثّلاثة وهذه الأوثان الثلاثة التي كانت تعبد من دون الله، وكانت تعظم عند جاهلية العرب، فلما جاء الله بالإسلام، أزالها النَّبيّ ﷺ، قطع الشجرة وهدم اللات، وكسر مناة، وانتهى أمرها والحمد لله.

ولكن في آخر الزمان تعود هذه الأمور، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا

يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ـ يعني: اللَّيالي والأيام ـ **حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّى**»(١) نسأل الله السَّلامة والعافية.

وكان من عملهم عندها: سؤالها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستغاثة بها ونحو ذلك من أعمالهم الخبيثة، فأبطلها الله بالإسلام، وأمر الله عباده أن يعبدوه وحده، وأن يدعوه وحده، وأن يسألوه البركة جلَّ وعلا، هو الذي بيده البركة، وبيده كل شيء ﷻ، ليس بيد العزى أو اللات أو بقية الأصنام أو الأشجار التي عبدها أهل الشِّرك، بل كل هذا بيده ﷻ، فهو المبارك، وعبده المبارك، وهو الذي بيده الضر والنفع والعطاء والمنع، وهو الذي يجب أن يعبد وحده، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فهذه الأصنام قضي عليها بعد الفتح، بعد أن فتح الله عليه مكة، وبعد وقعة هوازن وحنين قضي على هذه الأصنام، فَهُدمتْ، وَأُزيلتْ، وعبد النّاس الله وحده ﷻ، والحمد لله.

وفي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه(٢) قال: «**خرجنا مع الرسول ﷺ عام حنين، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**».

قوله: «**ونحن حدثاء عهد بكفر**» يعني: نحن قريب عهدنا بالكفر؛ يعني: الآن أسلمنا من قريب، ولهذا العذر؛ يعني: ولهذا جهلنا هذا

(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذو الخلصة، برقم (٢٩٠٧).
(٢) أبو واقد الليثي صحابي اختلف في اسمه واسم أبيه فقيل: الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل اسمه عوف بن الحارث، مات سنة (٦٨هـ) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (ص٦٨٢ برقم ٨٤٣٣).

الأمر، «**وللمشركين سدرة**» السِّدرة معروفة، سدرة واحدة السدر المعروف شجرة معروفة يقال له: النَّبَقُ، «**يعكفون عندها**» يعني: يقيمون عندها، العكوف: الإقامة واللبث، «**وينوطون**» يعلقون بها أسلحتهم للتّبرك بها، يقولون: إذا علق السيف بها؛ كان أمضى له وأقوى وأسد، «**يقال لها: ذات أنواط**» تسمى باسم ما يعلق عليها ذات أنواط، «**فمررنا بسدرة**» وفي رواية: «**سدرة خَضراء**»[1]، «**فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط**»» يعني: اجعل لنا شجرةً مثلهم نعلق عليها السلاح ونتبرك بها.

فعند هذا غضب ﷺ وقال: «**الله أكبر**» هذه عادته ﷺ إذا رأى شيئًا ينكر قال: «**الله أكبر**» أو قال: «**سبحان الله**» وهذا هو السُّنَّة، وليست السُّنَّة التصفيق، التصفيق من أعمال الجاهلية، أمَّا الرسول ﷺ وأصحابه فكانوا إذا رأوا شيئًا يعجبهم؛ كبروا، ولهذا قال هنا: «**الله أكبر**».

وهكذا إذا رأى شيئًا منكرًا قال: الله أكبر أو سبحان الله، كما قاله النَّبيّ ﷺ في مواضع كثيرة، ولما أخبرهم ﷺ بقوله: «**إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا[2].

«**إنها السَنن**» يعني: إن هذه الأمور هي سَنَن من قبلكم؛ يعني: إن عبادة الأشجار والأحجار، والتأسي بالآباء والأسلاف هي السُّنَّة المعروفة عند الناس؛ يعني: هي الطريقة المعروفة، يتأسى آخرهم بأولهم، «**إنها السنن**» يعني: الطرق المتبوعة المعروفة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

---

(١) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير في مسند أبي واقد الليثي رضي الله عنه برقم (٣٢٩٣، ٣/ ٢٤٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم (٣٣٤٨) ومسلم في كتاب الأيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار، برقم (٢٢٢).

ثم قال: «**قلتم والذي نفسي بيده**» يحلف بالله ﷻ لأن نفوس العباد كلها بيد الله ﷻ «**قلتم والذي نفسي بيده**» يعني: والله، «**كما قالت بنو إسرائيل**» إسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام وبنوه هم اليهود ومن انتسب إلى إسرائيل.

«**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]» هؤلاء اليهود قالوا لموسى هذا الكلام فأنكر عليهم موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، وبيّن بطلان ما هم عليه، وأنه متبَّرٌ وباطل ما كانوا يعملون، وأنَّ الواجب عليهم أن يعبدوا الله وحده.

فهكذا هؤلاء تأسوا بأولئك، وقالوا مثلهم جهلًا، لم يعرفوا أن هذا لا يجوز، فلهذا قالوا هذه المقالة جهلًا، ولهذا قال في أول الحديث: «**ونحن حدثاء عهد بكفر**» يعني: قريب عهدنا بكفر، لم نتفقه كثيرًا فلهذا خفي علينا هذا الأمر، فأنكر عليهم ﷺ وقال: «**قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو** إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾».

هذا يُبين لنا أن الاعتبار بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ، هم قالوا: «**اجعل لنا ذات أنواط**» وبنو إسرائيل قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ والمعنى واحد، المعنى: اجعل لنا شيئًا نعبده، ونعظمه، ونتبرك به، كما قال بنو إسرائيل لموسى حين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ فهذا يبين أنَّ العبرة بالمعنى والحقائق لا بالألفاظ المجردة، فإذا قال الإنسان الباطل بأي لفظ، فهو باطل، وإن كان ليس لفظ الأولين السابقين.

قال الله في حال بني إسرائيل: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

ثم قال ﷺ بعد هذا: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» يضبط بفتح السين وضمها، سَنن: طَريق، سُنن: طُرق، هذا يبين لنا أن هذه الأمة تسلك مسالك من كان قبلها، وأنها تُبتلى بما ابتلي به من قبلها من

الأمم، من عبادة الأشجار والأحجار والأصنام، والغلو في الصالحين، والغلو في الأنبياء، وغير هذا، وقد وقع هذا في الناس، الذي أخبر به النَّبيّ ﷺ قد وقع في الناس، حتى عبدت القبور وعظمت، وبني عليها القباب والمساجد، وعبدت الأصنام والأشجار من دون الله، كل هذا قد وقع.

والمقصود من هذا: التحذير، والتبيين أن هذا سوف يقع، فاحذروه. وهكذا قوله ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصَّحيحين: «**لتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ من كَانَ قبلَكُمْ، حَذْوَ القُذةِ، بالقُذةِ**»[(١)] الحديث؛ فالرسول ﷺ يحذرنا من اتِّباع من قبلنا من أهل الباطل والشر، وأن الواجب على العبد أن يسلك مسلك الأنبياء والصالحين، وأن يأخذ طريقهم، ويستقيم على نهجهم الصالح، وأن يحافظ على ذلك، ويسأل ربَّه الثبات على ذلك، وأن لا يغتر بمن هلك وضل من الأمم، وأن لا يسلك سبيلهم في عبادة الأشجار أو الأحجار أو الأصنام، أو غير هذا ممَّا عبده المشركون الأولون.

فالطريق السليم والصراط المستقيم هو أن تعبد الله وحده، وأن تسلك مسلك الأنبياء والصَّالحين الذين تابعوا الأنبياء وساروا على نهجهم، هذا هو الطريق النّاجي والسعيد، وهذا هو الصراط المستقيم، وهذا هو مسلك الأخيار من عباد الله المؤمنين.

أمَّا اتِّباع الضالين والسير على نهجهم، فهذا نهج المغضوب عليهم ونهج الضالين، ونهج فارس والروم، ونهج من خالف الشَّرع، نسأل الله للجميع العافية والسَّلامة.

---

(١) شطره الأول في الصَّحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٥٦) ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم (٢٦٦٩) أمَّا لفظ: «القذة، بالقذة» أخرجه الإمام أحمد عن شداد بن أوس رضي الله عنه (٤/ ١٢٥).

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْم.
- **الثانية:** مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا.
- **الثالثة:** كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.
- **الرابعة:** كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أنه يُحِبُّهُ.
- **الخامسة:** أنهمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا، فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ.
- **السادسة:** أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالوَعْدِ بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.
- **السابعة:** أَنَّ النَّبِيّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ؛ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «**اللهُ أَكْبَرُ! إنها السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ**» فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.
- **الثامنة:** الأَمْرُ الكَبِيرُ وَهُوَ المَقْصُودُ أنه أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَب بَنِي إِسْرَائِيلَ.
- **التاسعة:** أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِن مَعْنَى لا إِلٰه إلا اللهُ، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.
- **العاشرة:** أنه حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لا يَحْلِفُ إلا لِمَصْلَحَةٍ.
- **الحادية عشرة:** أَنَّ الشِّرك فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأنهم لَمْ يَرْتَدُّوا بِذَلِكَ.
- **الثانية عشرة:** قَوْلُهُمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْر» فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.
- **الثالثة عشرة:** التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ.
- **الرابعة عشرة:** سَدُّ الذَّرَائِع.
- **الخامسة عشرة:** النَّهْيُ عَن التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّة.
- **السادسة عشرة:** الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيم.

- **السابعة عشرة:** القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ؛ لِقَوْلِهِ: «إنها اَلسُّنَنُ».
- **الثامنة عشرة:** أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِن أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.
- **التاسعة عشرة:** أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ أنه لَنَا.
- **العشرون:** أنه مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهَا التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ، أَمَّا «**مَن رَبُّكَ؟**» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «**مَن نَبِيُّكَ؟**» فَمِن إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا «**مَا دِينُكَ**» فَمِن قَوْلِهِمْ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ إلى آخِرِهِ.
- **الحادية والعشرون:** أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ المُشْرِكِينَ.
- **الثانية والعشرون:** أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الَّذِي اِعْتَادَهُ قَلْبُهُ لا يَأْمَن أَن يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِن تِلْكَ العَادَةِ؛ لِقَوْلِهِ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

❋ ❋ ❋

٩- بَابُ ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ الآية [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

عن علي ﵁ قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَن آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَن غَيَّرَ منَارَ الأرضِ» رواه مسلم(١).

وعن طارق بن شهاب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ الجنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ!؟ قَالَ: مرَّ رجُلانِ عَلى قَوم لهُم صَنمٌ لا يجوزُه أحَدٌ حَتَى يُقربَ له شَيئًا، فَقَالوا لأحدِهِما: قَرِّبْ، قَالَ: ليسَ عِنْدي شَيءٌ أُقرِّبْ، قَالُوا لَهُ: قَربْ ولَو ذُبابًا، فَقرَّبَ ذُبابًا، فَخلُّوا سبيلَهُ، فدَخلَ النَّار، وقَالوا للآخَرِ: قَرِّبْ، فقال: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأحَدٍ شيْئًا دونَ اللهِ ﷿، فَضَربُوا عُنقَه فَدخَلَ الجنَّة»(٢) رواه أحمد.

---

(١) أخرجه في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، برقم (١٩٧٨).

(٢) أخرجه في كتاب الزهد (ص٢٢) وابن أبي شيبة في مصنف في كتاب الجهاد، باب ما قالوا في المشركين يدعون المسلمين إلى غير ما ينبغي (٧/ ٦٤٢، برقم ٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٠٣) عن طارق عن سلمان موقوفًا، وبرر حفيد الشيخ للشيخ أنه تبع في عزوه لأحمد ابن القيم، قال: وطلعت المسند ولم أره. ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٩٤) فلا يوجد مرفوعًا في حدود ما معي من المراجع، والله أعلم.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب ما جاء في الذبح لغير الله**»: المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أدرك في هذه الجزيرة في القرن الثاني عشر ما يذبح لغير الله وما يتقرب به للجن وما يتقرب به لغيرهم، يتقرب بالذبح وغيره، ومن يعبد الأشجار والقبور، فألَّف هذا الكتاب «**كتاب التوحيد**»، ومما فيه هذا الباب «**باب ما جاء في الذبح لغير الله**» يعني: باب ما جاء من أدلة في الكتاب والسُّنَّة في حكم الذبح لغير الله، وذلك لأن الناس ابتلوا في زمانه وقبل زمانه بأزمان بالذبح لغير الله من الجنّ والأصنام والقبور وأصحابها، فلهذا أراد أن يبيّن للناس حكم هذا الأمر الذي وقع في زمانه، وقد قام يدعوهم إلى الله وينذرهم الشِّرك بالله، فلهذا ألَّف هذا الكتاب؛ ليعلم الناس أحكام التوحيد، وما يتعلق بذلك من المحرمات الأخرى، فقال: «**باب ما جاء في الذبح لغير الله**» يعني: ما ورد فيه من الوعيد والدلالة على أنه من الشِّرك الأكبر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ يعني: قل يا محمد للنَّاس: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: ذبحي، **وقال آخرون**: معناه: تعبدي، النُّسك التعبد، ويدخل فيه العبادة هذا يدخل فيه الذبح وغيره، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ يعني: ما أحيا عليه وما أموت عليه من العبادات والأعمال، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سبحانه ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ هذه الآية تبين لنا أن الذبح عبادة، لا بد أن تكون لله؛ لأن الله قال: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فدلَّ على أنه إذا ذبح لغير الله؛ كأن يذبح للجن، أو الملائكة أو للأصنام، أو لأصحاب القبور، تقربًا إليهم، فهو مثل من صلى لغير الله؛ لأنه قرن الذبح بالصلاة، فكما أنه لو صلى للجن، أو صلى للقبور، أو صلى للشمس، أو صلى للقمر، أو صلى للأصنام كان شركًا بالله، قد عبد غير الله.

هكذا إذا ذبح لها، سواءً بسواء، هذه عبادة وهذه عبادة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] فقد أمر بأن تكون

صلاته لله، وصومه لله، وذبحه لله، وجميع ما يفعله من العبادات كله لله سبحانه وتعالى.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٢] **الكوثر**: نهر عظيم في الجنة، أعطاه الله نبيَّه محمَّد ﷺ ومنه يصب ميزابان عظيمان في الحوض يوم القيامة حوضه ﷺ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ﴾ يعني: شكرًا لله على هذه النعمة الذي أعطاه الكوثر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ يعني: واذبح ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] يعني: مبغضك هو الأبتر، هو المقطوع الذليل الحقير.

هذا يدلنا على أنَّ الصَّلاة عبادة والنحر عبادة؛ لأن الله أمر بهما، فإذا كان النحر عبادة، عُلِم أنَّ صرفه لغير الله شرك، كما لو صرف الصلاة، فالذي يذبح الإبل أو البقر أو الغنم أو ما أقلّ من ذلك للجن؛ يخشى شرهم، كما كانت تفعله الجاهلية، ويفعله بعض النَّاس في الإسلام، للجن خوفًا من شرهم، وهكذا ذبحه للأصنام، أو ذبحه للأشجار والأحجار، أو ذبحه للكواكب، أو لأصحاب القبور كالبدوي أو الحسين أو الحسن أو فاطمة أو النَّبيِّ ﷺ أو فلان أو فلان، كله داخل في هذا، كله شرك بالله عز وجل.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾: والعبادة ما أمر الله به شرعًا، هذا أمر، والعبادة أيضًا هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والله يحب أن يتقرب إليه بالصَّلاة والذبح، فعلمنا من هاتين الآيتين أن الذبح لغير الله شرك بالله، هذا حكمه.

والحديث الثاني: حديث علي رضي الله عنه وهو: ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وزوج ابنته فاطمة، ورابع الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عن الجميع[(١)].

يقول: «حدثه رسول الله ﷺ بأربع كلمات: وهذه الأربع بيَّنها،

(١) تقدمت إحالة توثيق ترجمته في صفحة (٧٤).

قال: «لعن اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمنَارَ» رواه مسلم في الصحيح، هذه أربع كلمات بعضها أشد من بعض.

فبدأ بالأولى: وهي أشد شيء: وهي الذبح لغير الله؛ لأن الشِّرك أعظم الذنوب، ولهذا بدأ بها، قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله» فعلمنا أن الذبح لله عبادة، وأنَّ من صرفه لغير الله، كالجن، أو الشياطين، أو الكواكب، أو الأصنام، أو أهل القبور، أو ما أشبه ذلك، يكون ملعونًا مستحقًّا لهذا الذم العظيم، واللّعن: هو الطرد والإبعاد عن الرحمة، الدعاء بذلك نسأل الله السلامة، هذا يدل على أنه من الكبائر، وهو من الكبائر الشِّركية، كما قال النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ: ثَلَاثًا**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِالله**»[١] فالشِّرك من أكبر الكبائر.

الثانية: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ»: لعن الوالدين من الكبائر أيضًا، ومن أعظم القبائح، والداك اللذان أحسنا إليك وربياك وتعبا عليك، لعنهما من أقبح القبائح، وهكذا لعن الناس حتى يلعنوهما، كما في الحديث الآخر، حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصحيحين، يقول ﷺ: «**مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ. يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[٢] استنكروا ذلك؛ لأن تعظيمهما وبرّهما معلوم بالفطرة وبالعقول، وبالأدلة.

---

(١) متفق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، برقم (٢٦٥٤) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، برقم (٥٩٧٣) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠).

«وهل يسب الرجل والديه؟ قال: «**نَعَمْ. يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**» هذا يُبيِّن لنا أنَّ الَّذي يسب النَّاس حتى يسبوا والديه، معنى أنه ساب لوالديه متعرض لهذا، فيكون آثمًا بسبب أنه سب الناس بغير حق، وتسبب في سبِّ والديه من النَّاس، هذا أيضًا من الكبائر، فعليك أن تحفظ لسانك يا عبد الله، الإنسان يحفظ لسانه وأن لا يسب، والسَّب قبيح ومن الكبائر، لا يجوز السب، سب الناس، قال النَّبيُّ ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(١) فالسب بغير حقٍّ من الكبائر، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»(٢) رواه البخاري من حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري رضي الله عنه(٣) فينبغي لك أن تحذر شر لسانك.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٤) خرَّجه مسلم في صحيحه، وقال ﷺ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»(٥).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله، برقم (٤٨) ومسلم في كتاب الإيمان، بيان قوله ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» برقم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم (٦٠٤٧) بلفظ: «**وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهْوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهْوَ كَقَتْلِهِ**»، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار. .، برقم (١١٠).

(٣) ابن خليفة الأشهلي، صحابي مشهور، روى عنه أبو قلابة اختلف في وفاته فقيل: (٥٤هـ) وقيل: (٦٤هـ) وصوبه الحافظ، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٣٢ برقم ٨١٩).

(٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب، برقم (٢٥٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي عن عبد الله رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، برقم (١٩٧٧).

والثالثة: «**لَعَنَ اللهُ مَن آوَى مُحْدِثًا**» ومعناه: الذي يؤوي أهل البدع، يؤوي أهل المعاصي وينصرهم، يكون ملعونًا نعوذ بالله، فالذي يؤوي المحدثين ويحميهم، أو يحميهم عن إقامة الحق، كالذي يمنع أن يقام الحد على الزاني أو السارق أو اللائط، أو ما أشبه ذلك، يكون ملعونًا، وهكذا من آوى البدع ونصرها وأيدها، يكون ملعونًا نعوذ بالله من ذلك.

والرابعة: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمنَارَ**» المنار: المراسيم، سميت منارًا؛ لأنها تنير الحق للناس، وتوضح الحق، تنيره للناس؛ يعني: توضحه وتدل عليه، إذا كان بين الإنسان وبين جيرانه مراسيم في الأراضي، فالذي يغيرها ملعون نعوذ بالله؛ لأنه يوقع الناس في مشاكل، وربما أفضى إلى القتال بين الناس عند تغيير المراسيم، كما قد وقع كثيرًا، فالذي يغير المراسيم ملعون، وهذه كبيرة من الكبائر، نعوذ بالله.

وهكذا أُلحق بذلك ما يكون على الطرقات التي تهدي إلى البلدان، وإلى المياه، ما يجوز تغييرها، هناك معالم ترشد إلى بلد معين أو إلى ماء معين، لا يُغيَّر.

والحديث الثاني: حديث طارق بن شهاب[1] الأحمسي، وطارق هذا: صحابي صغير رضي الله عنه رأى النَّبِيّ ﷺ وروى عنه أحاديث، وغالب رواياته من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو صحابي رواياته مرسلة صحيحة، مرسل الصحابي صحيح.

يقول رضي الله عنه أنّ النَّبِيّ ﷺ قال: «**دَخَلَ الجنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ**» يعني: في سبب ذباب، في: للسببية «**دَخَلَ الجنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ**» مثل: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ**»[2] يعني: بسببها، «**وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبابٍ**»

---

(١) ابن عبد شمس البجلي أبو عبد الله الكوفي، مات سنة (٨٢، أو ٨٣هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨١ برقم ٣٠٠٠).

(٢) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، برقم (٣٣١٨) ومسلم في كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرى، برقم (٢٢٤٢).

استعجب الناس من هذا: في ذباب! هذا الذباب الحقير، الطائر الحقير! فَسُئل النَّبِيّ ﷺ عن ذلك، فقال: «**مر رجلان على قوم لهم صنم**» الصنم: ما نحت على صورة، يقال له: صنم، ما نُحتَ على صورة وعبد من دون الله يسمى صنمًا، وما كان ليس له صورة يسمى وثنًا، ويطلق على الأصنام أوثانًا أيضًا، فتسمى أوثانًا.

والقصة: أنه مَرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد؛ أي: لا يتعداه أحد، لا يجوزه أو لا يجاوزه؛ يعني: لا يتعداه أحد، لا يتركون أحدًا يمرُّ عليه إلا يتقرب إليه بشيء سواء كان قليلًا أو كثيرًا، «**فقالوا لأحد الرجلين: قَرِّب، قال: ما عندي شيء أقرب**» اعتذر أن ما عنده شيء، ما قال: ما يجوز، وإلا منكر، قال: ما عندي شيء أُقرِّبه، فطمعوا فيه، «**قالوا: قّرِّب ولو ذبابًا**» ما دام أنت موافق، قَرِّب ولو ذبابًا، المقصود: الموافقة؛ «**فقرَّب ذبابًا، فخلوا سبيله؛ فدخل النار**» هذا يفيد أنَّ التّقريب للأصنام ولو شيء حقير؛ كالذباب، أو ما يشبه ذلك، أو فلس أو فلسين أو شيء سوى ذلك، يكون من الشِّرك؛ لأنه عبادة لهم وموافقة على عبادته وتعظيمه.

«**وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله**» الآخر عرف الحقيقة، وعرف أن هذا لا يجوز؛ فبيَّن لهم أنه لا يقرب شيئًا أبدًا، «**فضربوا عنقه فدخل الجنة**» قتلوه. وهذا يحتمل **أمرين**:

أحدهما: أن الشريعة في ذاك الوقت؛ يعني: شريعة من قبلنا ما فيها العذر بالإكراه، ولهذا لم يأخذ الرخصة، ويعمل ما يخلصه من شرهم، فلهذا بادرهم.

والأمر الثاني: أنه يمكن أن يكون رخصة وأن هناك عذر له بالإكراه، لكن لقوة إيمانه وقوة يقينه وعدم مبالاته بهم، لم يلجأ إلى النظر في الرخصة، بل بادر بالإنكار، وقال: «**ما كنت لأقرب لأحد دون الله** ﷻ» فلهذا قتلوه، فكان إلى الجنة والشهادة.

فهذا يبين لنا أن الواجب على المؤمن الحذر من الموافقة على

الشِّرك، والبدار بإنكار الشِّرك، أما إذا أكره، فقد أذن الله في كتابه العزيز: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] في شريعتنا ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ فلو قرب الذباب في شريعتنا، ولم يقصد التقرب إلى وثنهم، وإنما قصد التخلص من شرهم، وقلبه مطمئن بالإيمان، ما ضره ذلك في شريعة محمد عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأن الله قال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾.

فلو أن إنسانًا في شريعة محمد أكره على أن يذبح شاةً أو بعيرًا، أو غير ذلك، أو ما هو أحقر من ذلك، ولم يتخلص من ذلك إلا بإجابة طلبهم، فإنه يذبح، وله رخصة، ولكن لا ينوي فعله لأصنامهم، ينويه بقلبه لله، أو لا ينوي شيئًا من جهة صنمهم، وإنما يقصد التخلص من شرهم فقط، لا يكون معذورًا إذا لم يكن هناك مندوحة إلا القتل، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].
- **الثانية:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].
- **الثالثة:** البَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَن ذَبَحَ لِغَيْرِ الله.
- **الرابعة:** لَعْنُ مَن لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَن تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ.
- **الخامسة:** لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ الله؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَن يُجِيرُهُ مِن ذَلِكَ.
- **السادسة:** لَعْنُ مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ، وَهِيَ المَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ مِنَ الأَرْضِ وَحَقِّ جَارِكَ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.
- **السابعة:** الفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ المُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ المَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ العُمُومِ.

- **الـثـامـنـة:** هَذِهِ القِصَّةُ العَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.
- **الـتـاسـعـة:** كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.
- **الـعـاشـرة:** مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرك فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ؛ كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى القَتْلِ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طَلَبِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إلا العَمَلَ الظَّاهِرَ؟!
- **الحادية عشرة:** أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لِأنه لَوْ كَانَ كَافِرًا؛ لَمْ يَقُلْ: «**دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**».
- **الثانية عشرة:** فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيح: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**».
- **الثالثة عشرة:** مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ القَلْبِ هُوَ المَقْصُودُ الأَعْظَمُ، حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الأَصْنامِ.

❋ ❋ ❋

١٠- بَابٌ لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٨].

وعن ثابت بن الضَّحاك رضي الله عنه قال: «نَذَرَ رَجُلٌ أَن يَنْحَرَ إبِلًا بِبُوَانَةَ، فسأل النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لا، قَالَ: «فهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِن أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإنه لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»(١) رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.

قال الشارح رحمه الله:

«باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله» هذا الباب أراد به المؤلف رحمه الله: أنه لا يجوز لأهل الإيمان التَّشبه بأهل المعاصي، ولا مشاركتهم في مكان المعاصي والشرور، فلا يتشبه بأهل المعاصي منهم، ولا يكون معهم في مجامعهم التي فيها معصية الله والتقرب إلى غيره، بل ينبغي أن يكونوا على اتصال، واتحاد ضد أهل الباطل وأهل الشِّرك والكفر والمعاصي، فإذا كان للنَّاس موضع يذبح فيه لغير الله، أو يتعبد فيه المشركون بغير ذبح، فإن المؤمن لا يشاركهم، حتى لا يعد منهم، وحتى لا ينسب إليهم؛ ولهذا قال: «باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله» فإنه إذا ذبح فيه قد ينسب إليهم، وقد يظن أنه شاركهم بذلك، وذبح لغير الله سبحانه وتعالى، والمؤمن يبتعد بنفسه عن أن يظن به السوء، وأن ينسب إلى أهل السوء.

---

(١) أخرجه في كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء، برقم (٣٣١٣) وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٣٤٣٧) وفي صحيح الجامع برقم (٢٥٥١) وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٨٧٢).

قول الله ﷻ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: نزلت في مسجد الضرار الذي قال الله فيه سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ الآية [التوبة: ١٠٧، ١٠٨] هؤلاء جماعة من المنافقين أسسوا مسجدًا في قباء، بعض الكفرة كأبي عامر الضال المعروف، وكانوا أرادوا أن يجعلوه حصنًا يأوون إليه؛ أي: يجتمعون فيه إذا حضروا، وأرادوا بهذا أن يناهضوا النَّبيّ ﷺ وأن يقاتلوه، وأن يكون هذا كحصن لهم إذا اجتمعوا، ولكنهم أخفوا هذا الأمر، وأظهروا أنهم بنوا مسجدًا للضعفاء من النَّاس في الليلة الشاتية، وفي الحالات التي قد يشق عليهم الذهاب إلى المساجد البعيدة.

وطلبوا من النَّبيّ ﷺ أن يأتي إليه فيصلي فيه، وكان ليس بعيدًا من مسجد قباء، فقال النَّبيّ ﷺ: «**نحن على سفر** ـ وكان قد أراد غزوة تبوك ـ **ولكن بعد أن نرجع ننزل إن شاء الله ونصلي لكم**» فلما رجع من تبوك وهو على قرب المدينة، أنزل الله في حقهم ما أنزل من بيان مقاصدهم الخبيثة، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [التوبة: ١٠٧][(١)].

فبعث إليه من أشعل فيه النار وهدمه، فدلَّ ذلك على أن المحلات المؤسسة للكفر والضلال لا يجوز بقاؤها؛ بل يجب إتلافها والقضاء عليها، حتَّى لا تبقى شعارًا للكفرة، ولا موئلًا لهم ولا مجتمعًا لهم.

واحتج به المؤلف على أنَّ المحل المعد للذبح لغير الله، أو المعد للصَّلاة لغير الله، أو المعد للفسق والمعاصي، أنه يقضى عليه لا يبقى؛

(١) ينظر لقصة مسجد الضرار: تفسير الطبري (١٤/ ٤٦٨) وابن كثير (٤/ ٢١١) وتفسير القرطبي (٨/ ٢٣١).

حتَّى لا يكون تشجيعًا لأهل الباطل، وإعانة لهم على باطلهم، وحتَّى لا ينسب المسلم إليهم جهلًا منه بحالهم.

والقياس إذا توفرت شروطه جاء به الشرع، كإلحاق النظير بالنظير والفرع بالأصل، ولما جاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ. فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِن إِبِلٍ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَلْوَانها؟**» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «**فِيهَا مِن أَوْرَقَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ**» قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»(١).

فقاس بني آدم على الإبل، وكما أنه يوجد في الإبل الحمر قعود أو بكرة سوداء، أو لها لون آخر غير لون أمهاتها وآبائها، كذلك الإنسان قد يقع له ولد لا يشابهه، ولا يشابه زوجته، وأقاربه الأدنين، أو قد يكون شبيهًا لأب بعيد أو خال بعيد أو عم بعيد، قد يقع هذا، ولا يجوز أن تنفى الأولاد بهذه الصفة، فإذا كانوا ليسوا على شبه آبائهم وأمهاتهم، لا يجوز نفيهم.

والمقصود هنا: أنَّ التَّشبه بالكُفَّار والعصاة أمر ممنوع؛ ولهذا في الحديث: «**مَن تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(٢).

وفي حديث ثابت بن الضحاك الأنصاري رضي الله عنه: «أن رجلًا قال: يا رسول الله! إني نذرت أن أنحر إبلًا ببُوانة، بوانة: موضع معروف في أسفل مكة، ويقال: أنه ينبع(٣) استفصل منه فقال له الرسول ﷺ: «**هل**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، برقم (٥٣٠٥) ومسلم في كتاب اللعان، باب اللعان، برقم (١٥٠٠).

(٢) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه أبو داود في كتاب اللّباس، باب في لبس الشهرة، برقم (٤٠٣١).

(٣) هضبة وراء ينبع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: [بون] باب الباء مع الواو (ص٩٤).

فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قال: لا، قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قال: لا، قال: «أوف بنذرك».

خاف النَّبِيّ ﷺ أن يكون تخصيصه لها أن فيها شيئًا من أوثانهم أو أعيادهم، فيتأسى بهم، فدلَّ ذلك على أن المحلات المعدة لأعياد الجاهلية ولعبادات الجاهلية، لا يكون المؤمن مثلهم فيها، ولا يتأسى بهم، ولا يخصها بعباده، بل يجتنبها حتى لا يكون متشبهًا بهم، وحتَّى لا ينسب إليهم.

فلما أخبره الرجل أنه ليس فيها وثن ولا عيد، قال: «**أوف بنذرك**».

وهذا يدل على أنّك إذا نذرت أن تذبح في أي مكان لا بأس، إذا كان ليس فيه محذور، ينبغي أن يذبح في مكة، في جدة، في المدينة بقصد الفقراء والمساكين، لا لقصد مكان يريد التشبه فيه بالكفرة فلا بأس، أمّا إذا كان القصد التشبه بالكفرة فلا يف به.

ثُمَّ قال: «**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**» هذا يبيّن لنا أنه لا نذر في معصية الله، لا يجب الوفاء به، فإذا قال: لله عليه أن يشرب الخمر، لله عليه أن يزني، هذا النذر لا يجوز؛ ولهذا قال ﷺ: «**مَن نَذَرَ أَن يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**»(١) واختلف العلماء: هل فيه كفارة يمين؟ على **قولين**:

أرجحهما: أنَّ فيه كفارة يمين، ولا يصح، وعليه كفارة يمين.

وقال آخرون: بل هو باطل، ولا كفارة فيه، واحتجوا بالعمومات، ولكن جاء في عدة أخبار ما يدل على وجوب كفارة اليمين.

قوله: «**ولا فيما لا يملك ابن آدم**» لو قال: لله عليه أن يعتق عبد فلان، أو يتصدق ببيت فلان، أو نخل فلان، فهذا نذر باطل؛ لأنه

(١) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، برقم (٦٦٩٦) وفي باب النذر فيما لا يملك وفي معصية الله، برقم (٢٧٠٠).

ليس له، لا نذر له فيما لا يملك، يكون نذر باطلًا في هذا.

قوله: «**رواه أبو داود وإسناده على شرطهما**» أبو داود: هو سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن المعروف، المتوفى سنة خمس وسبعين ومائتين هجرية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]، والمراد بشرطهما: شرط البخاري ومسلم.

والفائدة من إيراد هذا الحديث في كتاب التوحيد: أنه لا يجوز التشبه بأعداء الله في أفعالهم، وأن من كمال التوحيد وتمامه عدم التشبه بأعداء الله.

والمقصود من هذا الباب: الدلالة على أن المكان المعد للشرك والمعاصي لا ينبغي للمؤمن أن يفعل فيه طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، بل يبتعد عن ذلك، إلا إذا غُير هذا المكان، بأن جعل مسجدًا، أو بيتًا للمؤمن، وانتهت عنه حالة الجاهلية، مثلما أمر النَّبِيّ بهدم اللَّات، وأن يبنى مكانه مسجد يعبد الله فيه جلَّ وعلا[(٢)]، كما أمر بعض أهل الكوفة أن يرجع عن البيعة ويجعلها مسجدًا، فإذا غير وجعل معبدًا لله، أو غُيِّر فصار سكنًا لابن آدم، ليس فيه عيد للجاهلية، بل صار سكنًا أو مزرعة، وانتهى عنه أمر الجاهلية وانقطع ما يتعلق بذلك صار لا بأس أن يعبد الله فيه ويصلي فيه ونحو ذلك.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل يجوز زيارة القبور؟ مع ما يحدث فيها من الشِّرك؟

○ **الجواب:** نعم. النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بزيارة القبور[(٣)]، وإذا أشرك فيها

---

(١) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٥٠ برقم ٢٥٣٣).

(٢) فقد جاء في سيرة ابن هشام (٤/ ١٥١) ما يدل على أن موضع اللَّات تحول مسجد لأهل الطائف.

(٣) فقد جاء في الحديث عند مسلم وأصحاب السنن: «**كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَن زِيَارَةِ القُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا فَإنها تُذَكِّرُكُم الآخِرَةَ**» أخرجه مسلم من حديث ابن بريدة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الجنائز، باب استئذان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عَزَّ وَجَلَّ في زيارة قبر أمه، برقم (٩٧٧).

أحد أو عصى فيها لا يمنع ذلك من الزيارة الشرعية، مثل المساجد لو عصى فيها أحد لا تمنع زيارة المساجد، والصَّلاة فيها.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لَا نَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٧].
- **الثانية:** أَنَّ المَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ.
- **الثالثة:** رَدُّ المَسْأَلَةِ المُشْكِلَةِ إِلَى المَسْأَلَةِ البَيِّنَةِ؛ لِيَزُولَ الإِشْكَالُ.
- **الرابعة:** اسْتِفْصَالُ المُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ.
- **الخامسة:** أَنَّ تَخْصِيصَ البُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ؛ إِذَا خَلَا مِنَ المَوَانِعِ.
- **السادسة:** المَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.
- **السابعة:** المَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِن أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.
- **الثامنة:** أنه لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ البُقْعَةِ؛ لأنه نَذْرُ مَعْصِيَةٍ.
- **التاسعة:** الحَذَرُ مِن مُشَابَهَةِ المُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ.
- **العاشرة:** لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ.
- **الحادية عشرة:** لَا نَذْرَ لابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ.

❋ ❋ ❋

١١- بَابٌ من الشِّرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصَّحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَن يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَن نَذَرَ أَن يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب من الشِّرك النذر لغير الله**» يعني: الشِّرك الأكبر، الشِّرك، شركان: أصغر وأكبر، أمَّا الأصغر فهو من جنس الرِّياء، ومن جنس قول: ما شاء الله وشاء فلان، ومن جنس الحلف بالأمانة، بالنَّبِيِّ، بالكعبة، هذا يقال له: شرك أصغر.

وأمَّا دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات والصَّلاة لهم والسجود لهم، ونحو ذلك هذا يقال له: شرك أكبر، وهو شرك المشركين الأولين، شرك الجاهلية، شرك أبي جهل وأشباهه ومن قبلهم، وهو شرك المشركين اليوم عند القبور، عند عُبَّاد القبور، يدعونهم، وبهم يستغيثون، وينذرون لهم، ويطلبون المدد؛ كعبَّاد البدوي، وعباد ابن عربي، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد غيرهم من المعروفين.

وهكذا عُبَّاد الرَّسول ﷺ وعُبَّاد أهل البيت كل هذا شرك، يدعونهم، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم؛ هذا هو الشِّرك الأكبر الذي بعث الله الرسل بإنكاره، والدعوة إلى تركه، والتحذير منه؛ ولهذا **قال المؤلف**: «**باب من الشِّرك النذر لغير الله**» كان المشركون ينذرون

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٢٨).

لآلهتهم، بقولهم: يرى عليه كذا للشيخ كذا أو في الولي الفلاني كذا، أو عليَّ البدوي كذا عليَّ عجل أو ربع عجل أو نصف العجل، أو كذا من النقود، أو كذا من الزيت، أو كذا من كذا، كلها تقرب، التقرب إليهم حتَّى يعطوهم مطالبهم من شفاء مريض، أو رد غائب، أو سلامة المزرعة، أو سلامة حيوان، أو ما أشبه ذلك. **«باب من الشِّرك»** يعني: من الشِّرك الأكبر، النذر لغير الله، فإذا قال: نذر عليه إن شفى الله مريضه أن يذبح عجلًا للبدوي، أو للشَّيخ عبد القادر، أو لابن عباس أو لعليٍّ، أو للنَّبِيِّ ﷺ أو ما أشبهه هذا معناه، هذا الشِّرك الأكبر، وهكذا إذا قال: يا سيدي البدوي! المدد المدد، أو: يا سيدي رسول الله! المدد المدد، أو: يا سيدي العباس! المدد المدد، أو: يا سيدي عليّ، أو: يا سيدي عبد القادر! المدد المدد، أو: أنا في جوارك، أو: أنا في حسبك، أو: أنا أستجير بك، هذا كله من جنس شرك الأولين، نسأل الله العافية.

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] هذا مدح للمؤمنين بوفاء النذر، المؤمنون يوفون بنذورهم الطيبة الشَّرعية، فالله يمدحهم بالوفاء بالنذور، فدل على أنها عبادة، لما مدحوا بالوفاء بها دلَّ على أنها عبادة، والعبادة شأنها أن تصرف لله، وأن يخص بها الله وحده ﷻ.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] يعني: الله يعلم نفقات العباد ونذورهم، ويجازيهم عليها ﷻ، فإن الله يعلم الذي نذروه ويجازيكم عليه، إذا كان لوجهه ﷻ، فدل ذلك على أن النذر عبادة؛ لأنه قرنه بالنفقة، والنفقة عبادة إذا كانت لوجه الله له أجرها كالنفقة على الفقراء والمحاويج، والنفقة في تعمير المساجد والمدارس، وفيما يرضي الله ﷻ، فهي صدقات ترضي الله، وهي عبادة له أجرها، وإن نذرها لغير الله كان عليه إثمها.

فإذا جعل النفقات للولي، يتقرب إليه بالنفقات، وتعمير قبره كأن

يصب عليه لتقديم شيء من الصدقات لأي شخص يريد بها التقرب إلى صاحب القبر، أو إلى الصنم، أو إلى الشجرة، أو إلى النجم، أو ما أشبه ذلك، صار شركًا بالله ﷻ، فإذا أراد بها وجه الله؛ صارت عبادة لله سُبحانه وتعالى.

«وفي الصحيح» يعني: صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله تعالى عنها[1]، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»** هذا حديث عظيم جليل، يدل على أن الطاعات يجب الوفاء بها، أمَّا نذور المعصية فلا يجوز الوفاء بها.

«والنذر» أصله منهي عنه مكروه، النَّبِيُّ ﷺ قال: «**النَّذْرُ لَا يَرُدُّ مِن قَدَرِ الله شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[2] لكن لو نذر طاعة لله بأن قال: لله عليه أن يتصدق بكذا، أو يصلِّي ركعتين، أو يكون عليَّ كذا، إن شاف الله مريضه، أو ردَّ الله غائبه، أو أطلق ذلك، فقال: لله عليَّ أن أصوم يوم الخميس، أو لله عليَّ أن أصلي ركعتين يلزمه ذلك، أو قال: لله عليَّ أن أذبح ناقة أو شاة أو بقرة، أو قال: اللّهم إني فعلت ذلك، فإذا وجد الشّرط، وجب الوفاء بالنذر.

أمَّا إذا كان النذر معصية، مثل أن يقول: لله عليه أن يشرب الخمر، أو: لله عليه أن يقتل فلانًا من غير حقّ، أو: لله عليه أن يعمل

---

(١) هي: أم المؤمنين الصديقة بنت أبي بكر الصديق، تكنى بأم عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء رضي الله عن الجميع، وهي من أفقه النساء مطلقًا، وفضلها على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، وهي أحب نساء النبي ولم يتزوج بكرًا غيرها، ماتت سنة (٥٧هـ) روى لها الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (ص٧٥٠ برقم ٨٦٣٣).

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، برقم (٦٦٩٢) ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، برقم (١٦٣٩) كما أخرجاه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: البخاري برقم (٦٦٩٤) ومسلم برقم (١٦٤٠).

بالربا، هذه النذور باطلة، ليس له الوفاء بها، بل هي نذور منكرة يجب الكف عنها.

واختلف العلماء فيها: هل عليه كفارة يمين؟ أم لا كفارة عليه، بل هي باطلة، ولا كفارة فيها؟ على قولين: والأرجح أن فيها كفارة يمين.

وقال جماعة من أهل العلم: لا كفارة فيها بل هي باطلة، ولكن جاء في عدة أحاديث ما يدل على أن فيها كفارة يمين؛ فعليه أن يدعها، ويكفر كفارة يمين عن قولها، وليس له أن يقدم على المعصية، مثل: لو قالت المرأة: لله عليها أن تصوم أيام الحيض، أو تصلي في أيام الحيض، هذا نذر باطل ليس لها أن تفعل ذلك.

الحاصل: أن من نذر أداء الطاعة الواجبة أو المسنونة؛ كالصلوات الخمس وسُنَّة الضحى فيجب عليه الوفاء بنذره، أما إن كان المنذور أمرًا مباحًا كأن ينذر أن يأكل لحمًا فهو بالخيار له أن يأكل وله أن يترك ويكفر عن نذره كفارة يمين كما يكفر عن عدم وفائه عن نذر المحرمات.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى**: وُجُوبُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.
- **الثانية**: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً لله، فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ.
- **الثالثة**: أَنَّ نَذْرَ المَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الوَفَاءُ بِهِ.

١٢- بَابُ من الشِّرك الاستعاذة بغير الله

قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن نَزَلَ مَنْزِلًا، فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١) رواه مسلم.

قال الشارح رحمه الله:

يقول رحمه الله: «باب من الشِّرك الاستعاذة بغير الله» الشِّرك؛ يعني: الأكبر، وأن النذر لغير الله من الشِّرك الأكبر، كذلك الاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، هذه كلها عبادات، وتوجيهها لغير الله، والتقرب بها لغير الله من الشِّرك الأكبر.

فالذي يستعيذ بالأموات أو يستغيث بهم أو ينذر لهم، أو بالأصنام أو بالكواكب، أو بالجن يصير قد عبدهم مع الله، فيكون هذا شركًا أكبر؛ لأن الله قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] فأمر بالاستعاذة به سبحانه وتعالى، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

فالاستعاذة بالله عبادة، وصرفها لغير الله شرك به سبحانه وتعالى، إلا في المخلوق إذا كان يقدر عليه، إذا كان حاضرًا مثلما تستغيث به إذا كان حيًّا حاضرًا قادرًا، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء، برقم (٢٧٠٨).

﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] كما تقول للسيد: أنا عائذ بك من شر غلامك، أو: أجرني من شر غلامك، أو: أغثني من شر غلامك، أو: زوجتك، أو: ما أشبه ذلك.

فهذه الأمور مع الحي الحاضر القادر ليست من الشِّرك، وإنّما من الشِّرك إذا كان مع ميت أو غائب أو حجر أو صنم أو جنّي، أو ما أشبه ذلك.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦] هذه الآية نزلت في أناس كانوا يعوذون بسادات الجن، فأخبر الله ﷻ أنهم زادوهم رهقًا، وهذا على سبيل الذم لهم والعيب لهم.

﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ يعني: زادوهم خوفًا وذعرًا لما استعاذوا بهم، فتأسدوا عليهم وتكبروا ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ يعني: زاد جنس الإنس، الواو في زادوا للجن، والهاء للإنس ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ يعني: ذعرًا وخوفًا؛ عقوبة لهم.

وقال آخرون من السلف: ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ أي: طغيانًا، الواو للإنس، زادوا؛ أي: الإنس، والهاء للجن.

﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ يعني: طغيانًا وتكبرًا عليهم، واستعلاء عليهم، وكلا المعنيين حق، فإن التعوذ بالجن، والميل إليهم مما يزيد الإنسان خوفًا وتعظيمًا لهم وخوفًا منهم وحذرًا منهم، واستكثارًا للتعوذ بهم.

وهكذا الجن يزدادون تكبرًا على الإنس، قالوا: خافونا وعظمونا فيزدادون طغيانًا وتكبرًا، وهذا كله على سبيل الذم، فدل ذلك على ذم من استعاذ بالجن، وأنه لا يجوز الاستعاذة بالجنّ.

وكانت العرب في جاهليتها إذا نزلوا واديًا أو شعبًا، قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، أو: صاحب هذا الوادي من سفهاء قومه، فهذا كله

من عمل الجاهلية، والواجب ترك ذلك[١].

عن خولة بنت حكيم[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَن نَزَلَ مَنْزِلًا، فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» رواه مسلم.

هذا يدل على فضل هذه الاستعاذة، وأنها من أسباب العافية من شر الجن والإنس، ويستحب لمن نزل منزلًا أن يقول هذا: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**» وهكذا إذا ركب الطائرة أو السيارة، أو القطار أو السفينة أو الباخرة، كالمنزل يقول: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**».

وجاء في حديث صحيح ما يدل على استحباب تكرارها ثلاثًا «**كَانَ النَّبِيّ إِذَا دَعَا كَرَرَ ثَلَاثًا**»[٣] عليه الصَّلاة والسَّلام، ومعنى: «**بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ**» يعني: النافذة الكونية التي لا راد لها.

وقال بعض السلف: إن المراد بـ«**بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ**» هنا: الشرعية كلمات القرآن؛ لأنها كلمات عظيمة ومشرفة، وهي كلام الله وكلّه حق، فإن كلماته الكونية وكلماته الشَّرعية كلَّها حق، وكلها وصف له سبحانه، فكلامه الكوني نافذ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٨/ ٢٣٩) وتفسير معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٤٨٢، ٤٨٣).

(٢) ابن أميمة أم شريك صحابية مشهورة وهي الواهبة نفسها للنبي ﷺ. ينظر: التقريب للحافظ (ص٧٤٦ برقم ٨٥٧٥).

(٣) متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واللَّفظ لمسلم، أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على المصلي قذرًا لم تفسد صلاته، برقم (٢٤٠) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النَّبِيّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٤).

وكلامه الشَّرعي أفضل الكلام، وأحب الكلام إليه، وهو توسل بصفات الله؛ ولهذا استدل السَّلف بهذا الحديث وأشباهه على أنَّ كلام الله غير مخلوق، قالوا: لو كان مخلوقًا لم يجز الاستعاذة به؛ لأنه أجمع العلماء على أنه لا يستعاذ إلَّا بالله[(١)]، فلما جاءت الاستعاذة بكلمات الله، دلّ ذلك على أنَّ كلام الله صفة من صفاته، وعلى جواز الاستعاذة بصفات الله، وعلى أنَّ كلام الله غير مخلوق، كما قال أهل السُّنَّة والجماعة، «**لَمْ يَضُرُّهُ شَيءٌ**» هذا عام، نكرة في سياق النفي، تدل على العموم، «**حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» وهذا فضل عظيم لهذه الكلمات وهذه التعوذات.

فينبغي للمؤمن أن يعتاد ذلك، وأن يفعل ذلك أخذًا بما وجهه إليه النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وفيه الدلالة: على أن التعوذ بغير الله وبغير صفاته أمر لا يجوز بإجماع أهل العلم، بل هو من الشِّرك، نسأل الله العافية والسَّلامة.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** أليس الأقرب: أن أعوذ بكلمات الله التامات، أنها الكلمات الكونية؟

○ **الجواب:** محتمل هذا.

• **السؤال:** في الحديث الآخر: «**الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ**»[(٢)].

○ **الجواب:** يعني: التامات من جهة الشرف والفضل، والتامات من جهة النفوذ كلاهما حاصل، وذاك حديث آخر، أعوذ بكلمات الله التامات.

---

(١) ينظر: شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (١/ ١٣٢، أو ١٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن حنبش رضي الله عنه (٣/ ٤١٩ برقم ١٥٤٩٩).

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ الآيَةِ.
- **الثانية:** كَوْنُهُ مِنَ الشِّرك.
- **الثالثة:** الاسْتِدْلالُ عَلَى ذَلِكَ بِالحَدِيثِ؛ لأَنَّ العُلَمَاءَ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ الله غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ قَالُوا: لأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ بِالمَخْلُوقِ شِرْكٌ.
- **الرابعة:** فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ.
- **الخامسة:** أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ مِن كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ لَا يَدُلُّ عَلَى أنه لَيْسَ مِنَ الشِّرك.

١٣- بَابٌ من الشِّرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ **الآية** [العنكبوت: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **الآية** [الأحقاف: ٥].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ **الآية** [النمل: ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النَّبيّ ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرسُولِ اللهِ ﷺ مِن هَذَا المنَافِقِ، فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّما يُسْتَغَاثُ بِالله»[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب من الشِّرك»** يعني: الأكبر **«أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره»** عطف الدُّعاء على الاستغاثة من باب عطف العام على

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني عن عبادة بن الصامت، ورجاله رجال الصَّحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث (١١/٢٦ برقم ١٧٢٧٦) وقد رواه الإمام أحمد بغير هذا السياق عن رجل سمع عبادة بلفظ القيام: «**لَا يُقَامُ لِي إِنَّمَا يُقَامُ لله تَبَارَكَ وتعالى**» وأن القائل: قوموا بنا نستغيث برسول الله هو أبو بكر الصديق. ينظر: المسند (٥/٣١٧) وفي إسناده ابن لهيعة، والرجل الراوي عن عبادة مبهم.

الخاص؛ لأن الاستغاثة دعاء أيضًا، ولكنه من المكروب، والدُّعاء أعم، فكل مستغيث داعي، وليس كل داع مستغيثًا؛ إذْ المستغيث هو الذي يدعو لشدة كرب، كالذي يقدم للقتل أو تنزل به شدة عظيمة، فيدعو فيسمى مستغيثًا، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] يوم بدر.

فالذي يستغيث بغير الله عند الشدائد، مثل: إذا نزل به مرض، أو كان في البحر واشتدت الأمواج، أو ما أشبه ذلك، يقول: يا سيدي فلان! يا سيدي البدوي، يا سيدي عبد القادر، يا حسين، يا فاطمة، يا رسول الله أغثني هذا الشِّرك الأكبر.

وكانت الجاهلية تترك هذا ولا تفعل هذا في جاهليتها؛ لأنها تعلم أن المنجي في الشدائد هو الله وحده ﷻ، لكن هؤلاء المشركون المتأخرون خالفوا أولئك، بسبب شدّة جهلهم، وعظم ضلالهم، فصار شركهم أشد من شرك الجاهلية، صاروا في حال الشدائد يشركون، وفي حال الرخاء يشركون.

أمَّا الجاهلية الأولون: فكان الشِّرك في الرَّخاء، إذا جاء الرَّخاء، عبدوا آلهتهم، وإذا جاءت الشدائد؛ أخلصوا الدعاء لله وحده، كما قال ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فالحاصل: أن هذه الترجمة في بيان أنَّ من دعا الأوثان والأصنام والأولياء والقبور والأشجار والأحجار والجن، ونحو ذلك، كل من دعاهم في الرخاء، أو دعاهم في الشدة واستغاث بهم، فقد أشرك، فإذا كان له واسطة من الجن أو من الملائكة أو من أصحاب القبور، أو ما أشبه ذلك، يدعوهم في الشدائد صار مشركًا بالله، ويسمى مستغيثًا، وإذا دعاهم في الرَّخاء، يسمى داعيًا، وكلاهما شرك.

ثم ذكر الأدلة على ذلك، ذكر خمس آيات، وذكر الحديث الذي

رواه الطبراني: **الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] يعني: المشركين، الظلم إذا أُطلِق هو الشِّرك، قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فبيَّن ﷻ أن من دعا غير الله مما لا ينفع ولا يضر، هذا وصف عام لكل المخلوقات لا تنفع ولا تضر، كلها هذا وصف عام لجميع المخلوقات، فإنها لا تنفع استقلالًا، ولا تضر استقلالًا إلا بالله ﷻ، فلا يليق بالعاقل أن يعبدها من دونه ولا أن يدعوها من دون الله؛ إذ النافع الضار هو الله وحده، وما من شيء في الوجود من نفع أو ضر إلا بتقديره ومشيئته ﷻ.

فدلَّ ذلك على أنَّ من دعا غير الله من الأشجار والأحجار ونحو ذلك، صار ظالمًا مشركًا، يستثنى من ذلك من دعا المخلوق الحي الحاضر القادر، فإن دعاءه ليس بشرك ولا حرج فيه بإجماع المسلمين، غير داخل في الآيات.

فإذا قلت لأخيك: يا فلان، هات السيارة من محل كذا، هات الفاروع، وهات القدر، وهات الحذاء هات كذا، ويستغيث به، ليس في هذا بأس، أو تقول له في الحرب: ساعدني على قتل فلان، على الجهة الفلانية، أو تريد جماعة من إخوانك: نتساعد في الهجوم على فلان في الحرب حتى نقتله، أو هذه الجهة نضبطها ونحفظها أو ما أشبه ذلك، فهذا جائز، قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] استغاث الإسرائيلي الذي هو من شيعة موسى على القبطي الذي هو من عدوه، فأغاثه موسى، فدل ذلك على جواز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر.

أو تطلب من زيد أو عمرو الحي الحاضر الذي يسمع كلامك، أو بالبرقية، أو بالمكاتبة، أو بالهاتف، بالتلفون تقول له: يا فلان أرسل لي

كذا، أعطني كذا، سلفني كذا فلوس، احضر إلى بيتي في اليوم الفلاني هذه أمور عادية ليس فيها شيء، ليست من دعاء غير الله، وليست من الشِّرك.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرࣲّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرࣲ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءࣲ قَدِيرࣱ﴾ [الأنعام: ١٧] هذه تدل على أن الناس جميعهم، كلّهم غير قادرين على كشف الضّر ولا جلب النفع، بل الله هو القادر ﷻ، فإذا كان الأمر هكذا، فكيف يدعى غيره؟ ما دام هو القادر على كل شيء، فالواجب أن يخلص له الدعاء، وأن يعبد وحده فما سواه عاجز.

فعلمت بذلك أن دعاء غير الله دعاء إلحادي، سواء كان جنيًّا أو ملكًا أو صالحًا أو صنمًا أو كوكبًا، أو غير ذلك، فكله عاجز، والواجب أن يدعو الله وحده، فمن دعا هذه المخلوقات، فقد أشرك بالله، إلا إذا كان حيًا حاضرًا قادرًا يسمع، فلا بأس بالاستعانة به في المقدور.

الآية الثالثة: قوله جلَّ وعلا: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] أمر بابتغاء الرزق من عند الله والعبادة لله وحده، فالذي يقول: يا سيدي فلان! أنا في حاجة إلى فلوس، أنا في حاجة إلى كذا، إلى زوجة، يأتي القبر أو يقول للجن أو للملائكة أو للأموات من أي جنس أو الأحجار أو الكواكب: أنا بحاجة إلى زوجة، أنا بحاجة إلى دراهم، أنا بحاجة إلى طعام، أعطوني؛ هذا شرك أكبر، أو يدعوهم، يتقرب بهم، ينذر لهم، يذبح لهم قرابين من الإبل أو البقر أو الدجاج أو العصافير أو غير ذلك، يرجو منهم النفع، يتقرب إليهم حتى يشفعوا له، حتى يجيبوا دعوته، حتى يعطوه مطلوبه، كل هذا شرك بالله.

يجب أن تصرف العبادات لله كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: ذبحي ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٢].

وقوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[(١)].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦].

هذه الآية بيَّنت أنه لا أضل ممن دعا غير الله، ما أحد أضل منه؛ لأنه خاب في الدنيا والآخرة، في الدنيا لا يفلح، وفي الآخرة إلى النَّار، فهو خاسر نعوذ بالله، ووصف المدعو من دون الله **بأربع صفات:**

الأولى: أنه لا يستجيب لداعيه إلى يوم القيامة، ما يستجيبون عاجزون.

الثانية: أنهم غافلون عن عن داعيهم ليس عندهم شعور، ما بين ميت ما لا يحتاج إليه الناس، وما بين جماد من صنم أو شجر ليس له إحساس، أو حي مشغول؛ كالملك، والجن، ليس له علم، ولا يعلم الغيب.

الثالثة: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: جميع الناس، الحشر: هو الجمع، إذا جمع الناس يوم القيامة كانوا لهم أعداءً، كان المعبودون أعداءً للعابدين نعوذ بالله، فباؤوا بالصفقة الخاسرة والخيبة والندامة، نسأل الله العافية.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

هذه الرابعة: أنهم يكفرون بعبادتهم وينكرونها، ويتبرؤون منها، ويقولون ما علمنا ولا شعرنا ولا رضينا، فأصبح حينئذ الداعي لغير الله من أخسر الناس صفقة ومن أضلهم، ومن أبعدهم عن كل خير، نعوذ بالله.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]: يبيّن سبحانه أنه لا يجيب المضطر سواه جلَّ وعلا، ولا يكشف السوء سواه، ومن طلب كشف الضّر أو كشف السوء من الأموات أو الأشجار أو الأحجار، فقد خاب وأشرك بالله ﷻ، وإنَّما

---

(١) أخرجه مسلم عن علي رضي الله عنه في كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله، برقم (١٩٧٨).

يجوز له أن يطلبه من الحي الحاضر، مثل: الملك: يا فلان! أنا أصابني كذا، أرجو أن تنفعني بكذا، يقول لأخيه القادر، يقول لعمه، يقول لجاره: أريد أن تعاوني على كذا، مثلما تقدم، أحياء حاضرون يسمعون ويعقلون ويستطيعون، لا بأس أن يستعين بهم.

أمَّا الحديث: «**فروى الطبراني بإسناده**» الطبراني هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني الإمام المشهور رَحِمَهُ اللَّهُ، توفي سنة ستين وثلاثمائة، عُمِّر مائة عام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]، وكانت ولادته سنة مئتين وستين هجرية.

روى بإسناده: أن بعض الصَّحابة قال بعضهم لبعض: «**قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق**» فأتوا النَّبِيّ ﷺ فقال: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِالله عَزَّ وَجَلَّ**».

هذا الحديث جاء في رواية أخرى؛ أنه عن عبادة بن الصامت، وأن المنافق هو: عبد الله بن أُبي ابن سلول، وفي إسناده بعض الضعف.

«**قوموا نستغيث برسول الله**» إنما قالوا هذا؛ لأن الرسول ﷺ يقدر فيما ظهر لهم، فعبد الله بن أُبَيّ إنسان موجود بين أيديهم، يستطيع النَّبِيّ ﷺ أن يقتله أو يحبسه أو ينفيه، فلهذا قالوا: «**قوموا نستغيث برسول الله**» لأنهم يعلمون أن الاستغاثة بالحي الحاضر القادر لا بأس بها، كما في قصة موسى مع صاحبه: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

لكن الرسول ﷺ أخبرهم لو صح الخبر أنه لا يستغاث به؛ لأنَّ النبي ﷺ كان ممنوعًا من قتل عبد الله بن أُبي «**لئلا يتحدث النَّاس أن محمَّدًا يقتل أصحابه**»[(٢)] فامتنع من قتله عليه الصَّلاة والسَّلام، وقال في

---

(١) صاحب المعاجم الثلاثة. ينظر: طبقات خليفة (١/ ١٥) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩، و١٢٩).

(٢) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، برقم (٣٥١٨) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، برقم (٢٥٨٤).

هذا: «**أنه لا يستغاث بي، وإنَّما يستغاث بالله** ﷻ» يعني: لا يستغاث بي في هذا، من الأشراف الذين أنا ممنوع من قتلهم، أو فيما لا أقدر عليه.

ويحتمل ـ إن صح الخبر ـ أن يكون قال هذا من باب سد الذريعة، وإن كان يقدر على قتله، لكن قال هذا حتى لا يتسارعوا بهذا الكلام أو يعتادوه، فقال: «**إنه لا يستغاث بي**» من باب سد الذرائع؛ لئلا تقع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها عليه الصَّلاة والسَّلام، فمنع هذا الباب وسد هذا الباب، حتَّى يعتادوا الاستغاثة بالله، والرجوع إلى الله، والتعلق بالله، وإنَّما يستغاث بالله ﷻ، فالمعنى أحد **أمرين**:

أحدهما: أنَّ الرَّسول ﷺ قال ذلك؛ لأنه لا يستطيع قتل عبد الله بن أُبي؛ لأنه ممنوع من ذلك عليه الصَّلاة والسَّلام، فقال: «**لا يستغاث بي في شيء لا أقدر عليه**».

والمعنى الثاني: أنه قال هذا سدًّا للذريعة، وإن كان يقدر على قتله أو سجنه أو نفيه من الأرض، لكنه قال هذا من باب سد الذرائع حتى لا يتساهلوا في مثل هذا، فيقول هذا الكلام في أمر لا يستطيعه عليه الصَّلاة والسَّلام، فيقع الشِّرك.

وبكل حال هو دليل على أنه لا يستغاث بالمخلوقين في الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله ﷻ، بينما يستغاث بالله في كل شيء، لكن يجوز أن يستغاث بغيره فيما يقدر عليه المخلوق الحي الحاضر القادر، هذا يستثنى، بالأدلة لأنه معروف، كل هذا معروف أنَّ الحي الحاضر القادر يستغاث به فيما يقدر عليه بالكلام أو بإرسال كتابة أو بإرسال الرسول إليه، يقال: أريد كذا وكذا، أو بالهاتف اليوم، أو البرقية اليوم، أو ما أشبه ذلك من الوسائل الَّتي يعلم بها استغاثة أخيه به، ويطلب منه التنفيذ على حسب قدرته، هذا ليس من باب الشِّرك، ولكنه من باب الأمور العادية، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولـــى:** أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الاسْتِغَاثَةِ مِن عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ.
- **الثـانـيـة:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].
- **الثـالـثـة:** أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرك الأَكْبَرُ.
- **الرابـعـة:** أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ فَعَلَهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ صَارَ مِنْ الظَّالِمِينَ.
- **الخامسة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا.
- **السادسة:** كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا.
- **السابـعـة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الثَّالِثَةِ.
- **الثـامـنـة:** أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لا يَنْبَغِي إِلَّا مِنْ الله، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.
- **التـاسـعـة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الرَّابِعَةِ.
- **العـاشـرة:** ذِكْرُ أنه لَا أَضَلَّ مِمَّن دَعَا غَيْرَ الله.
- **الحادية عشرة:** أنه غَافِلٌ عَن دُعَاءِ الدَّاعِي لا يَدْرِي عَنْهُ.
- **الثانية عشرة:** أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.
- **الثالثة عشرة:** تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ.
- **الرابعة عشرة:** كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ العِبَادَةِ.
- **الخامسة عشرة:** أَنَّ هَذِهِ الأُمُوْرَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.
- **السادسة عشرة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الخَامِسَةِ.
- **السابعة عشرة:** الأَمْرُ العَجِيبُ، وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ أنه لا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.
- **الثامنة عشرة:** حِمَايَةُ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ الله.

١٤- بَابُ قول الله تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٢]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وفي الصَّحيح، عن أنس رضي الله عنه قال: شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحَدٍ وَكُسِرتْ رَبَاعيتَهُ، فَقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨](١).

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الفَجْرِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ العَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨](٢).

وفي رواية: «يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بن عَمْرٍو، وَالحَارِثُ بن هِشَامٍ، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾».

وفيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عليه:

---

(١) علقه البخاري في كتاب المغازي، باب: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] قبل رقم (٤٠٦٩) ووصله مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحد، برقم (١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] برقم (٤٠٦٩، ٤٠٧٠).

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِ عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عبد المُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ الله لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِن مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»[1].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾» أراد بهذه الترجمة: بيان ما عليه أهل الشِّرك في عهد النَّبيّ ﷺ وما قاتلهم عليه، عليه الصَّلاة والسَّلام وما دعا أمته إليه من التوحيد والإيمان، يبيِّن بهذه الترجمة أن أهل الشِّرك كانوا على هذه الحالة في عهده ﷺ وأنهم يعبدون من لا يخلق شيئًا وأنهم مخلوقون، وأن معبوداتهم لا يستطيعون نصرًا لأنفسهم ولا لمن عبدهم.

ويبيّن بهذا كله بطلان ما هم عليه من الشِّرك، وأن هذه حال المشركين، يعبدون غير الله ممن هذا وصفه، وهذا الوصف يدل على أنهم لا يستحقون العبادة، وأنهم لا يجوز أن يعبدوا من دون الله.

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ إنكارًا عليهم وتوبيخًا لهم ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ لا قليلًا ولا كثيرًا، حتَّى الذباب وحتَّى النملة لا يستطيعون ذلك ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني: وهم مخلوقون مربوبون، ما بين جماد وأصنام لا إحساس له ولا شعور له بما يدار حوله، أو حيوان عاجز، أو إنسان ليس له قدرة، أو ملك أو جني، إلى غير ذلك، كلهم عاجزون ليس لهم قدرة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟ برقم (٢٧٥٣) ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] برقم (٢٠٤، ٢٠٦).

بل هم مخلوقون مربوبون، وإن سمعوا في حياتهم من يدعوهم، وإن قدروا على بعض الشيء مما يقدر عليه المخلوق بالسبب الحسي، لكنهم لا يستطيعون ما لا يستطيعه إلا الله ﷻ، ولا يصلحون للعبادة لا أحياء ولا أموات؛ لعجزهم، وكونهم مربوبين مخلوقين، وإنما يجوز مع الحي الحاضر ما يستطيعه، مما جرت العادة بأنه من أهله، هذا هو الذي هو خارج عن هذا، وليس من هذا الباب في شيء، وهو ما تتعاون به الناس فيما بينهم، على كونهم أحياء قادرين، يسمع بعضهم كلام بعض، ويستطيع أن يعينه بما جعل الله له من القدرة في بناء بيته معه، من إصلاح شجره معه.. من إصلاح سيارته، من معاونته على دابته، إلى غير هذا من الأمور العادية التي بين الناس، هذه غير داخلة في العبادات، وليس لها دخل فيما يتعلق بالتوحيد والعبادة.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ كذلك لأنَّ المعبودين ليسوا نصرًا لعابديهم؛ لأنهم مثل ما تقدم ما بين جماد من شجر وحجر، وما بين ميت لا قدرة له بما يطلب منه، وما بين حي لا قدرة له.

﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ هم أيضًا عاجزون عن نصر أنفسهم، لا يحمون أنفسهم؛ لا من قتال، ولا من غيره، كما يقال: إنهم يعبدون من دون الله الأنبياء والصالحين، هم لا ينصرون أنفسهم، فكم من نبي قتل، قتله قومه، وكم من صالح قتله أعداؤه، فمن لا يدفع عن نفسه، كيف يعبد مع الله؟! وكيف يدعى مع الله؟! وكيف يرجى منه النّصر في الدّنيا أو في الآخرة؟! وإنّما تطلب هذه الأمور من الذي يقدر على كل شيء ﷻ، وهو الخالق لكل شيء، وبيده كل شيء ﷻ، هذه **أربع صفات** توصف بها معبودات المشركين من دون الله:

أولًا: أنهم لا يخلقون شيئًا، بل الخالق هو الله وحده.

الثاني: أنهم مخلوقون مربوبون عاجزون.

الثالث: أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا أو لعابديهم.

والرابع: أنهم لا ينصرون أنفسهم أيضًا.

هذه أربع صفات تدل على بطلان عبادتهم من دون الله، وأنهم لا يصلحون أن يعبدوا، لا يستطيعون قضاء الحاجات، ولا يستغاث بهم، ولا ينذر لهم، ولا يتقرب إليهم بالذبائح، ولا غير هذا من الأعمال، بل هذا كله شرك بالله جلَّ وعلا.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] القطمير: اللفافة التي على النواة.

وقال تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤] ﷻ. ووصف آلهتهم **بأربع صفات**:

الأولى: أنهم لا يملكون شيئًا حتى القطمير عجزوا عنه، ليس لهم ملك إلا ما أعطاهم الله إيّاه.

الثاني: أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ما بين جماد وميت، وغائب مشغول بشأنه.

الثالث: أنهم لو سمعوا ما استجابوا، لو فرض استماعهم، لن يستجيبوا لداعيهم.

الرابع: أنهم يكفرون يوم القيامة بشرك هؤلاء، ويتبرؤون منهم.

فدل ذلك على بطلان تعلقهم بهم، وأنهم لا يرضون بعبادتهم إيّاهم، بل يكفرون بهم وينكرونها، ويتبرؤون منها يوم القيامة، فيقولون: ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

فالمقصود: أن هذه الصفات هي صفات معبوديهم من دون الله، ليسوا بمالكين بل عاجزون ضعفاء، الملك لله وحده في كل شيء ﷻ، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا ما استجابوا، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرؤون من ذلك، ويتنصلون منه، ويعلنون أنهم لا يرضون بعبادتهم من دون الله، ولا يملكون لهم شيئًا، وأنهم لا يعقلونها ولا يعلمونها، بل هم غافلون عنها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ

مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ﴾ أي: جمع الناس ﴿ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] هم يعادونهم ويكفرون بعبادتهم، وهم عنها غافلون.

هذه حال المشركين، هم أخسر الناس صفقة في الدنيا والآخرة، فعبدوا من لا يملك شيئًا، ولا ينفعهم، ولا يملك نجاتهم ولا سعادتهم، فهم خاسرون في الدنيا، خاسرون في الآخرة، نعوذ بالله.

وهذه الصفات تدل على أن عبادتهم من دون الله باطلة، وأنه لا يجوز أن يعبد مع الله أحد، بل العبادة حق الله وحده، هو المالك، هو النافع والضار، هو المعطي المانع سبحانه وتعالى، أما غيره فعاجز، لا يستطيع أن ينفع عابديه، ولا أن يخلصهم من النار، ولا يدخلهم الجنة، ولا يخلصهم يوم الموقف، بل هذا كله إلى الله سبحانه وتعالى، إنما يحصل بسبب طاعته وعبادته والاستقامة على أمره؛ لأنه المالك لكل شيء سبحانه وتعالى.

ثم ذكر حديث أنس، وحديث ابن عمر، وحديث أبي هريرة رضي الله عنهم[(١)] في بيان أنَّ الرَّسول ﷺ، وهو أفضل الخلق وأفضل الأنبياء لم يدفع عن نفسه، فإذا كان الرَّسول محمَّد لم يدفع عن نفسه، بل جرح وضرب يوم أُحد في رأسه حتَّى كسرت البيضة على رأسه، وجرحت وجنتاه عليه الصَّلاة والسَّلام، وكسرت رباعيته، وأرادوا قتله لولا دفاع الله سبحانه وتعالى عنه، فإذا كان هكذا؛ كيف يعبد مع الله هو أو غيره؟ وهو بهذه المثابة ويوم حنين قتل جمع من أصحابه، وجرح جمع من أصحابه، ولم يستطع أن يدفع عن نفسه ولا عنهم، فإذا كان سيد ولد آدم، وأفضل

---

(١) أنس، تقدمت إحالة ترجمته في (ص٤٠) وابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمٰن أحد الصحابة المكثيرين من الحديث ومن أشد الناس اتِّباعًا للأثر، مات في آخر سنة (٧٣هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٥ برقم ٣٤٩٠) وأما أبو هريرة ستأتي ترجمته في الصفحة بعد الآتية (ص١٥٤).

الناس، وأقربهم إلى الله، وأعظمهم منزلة لم يدفع عن نفسه ولا عن جماعته وأصحابه، وأصحابه هم أفضل النَّاس بعد الأنبياء لم يدفعوا عن أنفسهم، ما جرى في الهزيمة العظيمة يوم أُحد، بسبب المعصية التي وقعت من الرماة، وبسبب الفشل والتنازع، فلم يدفع النَّبيّ ﷺ عن نفسه ولا عن أصحابه، بل جرى ما جرى لحكمة بالغة؛ ليعلم النَّاس أنَّ محمَّدًا وأصحابه ليسوا آلهة، وليسوا قادرين على الدفع عن أنفسهم، بل أمرهم إلى الله ﷻ، كبقية الرُّسل وبقيَّة الصَّالحين، فإذا كان أفضل الخلق وأعظمهم منزلة عند الله لا يدفعون عن أنفسهم ولا يصلحون للعبادة، فغيرهم من باب أولى؛ كالبدوي، والحسين، وزينب، ونفيسة، والجيلاني وابن عربي، وغيرهم، ومن دونهم ومن فوقهم كلهم لا يصلحون للعبادة، فالصَّحابة أفضل منهم، والنَّبِيُّ أفضل من الجميع، ومع هذا لا يصلحون للعبادة، ولا يدفعون عن أنفسهم، فغيرهم من باب أولى، فقد شجَّ النَّبِيّ يوم أُحد، وكسرت رباعيته، فقال عند هذا: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**» استعظم ذلك، فقال الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] بل الأمر إلى الله، هو الَّذي يدبر الأمور ﷻ.

وهكذا دعا على جماعة يوم أُحد، دعا عليهم عليه الصَّلاة والسَّلام قال: «**اللَّهُمَّ العن فلانًا وفلانًا: الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية**» كانوا من صناديد قريش ومن كبارهم، كانوا من أشد الناس عداوة له عليه الصَّلاة والسَّلام، ثم أسلموا وهداهم الله آنذاك، لم تقبل دعوته فيهم، ولم يقبل لعنه لهم، بل هداهم الله وأسلموا، وحسن إسلامهم، فإذا كان سيد ولد آدم لم تقبل دعوته في هؤلاء، ولم يقبل سبّه لهم، وقيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فغيره من باب أولى عليه الصَّلاة والسَّلام.

وكان دعا عليهم بعد الركوع في صلاته ﷺ، قنت عليهم بسبب أعمالهم الخبيثة، ومع هذا قيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب الله عليهم وهداهم، فالله أعلم بأحوال عباده ﷻ، وأحكم جلَّ وعلا.

وهكذا حديث أبي هريرة[(١)]: «لما أنزل الله على نبيِّه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام على الصفا ونادى في الناس: **يا صباحاه!** فاجتمع الناس إليه، فقال: «**أيها الناس لو قلت لكم: إن جيشًا** ـ يعني ـ **خلف هذا الجبل يغزوكم أو يصبحكم أو يمسيكم؛ أأنتم مصدقي؟** قالوا: ما جربنا عليك كذبًا عليه الصَّلاة والسَّلام فقال: **إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال له أبو لهب عمّه قبحه الله: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله عليه:** ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]»[(٢)]. وكان من أشدهم على الرَّسول ﷺ قبَّحه الله فأنزل الله فيه هذه السورة العظيمة الدالة على كفره وضلاله، وأنَّ مثواه النار.

فالمقصود: أنه ناداهم: «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا**» يعني: لا تنفعكم قرابتي، إذا لم تؤمنوا ما تنفعكم قرابتي وأنكم عشيرتي، اشتروا أنفسكم من الله بالتوحيد، والإيمان، واتِّباع ما جاء به نبيِّه ﷺ هذا هو طريق النجاة «**يا عباس بن عبد المطلب**» وهو عم النَّبيّ ﷺ «**لا أغني عنك من الله شيئًا**» الذي يريد يشتري نفسه بالتوحيد والإيمان، وطاعة المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام واتباعه «**يا صفية عمة رسول الله** ـ ﷺ اشتري نفسك من الله، **لا أغني عنك من الله شيئًا**».

---

(١) اختلف في اسمه واسم أبيه والأرجح أنه هو: عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، الصحابي الجليل مشهور بكنيته، أسلم عام خيبر سنة (٧هـ) ومذ أسلم تفرغ للعلم وحفظ الحديث فهو أكثر الصحابة رواية للحديث له (٥٣٧٤) حديثًا توفي سنة (٧ أو ٨ أو٥٩هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٦٨٠ برقم ٨٤٢٦).

(٢) بهذا اللفظ متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] برقم (٤٨٠١) ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] برقم (٢٠٨).

ثُمَّ خص بالنذارة أقرب النَّاس إليه، فقال: «**ويا فاطمة بنت محمَّد** ﵂ **سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**» يعني: من مالي أستطيع أن أعطيك، لكن النجاة من النَّار، والفوز بالجنَّة هذا إلى الله ليس إليَّ، فَخصَّ وعمَّ بهذه النِّذارة، وبيَّن للنّاس أن الأمر بيد الله، وأنه ليس بيده ﷺ ليس بيده أن ينجي الناس من النار، أو يدخلهم الجنة، حتى قرابته حتى عمه وعمته، حتى بنته.

فعلم بهذا أن العبادة حق الله، وأنه لا يجوز طلب النجاة من النار، أو طلب الجنة من غير الله ﷻ، وإنما هذا إلى الله ﷯ الذي بيده النفع والضر، والعطاء والمنع، وإدخال الجنة، والنجاة من النار، وشفاء المرضى، ورد الغياب، إلى غير ذلك، وهذا هو شأن التوحيد والإيمان.

هذه الأحاديث والآيات الكريمات، كلها دالة على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن الواجب أيضًا عبادة الله، وهو تحقيق معنى «**لا إله إلا الله**» إذ معناها: لا معبود حقًّا إلا الله، وبهذا جاءت الآيات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] إلى غير ذلك.

فالواجب على الثَّقلين: أن يعبدوا الله وحده، وأن يدعوه وحده، وأن يخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، فلا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا به، ولا ينذر إلا له، ولا يصلى إلا له، ولا يتقرب بالذبائح إلَّا له، كل هذا حقُّ الله، لا يشرك فيه غيره، لا لملك مقرب؛ كجبرائيل، وميكائيل، ولا نبي مرسل؛ كمحمَّد، وإبراهيم، وعيسى، موسى ونحوهم، فضلًا عن غيرهم من الناس، فإذا كانت العبادة للأنبياء ممنوعة، فغيرهم من باب أولى.

فعلى المؤمن أن يعقل هذه الأمور، وأن ينتبه لها، وأن يوضح للناس حقيقة التوحيد والإيمان، وأن ينذرهم ما هم فيه من الباطل

والشِّرك بالله الذي غرَّهم به الغرور، وغرَّهم به أتباع الغرور من علماء السوء ودعاة الضلالة، الذين حُرموا البصيرة بهذا الدين، وعميت عليهم الطريقة حتى ظنوا الحقّ ضلالًا، والضلال هدى، وظنوا التوحيد شركًا، والشِّرك توحيدًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لكن يستثنى من ذلك ما تقدَّم، مما يستطيعه الإنسان القادر، فما بين النَّاس في حال الحياة والقدرة غير داخل في ما يتعلق بالعبادة والتوحيد، قد يشبه عُبَّاد الأصنام وعُبَّاد القبور بهذا، ويقولون: إن هؤلاء يمنعون أن يستعين الإنسان بأخيه في حاجاته في الدنيا، ليس هو من هذا الباب، وإنَّما هو تلبيس من أعداء الله، فإذا قلت لأخيك الحاضر الحي القادر: يا أخي! أقرضني كذا، أو أعطني كذا، أو ساعدني على إصلاح هذا البيت، أو غرس هذه الشجرة، أو إصلاح هذه السيارة، المقصود أباحه الله للناس، هذه أسباب معقولة ومقدورة بين الناس فيما بينهم، أو من طريق الكتابة، تكتب له تقول له: أعطني كذا؟ أو من طريق الهاتف التلفون، أو تكتب له برقية أو تلكس مما حدث الآن.

فالنَّاس يتصل بعضهم ببعض بهذه الأمور، الحسية وهي غير داخلة في العبادة، فإذا قلت لزيد أو عمرو عن طريق الهاتف، أو عن طريق التلكس: أرسل لنا كذا، أعطنا كذا، أرسل لنا ألف ريال، أرسلنا لنا سيارة، أرسل كذا من الأمور المعقولة والمحسوسة بين الناس، ليس لها دخل في العبادة التي يجب صرفها وتوجيهها لله، ولا ينبغي أن يلتبس هذا على المؤمن، وإن لَبَّس به أعداء الله من المشركين، وقالوا: إن دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات من جنس الطلب من الأحياء، كأن تقول: لأخيك الحي بالبرقية أو بالتلفون: أعطنا كذا، أو أرسل لنا كذا، هذا كله تلبيس وكله ضلال، ولو كان هذا جائزًا لما قاتل النَّبِيّ ﷺ قريشًا وغيرهم، ولما أنكر عليهم هذا، وبيَّن أنه شرك.

وقد قال الله ﷻ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وقال عنهم أنهم

يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فسمّاها عبادة، دعوتهم الأموات واستغاثتهم بالأموات سماه عبادة، وسمى أهله المتخذين له أنهم يقولون لهم: شفعاء ومتقربين به إلى الله، فعلم بذلك أن هذا هو الشِّرك الأكبر، وأن هذا هو دين الجاهلية، ولو كان هذا جائزًا لبيَّن لهم أنه جائز لا بأس به، فلما أنكره عليهم وقاتلهم عليه، وبيّن لهم بطلانه، وأنه شرك، وهو دين الجاهلية وأن هذا ليس من جنس قول الإنسان لأخيه الحاضر بالمشافهة أو بالمكاتبة: أرسل لي كذا، أو أعطني كذا، هذا ليس من الشِّرك في شيء، هذا تعلق بأسباب حسية معقولة مشروعة أو مرئية بين الناس فيما بينهم، إمَّا مشافهة، أو فيما يتعاطونه باليد، هكذا: خذ وهات، أو بالكتابة، أو من طريق الوسائل الحسية الجديدة، مثل الهاتف أو البرقية أو التلكس أو غير ذلك.

هذه أمور معقولة معلومة، ولها تعلق بالحس والمشاهدة ليس لها تعلق بأمور الغيب، بل هي تعلق بالأسباب الحسية التي بين الناس، فالمدعو يسمع كلامك أو يقرأ كتابك وهو حيٌّ حاضر قادر، له قدرة ليس من باب التعلق بالأموات ولا التعلق بالغائبين ولا التعلق بالملائكة ولا بالجن، ولا بالأشجار والأحجار، هذا شيء، وهذا شيء آخر، هذا لون وهذا لون آخر.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولـــى:** تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ.
- **الثـانـية:** قِصَّةُ أُحُدٍ.
- **الثـالـثـة:** قُنُوتُ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ.
- **الرابـعـة:** أَنَّ المَدْعُوَّ عَلَيْهِمِ كُفَّارٌ.

- **الخامسة:** أنهمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ لَا يَفْعَلُهَا غَالِبُ الكُفَّارِ، مِنْهَا شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَمِنْهَا التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَى، مَعَ أنهمْ بَنُو عَمِّهِمْ.
- **السادسة:** أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].
- **السابعة:** قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَآمَنُوا.
- **الثامنة:** القُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.
- **التاسعة:** تَسْمِيَةُ المَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.
- **العاشرة:** لَعْنُ المُعَيَّنِ فِي القُنُوتِ.
- **الحادية عشرة:** قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].
- **الثانية عشرة:** جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الآنَ.
- **الثالثة عشرة:** قَوْلُهُ لِلأَبْعَدِ وَالأَقْرَبِ: «**لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» حَتَّى قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» فَإِذَا صَرَّحَ وَهُوَ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ، أنه لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، وَآمَنَ الإِنْسَانُ بِأنه لَا يَقُولُ إِلَّا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ اليَوْمَ، تَبَيَّنَ لَهُ تَرْكُ التَّوْحِيدِ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.

١٥- بَابُ قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

وفي الصَّحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأنه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُم ذَلِك، حَتَى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، ـ وَصَفَه سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ـ، فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَن تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكه الشِّهَابُ قَبْلَ أَن يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَن يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَت مِنَ السَّمَاءِ»(١).

وعن النَّوَّاس بن سِمْعَان رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَن يُوحِي الأَمْرَ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتْ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَة، أَوْ قَالَ: رَعْدَة شَدِيدَة، خَوْفًا مِنْ اللهِ عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْل السَّمَاوَات صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُون أَوَّل مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيل، فَيُكَلِّمهُ اللهُ مِن وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيل عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأله مَلَائِكَتُهَا:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، ومن تفسير سورة الحجر، باب قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ [الحجر: ١٨] برقم (٤٧٠١).

مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيل؟ فَيَقُول جِبْرِيل: قَالَ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: كُلّهمْ مِثْل مَا قَالَ جِبْرِيل، فَيَنْتَهِي جِبْرِيل بِالْوَحْي إِلَى حَيْثُ أَمَرَ اللهُ ﷻ»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾» أراد المؤلف بهذه الترجمة: الرد على عُبَّاد القبور وعُبَّاد الملائكة وعُبَّاد الرُّسل وعُبَّاد الأشجار والأحجار، يبين إذا كانت الملائكة تفزع، وتخاف الله ﷻ، وتوجل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكيف يجوز أن تعبد من دون الله؟ من كان يخاف الله ويوجل منه، ويشفق، ويخاف العذاب، وهو متوعد بالعذاب إذا خالف أمر الله، كيف يعبد؟

وهكذا الرُّسل، وهكذا بقية الصَّالحين، وهكذا الجن، وهكذا غيرهم كلهم لا يستحقون العبادة، كلّهم يخافون الله، الرُّسل وغيرهم كلهم يخافون الله، وهو القادر على كل شيء جلَّ وعلا.

فالعبادة حقّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال في الرد على المشركين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هذا في وصف الأنبياء والصالحين، كلهم يرجون رحمة الله كلهم يخافون عذابه، كلهم يتقربون إليه، فلا يصلح أن يُعْبَدُوا من دون الله ﷻ.

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشامين (١/ ٣٣٦ برقم ٥٩١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح وبقية رجاله ثقات (٧/ ١٥٣ برقم ١١٢٨٨) والحديث أخرجه مختصرًا بسند صحيح أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب السُّنَّة، باب في القرآن، برقم (٤٧٣٨).

قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فالمؤلف أراد بهذا: الرَّد على جميع المشركين، وأنَّ العبادة حقّ الله وحده، وأنه لا يجوز أن يعبد مع الله لا ملائكة ولا رسل ولا أنبياء، ولا جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا صنم ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] إلى أمثال هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إذا فزع؛ يعني: زال عنها الفزع، والمراد بهم: الملائكة، إذا نزلت عليه الأحاديث، ﴿قَالُواْ مَاذَا﴾: إذا زال عنهم الفزع والخوف ورُدَّت إليهم عقولهم ﴿قَالُواْ مَاذَا﴾ ما هو الخبر؟ ما الجاري؟ ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] يعني: قال بعضهم لبعض: هو الحق؛ يعني: قال ربنا كذا، وقال ربنا كذا، فيسمعوا هذه الكلمة، فإذا سمعت الملائكة قول الرّب ﷻ، ضربت بأجنحتها خُضعانًا لقوله، ضبطت: خَضعانًا وخُضعانًا؛ يعني: خاضعين، وَجلين، مشفقين، ذليلين بين يدي الله ﷻ **«كأنه»** يعني: الكلام المسموع **«سلسلة على صفوان»** كأنه ضرب سلسلة الحديد على الصفوان. **«فيسمعها مسترق السمع»** يسمع الكلمات التي تقولها الملائكة فيما بينهم، والجن تسترق السمع، والشياطين تسترق السمع.

قال: «ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض» يعني: وصفه سفيان بن عيينة أو سفيان الثوري في رواية: وشبك هكذا، وبدد بين أصابعه هكذا، بعضه فوق بعض غير متلاصقين، بدون مماساة حتى يبلغوا عنان السماء، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨] فالشياطين بعضهم فوق بعض.

«فحرفها وبدد بين أصابعه» ويلقي الكلمة إلى من تحته، حتى يلقيها الأخير منهم على لسان الساحر أو الكاهن، فتأتيهم الشهب، يرمون

بالشهب، فربما أدرك الشّهاب هذا الشيطان قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه؛ ابتلاء وامتحانًا من الله لعباده، ولو شاء لما أخذوا شيئًا، ولكنه يبتلي عباده بما شاء ﷻ.

فعندما تجتمع هذه الكلمات عند السحرة والكهنة يكذبون معها مائة كذبة، وفي بعض الروايات: «**يزيدون**» يكذبون مائة كذبة ويزيدون من أنواع الكذب. فيصدقون في واحدة فيقول الناس فيما بينهم: «**أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فإذا صدق فيصدق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء**» يعني: يصدقونه بكذبه الكثير، وأباطيله الكثيرة بأسباب الكلمة التي سمعتها الشياطين من الملائكة واسْترقُوهَا، هذا من الامتحان والابتلاء.

فلا ينبغي لعاقل أن يَغترَّ بهؤلاء، وما قد يصدقون فيه، فإنهم إذا صدقوا في شيء، فإما أن يكون شيئًا شاهدوه في الدنيا، كما قد يخبرون بأن الزّرع في الشام كذا، في مصر كذا، في أمريكا كذا، فإن الشياطين تتساعد، ويخبر بعضها بعضًا، فتتناقل الأخبار، فتأتي بالأخبار إلى جهة أخرى لم تصلها الأخبار، فيخبر بها هذا المصروع المجنون، أو يخبر بها هذا المسترق هذا الساحر أو هذا الكاهن.

المقصود: أن هذه الأخبار التي قد يأتون بها، إمَّا أن تكون مما استرقوه ـ بواسطة الشياطين ـ من السماء، وإما بواسطة النقلة منهم من الشياطين بعضهم لبعض ينقلونها من بلاد إلى بلاد، ومن إقليم إلى إقليم، ومن قرية إلى قرية، حتى يلقوها على أوليائهم من السحرة والكهنة، فيحدثون بها الناس ويفتنون بها الناس؛ لأنهم سمعوها من هؤلاء ولم يسمعوها من غيرهم، فربما قالوا: أنهم يعلمون الغيب؛ فغرهم ما أخبروهم به، وربّما ادعوا لهم علم الغيب، فيكفرون بذلك ـ نسأل الله العافية ـ.

ففي هذا الحذر من هذه الأشياء، وأن الواجب تكذيب السحرة، وتكذيب الكهنة وعدم الإصغاء إليهم، وعدم الإصغاء إلى أخبارهم، وإن

صدقوا في بعض الأحيان، وأن الواجب عبادة الله وحده، وأن هؤلاء الذين يعبدون الملائكة أو يعبدون الأنبياء أو يعبدون الصالحين أو الجن أو الأصنام؛ عبادتهم باطلة.

فالواجب إخلاص العبادة لله وحده، ولو كان أفضل الرسل محمد عليه الصَّلاة والسَّلام لا تجوز عبادته من دون الله، بل يجب أن يعبد الله وحده، فالعبادة حق الله وحده، أمَّا حق الأنبياء، فاتباعهم، ومحبتهم عليهم الصَّلاة والسَّلام، وحق الصالحين محبتهم في الله، حق الملائكة محبتهم في الله، أمَّا أن يعبدوا من دون الله، لا، العبادة حق الله وحده.

وهكذا حديث النواس بن سمعان(١)، يقال: سِمعان بكسر السين وفتحها سَمعان، «**إن الله إذا أراد أن يوحي بالأمر، تكلم بالوحي، وإذا تكلم بالوحي؛ خرت الملائكة سجدًا لله** ﷻ» وفزعوا خوفًا منه ﷻ وتعظيمًا له وفي هذا اللفظ: «**أخذت السمٰوات رعدة، أو قال: رجفة شديدة، خوفًا من الله** ﷻ».

«**فيصعق الملائكة**» ويكون أول من يفيق جبرائيل عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنه أشرف الملائكة، وهو الرسول بين الله وبين الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، يقال: جبرائيل، ويقال: جبريل، فيأمره الله جلَّ وعلا أن يبلغ الوحي إلى من يشاء، و«**كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبرائيل؟**» فيقول: قال كذا وكذا، فينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ والمسترقون يسمعون هذا الكلام بين الملائكة، ورُبَّما حفظوا شيئًا، ورُبَّما ألقوه إلى السّحرة، ورُبَّما أحرقوا بين السماء والأرض ولم يبلغوا شيئًا، فالأمر بيد الله ﷻ.

والمقصود: من هذا كله بيان أن الواجب عبادة الله وحده، وأنَّ

(١) النواس بن سمعان بن خالد الكلابي أو الأنصاري صحابي مشهور سكن الشام مع أبيه، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأهل السنن الأربعة.
ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٦٦ برقم ٧٢٠١).

العبادة حقّ الله وحده، ليس للملائكة، ولا لغيرهم ممن هو أفضل منهم، كالرسل، ليس لهم حق العبادة، هذا حق لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] وفي هذا دلالة على خوف الملائكة من ربهم وفزعهم منه.

وفيه من الفوائد: أنَّ الشياطين تسترق السمع، وتسمع بعض الشيء من السماء، وقد ألقيت عليهم الشهب، وشدد عليهم وقت الوحي، وكانوا قبل ذلك يستمعون وبعد ذلك، لكن شدد عليهم في وقت النّبوة، فلما مات النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام صار استماعهم تارةً يصيبهم الشهاب، وتارة لا يصيبهم، ولكن لم يكن كما كان في عهد النَّبِيّ ﷺ؛ لأن الله حفظ الوحي، وصان كلامه سبحانه وتعالى من تلفيق الشياطين وكذبهم وافترائهم، وبكل حال فهم قد يسمعون شيئًا، ولكنه لا ينبغي أن يغتر بذلك، ولا ينبغي أن يقلد السحرة والكهنة في ذلك، بل يجب تكذيبهم، والإنكار عليهم، وعقوبتهم، والقضاء عليهم؛ لئلا يفتنوا الناس، ومن ادعى أنه يعلم الغيب، أو صدقهم في علم الغيب؛ صار كافرًا، نسأل الله العافية.

وفي هذا فضل الملائكة، وأنهم في طاعة الله وخدمته سبحانه وتعالى، وفضل جبرائيل، وأنه رأسهم، والسفير بين الله وبين رسله عليهم الصَّلاة والسَّلام، والله أعلم.

وفيه أيضًا من الفوائد: كلام الله، وأن الله يتكلم إذا شاء، كما تكلم بالقرآن يتكلم إذا شاء، ويأمر بما يشاء، وهكذا يوم القيامة يتكلم ويأمر جلَّ وعلا، ويخاطب أهل الجنة ويقول: «**هل رضيتم**» فكلامه حق، كلام يليق بجلاله، لا يشبه كلام المخلوقين سبحانه وتعالى.

وهكذا الإرادة إذا أراد الله، يوصف الله بالإرادة، وله إرادة جلَّ وعلا ومشيئة تليق به سبحانه وتعالى.

؟ الأسئلة:

- **السؤال:** هل استراق السمع بعد البعثة أو قبلها؟ وهل هو مستمر؟
- **الجواب:** كان في عهد النَّبيّ قليل جدًّا، لكن بعد النَّبيّ كثر، وقد كان قبل النَّبيّ موجودًا، ولكن ليس كل شيء يدركونه باستراقهم، قد يدركون شيئًا من المعارف، وقد يصيبهم الشهاب قبل أن يلقوا ما استرقوه إلى السحرة، وقد يمتحن الناس بما يدركون، وقد يحول الله بينهم وبين أهل السمٰوات بالشُّهب، فربك حكيم عليم، هذا من الابتلاء والامتحان، وهو مستمر، نسأل الله السلامة.
- **السؤال:** كيف نوفق بين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾ [الجن: ٨] واستمرار استراق السمع؟
- **الجواب:** وجود الشهب، لا يمنع من استراق السمع، مثلما أخبر النَّبِيُّ ﷺ يرمون بالشُّهب، ولكن قد يسلم بعضهم، فيبلغ الكلمة إلى السحرة والكهنة.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيه مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ الآيَةِ.
- **الثانية:** مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرك، خُصُوصًا مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الآيَةُ الَّتِي قِيلَ أنها تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرك مِنَ الْقَلْبِ.
- **الثالثة:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].
- **الرابعة:** سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.
- **الخامسة:** أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «قَالَ: كَذَا وَكَذَا».
- **السادسة:** ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ: جِبْرِيلُ.
- **السابعة:** أنه يَقُولُ لأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لأنهم يَسْأَلُونَهُ.

- **الثامنة:** أَنَّ الغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ اَلسَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ.
- **التاسعة:** ارْتِجَافُ اَلسَّمَوَاتِ لِكَلَامِ الله.
- **العاشرة:** أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ اَلَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ.
- **الحادية عشرة:** ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.
- **الثانية عشرة:** صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.
- **الثالثة عشرة:** سَبَبُ إِرْسَالُ الشِّهَابِ.
- **الرابعة عشرة:** أنه تَارَةً يُدْرِكُهُ اَلشِّهَابُ قَبْلِ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.
- **الخامسة عشرة:** كَوْنُ اَلْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ اَلأَحْيَانِ.
- **السادسة عشرة:** كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ.
- **السابعة عشرة:** أنه لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبَهُ إِلَّا بِتِلْكَ اَلْكَلِمَةِ اَلَّتِي سُمِعَتْ مِنْ اَلسَّمَاءِ.
- **الثامنة عشرة:** قَبُولُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ.
- **التاسعة عشرة:** كَوْنُهُمْ يُلْقِي بَعْضُهُمُ عَلَى بَعْضٍ تِلْكَ اَلْكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا.
- **العشرون:** إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْمُعَطِّلَةِ.
- **الحادية والعشرون:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ اَلرَّجْفَةَ وَالغَشْيَ خَوْفًا مِنْ الله ﷻ.
- **الثانية والعشرون:** أنهمْ يَخِرُّونَ لله سُجَّدًا.

١٦- بَابُ الشفاعة

وقول الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾ [الزمر: ٤٤] وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيتين [سبأ: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرَّب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون أنها لهم هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النَّبِيّ ﷺ أنه يأتي فيسجد لربّه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أوَّلًا، ثُمَّ يقال له: «ارْفَعْ رَأْسَك، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»(١).

وقال له أبو هريرة ﷺ: مَن أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك؟ قال: مَن قَالَ: «لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِن قَلْبِهِ»(٢) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥] برقم (٣٣٤٠) ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، برقم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، برقم (٩٩) و(٦٥٧٠).

وحقيقته: أنَّ الله سبحانه هو الَّذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشّفاعة بإذنه في مواضع، وقد بيَّن النَّبِيّ ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التَّوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «**باب الشَّفاعة**»: عقد هذا الباب ليبيِّن الشفاعة الشرعية عن الشفاعة البدعية، والشفاعة التي أثبتها القرآن والشفاعة التي نفاها القرآن؛ لأنَّ مسألة الشفاعة قد تعلَّق بها المشركون ويدعون غير الله ويستغيثون بغير الله رجاء الشفاعة، وقد تكلم فيها النَّاس، واضطربت أقوالهم في الشفاعة، وشذ المبتدعة فيها بكلام باطل وعقيدة باطلة، فاحتاج العلماء أن يبينوها، وأن يخصوها ببحث خاص، وباب خاص حتى يعرف المؤمن حقيقة الأمر، وحتى يكون على بصيرة في الشَّفاعة التي تنازع فيها الكفار والمسلمون وأهل البدع.

فيعرف ما جاءت به النصوص من الكتاب والسُّنَّة، ويعتقد الاعتقاد الصحيح، ويسلم من الاعتقادات الباطلة المنحرفة؛ ولهذا **قال** رحمه الله: «**باب الشَّفاعة**» يعني: باب بيان ما ثبت منها وما نفي منها الحق منها والباطل، والمثبت منها والمنفي حتى يكون على بيِّنة فيها، ويعلم ذلك صاحب الحق، وحتى تقوم الحجة على من أنكر ذلك.

ثُمَّ قال رحمه الله: «**وقول الله** ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾» يعني: أنذر يا محمَّد به بالقرآن، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: يجمعوا إلى ربهم ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فأمر الله نبيّه أن ينذر بالقرآن، والإنذار: هو الإخبار بأسباب الخوف، بأسباب الخطر؛ يعني: ينذر به المسلمين؛ لأن الكفار لم يقبلوا ولم يستجيبوا، فلهذا أمر أن ينذر به المؤمنون الذين يخافون ربهم.

﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ هذا في الشفاعة الباطلة، فإن العباد ليس لهم ولي ولا شفيع بالكلية، إلا من رضي الله قوله وعمله، ومن أذن له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فالكفار يظنون أن هناك لهم أولياء ولهم شفعاء ينقذونهم من النار ويشفعون لهم عند الله، وأنهم لا يدخلون النار بسبب هؤلاء الشفعاء حتى عبدوهم من دون الله، وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وقال الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد ولي ولا شفيع من دونه جلَّ وعلا، وأن هذه الشفاعات التي يتعلق بها الكفار باطلة، وإنَّما الشفاعة الحق هي التي يأذن الله فيها لأنبيائه وأوليائه وأهل طاعته، في أهل التوحيد والإيمان، لا في أهل الكفر والنفاق.

﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ يعني: ليتقوا الله إذا عرفوا أنه لا شفاعة ولا ولاية لغيره سبحانه؛ ليتقوه فيستقيموا على دينه ويوحدوه، ويحذروا أسباب غضبه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أمر الله نبيَّه أن يخبر الناس أن الشفاعة لله وحده، قال قبلها: قوله جلَّ وعلا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤].

فالشفاعة ملك له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أمَّا ما يدَّعيه المشركون من كون أصنامهم أو أشجارهم أو أحجارهم أو أمواتهم يشفعون لهم، هذا لا حق له، بل هو باطل؛ ولهذا نفاها الله عنهم، فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وقال أيضًا: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

فالشَّفاعة له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليست ملكًا لغيره، لا للأنبياء، ولا لغيرهم وإنَّما يشفع الأنبياء بإذنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وهكذا المؤمنون بإذنه ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤] فهو الذي يعطيها من يشاء تفضلًا منه، ويمنعها من يشاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

يقال: اللَّهُمَّ شفع فيَّ نبيك، اللَّهُمَّ شفع فيَّ عبادك المؤمنين، اللَّهُمَّ شفع فيَّ أفراطي، فضلًا منه جلَّ وعلا، اللَّهُمَّ لا تحرمني شفاعة نبيك ﷺ.

فالمطلوب منه، جلَّ وعلا، لا من غيره ﷻ، ولا مانع في الحياة أن يطلب من النَّبِيِّ ﷺ أو من غيره الشّفاعة، تقول للنبي في حياته: يا رسول الله! اشفع لي أن يغفر الله لي، اشفع لي أن يرزقني الله ولدًا أو رزقًا طيبًا، أو تقول لأخيك الطيب: يا فلان! ادعوا الله لي، اشفع لي عند الله أن الله يغفر لي، أن الله يهديني، لا بأس.

أمَّا الأموات والأشجار والأحجار والأصنام، فلا يطلب منهم شيئًا، وهكذا الغياب من الملائكة والجن لا يطلب منهم شيء، وهكذا غير الجن والملائكة؛ لأن الغائب لا يشعر بك ولا يدري عنك، فليس لك أن تطلب منه شيئًا، لاعتقادك أن له شرك، به يطلع على الغيب، أو به يسمع كلامك عن بعد، أو ما أشبه ذلك مما يعتقده الجهال والكفار.

فإنَّما يطلب هذا من الحي، إمَّا بالمشافهة، أو بواسطة الكتابة، أو الاتصال بالهاتف، أو التلكس الَّذي حدث الآن أو أشباه ذلك من الاتصالات التي تحس وتعرف وجوهها، أمَّا أن يعتقد أن هذا الميت أو هذا الحجر أو هذا الصنم أو هذه الشجرة تنفعه، فيدعوها ويستغيث بها هذا هو الشِّرك الأكبر، أو يعتقد أن الميت الفلاني أو الصنم الفلاني أو الشخص الفلاني في أقصى الدُّنيا يدري عن حاله ويعلم سره ويسمع كلامه، كل هذا باطل، كله من الشِّرك الأكبر، نسأل الله العافية.

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦] قال ﷿: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الآيتين [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

فبيّن سبحانه وتعالى أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، لا الملائكة، ولا غيرهم، وأن الملائكة في السماء لا تملك إذنًا ولا شيئًا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وهم الملائكة الذين عظمهم الله جلَّ وعلا، وجعل لهم شأنًا، فقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

فإذا كان الرُّسل وهم أفضل الخلق لا يشفعون إلا بالإذن وبالرضا، فهكذا الملائكة وإن كانوا من خيار الخلق وأفضل الخلق، فكذلك لا يشفعون إلا بإذن وبرضا، وهكذا غيرهم من باب أولى، المؤمنون، والأطفال، الأفراط، والملائكة وغيرهم، كلّهم لا يشفعون إلا بإذنه سبحانه وتعالى فالأنبياء، والملائكة، والمؤمنون، والأطفال، كلّهم لا يشفعون إلا بإذن الله ورضاه سبحانه وتعالى.

وبين جلَّ وعلا أن جميع المخلوقات الذين يدعونهم من دون الله، سواء كانوا أنبياء أو ملائكة أو غيرهم، كلهم ليس لهم قدرة على شيء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ليس لهم ملك، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢] فهم لا يستقلون بملك السموات والأرض، وليس لهم شرك في ذلك، وليس لهم أيضًا مظاهرة، وهي المساعدة، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ يعني: من معين، الله سبحانه لا يحتاج إلى أحد، ليس له شريك ولا معين ولا شفيع إلا بإذنه سبحانه وتعالى ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] لأن المتعلقين بالأنبياء أو الملائكة أو بغيرهم، إنَّما يتعلقون بأحد أمور أربعة: إمّا لأن المتعلق عليه مالك لما يطلب منه، وبيَّن الله أنهم لا يملكون الشفاعة ولا غيرها.

أو شريك لمالك، وبيَّن الله أنهم ليسوا بشركاء، أو عوين وظهير، وبيَّن الله أنه ليس له أعوان ولا مظاهرين، بل هو مستقل بكل شيء سبحانه وتعالى، بقي أمر رابع، وهو أن يكونوا شفعاء، فيعبدون لذلك، وبيَّن الله عز وجل

أنهم ليسوا شفعاء إلا بإذنه، ما من شفاعة مستقلة، كما قد يقع في الدنيا عند الملوك، قد يشفع عندهم بعض الناس بغير إذنهم، ويشفعون لشفاعته خوفًا منه أو رجاء له، أو لحاجته إليه، فقد يشفع الشافع عند الملوك والقوم ما يرغبون ذلك ويكرهون هذه الشفاعة، لكن لا حيلة لهم إلا أن ينفذوا، وأن يشفعوا عند رجل كبير أو شيخ قبيلة كبير، لو ردوا شفاعته لربما خَرَّبَ عليهم ملكهم وبلادهم، فيشفعونه خوفًا من شره، خوفًا من بلائه، أو لحاجته إليه في أمور أخرى، يستعملهم فيها، فلو ردوا شفاعته ما ساعدهم ولا أعانهم في أمورهم، فهم يشفعون بعض الناس، إمَّا خوفًا، وإمَّا لحاجة.

أمَّا الرَّبُّ فلا يحتاج إلى أحد ولا يخاف من أحد، فهو المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، ولا يخاف أحدًا ولا يرجو أحدًا؛ ولهذا لا يشفع أحد إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

«**قال أبو العباس**» أبو العباس هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيمية، الملقب بشيخ الإسلام في زمانه، والملقب بـ«**تقي الدين**» وقد كانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، أوائل المائة الثامنة، وكان مولده سنة إحدى وستين وست مئة رحمه الله تعالى[(١)].

يقول رحمه الله في هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [سبأ: ٢٢] «نفى الله سبحانه أن يكون لغيره ملك أو شريك أو عون، ولم يبق إلا الشفاعة»[(٢)] **لم يبق مما يتعلق به الكفار إلا الشفاعة، أما كونه مالكًا أو شريكًا أو عوينًا، فهذا معلوم الانتفاء.**

فقد نفى سبحانه أن يكون لغيره من النَّاس من الأنبياء والملائكة شراكة في ملك السَّمٰوات والأرض، أو ملك لها، أو مظاهرة، فلم يبق

(١) ينظر ترجمته في: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٣/ ٣٠٣) وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٧/ ٣٧٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٧٧، ٧٨).

إلَّا الشَّفاعة، فليس لأحد ملك في السَّمٰوات ولا في الأرض، ولا شركة، ولا مساعدة أو مظاهرة، فلم يبق إلَّا مجرد الشفاعة، فبيَّن سبحانه أنها لا تنفع الشَّفاعة عنده إلَّا لمن أذن له، فحينئذ بطل تعلق الكفار بالكلية من جميع الوجوه.

وسأله أبو هريرة رضي الله عنه: «من أحقّ النَّاس بشفاعتك؟ من أسعد النّاس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال: «لا إلٰه إلَّا الله خالصًا من قلبه» فأسعد النَّاس بشفاعته ﷺ هم الموحدون الَّذين يقولون: لا إلٰه إلَّا الله عن صدق، وعن إخلاص من قلوبهم.

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ**» يعني: مستجابة «**فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»(١) فبيّن عليه الصَّلاة والسَّلام أنها لا تنفع أمته إلَّا من وحّد الله وأخلص له، هذا هو الَّذي تناله الشَّفاعة، أمَّا من مات على غير الإسلام من أمته من يهود، أو نصارى، أو عرب، أو عجم، فهؤلاء لا حظ لهم في الشَّفاعة، إنَّما الشَّفاعة لأهل التوحيد في دخول الجنة، وفي إخراجهم من النَّار إذا دخلوها بمعاصيهم، فهذا كله واضح بأنَّ الشَّفاعة إنّما تكون لأهل التوحيد والإيمان، لا لأهل الشِّرك والكفران.

ثُمَّ يقول رحمه الله: **«فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون»** أي: التي يعتقدونها **«هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن»** هم يظنون أن آلهتهم تشفع لهم، وأن أصنامهم وأن الأنبياء وأن الملائكة الذين عبدوهم، أنهم يشفعون لهم شفاعة ملزمة، وأنهم لا يحتاجون إذنًا، بل يشفعون وتقبل شفاعتهم، ويحصل لهم دخول الجنة، والنجاة من النار، هذا في حق من يؤمن بالآخرة.

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مسلم في كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، برقم (١٩٩).

وأمَّا من لا يؤمن بالآخرة، فهم يعتقدون أنهم يعبدونهم؛ ليشفعوا لهم في حاجات الدُّنيا ومصالح الدنيا، من حصول رزق، أو من نفي خطر، أو عقوبات، وأشباه ذلك، وأكثر العرب لا يؤمنون بالآخرة، أكثرهم جاهليون لا يؤمنون بالآخرة، فهم يتشفعون بالملائكة وبغيرهم؛ لحظهم العاجل، ومقاصدهم العاجلة، ومن آمن منهم بالآخرة أو من غيرهم من العجم، فهم يظنون أن هؤلاء الذين عبدوهم من دون الله يشفعون لهم عند الله شفاعة ملزمة، مثل: الشَّفاعة عند الملوك وأشباه الملوك، وهذا من جهلهم وضلالهم بحقِّه ﷻ وغناه وملكه العظيم.

ويبيِّن رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «**حقيقته**»[1] أن حقيقة الأمر؛ يعني: حقيقة أمر الشفاعة، أنها تَفضُّلٌ من الله، وإحسان منه جلَّ وعلا على الشافع والمشفوع له، هذه حقيقته، فهو تفضل من الله على الشافع حيث جعله أهلًا للشفاعة؛ ليكرمه، منها: المقام المحمود للنَّبِيِّ ﷺ إذ أكرمه بالشفاعة العظمى، وسماها المقام المحمود الذي يحمده به الآخرون والأولون يوم القيامة المذكور في قوله جلَّ وعلا: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩] هذا المقام المحمود على الصحيح هو الشفاعة العظمى.

وقيل: إن المقام المحمود: أنَّ الله يُجلسه معه على العرش يوم القيامة، لكن الحديث في صحته نظر، وإنَّما المشهور عند أهل العلم أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى يوم القيامة.

ثُمَّ هي تفضل من الله جلَّ وعلا أيضًا على المشفوع فيه حيث شَفَّع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيه، وشفع غيرهم حتى عمت الرحمة هذا المشفوع فيه، وأخرج من النار، وأدخل الجنة بسبب توحيده وإسلامه، وشفاعة هؤلاء الشفعاء الأخيار فيه.

هذه الحقيقة حقيقة أمر الشفاعة، فينبغي للعاقل أن ينتبه لهذا

---

(١) هذا من قول شيخ الإسلام ابن تيمية. ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٧٨).

الأمر، وأن لا يغتر بما يقوله عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأصنام؛ لأن عبادتهم للأنبياء عليهم السلام أو لأصحاب القبور تجعلهم يدخلون الجنَّة، وتجعلهم يستحقون الشَّفاعة من هؤلاء مطلقًا، وأن شفاعتهم لا ترد فيهم، وأنهم من أهل الجنَّة بسبب ذلك، هذا غلط كبير، بل نفس ما فعلوه هو سبب حرمانهم الشفاعة، هم أتوا بشيء يحرمهم من الشَّفاعة ويمنعهم منها، وهو الشِّرك، نسأل الله السلامة.

والحاصل: أنَّ الشَّفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله ممن لا يملك شيئًا من المغيبات وغيرها، وأن الشفاعة الشرعية المثبتة هي التي تطلب من الله، بأن يستشفع فيهم الأخيار من الملائكة والأنبياء والمرسلين والأفراد من المؤمنين، فيأذن بها الله تفضلًا منه على الشافع والمشفوع له، وهي نوعان: شفاعة عامة وشفاعة خاصة، فمن الشفاعة العامة الخاصة بنبينا محمَّد ﷺ الشفاعة العظمى لأهل الموقف كلهم حتى يقضى بينهم ويفصل، وله ﷺ خاصة في أمته في أهل التوحيد والإيمان منها أنه يشفع في أهل الجنة أن يدخلوها فهذه أيضًا خاصة به ﷺ كما له شفاعة في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

وهناك شفاعة عامة له ولغيره من الأنبياء والمؤمنين والأفراط يشفعون في الموحدين، فمن شفاعته ﷺ يشفع فيمن استحق النار من أمته ألا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، وله في ذلك عدة شفاعات، ويشفع في رفع درجات أهل الجنة، فهذه الشفاعة يشترك فيها معه الأنبياء والصديقين وغيرهم، لكنها بعد إذن الله ورضاه في أهل المعاصي(١) والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: لهذه الخلاصة ما قاله سماحته في الشفاعة الشرعية، الفوائد العلمية من الدروس البازية لسماحته فوائد من كتاب التوحيد، اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه: د. عبد السلام بن عبد الله السليمان، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ طبعة الرسالة العالمية (١/ ٦٠، ٦١) وشرح سماحته لكتاب العقيدة الواسطية (٩٥ ـ ٩٨) طبعة المؤسسة عام ١٤٣٠هـ، الطبعة الأولى.

قَال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- الأولـــــــى: تَفْسِيرُ الآيَاتِ.
- الـــثـــانـــية: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المَنْفِيَّةِ.
- الـــثـــالـــثـــة: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المُثْبَتَةِ.
- الـــرابـــعـــة: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الكُبْرَى، وَهِيَ المَقَامُ المَحْمُودُ.
- الـــخـــامـــسـة: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أنه لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ؛ بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ.
- الـــســـادســـة: مَن أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِهَا؟
- الـــســـابـــعـــة: أنها لا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله.
- الـــثـــامـــنـــة: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

١٧- بَابُ قول الله تعالى:
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]

وفي الصَّحيح، عن ابن المسيب، عن أبيه قال: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ الله ﷺ وعِنْدَهُ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ وأَبو جَهْلٍ، فقَالَ لَه: «يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله» فَقَالا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَن مِلَّةِ عبد المُطَّلِبِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ فأعَادَا فَكَانَ آخِرُ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عبد المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَن يَقُولَ: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أنه عَنْكَ» فَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]»[(١)].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الباب ذكره **المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ليبيِّن أنَّ الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، وأفضلهم وآخرهم محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام لا يملكون شيئًا من أمر الله إلَّا ما ملكهم الله إيَّاه، وأنهم لا يستطيعون هداية البشر إلَّا من هداه الله، فهم مربوبون مغلوبون، ليس لهم من التصرف إلَّا ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إلٰه إلا الله، برقم (١٣٦٠) وفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] برقم (٤٦٧٥) ومسلم بزيادة في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت....، برقم (٢٤).

جعل الله لهم ﷻ ولهذا لا يصلحون؛ لأنَّ يعبدوا من دون الله، بل العبادة حقّ الله وحده؛ لأنهم مخلوقون مربوبون كسائر البشر، لكن الله أكرمهم ورفع شأنهم بالرسالة والنّبوة عليهم الصَّلاة والسَّلام، فلهم خصائصها، ولهم فضائلها، لكنها لا تقتضي أنهم يتصرفون في الكون، أو يهدون من شاءوا، أو يعلمون الغيب؛ إلا ما علّمهم الله وأخبرهم ﷻ.

وإذا كان رسول الله ﷺ هو أفضل الخلق لم يستطع أن يهدي عمه أبا طالب، ولا عمه أبا لهب، دلَّ ذلك على أن الأمر بيد الله ﷻ، وأنه هو الذي يهدي من يشاء، وهو الذي تطلب منه الهداية ﷻ، ويقال: يا رب اهدني إلى كذا، اللَّهُمَّ اهدني سواء السبيل، اللَّهُمَّ اهدني صراطك المستقيم، هو الذي بيده كل شيء سبحانه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: «**باب قول الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]» المعنى: باب بيان أن الهداية التي مضمونها الرضا بالحق وقبوله وإيثاره لا يملكها أحد إلا الله ﷻ، هذه بيد الله ﷻ، لا يملكها لا نبيٌّ مرسل، ولا ملك مقرب، ولا غيرهما، بل هي بيد الله، فهو الذي يطلب منه ﷻ الهداية، ويلجأ إليه في طلب ذلك ﷻ.

أمَّا الهداية التي بمعنى البلاغ والبيان والإرشاد والدعوة، فهذه بيد الرُّسل عليهم السلام وبيد أتباعهم من العلماء والدعاة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ [فصلت: ١٧] أي: دللناهم وأرشدناهم، فلم يقبلوا الهدى، نسأل الله العافية، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢] يعني: ترشد وتدل وتدعو إلى صراط مستقيم، فالهداية التي بمعنى البلاغ والبيان والإرشاد، هذه موجودة بيد الرسل وبيد الدعاة إلى الحق، ولكنهم لا يستطيعون أن يؤثروا في القلوب حتى تقبل الحق، وحتى تريده، وحتى تخضع له، وحتى تنكر الباطل، بل هذا بيد الله ﷻ، هو الذي يهدي من يشاء جلَّ وعلا.

«**في الصحيح عن ابن المسيب**» يعني: صحيح البخاري، وهكذا

روايته بمعناه عن سعيد بن المسيب، ابن حزن بن أبي وهب المخزومي[(١)] وهو تابعي، وأبوه صحابي وجده صحابي.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**عن أبيه المسيب**» يقال له: مسيّب بالفتح، هذا هو الأشهر، وضبطه بعضهم بالكسر، ولكن الأشهر والمعروف عند المحدثين هو فتح مسيب. «**قال: لما حضر أبا طالب الوفاة**» يعني: عم النَّبِيِّ ﷺ لما حضرته علامات قرب الأجل، أتاه النَّبِيِّ ﷺ فقال: «**يا عم! قل: لا إلٰه إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» أبو طالب كان ممن حمى النَّبِيّ ﷺ ونصره، واجتهد في الذَّب عنه والكفاح عنه في مكة، وكان كافرًا، فاحترمه الملأ من قريش، وقدروا له حمايته؛ لأنه رئيس فيهم، وكبير فيهم، وكان من حكمة الله، ومما حمى به نبيّه، أن بقي أبو طالب على دين قومه، فحمى الله به نبيّه ﷺ ودافع عنه، وجادل عنه؛ حتى أظهر الله دينه وأعلى كلمته، ثم توفي أبو طالب في مكة قبل الهجرة، فلما حضرته الوفاة، أحب النَّبِيّ ﷺ أن يدعوه إلى الحق دعوة جديدة.. دعوة خاصة عند قرب الأجل؛ لعله يهتدي، دعاه قبل ذلك ولكنه لم يستجب، مع أنه يعلم أنّ محمدًا حق، وأن دينه حق، ولكنه أبى؛ لئلا يجر على قومه وأشياخه مسبة بزعمه، كما قال في شعره:

وَلَقَدْ عَلِمتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِن خَيرِ أَديَانِ البَرِيَّةِ دِينَا
لَولَا المَلَامَةِ أَوْ حَذَارِ مَسَبَةٍ ... لَوجَدتَنِي سَمحًا بِذاكَ مُبينَا[(٢)]

ويقول في شعره الآخر:

فَو اللَّه لَولَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ ... تُجَرُ عَلَى أَشْيَاخِنا فِي المَحَافِلِ
لَكُنّا اتّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... مِنْ الدّهْرِ جِدّا غَيْرَ قَوْلِ التّهَازُلِ[(٣)]

---

(١) قال عنه الحافظ ابن حجر: هو من العلماء الأثبات والفقهاء الكبار وهو من كبار التابعين، واتفق المحدثون على قبول مراسيله، أخرج له الجماعة مات بعد السبعين. ينظر: تقريب التهذيب (ص٢٤١ برقم ٢٣٩٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٤٦٤) وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٥٥٧).

(٣) الروض الأنف شرح لامية أبي طالب (٢/ ٢٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٨).

فذكر أنه إنما منعه من الإيمان بالدين؛ لئلا يقال: إن آباءه ضالون، وأن أشياخه ضالون، نسأل الله السَّلامة والعافية، فأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله، وكان عنده أبو جهل بن هشام من رؤوس الكفرة قتل يوم بدر خبيثًا قتل كافرًا، وعنده أيضًا عبد الله بن أبي أميَّة المخزومي كافرًا ذاك الوقت وقد أسلم وهداه الله ومات على الإسلام، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؛ يعني: عبادة الأوثان والأصنام، فأعاد عليه النَّبيّ ﷺ: **«يا عم! قل: لا إلٰه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»** يعني: أشهد لك بها، وأحرص لك بها على نجاتك، فأعادا عليه الجليسان: جليسا السوء عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل: أترغب عن ملة عبد المطلب، فطاوعهما ومال إليهما، وقال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إلٰه إلا الله، وكان هذا هو آخر ما قال؛ لأنه قد سبقت له الشقاوة، ولم يرد الله له الهداية؛ لحكمة بالغة، هذا هو الحق في أمر أبي طالب، أنه مات على دين قومه، وجاءت به الأحاديث الصحيحة أن النَّبيّ ﷺ رآه في غمرات من النّار، فشفع فيه حتى صار في ضحضاح من النّار يغلي منه دماغه(١)، نسأل الله العافية.

أمَّا ما يرويه بعض الناس أنه أسلم في آخر حياته، وأنه أجاب؛ فهو موضوع لا أصل له ولا أساس له؛ لأن الأحاديث الصحيحة الثابتة كلها دالة على أنه مات على دين قومه، على الكفر بالله، نسأل الله العافية.

فقال النَّبيُّ ﷺ: **«لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك»** فأنزل الله جلَّ وعلا: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

---

(١) متفق عليه من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٣) ومسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، برقم (٢٠٩).

وأنزل في أبي طالب تسلية وتعزية للنّبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ يعني: يا محمد ﴿إِنَّكَ﴾ هذا خطاب للنَّبيِّ ﷺ ﴿لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ يعني: من أحببت هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] هذا يسلي النَّاس الذين أسلم بعض قومهم أو بعض أسرهم، ولم يسلم الآخرون، أن الأمر بيد الله جلَّ وعلا، وهكذا من أسلم ولم يسلم أبوه، أو أمه، أو أخوه، له تعزية بهذا، فعم النَّبيّ ﷺ بل عماه أبو طالب وأبو لهب، كلاهما امتنعا ولم يسلما، ولم يقدر الله لهما السلامة، ولم يقدر الله لهما الإسلام لحكمة بالغة وهو الحكيم العليم ﷻ، فلمن تأخر بعض أقاربه عن الإسلام تعزية في هذا، وأن الله هو الذي يهدي من يشاء، ويرحم من يشاء، وهو الحكيم العليم ﷻ.

وفيه دلالة: أنَّ الرسول ﷺ لا يستطيع أن يهدي أحدًا؛ ولهذا عند العامة والخاصة يقولون: عند تعذر هداية بعض أقاربهم، يقولون: محمَّد لم يهد عمه؛ يعني: فلنا فيه أسوة، فإذا لم يهتد أبوك، أو أخوك، أو عمك، أو خالك، فليس في يدك إلا الدعوة، والتوجيه، والدعاء له بالهداية، والأمر بيد الله ﷻ، لو كان أحد يستطيع أن يهدي أحدًا؛ لكان محمَّد أولى بهذا عليه الصَّلاة والسَّلام، والرسل عليهم السلام.

وهكذا إبراهيم ما هدى أباه آزر، امتنع عليه حتى مات على دين الشِّرك والضَّلالة، والعياذ بالله، وهكذا نوح لم يهد ابنه، بل أبى وخالف وصار من المغرقين، ولما طلب له وسأل له المغفرة نهي عن ذلك، وبيَّن له أنه عمل غير صالح، قال الله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فإذا كان نوح لم يستطع هداية ابنه، وإبراهيم ما هدى أباه، ومحمد ما هدى عمّيه؛ فأنت يا عبد الله من باب أولى، ليس لك أن تعترض، وأنت لا تستطيع أن تهدي لا أبًا، ولا عمًا، ولا غير ذلك من باب أولى، نسأل الله للجميع الهداية والعافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآيَةَ [القصص: ٥٦].
- **الثانية:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].
- **الثالثة:** وَهِيَ المَسْأَلَةُ، الكَبِيرَةُ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «**قُلْ: لا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» بِخِلافِ مَا عَلَيْهِ مَن يَدَّعِي العِلْمَ.
- **الرابعة:** أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَن مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ: «**قُلْ: لا إِلٰه إِلَّا اللهُ**» فَقَبَّحَ اللهُ مَن أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلامِ.
- **الخامسة:** جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلامِ عَمِّهِ.
- **السادسة:** الرَّدُّ عَلَى مَن زَعَمَ إِسْلامَ عبد المُطَّلِبِ وَأَسْلافِهِ.
- **السابعة:** كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَن ذَلِكَ.
- **الثامنة:** مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ.
- **التاسعة:** مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلافِ وَالأَكَابِرِ.
- **العاشرة:** الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ؛ لاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.
- **الحادية عشرة:** الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ؛ لأنه لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.
- **الثانية عشرة:** التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لأَنَّ فِي القِصَّةِ أنهمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ؛ فَلأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

١٨- بَابُ ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصَّالحين

وقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣] قال: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا ولَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»[(١)].

وقال ابن القيم: «قال غير واحد من السّلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»[(٢)].

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[(٣)] أخرجاه.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»[(٤)] ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة نوح، برقم (٤٩٢٠).

(٢) ينظر: كتاب إغاثة اللهفان له، (١/ ١٨٤) تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار المعرفة، بيروت عام ١٣٩٥هـ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾ [مريم: ١٦] برقم (٣٤٤٥) وأخرجه مسلم بقطعة ليس فيها موضع الشاهد، في كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزنى، برقم (١٦٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، برقم (٣٠٢٩).

قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو بالصَّالحين»** يعني: باب بيان الأدلة الدَّالة على أن أكثر كفر بني آدم؛ يعني: أغلب كفرهم وتركهم الدِّين هو الغلو في الصَّالحين، هناك أسباب أخرى من الحسد والبغي، والأغراض الدنيوية، فكثير من الناس كفروا بأسبابها من اليهود وغيرهم، لكن غالب الأمم إنَّما كفروا بسبب الغلو، هذا أغلبهم كفروا بسبب الغلو، أحبوا الصالحين، وأحبوا الأنبياء، ولجهلهم زادوا، زادوا في المحبة، فصاروا غلاة متنطعين، فوقعوا في الشِّرك.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ الآية [النساء: ١٧١] قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وهم النصارى واليهود كذلك، لكن الغلو في النصارى أكثر واليهود غلاة أيضًا، وهكذا جمٌّ غفير من عُبَّاد الأوثان والصَّالحين غلوا كذلك، وهناك قوم من اليهود وغير اليهود حملهم الحسد والبغي على الكفر بالله، وهم يعلمون حقيقة الدين، وحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ ولكن حملهم البغي، وحبّ الرِّياسة على ترك الحقِّ.

والمقصود من هذا الباب: التحذير من الغلوّ، وأن محبة الأنبياء، ومحبة الصالحين دين يدان به، ولهذا قال: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ فحب الصالحين، وحب الأنبياء من الدين، ومما شرعه الله ﷻ، فالحب في الله، والبغض في الله من أهم واجبات الإسلام، قال ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ**

(١) أخرجه في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم (٢٦٧٠).

كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أن يكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»[(١)] لكن هذا الحب الذي هو دين لا يجوز الغلو فيه، حب الأنبياء باتباعهم، والسير على منهاجهم، وطاعة أوامرهم، وترك نواهيهم، لا بعبادتهم من دون الله، والاستغاثة بهم، والنّذر لهم، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، هذا باطل، هذا من الغلو.

كذلك حب الصالحين، وحب الصحابة، وحب من بعدهم من الصالحين، والأخيار، لا يكون بالغلو فيهم، وعبادتهم من دون الله، لا، لكن يكون بالترضي عنهم، والدعاء لهم بظهر الغيب بالرحمة والمغفرة، واتِّباع سبيلهم الطيب، والسير على منهاجهم الصالح، هذا هو الذي ينبغي معهم.

أمَّا أن يُغلى فيهم، ويقال فيهم: أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم ينجدون من استعان بهم ويعطونه مطالبه، وأنه يستغاث بهم، وأنه يطلب منهم المدد، وأنه يطاف بقبورهم، هذا شرك أكبر لا يجوز، هذا ليس من محبتهم، هذا من معاداتهم، وهذا من إساءة الظن بهم، أن تعتقد أنهم يرضون منك بهذا، هذا سوء ظن بهم، هم لا يرضون بهذا منك، لا الأنبياء ولا الصالحون، بل يعادون هذا وينكرون هذا، فالواجب على أهل الإسلام أن يتقيدوا بالمحبة الشرعية، وألَّا يزيدوا على الحب الشرعي بالغلو.

«وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]» قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: **«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا؛** يعني: هلكوا في زمن متقارب أسف عليهم قومهم وحزنوا

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم (١٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان، برقم (٤٣).

عليهم وشق عليهم فراقهم، فجاءهم الشَّيطان وزين لهم، وقال لهم: صوروا صورهم، وانصبوها في مجالسهم حتى تذكروهم، تذكروا عباداتهم، وتتأسوا بهم، وقصد الخبيث أن يصيدهم ويصيد من بعدهم في وقوع الشِّرك، وقد وقع ما أراد الخبيث، فصوروهم ونصبوا صورهم في مجالسهم، فجاءهم الشَّيطان بعد ذلك، أو جاء من بعدهم فقال: إنما صنع أولائكم هذا الأمر صنعوا هذا لأنهم كانوا يستغيثون بهم، وينذرون لهم، وكانوا يقدمونهم إذا جاء الجدب والقحط، فيستغيثون بهم ويغاثون، إلى غير هذا من الأكاذيب؛ حتى عبدوها من دون الله، عبدت وصارت آلهة في قوم نوح، فجاءهم نوح عليه الصَّلاة والسَّلام وأنذرهم، ودعاهم، وأبدى وأعاد، ولكنهم أبوا واستمروا على طغيانهم وكفرهم وضلالهم، ولم يؤمن منهم إلا قليل، فلما استمروا في الطغيان والكفر والضلال، أمر الله نوحًا بصنع السفينة، فصنع السفينة، وركب فيها هو ومن آمن معه، ومن كل زوجين اثنين، ثم أرسل الله الماء على أهل الأرض من فوقهم ومن تحتهم، حتى غرقوا على آخرهم بسبب هذا الشِّرك العظيم، والذنب الوخيم، نعوذ بالله.

هذه حال الغلو أدى بأهله إلى هذه الحال، إلى الشِّرك بالله والكفر به، ثم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، نعوذ بالله.

قوله: «**وَنُسِيَ العِلْمُ**» وفي رواية البخاري: «**وَنُسِخَ العِلْمُ**» يعني: ذهب العلم الذي بذهابه زين لهم الشيطان هذا التصوير، هذا العلم ذهب، وجاء ناس لا يعلمون ولا يفهمون، فعبدوها من دون الله، وهذا يدل على أن العلم متى ذهب من الأرض، وقع فيها الباطل، فالعلم هو الذي يحارب به الجهل، وتحارب به الفتن والشرور والكبائر والشِّركيات والبدع، فإذا مات العلماء أهل الحق، ظهرت الجاهلية، وظهر الشِّرك والفساد في الأرض.

وبهذا يعلم شدة الحاجة، بل شدة الضرورة إلى علم الشريعة، إلى وجود العلماء، أهل الشرع حتى ينفوا عن كتاب الله، وعن سُنَّة

الرسول ﷺ تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، واعتقاد المبطلين، وحتى ينهوا الناس عن البدع والمنكرات، وحتى يدعوهم للتوحيد والإيمان والسنن.

وفي هذه الأزمنة الأخيرة، والقرون الأخيرة قلَّ العلم، وانتشر الشِّرك والباطل في الدنيا، وانتشرت البدع، وقلَّ المنكرون لها من أهل العلم؛ لقلّتهم وكثرة خصومهم.

«**قال ابن القيم**»: ابن القيم: هو العلامة أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الإمام المشهور والعالم الكبير، المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة رَحِمَهُ اللَّهُ(1): «**لما ماتوا** ـ يعني: مات أولئك الذين صوروا الصور ـ **عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**».

وهذا محتمل أنَّ الذين صوروها لما طال الأمد عبدوها من دون الله فتغير أمرهم ويحتمل أنهم لما ماتوا، وجاءت ذرياتهم ومن بعدهم فعلوا هذا، نسأل الله العافية، وبكل حال فالبدع والمعاصي شرها عظيم، وبلاؤها شديد على من فعلها وعلى من يأتي بعده، نسأل الله العافية.

«**قال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(2)**، عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»**» النَّبِيُّ ﷺ يحذر من إطرائه، **والإطراء**: هو المجاوزة في الحد، في المدح، هذا هو

---

(1) قُدمتْ ترجمته إلى هنا عند أول موضع ذكره من باب النشرة الآتي في (ص267). وانظر: توثيق ترجمة في طبقات الحفاظ لابن رجب (2/ 447) والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (14/ 234، 235).

(2) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي المكنى بأبي حفص والملقب بالفاروق وبأمير المؤمنين ثان الخلفاء الراشدين، ولي الخلافة عشر سنين ونصفًا، استشهد في ذي الحجة سنة 23هـ، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص412 برقم 4888).

الإطراء، يقال: أطرى فلان فلانًا جاوز الحد ووصفه بما لا ينبغي، فالرسول ﷺ ينهى أمته أن تصفه وأن تمدحه بما ليس جائزًا له، وليس في حقِّه، فلا يقال: إنه يعبد من دون الله، ولا يقال: أنه يعلم الغيب، ولا يقال: إنه يستغاث به مع الله ﷻ ولا يقال: يتصرف في الكون، كل هذا إطراء، ولكن يمدح بما هو أهله، يقال: إنه رسول الله، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه أفضل الخلق، وأنه بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، هذا حق، هذا ليس بإطراء، الإطراء هو الزيادة، وأمَّا قول البوصيري في البردة:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

هذا من الجهل والضلال؛ يعني: لا يقال: إنه ابن الله فقط ويكفي، هذا غلط لو كان هذا المراد لقال: لا تقولوا لي ابن الله، وسكت، لكن قال: «**لا تطروني**» والمعنى: لا تمدحوا المدح الزائد الذي ليس بجائز لي، وأنصار صاحب البردة يقولون: أنه يمدح بكل شيء، لكن لا يقال: إنه ابن الله فقط، هذا من جهلهم وضلالهم، فلا يُمدح إلّا بما أجاز الله وشرع الله ﷻ، وأن لا يمدح ويطرى بالشّيء الذي ليس له، بل هو من خصائص الله ﷻ، لا هو ولا غيره من الأنبياء والصالحين.

ولهذا قال بعده: «**فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» ما قال: أنا ابن الله، قال: إنّما أنا عبد، فوضح أنه عبد، نبي لله مربوب مخلوق، يجب أن لا يعبد من دون الله، ويجب ألا يطرى، ويجب أن لا يغلى فيه عليه الصَّلاة والسَّلام مع أنه أفضل الخلق، سيد ولد آدم، وله من الصفات والفضائل ما ليس لغيره، لكن لا يجوز أن يوصف بأوصاف الله، ويقال: إنه يعلم الغيب، أو يعبد من دون الله، أو يتصرف في الكون، لا، هذا غلط كبير.

والله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] وقد ضاع عقد عائشة وهم في الغزو فأمر من يطلب العقد

ويلتمسه فلم يجدوه، فلما قام البعير وجدوه تحت البعير، ولم يعلمه ﷺ وهو عنده موجود بين أيديهم، لم يعلمه هو ولا أبو بكر ولا عمر ولا بقية الصحابة ﷺ، فكلهم لا يعلمون الغيب، كلهم لا يعلمون الغيب، لا الرَّسول ﷺ ولا غيره، لا يعلم الغيب إلَّا الله ﷻ، وإنَّما يعلمون من الغيب ما علمهم الله إيَّاه وما شرعه لهم، وما بيَّنه لهم، هذا هو المعنى من الغيب، وما استأثر الله به، ولم يطلع عليه الناس، لا يعلمه إلَّا هو ﷻ.

وهكذا قوله في حديث ابن عباس ﵄: «**إِيَّاكُم وَالغُلُو فَإِنَّمَا أهلك من كان قبلكم الغلو**» هذا رواه الإمام أحمد، وبعض أهل السنن بإسناد جيِّد عن ابن عباس ﵄: «أنَّ النَّبِيَّ أمره أن يلقط له يوم حجة الوداع سبع حصيات، فالتقطهنّ ابن عباس ووضعهنَّ في يده ﷺ، فقال: «**أمثال هؤلاء فارموا، وإيَّاكم والغلو في الدين، فإنَّما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)] وهو حديث صحيح، يدل على أن الغلو في الدين من أسباب الهلاك، وهو الزيادة في الدين، والابتداع، هذا هو الغلو: الزيادة، يقال: غلا القِدر، إذا ارتفع ماؤها بسبب النار، فالغلو: هو الزيادة في الدين والابتداع في الدين ما لم يأذن به الله، هذا لا يجوز، هذا منكر على العباد أن يتقيدوا بالدين، ويقفوا عند الحدود، ولا يزيدوا، الله أكمل الدين: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] فليس لأحد أن يزيد في الصَّلاة، أو في الصِّيام، أو في الحج، أو في غير ذلك، لا، وليس له أن ينقص، بل يجب أن يتقيد بالشرع، لا زيادة ولا نقصان، هذا هو الواجب على المسلمين، فإذا زادوا وقعوا في الخطأ،

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨٣) مطلع هذا الباب، وأخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٧ برقم ٣٢٤٨)، والنسائي في كتاب مناسك الحج، باب في التقاط الحصى، برقم (٣٠٥٧)، والحاكم في المستدرك في كتاب المناسك، وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٦٣٧ برقم ١٧١١) وقد جوَّد سماحته إسناده في الشرح أعلاه.

وقعوا في البدع أو في الشِّرك الأكبر.

وهكذا قوله ﷺ في حديث مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا، والمتنطع: المتكلف المتشدد، الغالي، الذي يزيد في الأمور، ولا يكتفي بالحد المحدود، يقال له: متنطع، وأصله في الكلام، إذا صار الإنسان يتكلم بأقصى حلقه، ويتكلف بالكلام، سمي متنطعًا، وهكذا كل غال، إذا غلا يسمى متنطعًا، فلا يجوز التنطع، لا في الكلام، ولا في الفعال.

بل يجب الاقتصار على الحدِّ المحدود المشروع في كلامك بلا تنطع، فلا تزيد في الكلام على ما ينبغي، وفي أفعالك كذلك لا تزيد، بل، اقتصر على الحد المشروع في كل شيء، فلو صلى خمسًا، وقال: أنا أحب الخير، أريد أن أزيد لربي ركعة، في الظهر والعصر والعشاء، هذا قول باطل، وفعل منكر، ولو قال: المغرب ثلاث لكن أريد أن أتمها أربع ركعات من باب الفضل ومن باب الزيادة في الخير، هذا قول باطل وفعل منكر، تبطل به الصلاة، وإذا أصر على هذا يكفر، إذا قال: هذا أفضل، يكفر؛ نسأل الله العافية.

وكذلك لو قال: الفجر أريد أتركها أو أصليها أربع ليست هي باثنتين، والجمعة أربع، هذا لا يجوز، زيادة باطلة، منكرة، واعتقادها منكر، بل يفضي بقائله وفاعله إلى الردة؛ لأنه استحسن ما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى.

فالمقصود: أنه لا يزيد الإنسان ولا ينقص، ولا يتنطع، بل يقف عند الحدود المشروعة، فالله أكمل الدين وأتم النعمة، فليس لأحد، لا ملك، ولا رئيس، ولا وزير، ولا عالم، ولا تاجر، ولا غيرهم، ليس لهم أن يزيدوا في الدين، وليس لهم أن ينقصوا من الدين، بل عليهم جميعًا أن يتبعوا ولا يبتدعوا، هذا هو الواجب على جميع المسلمين.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلام، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اَلله وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ العَجَبَ.
- **الثانية:** مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ أنه بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ.
- **الثالثة:** مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ، مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ.
- **الرابعة:** قَبُولُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالفِطَرِ تَرُدُّهَا.
- **الخامسة:** أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ: مَزْجُ الْحَقِّ بِالبَاطِلِ.

فَالأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ.

وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا، فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أنهمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

- **السادسة:** تَفْسِيرُ الآيَةِ الَتِي فِي سُورَةِ نُوحٍ.
- **السابعة:** جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالبَاطِلِ يَزِيدُ.
- **الثامنة:** أنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّ البِدْعَةَ سَبَبُ الكُفْرِ.
- **التاسعة:** مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَؤُوْلُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ؛ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ.
- **العاشرة:** مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَن الغُلُوِّ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُوْلُ إِلَيْهِ.
- **الحادية عشرة:** مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى اَلقَبْرِ لأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.
- **الثانية عشرة:** مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا.

- **الثالثة عشرة:** مَعْرِفَةُ عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ، وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا.
- **الرابعة عشرة:** وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ ـ قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلامِ، وَكَوْنُ الله حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَيَ الله وَرَسُولِهِ عَنْهُ هُوَ الكُفْرُ اَلمُبِيحُ لِلدَّم وَالمَالِ.
- **الخامسة عشرة:** التَّصْرِيحُ أنهمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا اَلشَّفَاعَةَ.
- **السادسة عشرة:** ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ اَلَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.
- **السابعة عشرة:** البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**» فَصَلَوَاتُ اللهُ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ عَلَى أنْ بَلَّغَ البَلاغَ المُبِينِ.
- **الثامنة عشرة:** نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلاكِ المُتَنَطِّعِينَ.
- **التاسعة عشرة:** التَّصْرِيحُ بِأنها لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ.
- **العشرون:** أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ: مَوْتُ العُلَمَاءِ.

❋ ❋ ❋

١٩- بَابُ ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في الصحيح، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ العَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ» فَهَؤُلاءِ جَمَعُوا بَيْنَ فِتْنَتَينِ، فِتْنَةِ القُبُورِ وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ[(١)].

ولهما، عنها رضي الله عنها قالت: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهْوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ولَوْلا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أنه خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» أخرجاه[(٢)].

ولمسلم، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبِيّ ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أبواب المساجد، باب الصلاة في البيعة، برقم (٤٣٤) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، برقم (٥٢٨).

(٢) البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، برقم (١٣٣٠) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور...، برقم (٥٢٩).

فَإِنِّي أنهاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(١).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن وهو في السياق من فعله، والصَّلاة عندها من ذلك، وإن لم يبنَ مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا» فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه، فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ: «جُعِلتْ ليَ الأرضُ مسجدًا وَطَهُورًا»(٢).

ولأحمد بسند جيِّد، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمن يَتَّخِذُون القُبُورَ مَسَاجِدَ»(٣) ورواه أبو حاتم في صحيحه.

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «**باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده**» هذا الباب باب عظيم، وهكذا الأبواب

---

(١) أخرجه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور...، برقم (٥٣٢).

(٢) طرف من حديث متفق عليه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب [١] برقم (٣٣٥) وفي كتاب الصلاة، باب قول النَّبِيّ ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» برقم (٤٣٧) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب [١] برقم (٥٢١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٠٥ برقم ٣٨٤٤) والطبراني (١٠/ ١٨٨ برقم ١٠٤١٣) قال الهيثمي (٢/ ٢٧): إسناده حسن، وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (٣/ ٣٠ برقم ١١٨١٦) والبزار (٥/ ١٣٦ برقم ١٧٢٤) قال الهيثمي (٨/ ١٣) أخرجه البزار: بإسنادين في أحدهما: عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن خزيمة (٢/ ٦ برقم ٧٨٩) وللحديث أطراف أخرى قاله السيوطي في جامع الأحاديث (٩/ ٣٢٨ برقم ٨٥١٩). ولم يتيسر لي الوقوف على رواية أبي حاتم المشار إليها حتى الآن.

التي قبله أبواب عظيمة، توضح حقيقة الأمر الذي وقع فيه الناس حتى غيروا دينهم، وحتى وقعوا في الشِّرك.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء من التغليظ**» يعني: باب بيان ما جاء من الأدلة في الكتاب والسُّنَّة، من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده، إذا كان التغليظ في إذا عَبَدَ الله عند قبره، كأن صلى عند قبره، أو جلس عند قبره يدعو الله ويقرأُ هذا منكر، فكيف إذا عبده واتخذ قبره إلٰهًا من دون الله؟ يكون التغليظ أشد وأكبر؛ لأن الفعل **الأول**: وسيلة، **والثاني**: شرك أكبر، فالتعبد عند القبور والصَّلاة عندها وسيلة، فإذا عبد أصحابها ودعاهم واستغاث بهم وقعت الكارثة، ووقع الأمر الأكبر، الذي حرم الأول؛ لأنه وسيلة إلى الشِّرك الأكبر والكفر الأعظم، نسأل الله العافية.

ولهذا قال: «**باب ما جاء من التغليظ فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح**» يعني: أو نبي «**فكيف إذا عبده؟**» لأن الصالحين يشمل الأنبياء وغيرهم من عباد الله الصالحين.

«**في الصحيح، عن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[(١)] **أن أم سلمة**»[(٢)] وفي **اللفظ الثاني**: «وأم حبيبة بنت أبي سفيان[(٣)] ذكرتا للنبي ﷺ «**كنيسة رأتاها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور**»[(٤)] والكنيسة: هي معبد النصارى

---

(١) تقدم توثيق إحالة ترجمتها في (ص١٣٣).

(٢) هي: هند بنت أبي أمية المغيرة المخزومي أم المؤمنين، تزوجها النبي بعد موت زوجها أبو سلمة، سنة أربع وقيل: سنة ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة ماتت سنة (٦٢هـ) وقيل: قبل ذلك، وقيل: بعد ذلك، أخرج لها الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (ص٧٥٤ برقم ٨٦٩٤).

(٣) هي: أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان بن حرب، مشهورة بكنيتها أم حبيبة، ماتت سنة بضع وأربعين هجرية، أخرج لها الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني (ص٧٤٧ برقم ٨٥٨٨).

(٤) أخرج روايتها عنهما معًا: البخاري في كتاب الصلاة، باب هل ينبش قبور =

كانت أم سلمة وأم حبيبة قد ذهبتا مهاجرتين إلى الحبشة، مع أزواجهما أم سلمة مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وأم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فرأتا كنيسة، وما فيها من الصور، وأن كنيسة لها شأن، يقال لها: مارية، معظمة لها صور وتحسينات، فذكرتاها للنَّبِيِّ ﷺ فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح»** شك الراوي هل قال: عبد أو قال: رجل، والمعنى واحد، بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، قال: **«أولئك شرار الخلق عند الله»**.

هذا يبيِّن لنا حال النصارى، وأنهم يغلون في أمواتهم، ويعظمون كنائسهم؛ دعاية للباطل والكفر نعوذ بالله من ذلك، فإذا مات فيهم الرجل الصالح ـ النَّبِيّ، أو عبد صالح ـ بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه صور له أو له ولأتباعه، كما جرى لقوم نوح في الباب السابق.

قال النَّبِيُّ ﷺ يخاطب أم سلمة وأم حبيبة: **«أولئك شرار الخلق عند الله»** يعني: هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل هم شرار الخلق عند الله، فبيَّن ﷺ أن من فعل هذا الأمر من شرار الخلق؛ يعني: من بنى على القبور، وصور فيها الصور، هم شرار الخلق عند الله؛ لأنهم فعلوا أسباب الشِّرك، والغالب أنهم يفعلونه لاعتقادهم الشِّرك، وطلبهم فعل ذلك، فلهذا سماهم شرار الخلق، فإنهم يبنون البنايات على القبور لتعبد، ولتعظم وليستغاث بها وينذر لها، ويطلب منها المدد؛ فبهذا صاروا شرار الخلق.

وبهذا يعلم أن من فعل ذلك من هذه الأمة فقد تشبه بالنصارى وعمل عملهم، و**«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»**[(١)] والمقصود من هذا:

= مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مسجد، برقم (٤٢٧) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم (٥٢٨).

(١) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أبو داود في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، برقم (٤٠٣١).

التحذير لنا أن نفعل كفعلهم، هذا المقصود، حين ذكر هذا ﷺ حتى يحذرنا أن نفعل فعلهم، وقد وقعت الأمة في هذا البلاء العظيم، وتشبهوا بالنصارى واليهود، وأتوا من ذلك الشيء الكثير، وأعظم من سبق إلى هذا، وأكثر من سبق إلى هذا الرافضة الشيعة غلاة أهل البيت، فهم أول من بنى على القبور واتخذ عليها المساجد، وعظموها، وعبدوها من دون الله.

ثم اتبعهم غيرهم من الناس ممن ينتسبون إلى السُّنَّة وعدم التشيع، قلدوهم وشابهوهم في ذلك، فبنوا على القبور، وعظموها، واتخذوا عليها المساجد، وعبدوها من دون الله، كما هو الواقع الآن في مصر، وفي الشام، والعراق، وفي بلدان لا تحصى، عبدت القبور وبني عليها المساجد، وعبدت من دون الله ﷻ، وفرشت، وطيبت، وطيف بها، طافوا بها كما يطاف بالكعبة، كل هذا واقع، هذه الأمة وقعت فيما وقع فيه الأمم قبلها، كما أخبر به النَّبِيّ ﷺ حيث قال: «**لَتَتَبعنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبلكُمْ حَذَو القُذة، بِالقُذةِ**»[1] قد وقع، تابعوا اليهود والنصارى، بل زادوا عليهم في الشّر والفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المؤلف: فهؤلاء؛ يعني: هؤلاء الكفرة جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل، القبور عظموها وبنوا عليها، والتماثيل الصور، وكلاهما فتنة، وجود الصور فتنة، والبناء على القبور فتنة، فالنصارى جمعوا بين الفتنتين، وهكذا من شابههم من هذه الأمة ممّن صوَّر صُوَّر الصالحين والأنبياء ونصبها على قبورهم، وعظمها، أو في مجالسهم، شابهوا اليهود والنصارى، أقول: شابهوا قوم نوح الذين هلكوا، أهلكهم الله بالطوفان، بسبب غلوهم في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، كما تقدم.

«**ولهما عن عائشة**»: «**لهما**» يعني: البخاري ومسلم «**عن عائشة**» هي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها، «**قالت: لما نزل برسول الله**» نزل؛ يعني: نزل به الموت عليه الصَّلاة والسَّلام،

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه (٤/ ١٢٥ برقم ١٧١٧٥).

«**طفق يطرح**» طفق؛ أي: جعل يطرح «**خميصة له على وجهه**» الخميصة: كساء له أعلام، تارة يضعه على وجهه، وتارة يرفعه؛ لأنه يغمه فيرفعه عن وجهه في سكرات الموت.

وفي رواية أخرى يقول: «**إِنَّ لِهَذَا المَوْت سَكَرَات**»(١) عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو سيد الخلق وأفضل الخلق، أصابه شدة عند الموت عليه الصَّلاة والسَّلام؛ ليرفع الله من درجاته، وليكون أسوة لغيره ممّن يشتد به الموت من أمته عليه الصَّلاة والسَّلام.

ويقول في هذه الحالة الشديدة: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**» يحذِّر الناس أن يفعلوا فعل اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قالت عائشة: يحذِّر ما صنعوا؛ أي: ليحذرنا أن نصنع صنيعهم، قالت: «**ولولا ذلك**» أي: لولا تحذيره؛ «**لأبرز قبره**» يعني: في البقيع مع أصحابه «**غير أنه خشي**» الصحابة أن يتخذ مسجدًا، فلهذا دفنوه في حجرته في بيت عائشة؛ لئلا يُغلى فيه، لئلا يفتتن به فيتخذ مصلى ممن يأتي بعد الصحابة، الصحابة ما يفعلون هذا لعلمهم وإيمانهم، لكن خافوا ممن يأتي بعدهم من الجهلة؛ فلهذا دفنوه في بيته، وصانوه حتى لا يتخذه الجهلة مصلى، أو معبدًا يعبدونه من دون الله. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهو ﷺ مدفون في بيت عائشة مما حيل بينه وبين الناس، ثم دفنوا معه الصدِّيق أبو بكر ثم عمر فالثلاثة دفنوا في حجرة عائشة خارج المسجد ولم يكن ﷺ دفن في المسجد، وإنما أدخل القبر والحجرات قيما بعد في عهد الوليد بن عبد الملك أدخلت الحجرات وما حولها في التوسعة في المسجد ودخل بيت عائشة والقبور فيه، ولم يدفن ﷺ في المسجد، وإنما دفن في بيته فضعفاء العلم والبصيرة يحتجون بوجود

---

(١) هذه الرواية عنها: أخرجها البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم (٤٤٤٩).

قبره ﷺ في المسجد، وأن هذا مشروع وأن المساجد تبنى على القبور وهذا جهل كبير الرسول ﷺ صرح بالنهي عن ذلك.

وقد وقع بعض هذا من الجهلة عند الحجرة، إذا وصلوا إليها وصاروا ينادون: يا رسول الله افعل بنا كذا، يا رسول الله افعل لنا كذا ونحو ذلك، هذا شرك أكبر نعوذ بالله، لكنه غير مباين من وراء الجدران، وهذا يدل على غيرة الصحابة وحرصهم على سلامة هذا الدين، وحمايته من أن يقع فيه الشِّرك، وأن يضل به الناس؛ فلهذا حذروا الأمة، ونقلوا لهم الأحاديث عن رسول الله ﷺ المبينة نهيه عن اتخاذ القبور ولعنه من فعل ذلك؛ حتى لا يقعوا في هذا الأمر، فمنهم من أطاع وحماه الله وسلم، ومنهم من وقع في هذا البلاء، ولم ينتفع بهذه الأحاديث، نسأل الله العافية والسلامة.

وهكذا قوله في حديث جندب[(١)] أنه سمع الرسول ﷺ قبل أن يموت بخمس؛ يعني: خمس ليال كما في الرواية الأخرى ـ وهو يقول: «**إن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا**» هذا يدل على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى أن نبينا هو خليل الله عليه الصَّلاة والسَّلام، فإبراهيم خليل الله، وهكذا نبينا ﷺ هو خليل الله، وهو أفضل من جدّه إبراهيم عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعًا، والكل له أعلى المحبة، وأكملها، فالخليلان هما: إبراهيم ومحمد، وهما أحب الخلق إلى الله عليهما الصَّلاة والسَّلام.

وفي هذا دلالة على فضل الصديق رضي الله عنه، وأنه أفضل الصحابة، ولو جاز له أن يتخذه خليلًا لاتخذه خليلًا، لكن محمدا هو خليل الله، فلم يجز له أن يتخذ خليلًا يزاحم حبه حب الله سبحانه وتعالى، ولكن أخوة الإسلام؛ يعني: فيها الكفاية، فالصديق بإجماع أهل العلم، هو أفضل الخلق بعد

---

(١) هو: جند بن عبد الله بن سفيان البجلي أبو عبد الله له صحبة ومات بعد الستين أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٤٢ برقم ٩٧٥).

الأنبياء، وهو أفضل الصحابة ﭬ جميعًا، ثم يليه في الفضل عمر، والخلافة كذلك، ثم يليه في الفضل والخلافة عثمان، ثم في الفضل والخلافة علي رضي الله عن الجميع وأرضاهم، وأصحاب النَّبيّ ﷺ هم خير الناس، هم أفضل الناس بعد الأنبياء، وأفضلهم على الإطلاق هم هؤلاء الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عن الجميع.

«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد» عند مسلم يقول: «**أنبيائهم وصالحيهم**» سقطت هذه على المؤلف؛ لأنه نقلها من اقتضاء الصراط المستقيم، وقد سقط منه ذلك والذي في مسلم: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك»** وقد جمع في هذا التحذير عن اتخاذ المساجد من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ذم من فعل ذلك.

الوجه الثاني: قوله: **«فلا تتخذوا القبور مساجد»**.

الوجه الثالث: قوله: **«فإني أنهاكم عن ذلك»** فجمع أنواع النهي: ذم من فعل هذا، والتصريح بالنهي بقوله: لا تتخذوا، وبالفعل: فإني أنهاكم عن ذلك، هذه مبالغة منه ﷺ في التحذير من اتخاذ المساجد قبورا؛ لأن اتخاذها وسيلة قريبة إلى الشِّرك، وعبادة المقبورين من دون الله ﷻ، كما قد وقع، فبنوا على القبور وعبدوا أهلها من دون الله، كما وقع في بلدان كثيرة، وهذا معنى قوله: «**خشي أن يتخذ مسجدًا**» فإن المقصود من ذلك أن يُصلّى حوله، فإن الصَّلاة عند القبور اتخاذ لها مساجد، قال النَّبِيُّ ﷺ: **«جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»** فكل موضع يُصلى فيه يسمى مسجدًا، كل موضع يوضع للصلاة فيه يسمى مسجدًا كما في الحديث المذكور، فالله جعل الأرض مسجدًا وطهورًا، فإذا صلي عند القبر، قد جُعل معبدًا فقد اتخذ مسجدًا، مثل الذي بُنِيَ عليه، ولكن إذا بُني يكون أشد وأكثر شرًا وفتنة، فلا يجوز الصلاة عند القبور، ولا البناء عليها، ولا اتخاذ القباب عليها، كل هذا منكر، وكله من وسائل الشِّرك، وكله من عمل الجاهلية.

«وروى أحمد وأبو حاتم في صحيحه رحمة الله عليهما عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» فشرار الناس من بقوا حتى تقوم عليهم الساعة؛ لأنها لا تقوم إلا على الأشرار، على الكفار نسأل الله العافية.

أمَّا المؤمنون فتقبض أرواحهم قبل ذلك، في آخر الزمان يرسل الله ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات؛ فلا يبقى إلا الأشرار، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

وهكذا متخذي المساجد قبورًا، هم من شرار الناس؛ لأنهم يتسببون في ضلال الناس، ويتسببون في وقوعهم في الشِّرك والكفر؛ فلهذا صاروا من شرار الناس، بأسباب أعمالهم التي تضل الناس، وهي اتخاذ المساجد على القبور، وبناء القباب على القبور؛ لأن هذه أشياء تضل العامة، ويقولون: مادام بني على هذا القبر واتخذ عليه كذا وكذا؛ فهذا دليل على أنه يدعى من دون الله ويستغاث به وينذر له، فيقعون في الشِّرك بهذا السبب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فنسأل الله لنا ولكم العافية والسلامة، ونسأل الله للمشركين الهداية والرجوع إلى الصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** يوجد في بلدتنا مقبرة وفيها مسجد، ولا ندري أيهما بني أولًا؟ وأن المسجد منفصلة قبلته عن المقبرة، فهل الصلاة فيه من قبيل الصلاة عند القبور؟

○ **الجواب:** إذا لم يعرفوا أيهما بني أولا المسجد على القبر، أو القبر على المسجد، وهما منفصلان يصلون في المسجد ما دام ليس فيه قبور، لا يضر قربها منه، ولا تعتبر الصَّلاة فيه من الصَّلاة عند القبور، لكن لو فصل بين المقبرة وبين المسجد بجدار آخر، أو بطريق يكون أفضل[1].

---

(١) ينظر قريبًا من هذه الفتوى في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٦/ ٤٢٩).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــــــــى:** مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ عَلَى قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ.
- **الــثـــانـــية:** النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ، وَغِلَظُ الأَمْرِ.
- **الــثـــالــثـــة:** العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ: كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي النَّزْعِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.
- **الــرابـــعـــة:** نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ.
- **الــخــامــســة:** أنه مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ.
- **الــســادســة:** لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ.
- **الــســابــعــة:** أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُنَا عَنْ قَبْرِهِ.
- **الــثــامــنــة:** العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.
- **الــتــاســعــة:** مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا.
- **الــعـــاشـــرة:** أنه قَرَنَ بَيْنَ مَن اتَّخَذَهَا وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرك قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.
- **الحادية عشرة:** ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ: الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ السَّلَفِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ، وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرك وَعِبَادَةُ القُبُورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ.
- **الثانية عشرة:** مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ.
- **الثالثة عشرة:** مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الخُلَّةِ.
- **الرابعة عشرة:** التَّصْرِيحُ بأنها أَعْلَى مِنَ المَحَبَّةِ.
- **الخامسة عشرة:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.
- **السادسة عشرة:** الإِشَارَةُ إِلَى خِلافَتِهِ.

٢٠- بَابُ ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تعبد من دون الله

وروى مالك في الموطأ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

ولابن جرير بسنده، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قال: كان يَلتُّ لهم السَّويق، فمات؛ فعكفوا على قبره»(٢).

وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: «كانَ يَلتُّ السَّويق للحاج»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهُ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»(٤) رواه أهل السنن.

---

(١) ينظر: الموطأ رواية يحيى الليثي، أورده مرسلًا عن عطاء بن يسار عن النَّبيِّ ﷺ، أخرجه في كتاب قصر الصَّلاة في السفر، باب جامع الصَّلاة (١/ ١٣٠ برقم ٨٥).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٢/ ٥٢٣، برقم ٣٢٥٣٥، ٣٢٥٣٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] برقم (٤٨٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، برقم (٣٢٣٦) والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ من القبور مساجد، برقم (٣٢٠) والنسائي في كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور، برقم (٢٠٤٣).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول رَحِمَهُ اللهُ: «**باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله**» هذا كلام صحيح، الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا، كما تقدم في الباب السابق، باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم الدين هو الغلو في الصالحين.

وهنا **يقول**: «**باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله**» كما قد وقع، وتقدم لك الحديث، حديث ابن عباس الذي رواه أحمد وجماعة من أهل السنن أنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(١) رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.

فهذا الغلو يجعل المغلو فيه من شخص أو قبر، أو سارية أو صنم أو غير ذلك معبودًا من دون الله؛ ولهذا لما غلا الناس في بعض الصالحين، عُبدوا من دون الله، كما فعلوا مع الحسن ومع الحسين بني علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، ومع السيدة نفيسة ومع الست زينب في مصر، ومع الشيخ الجيلاني في العراق وجماعة آخرين، فالغلو في الصالحين، أو ما يسمى بالصالحين، وإن كانوا ليسوا بصالحين يجعل القبور أوثانًا تعبد من دون الله، فالمقصود من هذا: التحذير، وأنه ينبغي للمؤمن أن يحذر هذا الأمر الذي وقع فيه الناس.

فمحبة الصالحين دين، ومحبة الأنبياء دين، لكن لا يجوز الغلو فيها، يقول الله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [المائدة: ٧٧] فالله وجه النّهي إلى أهل الكتاب، والمقصود: تحذيرنا أن نفعل مثلهم، لما غلوا في أنبيائهم وصالحيهم، عبدوهم، وبنوا عليهم المساجد، وعظموهم بالشِّرك، كما

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٥ برقم ١٨٥١) وابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، برقم (٣٠٢٩).

أخبر به النَّبِيّ ﷺ؛ فهكذا هذه الأمة لما غلت وقعت في الشِّرك، غلوا في الرسول فعبدوه من دون الله، واستغاثوا به، ونذروا له، ودعوا عند قبره، واستغاثوا، ومن بعيد ومن كل مكان، ولما غلوا في بعض الصحابة كعلي رضي الله عنه والحسن، والحسين، وفاطمة وغيرهم، وآخرين من الصحابة غلا فيهم آخرون، فعبدوهم من دون الله، وهكذا من بعدهم ممن ينسب إلى الصلاح في قرون متأخرة كذلك، فالذي قاله المؤلف واقع، ودلَّ عليه قول النَّبِيّ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**».

وفي سابق الزمان لما غلا قوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، عبدوهم أيضًا.

أولًا: جاءهم الشَّيطان وقال لهم: صوروا صورهم، وانصبوها في مجالسهم للتذكار؛ لذكر عبادتهم وأعمالهم، ثم لمّا طال الأمد زين لهم أن يعبدوهم من دون الله، وقال: إن أوليكم يستغيثون بهم، يتبركون بهم، ويدعونهم، وكذا، وكذا؛ حتى وقع الشِّرك في قوم نوح، فبعث الله إليهم نوحًا عليه الصَّلاة والسَّلام، ودعاهم إلى التوحيد والإيمان فأصروا واستكبروا، ولم ينقادوا للحقِّ إلا القليل منهم الذين ركبوا مع نوح في السفينة، وأمَّا الأكثرون فأصروا على الشِّرك، فأغرقهم الله بالماء، أغرقهم غرقًا عامًّا فنزل الماء من فوقهم، ونبع الماء من تحتهم، حتى غرقوا عن آخرهم، نسأل الله العافية.

فالمقصود: أن الغلو كما وقع في سابق الزمان في قوم نوح، ووقع بعد ذلك في اليهود والنصارى، ووقع في هذه الأمة، وهو ما ذكره المؤلف رحمه الله: «**روى مالك**» هو: ابن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي القحطاني، من أصبح اليمن، إمام مشهور، وهو إمام دار الهجرة في زمانه في المائة الثانية من الهجرة، كان إمامًا عظيمًا وعالمًا جليلًا، وله أتباع ومذهبه معروف رحمه الله، توفي سنة تسع وسبعين ومئة

هجرية (١٧٩هـ) في آخر القرن الثاني[١].

«روى في موطئه» في كتابه المسمى الموطأ، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[٢] رواه مرسلًا عن عطاء بن يسار[٣]، وروي متصلًا عنه، عن أبي سعيد الخدري؛ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ...»[٤].

وروي أيضًا عن زيد بن أسلم[٥] عن النَّبِيِّ ﷺ، هذا يدل على أنهم إذا اتخذوها مساجد جعلوها أوثانًا وهو الواقع، فإنهم لما بنوا عليها على القبور واتخذوا عليها مساجد عظموها بالدعاء واستغاثوا بها، وطافوا بها ونذروا لها، فصارت أوثانًا، وهكذا مناة لما غلا فيه أهل الطائف وعظموه جعلوه وثنًا، كما قال مجاهد، كان يلت السويق للحاج، فمات، فعكفوا على قبره.

---

(١) ينظر ترجمته في: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥١٦ برقم ٦٤٢٥).

(٢) سبق تخريجه في مطلع الباب (ص٢٠٣).

(٣) الهلالي أبو محمد المدني، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة من صغار الثانية مات سنة أربع وتسعين، وقيل: قبل ذلك، أخرج له الجماعة. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٩٢ برقم ٤٦٠٥).

(٤) أخرج رواية أبي سعيد ﷺ البزار، كما في مجمع الزوائد (٢/ ٣٨ برقم ٢٠٦٥) وعنه ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٤٣) وللحديث شاهد عن أبي هريرة ﷺ، أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٤٦ برقم ٧٣٥٢).

(٥) العدوي مولى عمر أبو عبد الله المدني ثقة عالم وكان يرسل من الثالثة مات سنة (٣٦هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٢ برقم ٢١١٧) وروايته عن النبي ﷺ تعتبر مضلة، وقد أخرجها ابن أبي شيبة في كتاب صلاة التطوع والإمامة في الصلاة عند قبر النبي ﷺ (٢/ ٢٦٩ برقم ٣) وعبد الرزاق في كتاب الصلاة، باب الصلاة على القبور (١/ ٤٠٦ برقم ١٥٨٧).

كما قال ابن عباس ومجاهد: كان يلت لهم السويق فيمكثون عنده فيطعمهم، فعظموه وغلوا فيه، فلما مات عبدوه، وجعلوا عليه قبة وأستارًا، وعظموه، وصار إلٰهًا لأهل الطائف، ومن سار على طريقهم.

فيجب على المؤمن أن يحذر هذه الأشياء، وعلى المسلمين أن يحذروا هذه الأمور التي وقع فيها الجهلة في العهد الأول، ووقع فيها الجهلة في العهد الأخير، فهذا أمر مشتبه من عهد نوح إلى يومنا هذا، وهم يعبدون من غلوا فيه وعظموه، ونسبوه للصلاح، ويقولون: إنه يشفع، ندعوه، ونستغيث به وننذر له، وهو يشفع لنا عند الله، فجعلوهم قرابين يتقربون بهم، جعلوهم شفعاء بعبادتهم من دون الله؛ فالله أنكر عليهم هذا، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب تدعوهم إلى ترك ذلك، ونهاهم عن هذا الأمر، وأمرتهم الأنبياء أن يخلصوا العبادة لله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] فبيّن الرّب ﷻ أن اتخاذهم هذه الأصنام والقبور يعبدونها، أنها اتخاذ آلهة مع الله.

ولما قال الرسول ﷺ لقريش: «**يا قَوْمِ قُولُوا: لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(١) أنكروا هذا، وقالوا ما ذكر الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦] فزعموا أن ترك آلهتهم أمر لا ينبغي منهم، ولا ينبغي أن يطاوعوا من نهاهم عن ذلك، هذا لجهلهم وضلالهم، وفساد العقول، وتلوثها بالشِّرك، نسأل الله العافية.

فعرفت بهذا أن البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها من باب الغلو، وأنه يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله، ولو ما عبدوها أولًا، لو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه (٣/ ٤٩٢ برقم ١٦٠٦٦) و(٤/ ٦٣، ٣٤١، ٣٧١، ٣٧٦ برقم ١٦٦٥٤، ١٩٠٢٦، ٢٣١٩٩، ٢٣٢٤٠).

بنوا عليها قبة أو مسجد ولم يعبدوها، بعد ذلك يأتي غيرهم، أولادهم أو بعد أولادهم، فيعبدونها؛ لأن الوسائل تجر إلى الغايات، ولهذا حرم الله الوسائل، وهي البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها؛ لأنها وسيلة تجر من فعلها أو من بعده إلى أن يستغيثوا بهم، وينذروا لهم، ويطوفوا بقبورهم، فيقعوا في الشِّرك الأكبر.

وهكذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ الرسول ﷺ لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج، هذا الحديث دلَّ على **مسائل ثلاث:**

المسألة الأولى: زيارة القبور للنساء، وهي محرمة على الصحيح؛ لأن الرسول لعن زائرات القبور، فدل على أنهن لا يزرنها، وهكذا جاء في حديث حسان بن ثابت، وأبي هريرة رضي الله عنهما في معناه[(١)] فهي تدل على تحريم الزّيارة للنساء، فهي مختصة بالرجال على الصحيح.

والمسألة الثانية والثالثة: اتخاذ المساجد، والسرج على القبور، فلا يتخذ المساجد عليها؛ لما تقدم من الأحاديث؛ كقوله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٢)] متفق عليه.

ولقوله فيما رواه مسلم في الصحيح، عن جندب: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ؛ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أنهاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[(٣)] فبيَّن ﷺ أن من قبلنا كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، فبيَّن ﷺ أن من قبلنا كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وأنه ينهانا عن هذا، أن لا نتأسى بهم، وأن لا نقتدي بهم، بل نحذر ذلك.

---

(١) أخرج حديث حسان رضي الله عنه: ابن أبي شيبة في كتاب الجنائز، باب من كره زيارة القبور (٣/٢٢٦ برقم ١٠) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٣١٧٨).

(٢) سبق تخريجه (ص١٩٣).

(٣) سبق تخريجه (ص١٩٣).

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، والذَينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ**»[1] لأنهم أتوا بالوسيلة، فيجب على المؤمن أن يحذر هذه الوسائل، وأن يحذِّرها الناس في دعوته إلى الله أينما كان، يبيّن لهم أن هذه الوسائل تجر إلى الشِّرك، وأن الواجب هدم المساجد عند القبور، هدم الأبنية والقباب، وجعلها ضاحية بارزة، ليس عليها شيء، كما كان أصحاب النَّبِيّ ﷺ في عهده، وبعد عهده يجعلون قبورهم بارزة، ليس فوقها بناء، ولا قباب، ولا مساجد، بل بارزة، ضاحية للشمس، وهكذا قبور المسلمين في كل مكان، حتى حدث هؤلاء الغلاة من الرافضة، ومن تابع الرافضة، نسأل الله للجميع العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل قبر الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام يدخل في ضمن القبور المنهي عنها في زيارة النساء؟

○ **الجواب:** نعم، وهو الصريح، الصواب: أنه يدخل في ذلك؛ لأن الأحاديث عامة.

• **السؤال:** ولو لم تكرر الزيارة؛ لأن النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**لعن الله زوارات القبور**».

○ **الجواب:** جاء في بعض الروايات: «**زائرات القبور**» فلا يزرن يصلون في المسجد، ويكفي، والسلام عليه من أي مكان تبلغه ﷺ.

• **السؤال:** ما حكم الحلف بالقرآن؟ والحلف بالنَّبِيِّ؟

○ **الجواب:** القرآن كلام الله، لا بأس في الحلف به، أما الحلف بالنبي، لا، لا يجوز، النَّبِيُّ مخلوق، لا يحلف بالنَّبِيِّ ولا بغيره، إنما يحلف بالله.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ العِبَادَةِ.
- **الثالثة:** أنه ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.
- **الرابعة:** قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.
- **الخامسة:** ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنْ الله.
- **السادسة:** وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللاتِ اَلَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ اَلأَوْثَانِ.
- **السابعة:** مَعْرِفَةُ أنه قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.
- **الثامنة:** أنه اِسْمُ صَاحِبِ اَلقَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى اَلتَّسْمِيَةِ.
- **التاسعة:** لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ اَلقُبُورِ.
- **العاشرة:** لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.

٢١- بَابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشِّرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»(١) رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النَّبِيّ ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي رسول الله ﷺ قال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ»(٢) رواه في المختارة.

قال الشارح رحمه الله:

قال المؤلف رحمه الله: «باب ما جاء في حماية النَّبِيّ ﷺ جناب التوحيد، وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشِّرك» هذه الترجمة بيّن فيها المؤلف رحمه الله ما جاء به المصطفى ﷺ من حماية جناب التوحيد من

(١) أخرجه في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم (٢٠٤٢) والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧ برقم ٨٧٩٠).

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» برقم (٤٢٨) وابن أبي شيبة في كتاب صلاة التطوع...، باب في الصلاة عند قبري النبي ﷺ وإتيانه (٢/ ٢٦٨ برقم ١) وأبو يعلى في مسنده (ص١٢٤، ١٢٥ برقم ٤٦٩).

الأقوال والأفعال الشِّركية، ويأتي في آخر الكتاب أيضًا «باب ما جاء في حماية النَّبِيّ ﷺ حمى التّوحيد، وسدّه طرق الشِّرك»[(١)] وهما بابان عظيمان، جديران بالتدبر والنظر، والعناية حتى يحقق المؤمن وطالب العلم ما تضمناه.

هذا الباب وفيه: «باب ما جاء في حماية جناب التوحيد» وقال هنا: جناب، وجناب الشيء وجانبه: الجزء منه، والبعض منه، والباب الأخير قال: حمى التوحيد، والحمى غير الجانب، الحمى زائد على الجانب، وزائد على الشيء، فالأخيرة أبلغ من الأولى؛ لأن الأولى في الجانب والأخير في الحمى.

وأيضًا هذه ذكر فيها حماية جانب التوحيد من جهة الوسائل الفعلية، وهناك من جهة الوسائل القولية، وإن كان البابان يشملان هذا وهذا من حيث المعنى، لكن هنا ذكر الحماية الفعلية، وهناك الحماية القولية، فافترق البابان، وليسا بمكررين، بل هذا له شيء، وهذا له شيء، هذا من جهة الفعل، ومن جهة الجانب، وذلك من جهة القول ومن جهة الحمى، وإن كان حماه من جهة الجانب في الفعل، كذلك حماه من جهة القول، كما في الترجمة الأخرى.

«باب ما جاء في حماية جناب التوحيد، وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشِّرك» يعني: بالنَّهي عن ذلك، النَّهي عن وسائل الشِّرك، والتَّحذير منها، فقد حمى جانبه لما نهى عن وسائل الشِّرك وحذَّر منها، صار بذلك حاميًا جنابه من أن يقع أهله في الشِّرك بأفعالهم أو بأقوالهم.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] هذا هو وصفه عليه الصَّلاة والسَّلام ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ الخطاب لقريش وغيرهم ممن يعرفه، وهو خطاب في الحقيقة للأمَّة جميعًا، لكنه خاطبهم لكونهم

(١) سيأتي شرح الباب في موضعه في صفحة (٤٨١) الباب ما قبل الأخير من الكتاب.

يعرفونه ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: تعرفون نسبه، وتعرفون أمانته وصدقه، ليس بخاف عليكم هو من أنفسكم.

وهو محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهم يعرفون بني هاشم ويعرفون قريشًا، ويعرفون فضل بني هاشم، هو شيء معروف عندهم، قرأ بعضهم، قراءة شاذة: {مِنْ أَنْفَسِكُمْ} يعني: أشرفكم، والقراءة المعروفة: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: هو جزء منكم، ولد منكم معروف عندكم بالأمانة والصدق كانوا يسمونه الأمين قبل أن يوحى إليه؛ لأمانته وفضله وصدقه عليه الصَّلاة والسَّلام.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني: شاقٌّ عليه، عزَّ عليه كذا: شقَّ عليه كذا؛ يعني: شاقٌّ عليه ما يشق عليكم ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ «ما» مصدرية، المعنى: شق عليه عنتكم وحرجكم، ومضرتكم؛ يعني: يشق عليه الشيء الذي يحرجكم، ويشق عليكم، ويتعبكم؛ لرحمته بهم وعطفه عليهم، وحنوه عليهم عليه الصَّلاة والسَّلام.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يحرص على هدايتكم وإنقاذكم من النَّار، وإيصال الخير إليكم، ودفع الشر عنكم بدعائه وبأعماله، وبما يملك من مال وغيره ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فهو رؤوف بالمؤمنين، رحيم بهم، يحسن إليهم ويعطف عليهم ويواسيهم، ويذب عنهم، ولكنه غليظ على أعداء الله، شديد على أعداء الله، كما أمره الله بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم عليه الصَّلاة والسَّلام، وبأعداء الله شديد عليهم وغليظ عليهم؛ لكفرهم وضلالهم، وبعدهم عن الحقِّ، فهذه أوصافه ﷺ من أنفس قريش، ويشق عليه ما يحرجهم ويشفق عليهم، وهو حريص على هدايتهم، وعلى سلامتهم، وعلى إنقاذهم من النّار، وهو رؤوف بهم رحيم بهم؛ هذه خمس صفات تدل على أنه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يدّخر وسعًا فيما ينفعهم، وفيما يجلب الخير إليهم، وفيما يدفع الشَّر عنهم.

فالواجب عليهم وهم يعرفون هذه الصفات، أن يتّبعوه، وأن لا يعادوه، ولكن وقع العكس، وقع منهم العكس، مع معرفتهم بهذه الصفات، ومعرفتهم بأمانته وصدقه، وحرصه عليهم، وإحسانه إليهم، ورأفته ورحمته بهم مع هذا كله فهم عاملوه بالعكس، وعادوه وآذوه حتى همُّوا بقتله، بل وعزموا على قتله حتى أنجاه الله منهم، وهاجر إلى المدينة عليه الصَّلاة والسَّلام.

ثم أظهره الله عليهم، وعفا عنهم، وصفح عنهم عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذا كله مما وصفه الله من الرأفة والرحمة عليه الصَّلاة والسَّلام.

ومن كان بهذه الصفات فإنه لا يغوي أمته، بل ينهاهم عما يضرهم، ويحذِّرهم مما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم؛ ولهذا نهى عن وسائل الشِّرك، وحذّر من أسبابه، ودعا إلى التوحيد وأمر به، وحثّ الناس على لزوم الاستقامة، والبعد عن أسباب الهلاك في أحاديث لا تحصى، منها ما ذكر في الباب.

ومنها: قوله في الأبواب الماضية: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ**»[(١)] وقوله: «**إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[(٢)] وكقوله في غيرها: «**هلك المتنطعون**»[(٣)] إلى غير ذلك، كلها تدل على تحذيره من وسائل الشِّرك، فإن الغلو في الدين وسيلة، والإطراء وسيلة، والتنطع وسيلة، ومع هذا نهى عن هذا كله، قال: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٤)] هذا تحذير أيضًا من أسباب الشِّرك، ومن وسائله، فهي أدلة كثيرة كلها تدل على حمايته ﷺ جناب التّوحيد، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشِّرك.

ومن هذا ما ذكره في الباب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وصلوا عليَّ**

(١) سبق تخريجه في (ص١٨٣).
(٢) سبق تخريجه في (ص١٨٣).
(٣) سبق تخريجه في (ص١٨٤).
(٤) سبق تخريجه في (ص١٩٣).

فَإِنَّ ـ صَلاتَكُم ـ تَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ»[(١)] هذا أيضًا من حماية جناب التوحيد.

«لا تجعلوا قبري عيدًا» يعني: من تكرار المجيء إليه للدعاء عنده أو الصَّلاة عنده، أو دعائه، والاستغاثة به، أو نحو ذلك، فالعيد: ما يتكرر، ويعود باليوم أو بالأسبوع أو بالشَّهر، أو بالسنة، يقال له: عيد، فنهاهم أن يتجمعوا عند قبره، بالشهر، أو بالأسبوع، أو غير ذلك؛ ليتخذوه عيدًا، يدعون عنده، أو يجتمعون على الولائم عنده، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يقتضيه السَّلام.

أمَّا كونهم يسلمون عليه فقط، دون تجمع، ولا اتخاذهم محل قبره عيدًا، ولا محلًّا للصلاة عنده، وإنَّما هو مجرد السَّلام عليه، عليه الصَّلاة والسَّلام هذا لا يدخل في ذلك النهي، فالسَّلام عليه، وزيارة قبره من غير شد الرحل لها، لا بأس به عند أهل العلم جميعًا.

قوله: **«ولا تجعلوا بيوتكم قبورًا»** يعني: لا تجعلوها قبورًا في نفسها وبيوتكم مثل القبور لا يصلى فيها، ولا يقرأ عندها، بل اقرؤوا في البيوت، وصلوا في البيوت النوافل، ولهذا في الحديث الآخر يقول ﷺ: **«اجْعَلُوا مِن صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا»**[(٢)].

فدلَّ ذلك على أن القبور لا يصلى عندها، ولا يقرأ عندها، ولا ينبغي تشبيه البيوت بها، بل ينبغي لك أن تصلي في بيتك التهجد بالليل، صلاة النافلة، صلاة الضحى، الرَّواتب صلها في البيت أفضل، حتى لا يكون بيتك كالقبور، أمَّا الفرائض فلا بد من صلاتها في المساجد في بيوت الله جلَّ وعلا، هذا أمر معلوم، وإنَّما المراد به النوافل.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢١١).

(٢) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم (٤٣٢) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، برقم (٧٧٧).

قوله: «**وصلوا عليَّ**» هذا فيه حث على الصَّلاة عليه، عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» والمعنى: في أي مكان كنتم.

وهكذا في حديث علي بن الحسين «**عن أبيه**» هو الحسين «**عن جده**» هو علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع، وعليٌّ هذا هو الملقب بـزين العابدين، وهو من أفضل قريش وبني هاشم، ومن أفضل التّابعين رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «رأى رجلًا يأتي إلى فرجة عند قبر النَّبيّ ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، ثم قال بعد ذلك: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي، فإن تسليمكم ليبلغني أينما كنتم**».

فهذا الحديث وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] كلاهما بمعنى واحد؛ يعني: يحثهم ﷺ أن لا يتخذوا قبره عيدًا، وأن لا يخصوه بالصَّلاة عنده، بل يصلوا عليه أينما كانوا، يصلون عليه ﷺ هم في الطرق، في البلدان البعيدة، في بيوتهم، في أي مكان يصلون عليه، عليه الصَّلاة والسَّلام، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلم صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، وليس قبره فقط محل الصَّلاة، لا، بل الصَّلاة عليه مشروعة في كل مكان عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهذا علي بن الحسين زين العابدين أنكر على هذا الذي يأتي إلى الفرجة، وبيَّن له أن هذا ليس بمشروع، وأنك تسلِّم عليه وتمضي، لا تجلس عند القبر تدعو، وهكذا الحسن بن علي ابن عمه، جاء عنه «أنه رأى رجلًا يأتي إلى القبر ويدعو عنده، فقال: ما أنت ومن في الأندلس

---

(١) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، زين العابدين، قال عنه الحافظ ابن حجر: «ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور من الثالثة مات سنة (٩٣هـ) وقيل غير ذلك، أخرج له الجماعة». ينظر: تقريب التهذيب للحافظ (ص٤٠٠ برقم ٤٧١٥).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢١١).

إلا سواء، إني سمعت النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»[(١)].. إلخ.

هذه سُنَّة جاءت عن أهل البيت علي بن الحسين عن أبيه عن جده، والحسن بن علي كذلك، كلهم بيّنوا أن اتخاذ القبر عيدًا أمر منكر؛ لأنه وسيلة للشِّرك، إذا عكفوا عنده، وجعلوه محلًّا للصلاة عنده، أو الدعاء عنده جرّهم هذا إلى الشِّرك والغلو، ودعائه من دون الله ﷻ فحسم النَّبِيّ ﷺ المادة، ونهاهم عن اتخاذه عيدًا حتى لا يجرهم هذا إلى الشِّرك.

وهكذا نهى عن اتخاذ القبور مساجد؛ لأنَّ البناء عليها، وتجصيصها يجر إلى الشِّرك بها، إذا بُني على المساجد وجصصت أو أسرجت أو فرشت، صار ذلك من أسباب تعظيم العامة، وظن العامة أنها تجيب النذر، وأنها تجيب الدعاء، وأنها تنفع، وأنها، وأنها، فعبدوها من دون الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما قد وقع.

فالرسول ﷺ حمى حما التوحيد، وحمى جانب التوحيد من الطرق، ومن وسائل الشِّرك القولية والفعلية، فلا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه عليه الصَّلاة والسَّلام، فالواجب اتّباعه، والواجب امتثال أمره، والحذر من نهيه، وأن يبتعد عن كل ما يجر إلى الشِّرك، والغلو في الأموات، أو في الأنبياء عليهم السّلام أو في غيرهم من الناس، وأن يلزم المؤمن الطريق السّوي، وهو لزوم ما لزمه الصحابة، والسير على ما سار عليه الصحابة؛ اتِّباعًا لنبيهم عليه الصَّلاة والسَّلام، فلم يبنوا على قبره مسجدًا، ولم يتخذوا قبره عيدًا ولا قبر أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي، ولا غير ذلك، بل ترضوا عنهم، ودعوا لهم، ولم يحدثوا ما أحدثه الناس مع القبور اليوم من البناء عليها، واتخاذها

---

(١) أخرجه أبي شيبة في كتاب صلاة التطوع...، باب في الصلاة عند قبري النبي ﷺ وإتيانه (٢/ ٢٦٩ برقم ٢) وعبد الرزاق في كتاب الجنائز، باب السلام على قبر النبي ﷺ (٢/ ٥٧٧ برقم ٦٧٢٦).

مساجد إلى غير ذلك مما وقع من النَّاس من الطواف بها، وسؤالها، والاستغاثة بها، فالرسول ﷺ نهاهم عن وسائل الشِّرك، وهم وقعوا في الشِّرك نفسه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله السلامة.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٌ.
- **الثانية:** إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَن هَذَا الحِمَى غَايَةَ البُعْدِ.
- **الثالثة:** ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.
- **الرابعة:** نَهْيُهُ عَن زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِن أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.
- **الخامسة:** نَهْيُهُ عَنِ الإِكْثَارِ مِن الزِّيَارَةِ.
- **السادسة:** حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ.
- **السابعة:** أنه مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أنه لا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ.
- **الثامنة:** تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ، وَإِن بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَن أَرَادَ القُرْبَ.
- **التاسعة:** كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلاة والسَّلام.

٢٢- بَابُ ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتَتبعنَّ سَنَنَ مَنْ كَان قَبلَكَمْ حَذَو القَذَّة بِالقُذَّة، حَتى لَوْ دَخلُوا جُحرَ ضبٍّ لَدَخَلتمُوه، قَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ! اليَهودَ والنَّصَارى؟ قَالَ: فَمنْ؟!»[(١)] أخرجاه.

قال الشارح رحمه الله:

قال المؤلف رحمه الله: **«باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان»** يعني: باب ما جاء من الآيات والأحاديث الدالة على أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، وأنه يختل النظام، ويقع الشِّرك.

وقد جاء في هذا الباب أحاديث وآيات كلها دالة على ما ذكر المؤلف، وأن هذه الأمة غير معصومة من وقوع الشِّرك فيها، فكما قد دخل الناس في دين الله أفواجًا، ثم صاروا يخرجون من ذلك بعد ذلك، كما وقع في عهد الصِّديق رضي الله عنه من أهل الرِّدَّة، وقد وقع بعد ذلك أيضًا.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٥٦) ولفظهما: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**» إلخ بدل قوله المؤلف: «**حَذَو القُذِة بِالقُذة**» ومسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم (٢٦٦٩).

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١] فأخبر أنَّ أناسًا أوتوا نصيبًا من الكتاب، وهم اليهود والنصارى، يؤمنون ﴿بِٱلْجِبْتِ﴾: وهو السحر، ﴿وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾: وهو الشيطان، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾.

وهذا قالهُ اليهودي كعب بن الأشرف، وحيي بن أخطب، قالوا: إن قريشًا أهدى سبيلًا من محمَّدٍ وأصحابه، قالوا: وهم يعلمون أن هذا باطل، لكن قالوه عنادًا وحسدًا وبغيًا، وإلَّا فهم يعلمون أنَّ محمَّدًا هو أهدى وأصحابه أهدى، ولكن هذا من خبثهم وحسدهم وبغيهم، وخلافهم لما عندهم من الحقِّ قالوا هذا الكلام.

وقد ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ يعني: أوتوا حظًّا من الكتاب، ولكنهم لم يعملوا به، بل خالفوه، وآمنوا بالجبت والطاغوت، وقالوا في حقِّ المؤمنين ـ من محمَّد وأصحابه أ: إن قريشًا أهدى منهم سبيلًا في حال كفرهم وضلالهم، فإذا كان هذا وقع من اليهود، فهو يقع من هذه الأمة أيضًا بعد نبيّها عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ قال: «**لتَتبعنَّ سنَنَ مَن كَانَ قَبْلكُمْ**» لتأخذن مأخذ من قبلكم، فدل ذلك على أنه يوجد في أمة محمَّد ﷺ ممن ادعى الإسلام، ودخل في الإسلام من يكفر، ويقول: إن الكفرة أهدى من أتباع محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، كما قد وقع من أزمان طويلة، والآن يقع، يفضلون اليهود والنصارى والملاحدة والشيوعية على ما جاء به النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام وهذا داخل في قوله: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**».

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠] فإذا كان فيمن قبلنا من عبد الطاغوت: وهو الشيطان، وكل ما يعبد من دون الله - وهو راض - يسمى طاغوتًا فهكذا يوجد في أمة محمَّد من

يعبد الطاغوت؛ يعني: من يعبد الأوثان، بدليل قوله ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»**.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] إذا كان في الماضين من اتخذوا المساجد على القبور وعظموها، فهكذا في هذه الأمة، سيقع من يُعَمِّر المساجد على القبور، ويبنيها، وهذا قد وقع من أزمان طويلة، من عهد القرن الأول، في آخر القرن الأول من الرافضة، فهم أول من بنى المساجد على القبور، وعظم القبور بالشِّرك، والعياذ بالله.

ثم تابعهم أيضًا من يدعي الإسلام، فعظموا القبور بالبناء عليها، واتخاذ القباب عليها، والمساجد، حتى عبدت من دون الله، كما فعلوا في غالب بلدان المسلمين، اتخذت المساجد على القبور، والقباب على القبور، وعظمت، وأسرجت، وفرشت، وطيِّبت، وصار لها السدنة والدعاة إلى الشِّرك؛ كل هذا مصداق لما قاله ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»**.

«والقذة»: ريشة السهم التي كانوا يرمون بها في ذلك العهد الأول، ويجعلون الريشة في أوله وفي آخره؛ حتى يستعين بها الرامي في إصابة الهدف، فكما أن هذه تشبه هذه، فهكذا من وقع من كفار هذه الأمة، أشبهوا من قبلهم في الشِّرك بالله، وعبادة الأوثان والأصنام، نسأل الله العافية.

وكما أنه وقع في الأولين من سبِّ أتباع الرُّسل من سبِّ أتباع نوح، وأتباع هود، وأتباع صالح، وأتباع موسى، وأتباع عيسى عليه السلام هكذا وقع في هذه الأمة من سبِّ أتباع محمَّدٍ ﷺ وسبِّ أصحاب محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، كالرافضة والخوارج وأشباههم.

فكل شر ومعصية وكفر وقع في الماضين، سيقع في هذه الأمة مِثْلَهُ لقول النَّبيِّ ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»** وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلِيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى**

ذِي الخَلَصَةِ»[١] رواه البخاري.

ودوس: هم معروفون في جهة الجنوب الأدنى من اليمن، تبع هذه المملكة، في بلاد دوس وبلاد غامد وزهران وقع في عهد قريب قبل هذه الدولة، من عظَّم هذا الصنم وأعاده وطافوا به، وسوف يقع بعد ذلك أيضًا، نسأل الله السلامة، صارت نساؤهم تطوف به عبادة له من دون الله ﷻ.

وقال أيضًا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى يَلْحقَ حيٌّ مِن أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَى تَعبدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَتِي الأَوْثَانَ**»[٢] وقد وقعت.

وقالت عائشة ﵂ عن النَّبِيِّ ﷺ: «**لا تَذْهَبُ اللَّيَالي والأيامُ حَتَّى تُعبدَ اللَّاتُ والعُزَّى**» رواه مسلم[٣].

فهذا كله سوف يقع كما أخبر به النَّبِيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذا يوجب للمؤمن الحذر، وأن لا يغتر بقول من قال: إن هذه أمة مطهرة لا يقع فيها شرك، هذا باطل، هذا غلط، بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وقد عاد غريبًا كما بدأ، هؤلاء الذين يقولون: لا يقع شرك، هؤلاء جهلة، ما يعرفوا الدِّين ولا عرفوا الإسلام.

ولهذا بيَّن أهل العلم في كتبهم أن هذه الأمة يقع فيها الشِّرك، ويقع فيها الضلال، كما وقع فيمن قبلها، فالواجب الحذر؛ ولهذا قال ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[٤] لو

(١) أخرجه عن أبي هريرة ﵁ في كتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، برقم (٧١١٦).

(٢) جزء من حديث طويل، أخرجه أبو داود عن ثوبان ﵁ في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٥٢) وسيأتي تخريجه من صحيح مسلم والبرقاني في متن المؤلف ؒ في (ص٢٢٣).

(٣) أخرجه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم (٢٩٠٧).

(٤) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﵁ في كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، برقم (١٤٥).

كانت هذه الأمة مطهرة ما يقع فيها شرك، كيف يكون غريبًا؟!

فالمقصود من هذا كلّه: الدَّلالة على التَّحذير من أسباب الشِّرك ووسائله وذرائعه، والحذر من دعوة أهل الباطل وتزيينه، وهو الباطل الذي قد يلتبس على النَّاس حتى يظنوه دينًا، وحتى يظنوه شرعًا، وهو خلاف ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولمسلم عن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإنه لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[(١)].

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عليهم السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يلْحَقَ حيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَأنه سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أنه نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلهمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبارَك وَتَعَالَى»[(٢)].

---

(١) أخرجه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم بعض، برقم (٢٨٨٩).

(٢) أخرج الحديث بتمامه: أبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن =

قال الشّارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولمسلم**» يعني: وروى مسلم في صحيحه «**عن ثوبان**» مولى رسول الله ﷺ[(١)] أنه قال: «**إنَّ الله زوى لي الأرض**» يعني: زوي للنَّبِيِّ ﷺ الأرض، «**فرأيت مشارقها ومغاربها**» يعني: جمعها له حتى رآها عليه الصَّلاة والسَّلام، «**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**» وهذا مَعلم من أعلام النبوة، فإن ملك الأمة اتسع شرقًا وغربًا، ووصل في الغرب إلى طنجة وإلى أقصى المغرب، وإلى أسبانيا، ووصل في الشرق إلى الصين وما حول ذلك، وأدى ملك الصين الخراج للمسلمين، فاتسع ملكهم شرقًا وغربًا، وليس كذلك جنوبًا وشمالًا.

«**وإني أعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض**» هذه كنوز كسرى وقيصر، وهما أعظم دول في ذاك الوقت، الدولتان المذكورتان هما أعظم دول ذاك الوقت، وأشهر الدول: الروم: النصارى، والفرس: الوثنيون، وقد أعطاه الله كنوزهما، وفتح الله على أصحابه هاتين الدولتين، فإن المسلمين غزوا الروم، وغزوا فارس، واستنقذوا بلاد الشام، وبلدانًا كثيرة من أيدي الروم، وحصلوا من كنوزهم العظيمة الشيء الكثير، وهكذا استنقذوا بلاد فارس، وأخذوها من أيدي فارس، وقتلوا ملوكهم، وشردوهم، واستولوا على بلادهم، لما أصروا على

= ودلائلها، برقم (٤٢٥٢) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، برقم (١٩٥٢) الحديث بتمامه أخرجه أبو داود، وقد سبق تخريجه في (ص٢٢٨) والترمذي مختصرًا ومتفرقًا على زيادة البرقاني: في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب (٣٢) برقم (٢٢٠٢) وباب ما جاء الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩) وقد أخرجه الإمام أحمد عنه (٥/٢٧٨، ٢٨٤ برقم ٢٢٤٤٨، ٢٢٥٠٥) كما أخرجه عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٤/١٢٣ برقم ١٧١٥٦).

(١) هو: ثوبان الهاشمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحب النبي ﷺ ولازمه ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين هجرية أخرج له مسلم والأربعة والبخاري في الأدب المفرد. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ (ص١٣٤ برقم ٨٥٨).

الكفر ولم ينقادوا للإسلام، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١).

فقد وقع ذلك، فقد افتتحت في عهد عمر رضي الله عنه وعهد عثمان واستكمل فتحهما في عهد عثمان رضي الله عنه وأنفقت كنوزهما في سبيل الله، وهذا مصداق ما أخبر به النَّبيّ ﷺ هو عَلَم من أعلام النبوة: «**وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَةٍ بعامَّة، وأن لا يسلط عليها عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكها بسَنَةٍ بعامَّة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم**» يعني: من غيرهم «**فيستبيح بيضتهم**» بيضتهم: مجتمعهم، حوزتهم، وخلاصتهم «**ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**» أقطار الدنيا «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**».

هذا الحديث العظيم من أعلام النبوة، بيَّن فيه ﷺ أنه سأل ربّه أن لا يهلك الأمة بسنة بعامة؛ يعني: هلاكًا عامًّا كما جرى على قوم صالح، وقوم هود، وقوم نوح، وقوم لوط، وأشباههم، فالله رحم هذه الأمة، وحفظها من الهلاك العام؛ لأنها آخر الأمم، ولما جعل الله في نبيِّها من البركة والخير والرحمة عليه الصَّلاة والسَّلام.

هذه الأمة تبقى إلى أن تقوم الساعة على آخرها، ولا تهلك بسَنَة عامة، كما هلك من قبلها من الأمم، وكذلك دعاه: «**أن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم**» فأجاب الله دعوته، أنه لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم حتى يهلكهم، لكن قال: «**ولو اجتمع من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**» يعني:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب قول النبي: «**أحلت لكم الغنائم**»، برقم (٣١٢٠) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم (٢٩١٨).

إذا تسلطوا فيما بينهم، وتقاتلوا فيما بينهم، سلط عليهم أعداؤهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو الواقع، أنهم لما تفرقوا واختلفوا وتقاتلوا، طمع فيهم الأعداء، حتى أخذوا غالب ما في أيديهم، واستولوا على غالب ما في أيديهم من البلدان والأموال والكنوز والمعادن، وغير ذلك؛ بأسباب اختلافهم، وبأسباب تقاتلهم فيما بينهم من دهر طويل، ومن أزمان ومن قرون متقدمة.

قوله سبحانه: «إنّي إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرد» هذا حقٌّ، معناه: أن ما أبرمه الله وقضاه وقدره؛ لا يرده أحد، فما سبق في علم الله أنه واقع؛ لا يرده أحد، فقد سبق في علم الله أن هذه الأمة يقع فيها الاختلاف والنزاع، وأن دعوة الرسول ﷺ لهم لم تستجب في أنهم لا يختلفون ولا يتنازعون، بل منع هذه الدعوة، فلهذا وقع فيهم النزاع، واختلفوا في العهد الأول، كما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، ثم ما وقع بعدها من الخلافات والنزاعات الكثيرة، وما وقع يوم بغداد حين هزمت، وسلط عليهم العدو الملحد وهم: التتر، على يد رئيسهم جنكيز خان.

وهكذا وقعت أمور بعد ذلك كثيرة من اختلاف وقتال فيما بينهم، حتى جرى ما جرى، وحتى أخذ العدو منهم الشيء الكثير، بأسباب عدم تمسكهم بالحق على الوجه الأكمل، فلما غيَّروا غيِّر عليهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] وبهذا يعلم أن الأمة إذا اجتمعت على الحقِّ، وتعاونت، واستقامت، فإنها تغلب عدوها، ويخلصها الله من عدوها، ويجمع لها الخير، ومتى تفرقت، وانشق بعضها على بعض، طمع فيهم الأعداء، وسهل على الأعداء أخذ هؤلاء وأخذ هؤلاء، نسأل الله السلامة والعافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول رحمه الله: «ورواه البرقاني»(١) من حديث ثوبان تقدم حديث

(١) هو: الحافظ الكبير أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقاني أبو بكر الخوارزمي الشافعي، ولد سنة (٣٣٦هـ) ورحل في طلب العلم، كان ثبتًا ورعًا =

ثوبان الذي رواه مسلم[(١)] والبرقاني: يضم ويفتح ويكسر، مثلث الباء، بُرقاني وبَرقاني وبِرقاني على اختلاف في اسم البلد التي نسب إليها، وبعضهم قال بالفتح والكسر فقط، ولم يأت بالضم، «**ورواه البرقاني في صحيحه**»[(٢)] يعني: روى حديث ثوبان كما رواه مسلم، ثم زاد على ذلك ما نصه: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» وهذا يفيدنا أن خطرهم عظيم، الأئمة المضلون هم الولاة، ولاة السوء، وعلماء السوء، فإنهم يتبعون ويتأثر بهم النَّاس، ويستعان بهم على الباطل، فلهذا خاف منهم على أمته عليه الصَّلاة والسَّلام.

والأئمة المضلون يشمل الأمراء والحكام من القضاة، يشمل هؤلاء وهؤلاء الحاكم الضال، والقاضي الضال، كلهم ضررهم عظيم «**وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**» وقد وقع ذلك، وهذه من علامات النبوة؛ فإنه لما قتل عمر فتح باب الفتنة، ثم قتل عثمان فزاد الشَّر والبلاء.

وفي الحديث الصحيح أيضًا: «**لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**» كما تقدَّم، فهذا يدل على وقوع الشِّرك في الأمة في الجزيرة أو في غيرها، وأنها لا تقوم الساعة حتى يقع هذا في الجزيرة أو في غيرها، وقد وقع من هذا شيء كثير، فعبدوا القبور، واستغاثوا بالموتى، وتعلقوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم، وهذه هي الوثنية، نسأل الله السلامة.

= وجمع الكتب، كان عالمًا بالقرآن، والحديث والفقه والنحو، وله مصنفات في الحديث حسنة، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٢٥هـ). انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٢/ ٣٦).

(١) سبق تخريجه في (ص٢٢٣).

(٢) للبرقاني: مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه الصَّحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة، وهذا الحديث في صحيحه مما ذكره في ذلك المسند، كما نقله عن الخطيب، في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. ينظر: (ص٣٢٥).

• **مداخلة:** كيف الجمع بين حديث: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ**»(١) وبين وقوع الشِّرك فيها، وعودت عبادة الأصنام إليها؟

○ **الجواب:** نعم، هو يئس، لكنه غير معصوم، هذا يحتج به الجُهَّال وعُبَّاد الأوثان، الشيطان لا ييأس من إغواء الخلق وسدهم عن الحقِّ، قد ييئس من الشِّرك ويحصل، وقد يرجوه ولا يحصل، فهو لما رأى ظهور الدين وظهور الإسلام يئس من أن يعودوا إلى الشِّرك، فهذا لا يقع، فإنه لا تزال طائفة على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله تعالى.

أمَّا الحديث فعند أهل العلم له أجوبة عدة:

منها: أن يأسه غير معصوم، قد ييئس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ولا يحصل، ولم يقل النَّبِيُّ: «إن الله يأسه» وإنَّما يئس هو، فهو قد يرجو الشيء ولا يحصل، وقد ييئس منه ويحصل، فليس بمعصوم.

وأجاب أهل العلم بجواب آخر: وهو أنه يئس من أن يعودوا على حالهم الأولى ويطبقوا على الشِّرك، ويعودوا إلى حالهم الأولى، وهذا لا يقع؛ لأنها لا تزال طائفة على الحقِّ منصورة حتى يأتي أمر الله.

وجواب ثالث: وهو أنه أراد الصَّحابة؛ لأنه جاء في بعض روايته: «**أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّون**»(٢) و«**الْ**» هنا للعهد؛ أي: الصَّحابة قد يئس من رجوع الصَّحابة للشِّرك والكفر؛ لأن الله فتح عليهم، ووفقهم، وبصرهم، فيئس الشيطان أن يعودوا لجهلهم مثل ما في حديث عقبة رضي الله عنه: «**وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي**»(٣) يعني: أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وكل

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه (٤/ ١٢٥ برقم ١٧١٨٠).

(٢) هذه الرواية أخرجها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مسلم في كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، برقم (٢٨١٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصَّلاة على الشهيد، برقم (١٣٤٤) ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، برقم (٢٢٩٦).

هذه الأجوبة الثلاثة صحيحة، والله عصم الصحابة وحفظهم ﵃ وأرضاهم.

• **مداخلة أخرى:** هل يقع هذا وهناك أناس مسلمون؟

○ **الجواب:** نعم، وقد وقع الشِّرك، كما أخبر به النَّبيُّ ﷺ.

«وأنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النَّبِيِّين لا نبي بعدي» هذا فيه أنه يقع بعده كذابون يدعون النُّبوة، وهذا من علامات النُّبوة، فالذي أخبر به عليه الصَّلاة والسَّلام وقع، فدل على أنه رسول الله حقًّا فقد تنبأ كثيرون، وزعموا أنهم أنبياء، وهم كذابون، كفار، ضالون، منهم مسيلمة في هذه الجزيرة هنا ادَّعى النبوة، وقاتله الصَّحابة حتى قتلوه، ومنهم الأسود العنسي في اليمن، قتل أيضًا في آخر حياة النَّبِيّ ﷺ ومنهم سجاح التميمية، وقد تابت ورجعت عن غيها، ومنهم طليحة الأسدي وقد تابعه جمع غفير من أسد، ثم هداه الله وتاب، ومنهم جماعة آخرون، وآخرهم الدجال، يدعي النُّبوة، ثم يدعي أنه ربِّ العالمين قاتله الله.

«وأنا خاتم النَّبِيِّين لا نبي بعدي» هو خاتم الأنبياء ﷺ ليس بعده نبي، والمراد بهؤلاء المدعين؛ يعني: الذين يكون لهم شوكة، ويكون لهم صولة، ويكون لهم شبهة، وإلا المدعون للنُّبوة كثيرون لا يحصون، بعضهم مجنون، وبعضهم لخلل في عقله غير الجنون، وبعضهم لأسباب أخرى، لكن المقصود بالثلاثين الذين لهم شأن، ولهم شوكة، ولهم شبهة، ويتبعهم أناس.

«ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله» كذلك هذا من علامات النُّبوة، ومن البُشرى للمسلمين، وأنها لا تزال طائفة على الحق منصورة، ولم تزل هذه الطائفة والحمد لله، ونحن في القرن الخامس عشر، هذه الطائفة لا تزال إلى أن يأتي أمر الله، وذلك بالريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة، وهذه الريح تقع في آخر الزمان، وسوف تقع كما أخبر بها النَّبِيُّ ﷺ يقبض الله بها أرواح

المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الأشرار فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية والسَّلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

• **مداخلة:** هل هذه الطائفة المنصورة عمومها بأرض الشام فقط؟

○ **الجواب:** جاء في بعض الروايات أنها تكون في الشام(١) ولكن إن صحت؛ يعني: تكون في بعض الأحيان ليس دائمًا، والغالب في الروايات أنها ضعيفة، وليس لها مكان معين، قد تكون بالشام، وقد تكون في غير الشام، وقد تجتمع، وقد تفترق، ليس في الأحاديث الصحيحة ما يدل على تحديد هذا الأمر.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

• **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ المَائِدَةِ.

• **الثالثة:** تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

• **الرابعة:** وَهِيَ أَهَمُّهَا مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا اَلمَوْضِعِ؟ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بَغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانها؟

• **الخامسة:** قَوْلُهُمْ: إِنَّ اَلكُفَّارِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ: أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ المُؤْمِنِينَ.

• **السادسة:** وَهِيَ المَقْصُودَةُ بِالتَّرْجَمَةِ أَنَّ هَذَا لا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ

---

(١) فقد أخرج ذلك الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه (٥/ ٢٦٩ برقم ٢٢٣٧٤) والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٤٥ برقم ٧٦٤٣) وفي مسند الشاميين (٢/ ٢٧، برقم ٨٦٠) وقد ضعف سند الحديث لجهالة عمرو بن عبدالله الحضرمي، ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ٤٢٤ برقم ٥٠٦٨) والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٠ برقم ٢٢٤٨).

الأُمَّةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

• **السابعة:** تَصْرِيحُهُ بِوُقُوعِهَا؛ أَعْنِي: عِبَادَةَ الأَوْثَانِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ.

• **الثامنة:** العَجَبُ العُجَابُ: خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ المُخْتَارِ مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَصْرِيحِهِ أَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ.

• **التاسعة:** البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لا يَزُولُ بِالكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

• **العاشرة:** الآيَةُ العُظْمَى أنهمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ.

• **الحادية عشرة:** أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

• **الثانية عشرة:** مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ مِنْهَا إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلافِ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَإِخْبَارُهُ بِأنه أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ وَإِخْبَارُهُ بِأنه مَنَعَ الثَّالِثَةُ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأنه لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ، وَإِخْبَاره بِظُهُورِ المُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ.

• **الثالثة عشرة:** حَصْرُهُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المُضِلِّينَ.

• **الرابعة عشرة:** التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

٢٣- بَابُ ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمر رضي الله عنه: «الجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ»(١).

وقال جابر رضي الله عنه: «الطَّوَاغِيت كُهَّان كَان ينزل عليهم الشَّيطان في كل حي واحد»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرك بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ»(٣).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في السحر» السِّحر بكسر السين: هو ما يتعاطاه السحرة من عُقَد، ومن أدوية، ومن نفث في

---

(١) أورده البخاري معلقًا في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [النساء: ٤٣] قبل رقم (٤٥٨٣) ووصله الطبري في تفسيره (٨/ ٤٦٢ برقم ٩٧٦٦) وابن كثير أيضًا في تفسيره (١/ ٦٨٣) وغيرهما.

(٢) ينظر: الحاشية السابقة، وما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٢٥٣) عن إسناده وعمن وصله وما قبله.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠] برقم (٢٧٦٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٩).

العقد، ومن غير ذلك مما يتعاطاه أرباب هذا الفن يسمى سحرًا، سمي سحرًا؛ لأنهم يتعاطونه بطرق خفية، ولهذا قيل له: سحر.

و«**السِّحر**»: هو ما يسحر النَّاس ويغيّر شعورهم بأي نوع كان، لكنها في الغالب تكون خفية، فبهذا قيل: السحر، ويقال لآخر الليل: سَحر؛ لأنه يكون في آخر الليل عند هجعة النَّاس، ويقال للرئة: السحر؛ لأنها في داخل البطن في داخل الجوف مخفية.

فالسِّحر: عقد ورقى يفعلها السَّحرة، وينفثون في عقدهم وأشياء يجمعونها، وأشياء يتلقونها عن الجن الشَّياطين، حتى ينفذوها فيمن يريدون، فهو منكر ومن الشِّرك؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بخدمة الشَّياطين، والتقرب إليهم، وعبادتهم من دون الله، قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] دلَّ على أن تعلمه إيَّاه يوجب الكفر

قـــــال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ اشتراه؛ يعني: اعتاضه يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ يعني: اعتاضه وفعله، ما له عند الله من خلاق؛ يعني: من حظ ولا نصيب، هذا يدل على تحريمه وإنكاره، وأنه من المنكرات التي يجب تركها.

قال بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] فدل على أنه ضد الإيمان وضد التقوى، فالسِّحر ضد الإيمان وضد التّقوى، ومن اعتاضه واستعمله ليس له عند الله من خلاق، ولهذا قال أهل العلم: إنه من الكفر، إنه ضلال وكفر؛ لأنه لا يتوصل إليه إلا بعبادة الجن والشَّياطين.

قال بعضهم ـ يستفصل ـ: فما كان مما يتعلق بالجن وعبادة الشياطين، فهذا من الكفر بالله، وما كان من أدوية تضر ليس فيها تعلق بالشياطين ولا عبادة لهم، فهو من المحرمات والمنكرات التي فيها ظلم العباد والتعدي عليهم، فإنهم قد يتعاطون أشياء تفسد الرأس وتغير العقل، فما كان من طريق عبادة الشياطين والتقرب إلى غير الله والذبح

للجن ونحو ذلك، فهذا كفر أكبر وشرك أكبر، وما كان من تعاطي بعض الأدوية التي يتعاطونها لإفساد العقول وتغيير العقول، فهذا من الكبائر ومن ظلم العباد.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] هذه نزلت في اليهود، أخبر الله ﷻ عنهم أنهم يؤمنون بالجبت والطَّاغوت، **«الجبت»** قال عمر رضي الله عنه: هو **«السِّحر، والطَّاغوت: الشَّيطان»**.

وقال أئمة اللغة[1]: الجبت: هو الشيء الذي لا خير فيه، كل شيء لا خير فيه يسمى جبتًا، كالسِّحر، والصنم، وكل شيء لا خير فيه، والطَّاغوت: من الطغيان، وهو تجاوز الحد[2] وهذا يطلق على الشياطين من الجن والإنس، يقال لهم: طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا الحدود بكفرهم وضلالهم وعدوانهم.

«وقال جابر رضي الله عنه: «الطَّواغيت: الكُهَّان كان ينزل عليهم الشَّيطان في كل حي واحد» لأن الكُهَّان من الطَّواغيت، وعرفت أنَّ الطَّواغيت يشمل: الكُهَّان، والسَّحرة، ودعاة الضَّلالة، ومن يشرك به وهو راض كلهم يقال لهم: طواغيت.

وقال ابن القيم رحمه الله: فيه حدًّا جامعًا فقال: **«الطَّاغوت»**: ما تجاوز به العبد حده[3] يعني: كل شيء تجاوز العبد به حده من معبود أو متبوع أو مطاع، يقال له: طاغوت، من عبد من دونه وهو راض، يقال له: طاغوت، أو متبوع على غير الحقِّ وهو راض، فهو طاغوت.

---

(١) ينظر نحوًا من هذا الكلام في: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٥١) مادة: [جبت] باب الباء فصل الجيم.

(٢) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٢٠٠، مادة: [ط غ و]) باب الواو فصل الطاء.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين (ص٥٠).

وهكذا لو كان غير راض إذا كان على غير الحقّ، يدعو إليه، فهو طاغوت، أو مطاع لغير الشريعة؛ يعني: يدعو إلى غير الشَّريعة، فيسمى طاغوتًا أيضًا. فالمعبودون من دون الله وهم راضون، والمتبعون في الباطل، والمطاعون في الباطل، دعاة الضلالة، يقال لهم: طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا الحدود، وتعدوا الحدود، ورؤوسهم خمسة:

إبليس لعنه الله وهو رأسهم والدَّاعي إلى كل باطل، ومن دعا إلى عبادته كفرعون، فإنه رأس الطواغيت أيضًا، ومن عُبد وهو راضٍ كذلك، ومن ادَّعى علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله يتعمد ذلك، كل هؤلاء طواغيت، ويجمعهم ما تقدم، يجمعهم أن كل معبود وهو راض أو متبوع أو مطاع في غير الشريعة، هؤلاء يقال لهم: طواغيت.

ومن جملتهم: الكهان والسحرة، وهو الشاهد هنا: الساحر طاغوت، إذا تجاوز الحد بتعاطيه ما يؤذي النَّاس ويضر النَّاس، أو بتعاطيه دعوى علم الغيب، أو بتعاطيه عبادة الشياطين وعبادة الجن والذبح لهم والنذر لهم، فهو بهذا قد خرج عن حد العبادة، فصار من الطواغيت، لا من عباد الله، بل صار من الطواغيت الذين خرجوا عن الطريق وحادوا عن السبيل.

وكل هذا يوجب الحذر من عملهم، وأنهم طواغيت؛ لأنهم يتعاطون الشر والأذى للمسلمين، وهم السحرة، فيقال لهم: طواغيت من هذا المعنى؛ لإيذائهم وظلمهم وبعدهم عن الطريق.

«وعن أبي هريرة ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» **«اجتنبوا»** يعني: ابتعدوا عنها، سميت موبقات؛ لأنها مهلكة، الموبقة المهلكة، ثم ذكر تفصيلًا لها، فقال: **«الشِّرك بالله»** وهو أعظمها وأقبحها، وأشدُّها جريمة، **«والسِّحر»** جعله بعده؛ لأنه منه في الغالب أنَّ السِّحر من الشِّرك؛ لأنه عبادة للجن واستعانة بهم، وذبح لهم، وتقرب إليهم، هذا هو الغالب عليه.

قال: **«وقتل النَّفس التي حرم الله إلا بالحقِّ»** وهذا أيضًا من أعظم

الجرائم، والرابع: «**وأكل الربا**» والخامس: «**أكل مال اليتيم**» والسادس: «**التولي يوم الزحف**» يعني: التولي عند لقاء العدو، عند اجتماع الصفين للقتال، يخذل قومه ويتولى، نسأل الله العافية.

والسابعة: «**قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» يعني: قذفهم بالفاحشة، سُمّين غافلات؛ لأنهنَّ في الغالب لا يشعرن بمن رماهنَّ، وليس هذا خاصًّا بالنساء، لكن لما كان الغالب أنه يكون للنساء، جاء في النّص للنّساء، وإلا فقذف المحصنين كذلك، قذف الرجل المحصن المعروف بالخير أيضًا من الكبائر، يستحق صاحبه حدّ القذف.

فقذف المحصن والمحصنة من الرجال والنساء بالفاحشة يوجب حدّ القذف ثمانين جلدة، وهو من كبائر الذنوب، من الذنوب العظيمة التي يجب الحذر منها؛ لما فيه من الفساد والشر على المسلمين، وإثارة الشحناء والعداوة بين الناس، فإن المقذوف سوف يتأثر بذلك، وقد يسبب الشحناء بينه وبين القاذف، وربما أفضى إلى فتن وقتال وعداوات، وربما تعدى إلى القبيلة والأسر جميعها، فشر القذف عظيم، وقد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه من الفتن، فلهذا حرمه الله ﷻ وحذر منه عباده، وجاء فيه الوعيد، فالله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ٢٣] نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

المقصود: أنَّ هذه السبع من أخبث الجرائم ومن أقبح الجرائم الكبائر، فيجب الحذر منها، ومن جملتها: السِّحر، فهو جريمة كفرية عظيمة يجب الحذر منها، ويأتي بقية الكلام في السِّحر إن شاء الله فيما بعد هذا.

؟ الأسئلة:

● **السؤال**: ما معنى: من دعا النَّاس إلى عبادة نفسه؟

○ **الجواب**: يعني: قال: ادعوني وأنا أفعل لكم كذا.. اذبحوا لي.. انذروا لي وأنا أقضي حاجتكم، مثلما يفعله بعض المعبودين من غير الله.

• **السؤال:** ما حكم المسلم الذي يذهب إلى الساحر مثلًا ليسحر واحدًا مثل زوجته، أو أي أحد آخر؟

○ **الجواب:** لا يجوز تعاطي هذا الأمر، ولو ظنَّ أن فيها سحرًا، لكن تعالج بالأدوية الشرعية، أمَّا الذهاب إلى السَّحرة، فالصحيح عند أهل العلم أنه لا يجوز، ولو من باب التداوي، ولو أنه لا يرضى بذلك، لكن من باب التداوي، لا، لا يجوز؛ لأن ذهابه إليهم معناه: دعوتهم إلى أن يشركوا.. دعوته إلى أن يفعلوا ما هو محرم، نسأل الله العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»(١) رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري، عن بجالة بن عبدة، قال: «كَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»(٢).

وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ»(٣) وكذلك صح عن جندب، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الحدود، باب حد الساحر، برقم (١٤٦٠) والحاكم في المستدرك في كتاب الحدود برقم (٨٠٧٣) وقال: صحيح غريب، ووافقه الذهبي على ذلك التلخيص مع المستدرك (٤/ ٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري مختصرًا دون موضع الشاهد في كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة، برقم (٣١٥٦) وبوضع الشاهد مع زيادة فعل حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه الإمام الشافعي في مسنده (ص٣٨٣ برقم ١٧٦١) وعنه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب القسامة، أبواب جماع حكم الساحر، باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح، برقم (١٦٩٦٦).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ بلاغًا عن سعد بن زرارة، في كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر (ص٥٧٤ برقم ١٤) والبيهقي في السنن الكبرى، عن ابن عمر في الكتاب والباب السابقين، برقم (١٦٩٦٧).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «وعن جندب مرفوعًا» يعني: قاله الرَّسول ﷺ: **«حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»** إذا قال العلماء: مرفوعًا؛ يعني: إلى النَّبِيِّ ﷺ أو قالوا: رفعه، أو رواية، أو يرويه؛ يعني: إلى النَّبِيِّ ﷺ.

والصواب في هذا الخبر كما قال الترمذي أنه موقوف، وليس من كلام النَّبِيّ ﷺ ولكن له حكم الرفع، فإن مثل هذا القول لا يقال من قبل الرأي، فهو موقوف، وذلك أنَّ جندبَ بن بكير الأزدي المعروف بجندب الخير، وهو أحد الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والصَّحابة فيهم من يقال فيه: جندب بن عبد الله بن حزام البجلي المعروف، وفيهم: جندب بن بكير الأزدي(١) هذا يقال: أنه جاء إلى مجلس فيه الوليد بن يزيد الفاسق، وعنده ساحر يقطع رأسه بزعمه، ويريه النَّاس ثم يعيده، فجاءه جندب من طريقة لم يشعر بها هذا اللَّاعب فضربه بالسَّيف وقتله، وقال: «إن كان صادقًا فليرجع رأسه إلى نفسه» وقال: **«حد الساحر ضربه بالسيف»** من كلامه؛ يعني: هذا هو الذي استنبطه من الأدلة الشرعية، فلهذا قال: **«حد الساحر ضربه بالسيف»** وبعضهم رواه مرفوعًا.

والصواب أنه من كلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهذا مثلما فعل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين أمر بقتل السحرة، مراد جندب أنَّ السَّاحر يقتل ولا يستتاب؛ لأن توبته لا تزيل أذاه وضرره، فقد يظهر التوبة ويكذب، ويبقى ضرره على الناس، فمتى ثبت سحره، وجب قتله لئلا يضر الناس.

---

(١) ينظر ترجمتهما في: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٤٢ برقم ٩٧٥ و٩٧٧) وقد سبقت ترجمة جندب البجلي في ص(١٩٩). وجند الخير: هو أبو عبد الله جندب بن بكير الأزدي، وقيل: ابن كعب، وقيل: ابن زهير، اختلف في صحبته، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقد أخرج له الترمذي، قال أبو عبيدة: قتل بصفين. ينظر: التقريب (ص١٤٢ برقم ٩٧٧).

والسَّاحر يتعاطى أمورًا كثيرة، تارة بالعقد والنفث، وتارة بأشياء أخرى يتعاطها مع الجن ومع الشياطين يستخدمهم ويعبدهم حتى يمكنوه من بعض ما يريد من إدخال شر على بعض الناس، حتى يتغير عقله، أو يتغير فكره، ويبغض من كان محبوبًا ويحب من كان مبغضًا، بأشياء يفعلها ويستمدها من الجن.

فإذا عرف ذلك وجب قتله حتى يستراح من شره وضرره على الناس.

وهكذا **كَتَبَ عُمَرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»**.

والحكمة في هذا مثلما تقدم: أن شرهم لا يزول بالتَّوبة التي يظهرونها؛ ولأنه في الغالب مثل توبة الزنديق المعروف بالنفاق لا يؤمن، فيقتل.

وهكذا حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب[١] كان عندها جارية، فعلمت أنها تتعاطى السحر، فأمرت بقتلها، فقتلت.

«قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]**: صح ذلك عن ثلاثة من أصحاب النَّبِيّ ﷺ»**

يعني: صح قتل السَّاحر أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النَّبِيّ ﷺ وهم: عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا هو الصواب في هذه المسألة، أنه متى عُرف سحره الذي هو بواسطة الشَّياطين، وقد يدعي علم الغيب، وقد يتعاطى أمورًا عظيمة في إيذاء النَّاس وظلمهم، فلا حيلة في تلافي شره، ولا طريقة للخلاص منه إلا بالقتل.

---

(١) تزوجها النَّبِيّ ﷺ بعد خُنيس بن حذافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثلاث من الهجرة، وماتت سنة خمسين، أخرج لها الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (ص٧٤٥ برقم ٨٥٦٣).

(٢) إذا أطلق أحمد فالمراد به أحمد بن حنبل الإمام المعروف، ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (ص٨٤ برقم ٩٦) وستأتي ترجمته في شرح سماحته هذا في: (ص٣٣٩).

قال بعض أهل العلم ـ كالشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعة ـ: إن كان سحره بأشياء معروفة تؤذي ولا تغير العقول، إنما تؤذي وتمرض، فلا يكون له حكم السحرة، إذا كان مما يستخدمه الشياطين، ولا يتظاهر بعلم الغيب، ولا بعبادة غير الله، فإنه يضرب ويؤدب ويسجن، ولكن لا يقتل، وإذا عرف أنه ليس من أهل السحر المعروفين بعبادة الشياطين واستخدامهم، وتعاطي ما حرم الله من الشِّرك، هذا إذا علم.

قول الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن قال بقوله لا منافاة بينه وبين ما جاء عن الصَّحابة، فليس من السِّحر هذا، وإنَّما هو أذى وظلم، أمَّا السَّحرة المعروفون هم الذين يستخدمون الشَّياطين، يستخدمون الجن، ويعبدونهم، ويتعاطون في بعض الأحيان علم الغيب، حتى يتضح من أمرهم ما هو مخالف لما عليه النَّاس من الأمور التي يضر بها بعض النَّاس بعضًا، من تعاطي بعض الأدوية الضّارة، والمأكولات الضَّارة، والمشروبات الضَّارة، هذا شيء آخر، فالسَّحرة في الغالب هم الذين يتعاطون أمورًا شركية، تتعلق بالجن، وتتعلق بخدمتهم، والاستعانة بهم على ظلم النَّاس وإيذائهم، وتغيير العقول، فلهذا وجب قتلهم، نسأل الله السَّلامة.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل صحيح أنَّ الرَّسول سُحِر؛ لأن بعض النَّاس يقولون: الرسول ما سُحِر؟

○ **الجواب:** ثبت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنه سُحِر لكن سحر لم يؤثر عليه شيئًا في ما جاء من الرسالة، وإنما أثر في شيء بينه وبين أهله فقط[(١)][(٢)]..

(١) فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا «أن النبي ﷺ سحر» أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، برقم (٥٧٦٥) ومسلم في كتاب السلام، باب السحر، برقم (٢١٨٩).

(٢) وانظر للمزيد من التعرف على فتاوى سماحته حول هذا الموضوع: مجموع =

قال الشيخ محمَّد بن عبدا لوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.
- **الثالثة:** تَفْسِيرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالفَرَقُ بَيْنَهُمَا.
- **الرابعة:** أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الإِنْسِ.
- **الخامسة:** مَعْرِفَةُ السَّبْعِ المُوبِقَاتِ المَخْصُوصَةِ بِالنَّهْيِ.
- **السادسة:** أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.
- **السابعة:** يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.
- **الثامنة:** وُجُودُ هَذَا فِي المُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟!

❋ ❋ ❋

= فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٦/ ٤٦٧، و٧/ ١٤٦، و٨/ ٩٢، ١١١ـ ١١٩، ثم ١٤٦ـ ١٤٩) وفتاوى نور على الدرب لسماحته (٣/ ٣٣، ٣١٧).

٢٤- بَابُ بيان شيء من أنواع السِّحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه؛ أنه سمع النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ»(١).

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن رنَّة الشَّيطان، إسناده جيِّد؛ ولأبي داود والنَّسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»(٣) رواه أبو داود وإسناده صحيح.

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رواه مسلم(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٧٧ برقم ١٥٩٥٦ و٥/ ٦٠ برقم ٢٠٦٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، برقم (٣٩٠٧) والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير (٦/ ٣٢٤ برقم ١١١٠٨) وابن حبان في صحيحه مع شرحه الإحسان (١٣/ ٥٠٢، رقم ٦١٣١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في النجوم، برقم (٣٩٠٥).

(٤) أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، برقم (٤٠٧٩).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، برقم (٢٦٠٦).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مِنْ الْبيَانِ لَسِحرًا»(١).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: **«باب بيان شيء من أنواع السِّحر»** أراد **المؤلف** بهذا الباب أن يبيّن شيئًا مما يُسمى سحرًا؛ لينتبه المؤمن لهذه الخصال، ويجتنبها ويبتعد عنها، وقد تُسمى سحرًا من جهة أنها تضر وتؤذي، وإن لم تكن سحرًا من جهة المعنى الذي هو الكفر والشِّرك، وخدمة الشَّياطين وعبادتهم، فإن أنواع السحر قسمان:

قسم منها سحر محض، وقسم منها يعمل عمل السحر، ويؤذي ويضر وإن كان ليس سحرًا في المعنى الحقيقي.

يقول المؤلف رحمه الله: **«باب بيان شيء من أنواع السِّحر»** على سبيل الإطلاق والتعميم، قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف وهو ابن أبي جبيلة عن حيان بن العلاء، قال: حدثني قطن بن قبيصة عن أبيه؛ أن النَّبيَّ ﷺ قال: **«إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»** قال عمر رضي الله عنه: «الجبت: السحر» فالمعنى: أن هذه تطلق على أن السحر يقال لها: سحر، من جهة ما فيها من الشر والفساد، ومن جهة ما قد يدعيه أصحابها من علم الغيب.

فالعيافة: زجر الطير، كما قال عوف، يزجرون الطيور ويزعمون أنَّها تدلهم على شيء، فيتشاءمون بها تارة، ويتيمنون بها تارة أخرى، وهذا من عمل الجاهلية والجاهلين، فالطيور ليس عندها خير ولا شر، وإنَّما هذا من جهلهم وضلالهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الخطبة، برقم (٥١٤٦) وفي كتاب الطب، باب إن من البيان سحرًا، برقم (٥٧٦٧) ومسلم عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، برقم (٨٦٩).

فقد يتشاءمون بالغراب أو بالبومة أو بغيرهما، أو بحيوان كريه الخلقة يتشاءمون به، وإذا رأى حيوانًا حسن الخلقة، تيمنوا به وقالوا: هذا سفر طيب، أو هذا مخرج طيب إذا صادفهم في هذا الشيء، وإن صادفهم حيوان قبيح أو نعق الغراب أو كذا، خافوا وقالوا: هذا سفر أو هذا مخرج قد يكون فيه شر، هذا كله من أمر الجاهلية، وهذا زجر الطير، يزجرون ويقولون: إن هذا يدل على كذا، وهذا يدل على كذا.

وفي قول الشاعر:

خَبير بنو لهب فَلا تَكُ مُلغيا مَقَالةَ لهبيٍّ إذا الطّير ولّتِ[1]

يعني: يزجرونه ويقولون: إن تيامن صار كذا، وإن تشاءم صار كذا، وإن ذهب كذا صار كذا؛ وهذا كله من جهلهم وضلالهم، وهذه الطيور مخلوقات سائرة في أمر الله وفي تدبيره سبحانه، ليس عندها نفع لأحد ولا ضر لأحد ولا خير ولا شر.

فالعيافة: يقال: عاف يعيف، إذا زجر الطير وتيامن بها أو تشاءم بها، «**والطرق**»: خط يخط في الأرض، يخطون خطوطًا ويقولون: هذا يكون كذا ويكون كذا، ويلبِّسون على الناس، فقد يكون عبثًا في بعض الأحيان من اللاعبين، وقد يكون تخييلًا، وإلا فالمراد: خدمة الشياطين، والأخذ بأقوالهم من الجن، ويزعمون أن هذه الخطوط تهديهم إلى كذا وترشدهم إلى كذا، وهو كذب، وإنما هو طاعة الجن واستخدامهم، ودعوى علم الغيب بواسطتهم، وإلا فهذه الخطوط لا تفيدهم شيئًا لولا ما يعملون مع الجن.

والجبت قال: الحسن[2] **رنَّة الشَّيطان، وأمَّا الطيرة**: فهي التشاؤم

---

(١) شرح ابن عقيل (١/ ١٩٥) والشاهد فيه قوله: خبير بنو لهب: حيث استغنى بفاعل خبير عن الخبر، مع أنه لم يتقدم على الوصف نفي ولا استفهام، هذا توجيه الكوفيين والأخفش للبيت، ومن ثم لم يشترطوا، تقدم النفي أو نحوه على الوصف استنادًا إلى هذا البيت ونحوه.

(٢) إذا أطلق الحسن ولم يقيد، فهو الحسن البصري، الحسن بن أبي الحسن، =

من مرئي أو مسموع، هذه الطيرة وهي محرمة، ومن الشِّرك الأصغر، وقد تكون أكبر والعياذ بالله إذا اعتقد أنَّ هذا الطائر أو هذا الحيوان يتصرف في الكون أو يدبر أشياء، أو ما أشبه ذلك، هذا من الشِّرك الأكبر، لكن الغالب عليهم أنهم يتشاءمون بها فقط؛ يعني: يتشاءمون فيمضون في حاجات إن رأوا ما يسرهم، ويرجعون عن حاجات إن رأوا ما يسوءهم.

«والطيرة»: ما رد الإنسان عن حاجته، ولهذا قال: **«إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»** وفي حديث ابن مسعود: **«الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»**[(١)].

فالحاصل: أن هذه الأشياء من عمل الجاهلية، وهي منكرة، وهي من الجبت، قيل في الجبت: أنه السِّحر، كما قال عمر، وقيل: الجبت: الشيء الذي لا خير فيه، وهو الباطل، وقيل: الجبت: أنه الصنم المعبود من دون الله وقيل غير ذلك.

والحاصل: أن الجبت هو الشيء الذي لا خير فيه، هو الشيء الباطل الذي لا فائدة فيه ولا خير فيه، فالمعنى: أنه من الشيء الذي لا خير فيه، بل فيه ما هو شر.

والمقصود من هذا: الزجر عن هذه الأشياء والنهي عنها، وألا يتأسى بالجاهلية فيها، فإن الجاهلية أخطؤوا فيها وغلطوا، وليس في زجر الطير فائدة، ولا في الخطّ فائدة، ولا في الطيرة فائدة؛ كلها باطلة، فالطيور ليس عندها شيء، وإن زجروها، وإن تيامنت أو تشاءمت، والخطوط لا فائدة فيها، وإنّما يلبِّسون على الناس باتباع

= واسم أبيه يسار الأنصاري ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا وهو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة (١١٠هـ) وقد قارب التسعين عامًا، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٦٠ برقم ١٢٢٧).

(١) سبق تخريجه في شرح سماحته (ص٥٤) وسيأتي تخريجه في المتن أيضًا في: (ص٢٧٠).

الجن، والأخذ بأقوال الجنّ والشياطين، والطيرة لا خير فيها ولا فائدة، وإن زعموا فيها فائدة، فهي باطلة.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه؛ يعني: قوله ﷺ: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**» القدر المرفوع، أمَّا قوله: «**العيافة: هي زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض**» فهذا التفسير ليس عند النسائي وأبي داود، بل إنَّما هو عند أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وحديث ابن عباس يدل على أن تعلم النجوم للتأثير، وزعم أنه يكون كذا ويحدث كذا، مثل: إذا طلع النجم الفلاني أو غاب النجم الفلاني أو صارت المعجزات الفلانية، كله من أقوال المنجمين والمتأولين الذي لا وجه له، بل هو باطل.

المقصود: أن التعلق بالنجوم، والزعم أن لها تأثيرًا في الكون من حوادث لموت فلان، أو حياة فلان، أو زوال ملك فلان، أو ملك فلان بدل فلان، كل هذا باطل لا أصل له، ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**» أي: كلما زاد اقتباسه في النجوم، زاد اقتباسه في السحر والشر، فالتعلق بالنجوم على أنها تدل على كذا، على الحوادث، هذا هو التنجيم المنكر، ويأتي له ترجمة خاصة إن شاء الله[(١)].

فالاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية هذا هو التنجيم، وهذا هو الباطل، أمَّا الاستدلال بالنجوم وسيرها على منازل الناس، وعلى القبلة، وعلى أوقات البرد والحر، هذه ليس فيها شيء، يقال له: علم التَّسيير ليس علم التأثير، ولكنه علم التَّسيير وهذا هو الصواب، فإنه لا حرج فيه أن يتأسى بالنجوم في معرفة طرق البلدان، وفي جهة القبلة، وفي أوقات الصيف والربيع والشتاء ونحو ذلك، مثلما قال جلَّ وعلا: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

---

(١) بعنوان: باب ما جاء في التنجيم في: (ص٢٧٦).

قـــال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] هذا يقال له: علم التَّسيير؛ يعني: سير الكواكب، حتى يستدل بها على منازل النَّاس، واتجاههم، وقبلتهم، وأوقات زمان الصيف والشتاء والربيع والخريف، وأشباه ذلك، هذه لا بأس بها ولا حرج فيها على الصَّحيح.

وإنَّما المنكر علم التأثير، الاحتجاج بالنجوم والتعلق بها على أنه يقع كذا، يكون كذا، إذا طلعت الثريا صار كذا، مات فلان، انتقل فلان إلى كذا، سقط ملك فلان، وإذا طلع النجم الفلاني؛ صار كذا، إذا اجتمع النجم الفلاني والنجم الفلاني صار كذا، هذا هو الذي أنكره العلماء، وهو ما ورد في الحديث: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» يعني: زاد في اقتباس السحر وعلم النجوم ما زاد في تعلمه النجوم، وما يظن أنه يؤثر على الناس.

ويقول المؤلف رحمه الله: «**وللنَّسائي** رحمه الله» النسائي هو: أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النَّسائي، إمام كبير من العلماء، يقال له: النَّسائي، نسبة إلى بلد معروف في الشرق يقال لها: نَسَأ، نسب إليها، وهو إمام من أئمة الحديث، وهو صاحب السنن المعروفة[(١)].

روى رحمه الله هنا ما ذكره المؤلف بصفة الوقف، والحديث رواه النسائي مرفوعًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ**»[(٢)].

أراد المؤلف بهذا بيان ما أشار إليه مثلما تقدم ليبين شيئًا من أنواع

---

(١) مات سنة (٣٠٣هـ) وله ثمان وثمانون سنة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٨٠ برقم ٤٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٤٢).

السحر، وأن العقد والنفث من أنواع السحر، من عقد عقدة ثم نفث فيها؛ يعني: من السحرة الذين يعقدون العقد وينفثون فيها بأنفسهم الخبيثة وأرواحهم الشريرة، مع ما ينضم إلى هذا من خدمتهم للشياطين وتعاونهم مع الشياطين فيقع بعض ما أرادوا بإذن الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقد يقع ما أرادوا بإذن الله الكوني القدري سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ١ ـ ٤] وهنَّ السواحر، فالسحر قسمان:

قسم يكون بالعقد والنفث والأدوية التي تضر، وهذا موجود وله تأثيره.

وقسم يكون بالتخييل والتلبيس والتزوير، كما قال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] وقال في آية أخرى: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] سماه سحرًا عظيمًا لما فيه من التلبيس والتخييل والتزوير على النَّاس والتلبيس عليهم.

«**ومن سحر فقد أشرك**» من سحر؛ يعني: من تعاطا السحر، فقد أشرك؛ لأنه يكون بعبادة الشياطين وعبادة الجن، والتعلق عليهم، ودعائهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم، فيقع الشِّرك في ذلك.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة: ١٠٢] فدل على أن تعلم السحر يوجب الكفر نسأل الله العافية.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] هذا كلّه يبيِّن لنا قبح السِّحر، وأنَّه ضد

الإيمان وضد التقوى، وأن من اشتراه فقد هلك، وليس له عند الله من خلاق.

ولهذا كتب عمر إلى عُمَّاله في الشَّام: أن يقتلوا كل ساحر وساحرة؛ لما في تعاطيهم السحر من الفساد والشر على الناس، وثبت عن حفصة رضي الله عنها أم المؤمنين أنها قتلت جارية لها سحرتها، وهكذا جندب قتل الساحر المعروف.

فالمقصود: أنَّ السَّحرة شرهم كبير، والغالب عليهم أن استخراجهم بواسطة الشياطين وخدمة الجن، ودعائهم من دون الله، أمَّا ما كان سحرًا بدون ذلك من أدوية تضر النَّاس، وأشياء يحصل بها ضرر، فهذا غير ما يتعلق بالسِّحر المعروف، هذا يعاقب بما يستحق مما يتعاطى مما يضر النَّاس في أبدأنهم أو في عقولهم.

والحاصل: إنَّما يُسمى سحرًا حيث يحصل به التخييل والتزوير على النَّاس والتلبيس، أو تحبيب المرأة إلى زوجها أو الزوج إلى امرأته، أو صرف النَّاس عن حبٍّ إلى بغض أو بغض إلى حبٍّ بسبب ما يتعاطى من أعمال الشعوذة، هذا هو السحر الذي يكفر صاحبه، ويجب أن يقتل إذا عُرف بفعل ذلك.

وهذا الحديث وإن كان فيه ضعف؛ لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة، وقد ذكر جمع من أهل العلم أنه لم يسمع من أبي هريرة فيكون فيه انقطاع[(١)].

وهو أيضًا من رواية شخص، يقال له: عباد بن ميسرة فيه ضعف[(٢)]

(١) ينظر: المراسيل لابن أبي حاتم (ص٣٨ برقم ٥٤) وميزان الاعتدال للذهبي (٢/٣٧٨ برقم ٤١٤٦).

(٢) هو: عَباد بن ميسرة المنقري البصري المعلم، لين الحديث عابد من السابعة، أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير له. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٩١ برقم ٣١٤٩).

لكنه له شواهد من حيث المعنى، فلهذا ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وحسنه ابن مفلح بشواهده[(١)].

قال: «ومن تعلَّق شيئًا وُكِل إليه» معناه: أن من تعلق على الله، كفاه الله ما أهمه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ومن تعلق على السِّحر والتّمائم والشعوذة والشياطين خاب وخسر، وَكَّله الله إليهم نسأل الله العافية، ففي هذا حث وتحريض على التَّوكل على الله، وأنه يكفي من توكل عليه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيه، فالتوكل على الله لازم وفريضة، أمَّا التوكل على التعاويذ والتّمائم والسّحر والشَّياطين، فهذا معناه: الخذلان والضَّلال والهلاك، نسأل الله العافية.

وحديث ابن مسعود عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ» أُنبئكم: أخبركم، العضه، هكذا ضبطه المحدثون: العَضْهُ، بالعين المفتوحة والضاد الساكنة، والعضه: بمعنى الكذب، ومعنى السحر، ومعنى النَّميمة، قال في القاموس[(٢)]: عَضَهَ كذبَ وسحرَ ونمَّ، توقف العضه على النَّميمة وعلى السِّحر وعلى الكذب.

ولهذا ذكر المؤلف هذا الحديث هنا؛ لأن السحر يحصل به البهتان، ويحصل به الكذب، ويحصل به تلبيس؛ ولهذا سمي عضهًا؛ لما يحصل به من الكذب والتلبيس على الناس، والغش والخيانة والضرر.

قال: «هِيَ النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» النميمة تسمى عضهًا؛ لأنها تضر النَّاس، ويترتب عليها من الكذب والفرية وشحن القلوب ما يترتب، وهي القالة بين الناس.

---

(١) ينظر: الآداب لابن مفلح (١/ ٧٨) منها ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٧) عن أبان بن يزيد العطار تعتبر متابعة له في كتاب الجامع، باب الرقى والعين والنفث، برقم (١٩٧٧٢).

(٢) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١١٥٠) باب الهاء فصل العين.

فلهذا سمَّاها بهتًا وسماها سحرًا لما فيها من الشر والفساد، كما أن السحر فيه شر وفساد، ولهذا قال يحيى بن أبي كثير، كما رواه عنه ابن عبد البر: «يُفْسِدُ النَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ مَا لَا يُفْسِدُهُ السَّاحِرُ فِي السَّنَةِ»(١) يفسد الكذَّاب ويفسد النَّمام في الساعة الواحدة أكثر مما يفسده الساحر في السنة، فالكذابون والنمامون شرهم كبير، وبلاؤهم عظيم، ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**»(٢) فهذا فيه الحذر من الكذب والنّميمة، وتعاطي أنواع السِّحر، وأنها شر بين النَّاس وفساد بين النَّاس.

والحديث الثالث: حديث ابن عمر يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهما عن ابن عمر مرفوعًا: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**» إن من البيان؛ يعني: الفصاحة والبلاغة «**لسحرًا**» فقد يسحر البليغ صاحب البيان قد يسحر النَّاس ببيانه وأسلوبه وفصاحته، فربّما لبَّس عليهم في الأمر، وربما خفيت عليهم الحقائق وخدعهم.

فأصل الحديث، قال الجمهور: أنه للمدح، والدلالة على مكانة البيان إذا كان في الحق.

وقال آخرون: بل هو للذم والعيب، حكاه ابن عبد البر عن جماعة.

ورجح الأول، وقال: إنه للمدح إذا كان في الحقِّ والهدى، فالبيان في نصر الحقِّ وبيانه والدعوة إليه ممدوح، أمَّا البيان في تلبيس الأمور وأخذ الأمور بغير الحقّ، فهذا مذموم.

---

(١) عزاه إليه في تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٣٤) وفي فتح المجيد أيضًا (ص٢٤٥).

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، برقم (٦٠٥٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، برقم (١٠٥).

ومنها ما يروى عن النَّبِيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام أنه قال: «**إِنَّ اللهَ يُبغِضُ البليغَ مِنْ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَللُ بِلسَانه كَما تَتَخَللُ البَقَرةُ بِلسَانها**»[١].

فالمقصود: أنه إذا كان البيان في نصر الحق، كما جاء كتاب الله بأعظم البيان، وهكذا جاءت السُّنَّة، فهذا ممدوح وطيب، أما إذا جاء البيان للَّبسِ والتخليط والخداع، وأخذ الحقوق بغير حق، وأخذ الأمور بغير حقها؛ فهو على الذم والعيب.

والحديث يحتمل: «**إن من البيان لسحرًا**» يحتمل هذا وهذا، وقد حمله الجمهور على المدح إذا كان في حق، فأنه يوضح الحقائق ويبين الأمور، حتى لا يخفى هناك شيء على طالب الحق وعلى مريد الحق، كما جاء كتاب الله بذلك، وسُنَّة الرسول ﷺ بذلك بأوضح بيان في بيان الحقائق وإيضاح الأوامر والنواهي، ويكون للذم إذا أراد به إخفاء الحقيقة، ونشر الباطل، والتلبيس على الناس يكون مذمومًا، فالسحر هنا الذي هو البيان والإيضاح يذم في الباطل ويمدح في الحق.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز: أن إنسانًا خطب خطبة بليغة فقال عمر بن عبد العزيز[٢]: هذا والله السحر الحلال، الذي يوضح الحقائق ويبينها، لكنه بأسلوب لا يخرج عن الطريقة المتبعة في بيان الحق وإيضاحه، وعدم التلبيس على الناس وعدم الخداع، نسأل الله للجميع السَّلامة والعافية.

---

(١) أخرجه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشدق في الكلام، برقم (٥٠٠٥) والترمذي في كتاب الأدب، ما جاء في الفصاحة والبيان، برقم (٢٨٥٣) وقال: حديث حسن.

(٢) عزاه إليه في تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٣٥٤) وفي فتح المجيد أيضًا (ص٢٨٠).

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل من التشاؤم إذا دخل شهر صفر لا يزوج ولا يتزوج؟

○ **الجواب:** هذا من باب التشاؤم بالزمان، هذا خطأ، هذا من عمل الجاهلية، وبعضهم يتشاءم بشوال خاصة في الزواج، وهذا غلط أيضًا.

• **السؤال:** هل هاروت وماروت كانا من البشر أو ملكان من الملائكة؟ وهل هما يستثنون من عموم الملائكة؟

○ **الجواب:** المعروف أنهما من الملائكة، وهما مستثنون من عموم الملائكة.

• **السؤال:** الساحر هل يقتل حدًّا أو كُفرًا؟ وهل صحيح لا يستتاب؟

○ **الجواب:** يقتل كفرًا نسأل الله العافية؛ لأنه لا يتعاطاه إلا بالشِّرك وعبادة الجن، ولا يستتاب، هذا الصحيح.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** أَنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ.
• **الثانية:** تَفْسِيرُ العِيَافَةِ وَالطَّرْقِ.
• **الثالثة:** أَنَّ عِلْمَ النُّجُوم مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ.
• **الرابعة:** العَقْدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.
• **الخامسة:** أَنَّ النَّمِيمَةَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ.
• **السادسة:** أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الفَصَاحَةِ.

٢٥- بَابُ ما جاء في الكُهَّان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النَّبِيِّ ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَتى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[(٢)] رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[(٣)].

ولأبي يعلى بسند جيِّد عن ابن مسعود مثله موقوفًا[(٤)].

وعن عمران بن حصين مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ، أَوْ تُطِيَّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ، أَوْ تُكِهِّنَ لَهُ أَوْ سَحَرَ، أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ

---

(١) أخرجه في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الكاهن، برقم (٣٩٠٤) بلفظ: «مَنْ أَتى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ: أَوْ أَتى امْرَأَتَهُ حَائِضًا، أَوْ أَتى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ».

(٣) أخرجه أبو داود في الحاشية السابقة، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إيتان الحائض، برقم (١٣٥) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب: عشرة النساء، برقم (٩٠١٦، ٩٠١٧) وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إيتان الحائض، برقم (٦٣٩) والحاكم في كتاب الإيمان، برقم (١٥).

(٤) أخرجه أبي يعلى (٨/ ٥٤ برقم ٥٤٠٨).

فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»[١] رواه البزار بإسناد جيِّد.

ورواه الطبراني «في الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «وَمَنْ أَتَى...»[٢] إلى آخره.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب ما جاء في الكُهَّان ونحوهم»** نحوهم؛ يعني: العرَّافين والرَّمالين والسَّحرة ونحوهم، ممن يشابههم في دعوى علم الغيب.

الكُهَّان: جمع كاهن، والكاهن: هو الذي له راءٍ من الجن؛ يعني: له صاحب من الجن يخبره عن بعض المغيبات، مثل اليوم صاحب الزار الذي يقول: أنه زار؛ يعني: عنده جني شيطان يخبره ببعض الغيوب، يسمونه كاهن، ويقولون له: راء من الجن؛ يعني: له صاحب من الجن.

حكمهم: أنهم يجب القضاء عليهم، وتعزيرهم، ومنعهم من تعاطي هذه الأعمال، أمَّا الحكم في تكفيرهم، فهو محل بحث يأتي إن شاء الله.

المقصود: أنَّ الكُهَّان ونحوهم لا يُصدَّقُون ولا يُسألون؛ لأنهم يَدَّعونَ علم الغيب، أو يتخرصون ويدعون أشياء لا صحة لها، فمثلهم لا يسأل ولا يُصدَّق، ولهذا ذكر المؤلف الأحاديث الدالة على ذلك في الباب.

منها: ما رواه مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النَّبيّ ﷺ أنه قال: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَه عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»** هذا الحديث رواه مسلم في الصحيح عن بعض أزواج النَّبِيِّ ﷺ قال المخرجون لهذا الحديث: إنها حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) أخرجه عنه في مسنده (٩/ ٥٢ برقم ٣٥٧٨) قال الهيثمي: في مجمع الزوائد (٥/ ١٢٤، ١٤١، برقم ٨٤٠٣، ٨٤٨٠) رجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة، وقال: وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي.

(٢) أخرجه الطبراني (٥/ ١٤٣، برقم ٤٣٧٤).

والذي في مسلم ليس فيه: «**فَصَدَّقَهُ**» والمؤلف هنا قال: «**فَصَدَّقَهُ**» فلعل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ وَهِم في هذه الكلمة، أو نقلها من نسخة تكون فيها هذه الزيادة، أو نقله ممن نقل ذلك عن مسلم فزاد كلمة «**فَصَدَّقَهُ**» والذي رأيناه في مسلم وتتبعناه في رواية مسلم ليس فيها الزيادة، إنَّما الرواية في مسلم: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَه عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» وفي لفظ: «**ليلة**» بدل «**يومًا**».

فهذا يدل على أن مجرد السؤال نفسه لا يجوز؛ لأنه وسيلة للتصديق ولأن في سؤالهم إظهارًا لشأنهم، وتعظيمًا لقدرهم، وإظهارًا لأمرهم بين النَّاس وتقريرًا لما يقومون به، فيسألهم النَّاس ويرجع إليهم النَّاس، وفي هجرهم، وترك سؤالهم تناسٍ لهم، وإغفال لهم، وعدم رفع شأنهم.

فلا يجوز سؤالهم ولو لم يُصَدَّقوا؛ لأن سؤالهم وسيلة إلى التّصديق، ولأنه وسيلة أيضًا إلى أن يتّصل بهم النَّاس، ويعظم أمرهم النَّاس، ولهذا لما سئل الرسول ﷺ عن الكهان قال: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**» وقال: «**لَا تَأْتُوهُم**» وهو من جنس هذا، من جنس النهي عن سؤالهم، لا يُؤْتون ولا يُسْألون؛ احتقارًا لهم، وإعراضًا عنهم، وإماتة لشأنهم.

قوله: «**لَا تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ**» هذا وعيد شديد في عدم قبول صلاة من يأتيهم ويسألهم، وإن كان لا يؤمر بقضائها؛ لكنه متوعد عدم قبولها وعدم حصول الأجر له منها، ذكر النووي رَحِمَهُ اللهُ وغيره اتفاق العلماء: لا يقضي، وإن صلاته صحيحة، ومعنى «**لَا تُقْبَلْ**»: لا يحصل له فضلها.

وفي اللَّفظ الثاني: في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمَّد ﷺ**» وفي اللَّفظ الثالث: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى مُحَمَّدٍ**» عليه الصَّلاة والسَّلام، هذا يدل على أنه لا يجوز تصديقهم ولا سؤالهم، فلا يجوز سؤالهم؛ لأنه وسيلة للتصديق؛ ولأن فيه شيئًا من رفع شأنهم، وإظهارًا لأمرهم، ولا يجوز تصديقهم؛ لأنهم يدعون الغيب

أو يتخرصون، فالمتخرص لا يصدق، ومُدعي علم الغيب كاذب، ومن صدَّقه في علم الغيب؛ كفر؛ لأن علم الغيب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والكاهن إذا ادعى بدعوى علم الغيب، كفر أيضًا، فإن كان يتخرص أو يظن وجب تعزيره والقضاء عليه حتى يمتنع من هذا الأمر القبيح المنكر.

لكن من ادعى علم الغيب من الكاهن أو الرَّمال أو غيرهم أو ادعاه من يأتيهم ويصدقهم، كفر بما أنزل على محمد عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأن الله قال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] ومن صدَّقه، فقد كذَّب هذه الآية، وكذَّب قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [هود: ١٢٣] إلى غير ذلك، فلا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم، والكهنة والرَّمالون والمنجمون والعرَّافون وأشباههم يأتي بيانهم في قول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهم أناس يدعون علم الغيب بأشياء، تارة من طريق الشَّياطين واستراق السمع، وتارة من طريق التنجيم، وتارة من طريق التَّخرص والشعوذة، يخطون خطوطًا، ويفعلون أشياء يشعوذون بها ولا حقيقة لها.

فسؤالهم وتصديقهم كله منكر، وكله لا يجوز، والواجب على المؤمن أن يحذر هذه الأصناف، ويتباعد عن سؤالهم والمجيء إليهم، أو تصديقهم بشيء؛ لأن الله هو الذي يعلم المغيبات، ليس عند هؤلاء شيء من ذلك.

وهكذا حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أبو يعلى، عن ابن مسعود بإسناد جيِّد موقوف، هذا الموقوف مثل المرفوع؛ لأن ابن مسعود ما يقوله من جهة رأيه، بل معناه أنه ينقله عن النَّبيِّ ﷺ فهذا لا يقال فيه من جهة الرأي، فإذا قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ»** معناه: أنه ينقل هذا عن النَّبيِّ ﷺ؛ لأن هذا لا يقال من جهة الرأي.

كذلك رواية عمران: **«لَيْسَ مِنا مَن تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو تَطيرَ أو تُطيرَ له، أو سَحرَ أو سُحِرَ له»** يعني: ليس منا من فعله، هذا وعيد يفيد

الحذر من هذه الأمور؛ لأن «**ليس منا**» عبارة تدل على التهديد والترهيب، وأنه ليس من أهل الإسلام، وليس من المتبعين للنَّبِيِّ ﷺ من يتعاطى هذه الأمور، وهذا وعيد شديد يفيد الحذر، وظاهره تكفيره، فالمقصود: أنه يوجب الحذر، أمَّا التكذيب فيؤتى من أدلة أخرى تدل على التفصيل.

لكن يفيدنا هذا الحديث أنَّ التَّطير من نفس الإنسان أو من غيره، والتكهن لنفس الإنسان أو لغيره، والسحر لنفسه أو لغيره؛ كله منكر، وكله لا يجوز، ولهذا قال: «**ليس منا من تطير أو تطير له**» يعني: تطير بنفسه أو تطير له غيره برضاه، أو تكهن لنفسه أو تكهن له غيره برضاه، أو سحر هو بنفسه أو سحر له؛ يعني: عمل السّحر من أجله.

«**ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»

هذا مثلما تقدم يفيد أنه لا يجوز للإنسان أن يفعله بنفسه ولا يرضى أن يفعله غيره من أجله، ما يرضى أن يتطير له، يقول له: تطير لي سفري مناسب أو ما هو مناسب، أو زواجي مناسب أو ما هو مناسب، لا، لا يجوز له أن يطير له أحد، وهكذا التكهن له أو كونه يتكهن لنفسه هو؛ يعني: يسأل الجن أو الشياطين، أو يتعلم شعبة من النجوم لعلم الغيب، أو ما أشبه ذلك.

وتقدم لفظ عن ابن عباس قول النَّبِيِّ ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» زاد في التطير والتكهن والسحر، كله منكر، وكله مما يجب الحذر منه، وأما التكفير، ففيه تفصيل كما تقدم.

؟ الأسئلة:

● **السؤال:** إذا أخبر الإنسان بأن ساحرًا قال قولًا وكان حقًّا، فما حكم المسلم الذي يسمع هذا القول؟

○ **الجواب:** قول الكاهن قد يفيد الواقع ويقع ما يقول، لكن لا يدعى صدقه، قد يقع مثلما إنسان متخرص مثلًا قد يقول: وصل فلان أو

جاء فلان ظنًّا منه، ثم يصيب، أو يقال: جرى كذا وجرى كذا؛ لأنه بلغه أناس ضعفاء ليس من الثقات، ثم صار خبره صحيحًا قد يصدق الكذوب.

• **السؤال:** قوله: «**فقد كفر بما أنزل على محمد**» هل هو كفر دون كفر؟

○ **الجواب:** كفر أكبر، إذا صدقه في علم الغيب كفر أكبر، أما حكم الكاهن فيه تفصيل: إن كان ادعى علم الغيب يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، أمَّا إذا كان لا يدعي علم الغيب، إنما يتكهن ويتخرص ثم تاب لكن يستحق التعزير لئلا يعود إليها.

• **السؤال:** خادمة أخرجت سحرًا ملفوفًا تقول كان معمولًا في البيت أخرجته بدون طلب أحد منها؟ وهي امرأة تصوم وتصلي؟

○ **الجواب:** ولو صلت وصامت، المنافق يصوم ويصلي، هذه ينبغي إبعادها، هذه ممكن أنها تتعاطى السحر هي بنفسها، فإذا لم تدروا كيف عرفت ينبغي إبعادها.

• **السؤال:** هل من ادعى سماع الأموات مستندًا إلى هذه الآية؟

○ **الجواب:** تكون دعواه عريضة طويلة لا يقبل مما يدعي إلا ما جاء النص به، هذه أمور غيبية ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] ما يقال: يسمعون بسمع قرع النعال أو سماع أهل بدر، هذا شيء خاص، والقياس عليه ضلال مبين، الأصل عدمها، الله قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال البغوي: «العرَّاف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، ونحو ذلك»[1].

(١) ينظر: بنحوه في شرح السُّنَّة للبغوي (٦/ ٢٧٧) في كتاب الطب، باب الكهانة.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عمَّا في الضمير».

وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرَّمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»(١).

وقال ابن عباس في قوم يكتبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»(٢).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال البغوي**» البغوي: هو صاحب التفسير وصاحب شرح السُّنَّة المعروف الحسين بن مسعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سنة ست عشرة وخمس مئة(٣).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات**» يعني: بأشياء ينظمها يستدل بها على المسروق ومكان الضالةِ ونحو ذلك، يقال له: عرَّاف، قد يكون يعرفها بالآثار، بآثار الدابة ونحو ذلك، وهذه الأمور قد تقع للنَّاس، لكن لا يكونون من العرَّافين المذمومين، وإنما يذم إذا ادعى بها علم الغيب، أمَّا إذا كان يستدل على المسروق

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٧٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب الجامع (١١/ ٢٦ برقم ١٩٨٠٥).

(٣) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي ركن الدين ومحيي السُّنَّة البغوي نسبة إلى «بغ» أو «بغشور» بلدة بخراسان، وهو أحد الأئمة الذين تقيدوا بالكتاب والسُّنَّة على مفهوم السلف، وله تصانيف عظيمة، منها: في التفسير، «معالم التنزيل» والسُّنَّة والمصابيح في الحديث والتهذيب في الفقه الشافعي، والأنوار في شمائل النبي المختار في السيرة وغيرها. ينظر ترجمته في: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٢/ ١٩٣) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٣٩ ـ ٤٤٣).

ومكان الضالة بطرق حسية معروفة، فليس من هذا الباب، لكن مراده الذي يدعي بهذه الأشياء علم الغيب، فيسمى عرّافًا.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن يسمى: عرّافًا، والعرَّاف يسمى: كاهنًا، إذا كان يدعي علم الغيب، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير؛ يعني: فلان أراد كذا وأراد كذا، مما يتلقاه عن راءيه من الجن، وعن شياطينه.

«وقال أبو العباس ابن تيمية: «العرَّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يدعي معرفة الأمور الغائبة بهذه الطرق الخبيثة»
هذه المقالات من البغوي وغير البغوي ومن شيخ الإسلام ابن تيمية معناها: أن العرافين والكهنة والمنجمين والرَّمالين هم الذين ذمهم الشارع وعابهم، وحذَّر من إتيانهم وسؤالهم، حتى قال عليه الصَّلاة والسَّلام: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»** وقال: **«من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد عليه الصَّلاة والسَّلام»** كما تقدم.

قال: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، أَوْ تَطَيَّرَ أو تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ»** كل هذا تقدم، فالمراد بهؤلاء هم الذين يدعون أمور الغيب بهذه الطرقات التي يزعمونها، تارة من طريق التنجيم، والتقاء بعض النجوم، وخروج هذا النجم، وسقوط هذا النجم، إلى غير ذلك، وتارة بأشياء أخرى يتلقونها عن الشياطين، وتارة بالرمل يخطون بالرمل، ويجعلون هناك حصى أو أشياء ينظمونها في الأرض، وتارة بغير ذلك من الأمور؛ هؤلاء يسمون الكهنة ويسمون العرافين، فلا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم؛ لأنهم بهذه الطرق التي سلكوها يدعون علوم الغيب، ويزعمون أنهم يدركون أشياء من علم الغيب؛ فيلبِّسون بها على النَّاس، ويأخذون أموالهم بها؛ هذا أصابه كذا، وهذا أصابه كذا، وهذا سوف يصيبه كذا، وهذا في العام القادم سوف يصيبه كذا، كله رجم بالغيب وكذب، وقد يقع لهم شيء من الصدق، لكنه نادر، لكن العامة وأشباه

العامة يتعلقون بكلمة ويعرضون عن آلاف الكلمات الباطلة، كما في الحديث الصحيح المتقدم حديث أبي هريرة: «فيقال: لقد صدق، قد قال لك يوم كذا وكذا، فيقول: صدق، فيصدقون واحدة ويجعلون بقية كلامه مثلها» يعني: يجعلونه صادقًا في الجميع بسبب ميول النّاس إلى الباطل، وتعلقهم بما يوافق أهواءهم؛ فلهذا يصدقون العرافين والكهنة والمنجمين والرَّمالين وأشباههم.

فالواجب على المسلم أن يحذر هؤلاء، وألَّا يصدقهم، لا فيما يتعلق بالأمراض، ولا فيما يتعلق بالحوادث، ولا فيما يتعلق بالسرقات، ولا في غير ذلك، من عرف بهذه الطرق يجب تجنبه، وألا يؤتى، وألا يصدق، وألا يسأل؛ لأن الرسول منع من هذا عليه الصَّلاة والسَّلام؛ ولأن تصديقهم يوجب وقوع الناس في شر كثير ومفاسد عظيمة، واعتقادًا بغيوب لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

والشَّيطان قد يسمع في استراقه السمع، وقد يلقي إلى الكاهن ونحوه؛ فيصدق في واحدة سمعها من السماء باستراقه للسمع، ولكن يزيد معها ما لا يحصى من الكذب الكثير الذي يضر الناس ويغشهم، ويسبب وقوعهم في معاطل كثيرة، فلا يجوز للمؤمن أن يصدق هؤلاء، ولا أن يسألهم، ولا أن يأتيهم، ولكن يعالج بالأشياء التي أباحها الله، أو من طريق الأطباء المعروفين بالعلاج المعروف في الأشياء المحسوسة من مأكول ومشروب، ومن ظروف ودهان وغير ذلك، أما ما يتعلق بعلوم الغيب فهذا لا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم ولا إتيانهم.

وهكذا ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: «**يكتبون أبا جاد**» يعني: حروف أبجد: ألف، باء... إلخ، هذه يقال لها: حروف أبجد[١]، وهي حروف الهجاء؛ يعني: يكتبون حروف ويضمون

---

(١) وهي مجموع الحروف الهجائية مرتبة على نحو: «**أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ**» يضعون مقابل كل حرف رقمًا من واحد إلى عشرة =

بعضها إلى بعض ويقولون: يقع كذا ويقع كذا ويقع كذا، يقول: «**ما أرى له عند الله من خلاق**» يعني: من حظ ولا نصيب؛ لأنهم إذا فعلوا هذا وادعوا علم الغيب كفروا، فالذي يجمع الحروف ويقول: سوف يقع كذا، سوف يقع كذا، وإذا حل النجم الفلاني في كذا، أو يجمع حصيات، أو ودع أو غير ذلك، يضم بعضها إلى بعض أو يجعل لها حفر، أو خطوط يجعل هذه على المحل الفلاني، هذه في المحل الفلاني، هذه في الزاوية الفلانية، ثم يقول: هذا يدل على كذا، ويدل على أنه يقع كذا، كل هذا من أعمالهم الباطلة، وكل هذا من دعواهم علم الغيب بالطرق الباطلة، فالواجب الحذر منهم، وأن لا يؤتوا وأن لا يسألوا، نسأل الله السَّلامة والعافية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** أحسن الله إليك: هل صحيح إنَّ المدينة إذا مات الإنسان فيها على الكفر أو الشِّرك، أن هناك نياق تخرجه من المدينة، وأن الإنسان المؤمن إذا مات في ديار الكفر، فإن هناك نياق بيض تأتي به إلى المدينة، ما صحة هذا الكلام؟

○ **الجواب:** هذا الكلام لا أصل له، هذا كلام باطل ليس له أصل، فلا يجوز نقله واعتقاده.

• **السؤال:** هل يجوز تعلم السِّحر؟

○ **الجواب:** لا يجوز تعلم السِّحر ولا تعليمه؛ لأنه تعليم الشياطين.

• **السؤال:** نقل صاحب كتاب «**الزواجر**» عن بعضهم أنه يقول: يجوز تعلمه حتى يفرق بين السِّحر وبين غيره؟

= حتى الياء، ثم من الكاف حتى النهاية مقابل كل حرف عشرة فالكاف ٢٠ واللام ٣٠ والميم ٤٠ والنون ٥٠ وهكذا البقية. ينظر: حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم عبد الرحمن بن محمد (ص٦٧).

○ **الجواب:** لا، هذا باطل عند أهل العلم لا يجوز تعلمه ولا تعليمه؛ لأنه ما يتعلم إلا لقصد الشر.

• **السؤال:** هل ادعاء معرفة علم الغيب كفر؟ وهل تصديق الكهان ردةً؟

○ **الجواب:** نعم كفر، من ادعى معرفة علم الغيب فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرًا؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، كما قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥](١).

أمَّا تصديق الكهان ففيه تفصيل، من كان تصديقه في معرفة الغيب، يكون ردة عن الإسلام، أما تصديقه في حادثة من الحوادث وقعت مثل ما قال فصدقه فيها فلا يعتبر ردة.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** لا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الكَاهِنِ مَعَ الإيمَانِ بِالقُرْآنِ.

• **الثانية:** التَّصْرِيحُ بأنه كُفْرٌ.

• **الثالثة:** ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ.

• **الرابعة:** ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ.

• **الخامسة:** ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.

• **السادسة:** ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ.

• **السابعة:** ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكَاهِنِ وَالعَرَّافِ.

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز (٨/ ١٢٦، ١٢٧ و٩/ ٢٧٧).

٢٦- بَابُ ما جاء في النشرة

عن جابر رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ النشرَةِ، فَقَال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»[(١)] رواه أحمد بسند جيِّد، وأبو داود، وقال: «سئل أحمد عنها، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله».

وفي البخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب: رجل به طبٌّ أو يُؤَخَّذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنَّما يريدون به الإصلاح، فأمَّا ما ينفع فلم ينه عنه[(٢)]. انتهى.

وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السِّحر إلَّا ساحر[(٣)].

قال ابن القيم: النُّشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشّيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النُّشرة بالرَّقية والتَّعوذات والأدوية والدَّعوات المباحة فهذا جائز[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٩٤ برقم ١٤١٦٧) ومن طريقه أبو داود في كتاب الطب، باب في النشرة ضرب من الرقية، برقم (٣٨٦٨).

(٢) أورده البخاري معلقًا في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر بين رقمي (٥٧٦٤، ٥٧٦٥) قال الحافظ ابن حجر: وصله أبو بكر الأثرم في السنن له. ينظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٢) وتغليق التعليق (٥/ ٤٩).

(٣) رواه الطبري في تهذيب الآثار كما في فتح البار (١٠/ ٢٣٣) وعزاه ابن مفلح في الآداب (٣/ ٧٧) لابن الجوزي.

(٤) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٢٤، ١٨١) وابن مفلح في الآداب الشرعية (٣/ ٩٨).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الباب في النشرة «**باب ما جاء في النشرة**».

النُّشرة: حلّ السِّحر عن المسحور، يقال: نشر عنه، إذا حل عنه ما أصابه.

«**عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه سئل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشَّيطان»** رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيِّد، هذا الحديث يدل على أنها منهيٌّ عنها، وهي النُّشرة التي تعرف عند الجاهلية؛ لأن فيها «أل» للعهد الذهني؛ يعني: النشرة المعهودة المعروفة عند أهل الجاهلية من الكفرة في حل السحر عن المسحور بسحر مثله، فقال النَّبِيُّ ﷺ فيها: «**إنها من عمل الشيطان**» لأن الساحر يتقرب إلى الشياطين بما يحبون من عباداتهم، والنّذر لهم، والذبح لهم، ودعائهم، والاستغاثة بهم، والسجود لهم، ونحو ذلك، فيسعفونه ببعض مطالبه التي يطلب منهم من بيان بعض الأشياء التي تخفى عليهم؛ كعمل الساحر، وما حصل من الساحر لهذا المسحور.

فلهذا قال فيها: «**إنها من عمل الشَّيطان**» لأن الشيطان يدعو إلى كل شر، ويدعو إلى كل فساد، ويدعو إلى الشِّرك، فالنشرة التي يتقرب بها الإنسان إلى الشياطين هي من عمل الشَّيطان.

ولما سئل الإمام أحمد عن هذا قال: «**ابن مسعود يكره هذا كله**» يعني: عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل «**يكره هذا كله**»[(١)] يعني: يكره النُّشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي التي يتقرب فيها للسحرة، ويطلب من السحرة أن يحلوا ما فعلوا، هذه هي التي من عمل الشيطان، وينهى عنها؛ لما فيها من طاعة الشياطين وخدمتهم، والتقرب إليهم بأنواع العبادة.

وسئل ابن المسيب عن هذا، فقال: «**لا بأس به إنّما يراد به الإصلاح**» لما سئل عن الرجل يؤخر عن امرأته: يحبس عن امرأته، أو

---

(١) كما سبق أن ابن مسعود يكره الرقى مطلقًا من القرآن وغيره. ينظر: (ص١٠٤).

يصاب بالسحر؛ فقال: لا بأس به، إنما ينهى عما لا ينفع، أمّا ما ينفع فلا ينهى عنه، ولهذا قال: إنّما يريد به الإصلاح، فأما ما ينفع فلا ينهى عنه.

فكلام ابن المسيب محمول على الحل الذي لا بأس به، وهو الحل بالرقية والتَّعوذات والأشياء المباحة، فهذا من باب الإصلاح، والإصلاح مأمور به، والمنكر منهي عنه، فما ينفع لا ينهى عنه، وما لا ينفع ينهى عنه، إذا كان الذي ينفع، لا بأس به ولا محذور فيه، فإنه يباح التنشير به والحل به، من قراءات، وتعوذات، وأدوية مباحة.

«قال الحسن: «لا يحل السحر إلا ساحر»» يعني: لا يحله بالطرق الشيطانية إلا السحرة، أمَّا حلّه بالطرق الإيمانية والطرق الشرعية، فهذا يحله أهل العلم والبصائر، وأهل الخبرة والتجارب، فيحلونه بأنواع من الأدوية والتعوذات والقراءة، فيزول عن المسحور، كما حلَّ الله السحر عن نبيِّه ﷺ بالمعوذتين.

«قال ابن القيم» ابن القيم هو: العلامة أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الإمام المشهور والعالم الكبير، المتوفى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة رَحِمَهُ اللَّهُ(١) يقول: **«النشرة: حلّ السحر عن المسحور»** النشرة معناها: حل السحر عن المسحور؛ يعني: إزالة ما به من السحر.

قال: **«وهي نوعان:**

أحدهما: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن»: «لا يحل السحر إلا ساحر» فهذا هو المنهي عنه، وهو ما يتقرب به إلى الشياطين عن طريق السحرة بالعبادات، أو بالنذور، أو بالذبح، ونحو ذلك، هذا هو المنكر وهذا هو المنهي عنه.

النوع **الثاني:** حلٌّ بغير ذلك، كالتَّعوذات، والرقية، والدعوات، والأدوية المباحة، فهذا لا بأس به.

---

(١) سبق توثيق ترجمته في (ص١٨٧).

ومن ذلك: أن تقرأ عليه سورة الفاتحة، وتكرر، أو آية الكرسي، أو تقرأ عليه كلتاهما: الفاتحة وآية الكرسي، ومن ذلك: أن يقرأ عليه آيات السحر التي في الأعراف وفي يونس وفي طه، تقرأ عليه مع النفث، ومن ذلك: قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، كل هذه من الرقى الشرعية التي ينفع الله بها المسحور والمحبوس عن زوجته أيضًا، كل هذه رقى شرعية استعملها العلماء، ونفع الله بها المسحورين والمحبوسين عن زوجاتهم.

ومن ذلك ما ذكره بعض الأئمة عن كتب المتقدمين(١): أنه يؤخذ سبع ورقات سدر أخضر، فتدق ثُمَّ تجعل في الماء، ثُمَّ تقرأ فيها آيات السحر المعروفة و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتان، ويقرأ فيها آية الكرسي ثم يشرب منها المسحور أو المحبوس ما تيسر، ثلاث حسوات، ثم يغتسل بالباقي، فيزول بإذن الله ما أصابه من السحر أو الحبس عن زوجته.

وهذا كله مجرب، فنفع الله به، وهو نشرة بغير ما يفعله الكفرة، نشرة شرعية بالقرآن والتعوذات والأدوية المباحة.

وهكذا من وجد دواءً وجربه ونفع، فهو من هذا الباب، إذا كان ليس فيه محذور شرعيّ، ليس من نجاسة، وليس فيه استعانة بالجن، وليس فيه أشياء ممّا حرم الله، وهذا هو الحق والصَّواب، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيهِ مَسألتان:

- **الأولى:** النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.
- **الثانية:** الفَرْقُ بَيْنَ المَنْهِيِّ عَنْهُ وَالمُرَخَّصِ فِيهِ، مِمَّا يُزِيلُ الإِشْكَالَ.

---

(١) ينظر: المصنف لعبد الرزاق (١١/ ١٣) وفتح الباري للحافظ ابن حجر (١٠/ ٢٣٣).

٢٧- بَابُ ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ الآية [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» أخرجاه[(١)] زاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غولَ»[(٢)].

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: يا رسول الله وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[(٣)].

ولأبي داود بسند صحيح، عن عروة بن عامر قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(٤)].

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ثَلاثًا «وَمَا مِنَّا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة، برقم (٥٧٥٧) ومسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، برقم (٢٢٢٠).

(٢) زيادة: «ولا نوء» جاءت في حديث أبي هريرة السابق «**ولا غول**» زيادة في حديث جابر، برقم (٢٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الفأل، برقم (٥٧٥٦) وفي باب لا عدوى، برقم (٥٧٧٦) ومسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، برقم (٢٢٢٤).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩١٩).

إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[(١)] رواه أبو داود، والترمذي، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[(٢)].

وله من حديث الفضل بن العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»[(٣)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

كثير من النَّاس قد يقع فيما وقعت فيه الجاهلية من التَّطير، فأراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: أن ينبه النَّاس أن هذا من عمل الجاهلية، وأن الواجب تركه؛ ولهذا قال: «**باب ما جاء في التَّطير**» يعني: في حكمه شرعًا، وحكمه شرعًا: أنه منكر، وأنه لا يجوز، وأنه شرك أصغر من عمل الجاهلية.

والتَّطير: مصدر تطير تطيرًا وهو التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات على وجه يرده عن حاجته، التشاؤم الذي يعتبر من الطيرة هو الذي يرده عن حاجته أو المضي فيها، أمَّا الفأل فلا بأس به كونه يتفاءل بالشيء الطيب ولا يرده عن حاجته هذا لا بأس به.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] وقال تعالى: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] فأعداء الرسل تطيروا بالرسل فقال الله لهم: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: نحسكم معكم وهو شِركهم وذنوبهم هو سبب

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم (٣٩١٠) والترمذي في كتاب السيرة النبوية عن رسول الله ﷺ، باب: في الطيرة، برقم (١٦١٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٠ برقم ٧٠٤٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٣ برقم ١٨٢٤).

هلاكهم طائرهم معهم؛ يعني: شؤمهم وشرهم ومعاصيهم وكفرهم.

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني: بقدره جلَّ وعلا هو الذي قدَّره وقضاه بعلمه السابق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسباب أعمالهم القبيحة ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قضاءً قدرًا وأسباب ذلك منهم؛ ولهذا قال: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ يعني: شؤمكم وذنوبكم ومعاصيكم التي هي سبب كل شرٍّ معكم.

«عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ» زاد مسلم: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غَولَ» وفي حديث أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا يا رسول الله: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»** أراد النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا: بطلان ما عليه الجاهلية من اعتقادهم أن الأشياء تُعْدِي بطبعها، وأن الأشياء لها تسبب في الضر والنفع بنفسها وذاتها ويتطيرون بها، قال: **«لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ»** على الوجه الذي تعتقده الجاهلية أن الأشياء تُعْدِي بطبعها، وأن من خالط المريض أصابه ما أصابه قطعًا وهذا غلط؛ لأن كل شيء بقدر الله، لكن الله جعل بعض الأمراض تنتقل عند المخالطة كالجرب والجذام قد ينتقل من هذا لهذا بقدر الله، وقد لا ينتقل بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخذ بيد مجذوم، فقال: **«كُلْ بِسْمِ اللهِ ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ»**(١) مع قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»**(٢) فالأمراض لا تعدي بطبعها؛ لكن قد يجعل الله المخالطة للمريض سببًا لانتقال المرض وهذا بإذن الله الكوني القدري؛ ولهذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»**(٣) أي: لا يورد صاحب الإبل المريضة على

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، برقم (١٨١٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢/ ٤٤٣ برقم ٩٧٢٠).

(٣) سبق تخريجه في (ص٥٧).

صاحب الإبل الصحيحة، بل يكون هذا له ورد وهذا له ورد، حتى لا تختلطا وهذا من باب اتقاء أسباب الشر.

وهكذا الحديث: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ**» اتقاءً لأسباب الشر؛ لأن المخالطة قد تؤثر وقد تسبب المرض بقدر الله، فلهذا قال: «**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» مع قوله: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ**» وقال: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**» مع قوله: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ**» لأن هذه الأشياء قد تسبب شكوكًا وظنًّا من المخالط فيعتقد اعتقاد الجاهلية؛ ولأن الله سبحانه قد يجعل المخالطة سببًا لقضائه وقدره، فالواجب على صاحب الإبل الجرباء أن يجعل سقيها وحدها والصحيحة يكون وحدها، وأن ترعى هذه وحدها، وهذه وحدها بُعدًا عن أسباب انتقال المرض، وما تسبب من ظنون وشكوك.

قوله: «**وَلا هَامَةَ**» الهامة: طائر يسمى البومة، إذا وقع على بيت أحدهم قالوا: يخرب البيت أو يموت صاحبه يتشاءمون فأبطل الله ذلك، على لسان رسوله ﷺ وأن هذا الطائر ليس عنده خبر، وليس هو سبب لخير ولا شر، فالطيور لا البومة ولا الغراب ولا غيرها سبب في الخير والشر والمهالك.

قوله: «**وَلَا صَفَرَ**» الشهر المعروف كان بعض الجاهلية يتشاءمون بصفر ولا يتزوجون فيه وبعضهم لا يسافر فيه، فأبطل النَّبِيُّ ﷺ التشاؤم بصفر وأخبر أنه كسائر الشهور ليس فيه شيء لا ضر ولا نفع، وقال بعضهم: إنها دابة في البطن تُسمى صفر، والمشهور: أنه صفر الشهر المعروف.

قوله: «**وَلَا نَوْءَ**» النجم واحد الأنواء «**وَالغَولَ**» نوع من الجن يتشكل للناس في الصحاري والمفاوز فأبطل اعتقاد الجاهلية في الأنواء واعتقادهم في الجن، وأنهم يفعلون ويفعلون، وأن الأمر بيد الله جلَّ وعلا؛ ولهذا يروى عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنه قال: «**فَإِذَا تَغَوَّلَتْ الغِيلَانُ فَنَادُوا بِالأَذَانِ**»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث جابر رضي الله عنه (٣/ ٣٠٥ برقم ١٤٣١٦) والنسائي =

والأنواء: خلقها الله زينة للسماء ورجومًا للشيطانين وعلامات يهتدى بها ليس عندها ضر ولا نفع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] هي زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدى بها ليس عندها ضر ولا نفع.

وهكذا الغول: الجن يستعاذ بالله من شرهم كان بعض مخبلات الجن يفزعون الناس في الأسفار والصحاري ويروعونهم فبيَّن النَّبِيُّ ﷺ أنه ليس لهم تصرف إلا بإذن الله، واعتقاد الجاهلية فيها أنها تفعل وتفعل وتتصرف، هذا غلط، كل هذا بإذن الله وقضائه وقدره، فإذا تغولت أو رأى شيئًا يريبه من الجن، فليذكر الأذان يؤذن يذكر الله فالأذان يطردها إذا سمع الشيطان الأذان أدبر «**فَإِذَا تَغَوَّلَتْ الغِيلَانُ**» ينبغي أن يعالجه بالأذان والذكر.

قوله ﷺ في حديث عروة بن عامر(١) لما سئل عن الطيرة؟ قال: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ**» يعني: الفأل يشبه الطيرة من بعض الوجوه؛ لأن الفأل يسر المؤمن إذا سمع ما يسره فيشبه الطيرة من هذا الوجه؛ كالمريض يسمع من يقول: يا مُشافى يا مُعافى يا مُوفق فيفرح بذلك، هذا من باب التفاؤل، ولا ترده عن حاجته، الفأل لا يرد عن الحاجة؛ ولهذا قال ﷺ: «**وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» فالمريض إذا سمع من يقول: يا طيِّب، يا سليم قد يسره هذا الكلام.

هكذا الذي ينشد ضالة فيسمع إنسانًا يقول: أبشر، أو: يا واجد، أبشر بما يسرك أو بما تحب، وما أشبه ذلك، فيسر بهذا ولكن لا ترده عن حاجته، هذا الفأل لا بأس به، ولهذا قال ﷺ لما سئل عن الفَأْلُ؟

= في السنن الكبرى (٦/ ٢٣٦ برقم ١٠٧٩١).

(١) هو: عروة بن عامر المكي مختلف في صحبته له حديث في الطيرة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين أخرج له أصحاب السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٨٩ برقم ٤٥٦٤).

قَالَ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» وفي حديث عروة بن عامر: «أَحْسَنُهَا الفَأْلُ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» إذا رأى شيئًا يكرهه أو يسوءه صوتًا يكرهه أو حاجة يكرهها.

فليقل: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» وفي حديث عبد الله بن عمرو فليقل: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلا إِلٰه غَيْرُكَ» يعني: يأتي بالكلام الطيب والذكر الذي يرغم الشيطان ويدفع عنه ظن السوء، ويمضي في حاجته.

وفي حديث ابن مسعود ﵁، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» لأنها نوع من التعلق بغير الله في قضاء الحاجة أو ردِّها، فهي شرك من هذه الحيثية، شرك أصغر؛ لأنها نوع من التعلق على غير الله.

قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» هذا من كلام ابن مسعود مدرج؛ يعني: لا يؤمن أحد إلا قد يقع في قلبه شيء من هذا، ولكن الله يذهبه بالتوكل، فالصَّحابة ﵃ وأرضاهم يعتمدون على الله ويثقون به، ولا يلتفتون إلى ما قد يقع في نفوسهم من المكروهات.

ولا يجوز للإنسان أن ترده الطيرة، إنسان مثلًا يخرج مسافرًا يصادفه عدوٌّ له في الطريق، فينظر إليه أو ينظر إلى دابة مقطوعة الذنب أو الآذان أو دابة ما تسره أو إنسان ما يسره، ثم يرجع عن سفره، لا، بل يمضي في سفره لا ترده الطيرة يمضي في سفره، ويقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا يرده ذلك إذا رأى أو سمع ما يكره، بل يمضي في سفره ويتعوذ بالله من كل شر.

وفي حديث الفضل بن العباس[1]: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»

---

(١) هو: الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأكبر ولد العباس، استشهد في خلافة عمر ﵁ أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٤٦ برقم ٥٤٠٧).

فالطيرة التي تُقصد هي التي ترده عن السفر، أو تمضيه، كما في حديث «من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك».

فالواجب على المؤمن أن يحسن ظنه بربه، وإذا رأى ما يكره أو شاهد ما يكره أو سمع ما يكره، يفعل الأسباب الشرعية، ولا ترده الكلمة التي سمعها ويكرهها أو منظر راءه لا يرده عن حاجته، بل يمضي في حاجته، ويعتمد على الله، ويسأله العافية من كل بلاء، هذا هو الواجب على كل مسلم وأن يحذر مشابهة الجاهلية في التطير، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــــــــى:** التَّنْبِيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ [يس: ١٩].
- **الــثـــانــيـة:** نَفْيُ العَدْوَى.
- **الــثــالــثــة:** نَفْيُ الطِّيَرَةِ.
- **الــرابــعــة:** نَفْيُ الْهَامَةِ.
- **الــخــامــسـة:** نَفْيُ الصَّفَرِ.
- **الــســادســة:** أَنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.
- **الــســابــعــة:** تَفْسِيرُ الفَأْلِ.
- **الــثــامــنــة:** أَنَّ الوَاقِعَ فِي القَلْبِ مِن ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لا يَضُرُّ؛ بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ.
- **الــتــاســعــة:** ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ.
- **الــعــاشــرة:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.
- **الحادية عشرة:** تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ.

٢٨- بَابُ ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاثٍ: زِينَةً لِلسَّماءِ، وَرُجُومًا للشَّياطِينِ، وَعَلامَاتٍ يُهتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيرَ ذَلِك، أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ» انتهى[(١)].

وكره قتادة: تعلّم منازل القمر، ولم يرخِّص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخَّص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق[(٢)].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَقَاطِعُ الرَحِمِ»[(٣)] رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

«باب التنجيم» لما كان التنجيم شائعًا بين النَّاس، وله من يتبعه ويبني عليه أشياء، ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد، تنبيهًا على بطلان التنجيم.

---

(١) أخرجه معلقًا في كتاب بدء الخلق، في عنوان: باب في النجوم، بين رقمي (٣١٩٨ و٣١٩٩) وقد وصله ابن جرير في التفسير (٢٣/٥٠٨) كما وصله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٤٨٩).

(٢) ذكره عنهم الحافظ ابن رجب في كتابه «فضل علم السلف» (ص٥٧) طبعة دار القبس، ط٢ عام ١٤٣٢هـ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٩٩ برقم ١٩٥٨٧) وابن حبان برقم (٥٣٤٦) وصححه الحاكم في كتاب الأشربة برقم (٧٢٢٣٤) ووافقه الذهبي التلخيص مع المستدرك (٤/ ١٦٣).

والتنجيم: مصدر نَجَّمَ ينجم تنجيمًا؛ يعني: حزر وحدَّث فيما يعتقده في النجوم، والتنجيم: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، يسمى تنجيمًا؛ يعني: بالنظر في النجوم واجتماعها وافتراقها وطلوعها وغروبها وتقاربها وتباعدها، يستدلون به على أنه يقع كذا في الأرض ويقع كذا ويقع كذا وهو باطل، وهو من دعوى علم الغيب التي أبطلها الله في قوله سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] وفي قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [هود: ١٢٣].

المقصود: أنَّ التَّنجيم من دعوى علم الغيب: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، هذا هو مقصود المؤلف من هذا الباب، لبيان التحذير منه.

أمَّا النَّظر في النُّجوم من باب تسيير منازل القمر حتى تعلم الأوقات أوقات الصلوات، وحتى تعلم القبلة، وتعلم الطرقات؛ هذا لا بأس به كما قال أحمد وإسحاق، وإن كرهه قتادة وكرهه ابن عيينة ولم يرخِّص فيه، لكن الصواب جواز تعلم المنازل لمعرفة جهة القبلة في الأسفار والبلدان، ولمعرفة أوقات الصلوات عند الغيم، وعند الحاجة إلى ذلك، فهذه أمور لا بأس بها، ولأوقات الحراثة أوقات الفلاحة التي يحرثون فيها، فعل كذا في وقت كذا أو في وقت كذا، كل هذا لا بأس به.

«قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث» قتادة: هو ابن دِعامة بكسر الدال السدوسي، من كبار التابعين المعروفين بالرواية عن جماعة من الصَّحابة، وهو من الثقات المعروفين[(١)]. كره قتادة تعلم منازل القمر، فقال: **«خلق الله النجوم لثلاث»** فوائد أو خصال: **«زينة للسماء»** يعني: خلقها زينة للسماء، **«ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن**

(١) المكنى: بأبي الخطاب البصري ثقة ثبت، يقال: ولد أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة بضع عشرة ومائتين هجرية، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٥٣ برقم ٥٥١٨).

تأول فيها غير ذلك» يعني: من زعم أنها تدل على كذا أو كذا من علم الغيب، فقد «أخطأ وأضاع نصيبه» يعني: من الآخرة، «وتكلف مَا لا علم لـه» قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] هذا هو علم المنازل.. علم التسيير، هذه من فوائدها.

وأمَّا الاستدلال بها على أنه يولد كذا، ويكون مُلْك كذا، ويزول مُلْك كذا، ويحدث كذا؛ هذا كله لا أصل له، بل هو باطل، ولهذا قال: «وكره قتادة» المذكور، «تعلم المنازل»: منازل القمر «ولم يرخص ابن عيينة فيه» وهو سفيان بن عيينة الإمام المعروف المشهور المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة[1] هذا قول لهما، وهو قول ضعيف مرجوح عند أهل العلم «ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق» أحمد بن حنبل[2] وإسحاق بن راهويه[3] وذلك لا بأس به كما تقدم.

أمَّا المنازل التي يراد منها معرفة منازل القمر والشمس ليعرف بها الأوقات؛ كأوقات الصلوات، وجهة القبلة، وجهة طرق البلاد، وما أشبه ذلك، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

---

(١) هجرية، في رجب، أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة من رؤوس الطبقة الثامنة، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٤٥ برقم ٢٤٥١).

(٢) سبق توثيق ترجمته في: صفحة (٢٣٩) وسيأتي التعريف به في شرح سماحة الشيخ هذا في (ص٣٩٣).

(٣) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلدة الحنظلي أبو محمد بن راهويه، ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل مات سنة (٢٣٨هـ) أخرج له الجماعة، إلا أبو داود. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٩٩ برقم ٣٣٢٨).

«**وعن أبي موسى**»: هو الأشعري: عبد الله بن قيس[(١)] الأشعري رضي الله عنه الصَّحابي الجليل اليماني، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنّة: مدمن الخمر**» هذا وعيد شديد، وهذا من باب الوعيد؛ لأن إدمان الخمر من كبائر الذنوب، وصاحبه تحت المشيئة إذا مات على ذلك، أمَّا إن تاب، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن مدمن الخمر إذا كان لم يستحلها، فهو عاص، فإن استحلها، فهو كافر، نعوذ بالله.

«**وقاطع الرحم**» كذلك قطيعة الرحم من الذنوب العظيمة والكبائر، كما قال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[(٢)] فقطيعة الرحم من أكبر الكبائر، وكذلك إدمان الخمر من أكبر الكبائر، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٣)] ويقول ﷺ: «**إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الخَمْرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ؟**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ؟ قَالَ: «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**»[(٤)] وهذا من باب الوعيد، وقد يدخل الجنة من أول وهلة ويعفى

---

(١) ابن سليم بن حَضَّار صحابي مشهور أمّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة (٥٠هـ) وقيل: بعدها، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٨ برقم ٣٥٤٢).

(٢) متفق عليه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إثم القاطع، برقم (٥٩٨٤) ومسلم عن جبير رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم (٢٥٥٦).

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] برقم (٥٥٧٨) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية...، برقم (٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، برقم (٢٠٠٢) ولفظه: «**إِنَّ عَلَى اللهِ** عز وجل **عَهْدًا**» بدل قوله: «**إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ**» ودون قوله: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ**».

عنه، وقد يعذبون في النَّار في قطيعة الرحم وإدمان الخمر، ثم يكون لهم نهاية إذا ماتوا على التوحيد والإسلام؛ يخرجون من النار إلى الجنة كسائر العصاة؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

أمَّا المصدق بالسِّحر، فهذا هو الذي يدخل الكفر إذا صدق بأن السِّحر حقٌّ، وأنه يغير كذا ويغير كذا وكذا، وأن صاحبه على حقٍّ، وأنه يصيب، أو أن صاحبه يعلم الغيب، فهذا قد يكون كفرًا، ويكون صاحبه ضالًا وكافرًا. أمَّا إذا صدق بأنه موجود وأن له تأثيرًا، ولكنه حرام ومنكر، فهذا لا حرج عليه، السحر موجود، وقد أخبر الله عن وجوده فقال ﷻ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فالسحر موجود، ولكنه ممَّا يتعلق من خدمة الشَّياطين وعبادتهم من دون الله، فالذي يصدق به، ويرى أنه صواب، وأنه دين، وأنه جائز، ولو كان فيه الشرك الأكبر وعبادة الشياطين، هذا يكون كافرًا والعياذ بالله، فلهذا توعد بعدم دخول الجنة.

أمَّا من اعتقد وجوده وأنه موجود، لكنه منكر يجب محاربته، ويجب القضاء عليه، ومحاربة أهله وقتلهم، هذا هو الحق؛ لأن السحرة يجب قتلهم، ولا يستتابون لفسادهم في الأرض، كما تقدم في باب ما جاء في السحر، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** هل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] يشمل هذا الوعيد العصاة الموحدين؟

○ **الجواب:** هذا وعيد؛ يعني: إذا أطلق فهو في الكفرة، وأمَّا العصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله جلَّ وعلا، إن شاء عفى عنهم، وإن شاء عذبهم على قدر معصيتهم، ثم بعد التمحيص يدخلهم الجنة لتوحيدهم له.

• **السؤال:** ما المقصود بتصديق السحر؟ هل يقصد به التصديق بالسِّحر الذي له حقيقة، أم يقصد به مطلق التصديق بالسِّحر ووجوده؟

○ **الجواب:** المقصود التصديق بالسِّحر، كأن يقول: إنَّ السَّاحر يعلم الغيب، ويفعل ما لا يقضه الله ويقدره، وأن له التصرف في الكون أو ما أشبه ذلك، لو صدقه بهذا هو الذي فيه الوعيد، أمَّا إن أراد بتصديقه أن السحر موجود وأنه يقع من الناس، فهذا واجب التصديق به.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُوم.

• **الثانية:** الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

• **الثالثة:** ذِكْرُ الخِلافِ فِي تَعَلُّم المَنَازِلَ.

• **الرابعة:** الوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ السِّحْرِ، وَلَوْ عَرَفَ أنه بَاطِلٌ.

❋ ❋ ❋

٢٩- بَابُ ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ بالأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رواه مسلم(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء» **الاستسقاء:** هو طلب السقيا، طلب المطر، طلب الغيث، والاستسقاء شرعه الله عَزَّ وَجَلَّ ليطلب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والضراعة إليه، والاستغاثة به أن يغيث العباد عند وجود الجدب والقحط، بدلًا ممَّا كان عليه أهل الشِّرك من الاستسقاء بالنُّجوم وطلب الغيث منها، والضراعة إليها، والميل إليها، والتعلق بها.

شرع الله للعباد أن يدعوا ربهم، ويسألوه الغيث، المطر، حتى يزيل ما بهم من جدب وحاجة، وشرع لذلك صلاة مستقلة، كما شرع الاستسقاء بدون صلاة؛ كالاستسقاء في الخطب كخطب الجمعة وغيرها، كله ضراعة إلى الله ودعوة له، وتوجه إليه بخالص الدعاء حتى يغيثهم.

أمَّا الكُفَّار فكانوا يستسقون بالأنواء: وهي النجوم، وهي ثمانية وعشرون نوءً ينزلها القمر والشمس في مدارهما القمر في الشهر،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، برقم (٩٣٤).

والشمس في السنة، ويقال لها: أنواء، ويقال لها: النُّجوم، وكان من سُنَّة الجاهلية: الاستسقاء بها، والاستغاثة بها، وهذا من شركهم وضلالهم وجهلهم.

كما قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أخبر سبحانه في الآية أنهم جعلوا حظهم ونصيبهم تكذيبهم بما أخبر الله به، وأنه ينزل المطر، وأنه يغيث، وأنه الذي بيده التصرف، فجعلوا يسألون النجوم ويستغيثون بها ويستسقون بها، بزعمهم أنها واسطة، وأنها تفعل ذلك، بإذن الله فكذبهم الله، وبيِّن أنه هو الذي يسقي ويغيث، وليس عند هذه النجوم شيء من هذا، فوجب على أهل الإيمان الأخذ بما بيَّنه الرَّسول ﷺ والتمسك به، والحذر مما عليه أهل الجاهلية.

ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه[(١)]: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» يعني: لا يزال في النَّاس من يتعاطاها ويتأسى بالكفرة فيها، منها **الأمر الأول**: «الفَخْرُ بالأَحْسَابِ» يقول: أنا ولد فلان، وأنا كذا وأنا كذا، يحتج به على باطله، أو على ما يدعيه من أمور، يتعظم بها، ويفخر بها على الناس.

وَالأَحْسَاب: ما يكون للآباء من مآثر من شجاعة، أو جود وكرم، أو ما أشبه ذلك من التي تعد كرامة للرجل، فيفخر بها أولاده للترفع على الناس، والتعاظم بين النَّاس، وهذا من سُنَّة الجاهلية، فإن رفعة الإنسان بعمله واجتهاده، وما يتعاطاه من خير هذا هو الذي يزكيه عند الله وعند المؤمنين، أمَّا عمل آبائه وأجداده فلهم، ليس له.

والأمر الثاني: «الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ» كذلك هذا من سُنَّتهم، يتنقصون الأنساب فلان فيه كذا، وفلان فيه كذا، فلان من بني فلان،

---

(١) هو: الحارث بن الحارث الشامي، تفرد بالرواية عنه أبو سلام، أخرج له مسلم والترمذي والنسائي. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٤٥ برقم ١٠١٤).

فلان نجار، فلان حداد، على سبيل التنقص والعيب، لا على سبيل الخبر، أمَّا الإخبار بذلك فلا بأس مثل أن يقول: فلان من بني فلان، وفلان من بني، فلان هذا حداد، نجار، خراز، هذا ليس فيه بأس من باب الإخبار به، لكن الذي يذم التحدث عنه بذلك من باب التنقص، والعيب، والاحتقار، هذا هو المذموم الذي كانت تتعاطاه الجاهلية.

الأمر الثالث: «**الِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**» كونهم يستسقون بالنُّجوم، يقولون: سقينا بنجم كذا، أو: مطرنا بنوء كذا، أو: لقد صدق نوء كذا، أو: يسألونها مباشرة، أن تغيثهم وتنزل عليهم المطر، هذا من سنة الجاهلية.

وأنَّ الرَّسول ﷺ أنكر ذلك وبيَّن بطلانه، وأن الله جلَّ وعلا هو الذي يسقي العباد، وينزل المطر، ويغيث عباده، لا الأنواء، فالأنواء ليس لها تصرف في ذلك، وإنَّما خلقها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر.

الأمر الرابع: «**النياحة**» ومن سُنَّتهم إذا مات ميتهم صاروا يصيحون، ويشقون الثّياب، وينثرون الشُّعور، ويحثون التراب على الرؤوس، هذا من سُنَّة الجاهلية، وكل هذه الأمور باقية في بعض المسلمين ورثوها عن الجاهلية.

فيجب على المسلم أن يتجرد منها، وأن يتخلص منها، وألا تبقى فيه هذا السُّنَّة الجاهلية، وإن بقيت في بعض النَّاس، لكن ينبغي للمؤمن أن يحاربها، وأن يبتعد عنها، وأن ينكرها على من فعلها؛ لأنها سُنَّة الجاهلية.

قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[١].

---

(١) أخرجه عن عبد الله رضي الله عنه: البخاري في كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، برقم (١٢٩٤) وفي باب ليس منا من ضرب الخدود، برقم (١٢٩٧) =

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ الصَّالِقةِ والحَالِقةِ وَالشَّاقَةِ**»[(١)].

والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة[(٢)]، كل هذا من سُنَّة الجاهلية، يجب التخلص منه والحذر منه.

ثم قال ﷺ مؤكدًا للتحذير: «**النَّائِحَةُ**» عبَّر بالمرأة؛ لأنه غالبًا من فعل النساء، الغالب أن هذا النوع من فعل النساء، وقد يفعله الرجال، لكن الغالب أن الذي يتعاطى هذه الأمور هم النساء النوح، ونتف الشعر، وشق الثياب، وهو محرم على الجميع، وقال: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» يعني: من قبرها، «**وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ**» السربال: يعني: ثوب، لباس، «**مِنْ قَطِرَانٍ**» عقوبة لها عند قيامها من القبر غير عقوبة النَّار؛ لأنه يكون أشد في اشتعال النّار، نعوذ بالله، والأذى إذا كان من القطران، «**وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» يكون فيه الأذى والحكّة، والشر على من لبس هذا الدرع.

والحاصل من هذا: أنه بيان لسوء عاقبتها، وسوء منقلبها، وسوء انتشارها من قبرها، نسأل الله العافية، في هذا العمل السيئ، إلا أن تتوب، فمن تاب، تاب الله عليه، من تاب من الذنوب، من الشرك، أو المعاصي، تاب الله عليه؛ ولهذا قال: «**إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا**» فالتوبة

= وفي باب ما ينهى من الويل ودعوى الجاهلية، برقم (١٢٩٨) ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، برقم (١٠٣).

(١) أخرجه عن أبي موسى رضي الله عنه: البخاري في كتاب الجنائز، باب الخدود ما ينهى من حلق الرأس عند المصيبة، برقم (١٢٩٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب...، برقم (١٠٤).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: [سلق] ص٤٤٠، ومادة: [صلق] ص٥٢٤، ومادة: [حلق] ص٢٢٦، ومادة: [شق] ص٤٨٧.

تكون قبل الموت، فمن تاب قبل الموت توبة صادقة من شرك أو معصية، محاها الله عنه، إذا ندم على الماضي، وأقلع من المعصية، وعزم ألَّا يعود فيها، تعظيمًا لله، ورغبةً فيما عنده، تاب الله عليه من سائر الذنوب، فضلًا منه وإحسانًا.

فهذا الحديث يبيِّن لنا أن هذه الخصال الأربع من أمور الجاهلية، وأنَّ الغالب على الأمة عدم تركها، وأنه يوجد فيها هذا الشيء، نسأل الله العافية والسَّلامة.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** بعض النَّاس إذا كان الرجل ذو حسب ونسب، لا يتزوج البنت ذات الدين التي تحفظ القرآن؟

○ **الجواب:** هذه أمور عادية بين الناس، إذا كان ليس من باب الاحتقار، وقد يأبى عليه قومه وجماعته وقد يعيبونه، وقد يؤذونه، فلا بأس؛ لأن العرب والعجم والموالي قد يأخذ بعضهم من بعض، وقد لا يأخذ بعضهم من بعض، فالأمر في هذا واسع، وهو جائز، إذا أخذ من الموالي أو ما يسمى الخضيري، أو من العجم، فلا بأس إذا تزوج منهم، أو عاشرهم، أو اتخذهم أصدقاء لإيمانهم وتقواهم، هذا هو الحقّ؛ لأن الدين، دين الله، يسوي بين العجمي والمولى والعربي والقرشي والهاشمي والقحطاني، هذا هو الحق في الأخوة الإيمانية، لكن لو ترك الهاشمي نكاح مولاته أو عجمية خوفًا من أذى قومه، أو لأسباب أخرى، لا بأس، لا للاحتقار.

• **السؤال:** في بعض القرى يذبحون في رؤوس الجبال للجن من أجل نزول المطر؟

○ **الجواب:** هذا من الشِّرك الأكبر، الذَّبح للجن، أو للأصنام، أو للأشجار والأحجار، أو للميت الفلاني، هذا هو دين الجاهلية، نسأل الله العافية.

- **مداخلة:** ذبحوا فجاءهم المطر؟

○ **الجواب:** ولو، قد يكون ابتلاءً وامتحانًا، هذا مما يبتلى به الناس، نسأل الله العافية.

- **السؤال:** شخص يذبح لغير الله، ويتقرب به لعلي رضي الله عنه؟

○ **الجواب:** هذا شيعي من الشيعة، ومن يعبدون عليًّا، ويعبدون أهل البيت، وهذا من الشيعة الرافضة، نسأل الله العافية.

قال المؤلف رحمه الله:

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(١).

ولهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه وفيه: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»(٢) **فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾** [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٢].

قال الشارح رحمه الله:

أورد المؤلف رحمه الله هذا الحديث الصحيح عن زيد بن خالد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم (٨٤٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧٣) ولم أجده في البخاري.

الجهني رضي الله عنه[(١)] «في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء» وقد تقدم حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وأن من سُنَّة الجاهلية وأخلاقهم الاستسقاء بالأنواء بالنجوم، كقولهم: مطرنا بنوء كذا، أو: صدق نوء كذا، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ أنكر ذلك وبيَّن بطلانه، وأن الله هو الذي يسقي العباد، وينزل المطر، ويغيث الناس، لا الأنواء والنجوم.

وهذا الحديث يبين هذا المعنى، يقول زيد بن خالد الجهني: «**صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ**» صلَّى بهم الصبح، على إثر سماء؛ يعني: على إثر مطر، كانت من الليل ويقصد بسماءٍ: المطر، فإن المطر ينزل من جهة العلو، من جهة السماء، «**فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ**» كانت هذه عادته ﷺ إذا سلّم من الصَّلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال: «**اللَّهُمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» ثم ينصرف بوجهه إلى الناس، يعطيهم وجهه، ويقابلهم عليه الصَّلاة والسَّلام، ويكمل بقية الأذكار الشرعية التي بعد الصلاة.

فلما انصرف إليهم وأعطاهم وجهه، وعظهم وذكرهم، وقال في ذلك: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**» وهذه عادة الصَّحابة رضي الله عنهم، إذا سئلوا عمَّا لا يعلموا يقولون: الله ورسوله أعلم، وهذا هو الواجب على كل إنسان لا يعلم إذا سُئل أن يقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري، وفي حياة النَّبيّ ﷺ كانوا يقولون: الله ورسوله أعلم؛ لأنه ﷺ يأتيه الوحي من السماء، ولهذا يقول: الله ورسوله أعلم.

أما بعد وفاته، فيقال: الله أعلم؛ لأنه ﷺ لا يدري ماذا يحدث لانقطاع الوحي عنه، فلا يعرف ما يقع في الناس، كما جاء في قصة منع

(١) زيد بن خالد الجهني المدني صحابي مشهور مات بالكوفة سنة (٦٨ وقيل: ٧٠هـ) أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٣ برقم ٢١٣٣).

بعض أمته عن حوضه عليه الصَّلاة والسَّلام «**فَيَقُول: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، قال: فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]»[(١)].

فهو لا يدري ما يقع بعده من النَّاس إلا ما يعرض عليه؛ كصلاتنا عليهِ عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنه قال: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»[(٢)] عليه الصَّلاة والسَّلام، فيقول الإنسان إذا سئل عما لا يعلم بعد وفاة النَّبيّ ﷺ: الله أعلم، أو: لا أدري، وهذا من العلم، هذا من الأدب أن يقول: لا أدري لما لا يعلم، ولا يتكلف، ولا يقول بغير علم.

ولهذا قال بعض السلف: نصف العلم لا أدري[(٣)] لأن العلم شيئان: شيء تعرفه، وشيء لا تعرفه، فـ: لا أدري نصف العلم «**فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال الرّب ﷻ: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**» يعني: هذه الليلة التي فيها المطر، أصبح منهم كافر ومنهم مؤمن.

«**فأمَّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**» يعني: مؤمن بالله؛ لأنه مالك الأمطار ومالك للعباد ﷻ، وهو من فضله ﷻ ورحمته حيث أغاثهم، وتفضل عليهم، هذا من فضله ﷻ.

---

(١) متفق عليه عن ابن عباس، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] برقم (٤٦٢٥) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يو القيامة، برقم (٢٨٦٠).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة ﷺ: أبو داود في كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم (٢٠٤٢).

(٣) عزاه للشعبي: الدارمي في مقدمة سننه في باب الفتيا وما فيه من التشديد، برقم (١٨٦).

«**وأمَّا من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**» وهذا يبين لنا أنه لا يجوز أن يقال: مطرنا بنوء كذا، وأنه من أنواع الكفر، ولا يقال عند المطر: صدق نوء كذا، ولا سقينا بنجم كذا، ولا بنوء كذا، ولكن يقال: مطرنا بفضل الله ورحمته، اللَّهُمَّ صيبًا نافعًا، كما بيَّنه النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقوله: «**مطرنا بنوء كذا**» إن: أراد بذلك أن النوء هو الذي أحدث المطر، وهو المتصرف في الكون، فهذا كفر أكبر نعوذ بالله، وإن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ ظنًّا منه أنه سبب، فهذا أيضًا من أنواع الكفر، وإن كان كفرًا أصغر؛ لإطلاق الحديث عليه: «**مطرنا بنوء كذا**» يعني: بسبب نوء كذا، فليس له تسبب، بل كله من الله ﷻ، والكوكب لا يحدث، ولا ينزل مطرًا، وليس بسبب، وإنما هو ظرف من الظروف تقع فيه الحوادث، كما تقع في الأيام والليالي، فهو ظرف، وليس بمحدث ولا بمتسبب، ولهذا أنكر الرّب ﷻ على من قال ذلك، فلا يجوز أن يقال: مطرنا بنوء كذا، ولو أراد أنه ظرف، لا يعبّر بهذا التعبير.

أمَّا إذا قال: مطرنا في وقت كذا، مطرنا في الصيف، مطرنا في الشتاء، مطرنا في زمن الربيع، مطرنا في وقت الثريا، وفي وقت كذا، لا بأس من باب الإخبار عن الوقت، أما بنوء كذا فلا يجوز؛ لإطلاق النهي عن ذلك عن النَّبِيّ ﷺ عن الله ﷻ.

وهكذا قوله: «**لقد صدق نوء كذا**»، هو من هذا الباب، من حديث ابن عباس فلا يجوز، ولكن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته.

ثم أنزل الله فيها قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥] إلى قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١، ٨٢] يعني: تجعلون حظكم من نعم الله وفضله أنكم تكذبون بذلك في قولكم: مطرنا بنوء كذا، أو: لقد صدق نوء كذا.

فالواجب هو الاعتراف بنعمة لله، وأنه من فضله ﷻ، ومن إحسانه

إلى عباده، وأنه يجب الحذر من أعمال الجاهلية، وأخلاق الجاهلية، وألفاظ الجاهلية كـ«**مطرنا بنوء كذا**» أو: «**لقد صدق نوء كذا**» أو: لقد صدق الحاكم الفلاني، أو ما أشبه ذلك مما يوهم أن لهذه النجوم تصرفًا أو تسببًا في هذا الغيب، بل هو من فضل الله ورحمته جلَّ وعلا، وليس لها تسبب، وإنّما هي زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، ليس لها تعلق بالأمطار ولا بالحوادث.

والتَّنجيم الذي يعلق الحوادث بالنجوم هو المنكر، هو الذي أنكره العلماء، وبيّنوا أنه كفر وضلال، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على حوادث الأرض، فهذا هو المنكر.

أما إذا قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فهذا هو الحق، أو قال: مطرنا في وقت كذا؛ كالربيع، في وقت الصيف، في رجب، في شعبان، في وقت النّجم الفلاني، فالمطر نزل في وقت كذا وكذا، في نوء الثريا، في نوء كذا لا بنوء كذا، وإنما يخبر عن الوقت؛ ليعرف ويضبط، هذا لا دخل له في ذلك ولا يضر، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** ما معنى هذا منخفض جوي؟

○ **الجواب:** لا أعرف هذا[١].

• **السؤال:** إذا غاب النجم من اليسار، قالوا: هذا شر، وبعضهم يتشاءمون بشهر صفر؟

○ **الجواب:** كل هذا باطل، هذا من أعمال الجاهلية.

---

(١) أوردنا هذه الإجابة ليعلم القارئ أن سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يتحرج أن يقول: لا أعلم، أو: لا أدري، فقد كان يشرح قول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الله ورسوله أعلم، ونقل عن السلف ما يفيد أن لا أدري نصف العلم، فلما سئل عما لا يحضره فيه جواب علمي قال: لا أعرف، فهو امتثل ما يدعو إليه، فعلى المسلم أن يتحلى بهذا الأدب العلمي، ولا يتخرج في قوله.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ الوَاقِعَةِ.
- **الثانية:** ذِكْرُ الأَرْبَعِ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ.
- **الثالثة:** ذِكْرُ الكُفْرِ فِي بَعْضِهَا.
- **الرابعة:** أَنَّ مِنَ الكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ.
- **الخامسة:** قَوْلُهُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ.
- **السادسة:** التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.
- **السابعة:** التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.
- **الثامنة:** التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «**لَقَدْ صَدَقَ نَوْءَ كَذَا وَكَذَا**».
- **التاسعة:** إِخْرَاجُ العَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ المَسْأَلَةَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهَا؛ لِقَوْلِهِ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».
- **العاشرة:** وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

❋ ❋ ❋

٣٠- بَابُ قول الله تعالى:
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١) أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَن يَكْرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدِ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٢).

وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى...»(٣) إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَ

---

(١) البخاري في كتاب الإيمان، باب حبُّ الرَّسول ﷺ من الإيمان، برقم (١٥) ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبَّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل....، برقم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم (١٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم (٤٣).

(٣) أخرج هذه الرواية: البخاري في كتاب الأدب، باب الحب في الله، برقم (٦٠٤١).

فِي اللهِ وَعَادَ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَن يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَصَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةُ النَّاسِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يَجْدِي عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا»[(١)] رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الباب في بيان إثبات محبَّة الله، وأنها من أهم المهمات، ومن أرغب العبادات، وأنها أساس لهذا الدين، فإن حبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقتضي إخلاص العبادة له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب قول الله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥]».

يبيِّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ بعض النَّاس يتخذ أندادًا من دون الله، من الأصنام والأشجار والأحجار، والأنبياء والملائكة والجن وغير ذلك، يحبونهم كحب الله؛ يعني: يحبونهم محبة العبادة، كحب الله؛ يعني: كحب المؤمنين لله، أو كحبهم لله على أحد التفسيرين.

والمقصود: من هذا بيان أنَّ هؤلاء المشركين ضلوا في هذا السبيل، حيث أحبوا مع الله غيره محبة عبادة، فخضعوا لهم وعبدوهم بالنذور والذبائح والدعاء وغير ذلك، والواجب عليهم أن تكون محبتهم لله واحدة خالصة؛ لأنها محبة عبادة تقتضي إيمانهم به، وتقتضي إخلاص العبادة له، وتقتضي طاعة أوامره وترك نواهيه، إلى غير ذلك.

أمَّا محبة غيره فتكون تابعة لمحبته، يحب الرَّسول لله؛ لأنه

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٣/ ٢٥٧) وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٩٦، برقم ١) كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عمر (١٢/ ٤١٧ برقم ١٣٥٣٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٠٧ برقم ٣١٢).

رسول الله ﷺ يحب المؤمنين في الله؛ لأنهم أولياء الله.. أطاعوه، هذه المحبة لله وفي الله، أمَّا حبّ العبادة فهذا خاص بالله، وهي محبة الخضوع والذل والاستكانة والطاعة والامتثال، فهذا خاص به جلَّ وعلا، لا يكون لغيره، يجب على العبد أن يحب الله محبةً صادقةً تقتضي إخلاص العبادة له، واتِّباع شريعته، وطاعة أوامره التي جاء بها رسله، وترك نواهيه، بخلاف أهل الشرك، فإنهم أحبوا أندادهم كحب الله، كما أحبوا الله، بل بعضهم زاد حبه لأنداده أكثر من حب الله؛ فصاروا يعبدون أندادهم، ويخلصون لهم الدعاء، وينذرون له، ويسجدون إلى قبورهم، ويتقربون إليهم بالذبائح والنذور، ولو قيل لهم: افعلوا هذا لله؛ كسلوا وضعفوا، فصارت محبتهم لأندادهم أشد.

وبعضهم يجرأ على الحلف بالله كاذبًا، ولا يجرأ على الحلف بشيخه ومعبوده من دون الله كاذبًا، ويقول: إنه أسرع انتقامًا من الله لي، وما أشبه ذلك مما يقوله أعداء الله الذين ابتلوا بالشرك بالله، وتعظيمهم محبة الغير على محبة الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] المؤمنون أشد حبًّا لله من حب هؤلاء لأندادهم؛ لأنهم أخلصوا لله العبادة، وعرفوا حقه عز وجل، فصاروا يحبونه محبة عظيمة فوق محبة هؤلاء الضالين لأندادهم، ولهذا أخلصوا له العبادة، ودعوه وحده، وسجدوا له وحده، وصرفوا له العبادة كلها، وخضعوا لأوامره، ووقفوا عند حدوده، ونفذوا أوامره، ولم يعصوه، وتابعوا رسله، وعرفوا أن الرسل إنما هم مبلغون، دعاة، وليسوا آلهة معبودين، وإنَّما هم مبلغون عن الله تجب طاعتهم واتِّباعهم، وتعظيم أمرهم ونهيهم، ومحبتهم في الله تبعًا لمحبة الله سبحانه وتعالى.

ولهذا قال بعدها: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يعني: المشركين ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] يعني: لو رأوا ذلك واستحضروه لأحبوا الله أكثر، ولعظموه أكثر، ولأخلصوا له العبادة، ولكن جهلهم بالله، وقلة بصيرتهم أوقعتهم في الشرك بالله عز وجل.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] فالذين اتبعوا من أولياء الله من المؤمنين ومن الرسل تبرؤوا من عابديهم الذين تبعوهم وعبدوهم في الشّرك، وقلدوهم في الشّرك، هؤلاء المؤمنون يتبرؤون منهم يوم القيامة، كما يتبرأ الرسل من عابديهم يوم القيامة، ويقولون: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣] ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة: ١٦٦] يعني: أولئك المتبعون لأئمتهم في الباطل، ولأعداء الله ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] يعني: لم يبق لهم سبب يتعلقون به؛ لأنهم أشركوا بالله، وبطلت أسبابهم، وصاروا إلى النار أعوذ بالله من النار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: ١٦٧] كرَّة؛ يعني: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] لأنهم تابعوا أهل الباطل، وتابعوا أهل الشرك، وتركوا عبادة الله وحده، وتركوا اتِّباع الرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، فلهذا هلكوا، وأراهم الله أعمالهم حسرات عليهم، وما هم بخارجين من النار، بسبب شركهم وكفرهم، واتِّباعهم الباطل الذي نهاهم الله عنه، ونهتهم الرسل عنه عليهم الصَّلاة والسَّلام.

فالمقصود من هذا: أن الواجب إخلاص العبادة لله وحده، ومحبته سبحانه المحبة الصادقة التي تقتضي إخلاص العبادة له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، ويجب أيضًا البراءة من عبادة غيره، وإنكارها، واعتقاد بطلانها، وأن العبادة حق الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب إخلاص العبادة له

وحده ﷻ، وأن الواجب محبته المحبة الصادقة الخاصة المقتضية لطاعته واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه، وإخلاص العبادة له ﷻ.

أمَّا محبة الغير فلا بد أن تكون تابعة لمحبة الله، فيحب الرسل؛ لأنهم بلغوا عن الله، وأدوا الحق الذي عليهم؛ فيحبون في الله، محبة تقتضي اتِّباعهم، وطاعة أوامرهم، وتقديم هديهم على غيرهم.

وهكذا المؤمنون يحبون في الله؛ لطاعتهم لله، وإيمانهم بالله، ولا يعبدون، ولكن يحبون محبة الولاية، والمحبة التي أوجب الله لهم؛ لأنهم أطاعوا الله، ولأنهم عبدوا الله؛ فنحبهم في الله؛ لأنهم إخواننا أطاعوا الله، فنحبهم في ذلك، لا محبة عبادة، ولكن محبة موالاة لهم، ورضًا بأعمالهم الطيبة التي عبدوا بها ربهم ﷻ.

أمَّا المحبة الطبيعية التي طبع الله الناس عليها من محبة ما يناسب الإنسان من أكل وشرب أو نساء أو أولاد، فهذه محبة لا تقدح في حب الله، ولا تضر محبة الله، إذا لم يؤثرها على محبة الله، إذا كانت لم تضر محبة الله، ولم تضر محبة أوليائه، ولكنها محبة طبيعية تقتضي موجباتها من إحسان إلى الأولاد، من إحسان إلى الزوجات، من قضاء الوطر، من الإنفاق، إلى غير ذلك، فإذا زادت محبة الأولاد والأهل ونحو ذلك، حتى صارت قادحة في محبة الله ومضرة بها، بأن أطاع أهله أو ولده أو إخوته أو أصدقاءه، أطاعهم في معصية الله، كانت هذه المحبة مؤثرة في حب الله، ومنقصة للإيمان، بقدر إيثارها على محبة الله ﷻ.

ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(١) هذه المحبة للأهل والأولاد لا بد أن تكون مقيدة بطاعة الله ورسوله، لا تزيد على ذلك، ولا تخرج عن ذلك.

---

(١) طرف من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم (٧١٤٥) ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٨٤٠).

فإذا خرج في حبه لزوجته أو لأبيه أو لأمه أو لأصدقائه عن ذلك، حتى أطاعهم في معاصي الله، صارت هذه المحبة قادحة في إيمانه، ومضعفة لإيمانه، وقادحة في محبته لله ﷻ.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»: هذا يدل على وجوب محبة الرسول ﷺ محبة فوق جميع أنواع المحابِّ حتى من محبة النفس، فقد جاء عن عمر ﵁ أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ واللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»(١) يعني: الآن تم الإيمان وأديت الواجب.

فتجب محبته ﷺ محبة تليق به عليه الصَّلاة والسَّلام، وتقتضي اتِّباعه، وطاعته.

وهكذا حديثه الثاني: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَن كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَن يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَن يَكْرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَن أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وفي الرواية الثانية: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَحَتَّى يُحِبَّ المَرْءَ، لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَن يَكْرَهَ أَن يَرْجِعَ إِلَى الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَن يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

---

(١) أخرجه عن عبد الله هشام ﵁: البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢).

وهكذا الآية الكريمة في سورة براءة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]» فهي تدل على وجوب تقديم محبة الله ومحبة رسوله على هؤلاء المذكورات: الآباء والأبناء والإخوة والأزواج والعشيرة والتجارة وغير ذلك، تجب هذه المحبة، يجب أن تقدم هذه المحبة على هؤلاء، وأن يكون حب الله مقدمًا، بحيث يطيع أمر الله، وينتهي عن نهي الله، ويقف عند حدود الله، ولو خالف هوى أبيه أو أمه أو أخيه أو ابنه أو زوجته أو نحو ذلك.

وهكذا الجهاد في سبيله يجب أن يقدم هذا الجهاد على هوى النفس، وهوى زيد وعمرو، إذا وجب الجهاد أو جاء النفير وجب أن يقدم ذلك على هوى النفس، وعلى هوى زيد أو عمرو أو الأب أو الأم أو الجد أو الخال، أو ما أشبه ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ يعني: انتظروا أن من قدَّم هذه الأشياء على محبة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، فهو متوعد: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فدل ذلك على أن إيثار هذه المذكورات الثمانية المذكورة على حب الله ورسوله، حتى يدع ما أوجب الله، أو يرتكب ما حرم الله من أجل ذلك، فُسِّق صاحبه فيستحق الوعيد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا ما ذكر في حديث أنس، لا يكون الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار، فلا يتم إيمانه إلا بهذا، بأن يكون حبه لله هو أكمل حب وأتم حب، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، لا لأجل أمر آخر؛ من نسب، أو مال، فيحبه لله وفي الله، هذا من كمال الإيمان، ومن تمام الإيمان أن تحب إخوانك في الله من أجل الله، من أجل طاعتهم لله،

هذا واجب، ولهذا أخبر النَّبِيّ ﷺ: من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رَجُلَانِ تَحابَا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرقَا عَلَيْهِ**»(١).

وكذلك يجب أن يكره العودة في الكفر والوقوع في الكفر، كما يكره أن يقذف في النّار، يجب بغض الكفر والبراءة منه ومن أهله، كما قال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فيجب على المؤمن أن يتبرأ من الكفر، وأن يعتقد بطلانه، وأن يتبرأ من أهله، وألّا يواليهم، وألا يتخذهم أصحابًا وأخدانًا وأولياء، بل يبغضهم في الله، ويكرههم في الله، ويتبرأ من كفرهم بالله، ويعتقد بطلانه حتى يؤمن هؤلاء ويدخلون في دين الله ﷻ.

وهكذا قول ابن عباس رضي الله عنهما: «**مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغِضَ فِي اللهِ، وَوَالَ فِي اللهِ وَعَادَ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ بِذَلِك**» يعني: إنَّما تنال ولاية الله الكاملة بحبه في الله وبغضه في الله وموالاته في الله معاداته في الله، لا من أجل أمر آخر، فإذا أحبّ العبد لله وأبغض لله ووالى في الله وعادى في الله، هذا هو كمال الإيمان، وهذا هو تمام الإيمان.

ثم قال بعده: «**وَلَن يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ**» يعني: حلاوته «**وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ**» ولو كان عابدًا «**حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ**» يعني: حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله.

ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةُ النَّاسِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا**» هذا في زمانه في القرن الأول، فكيف بحالنا؟ يعني: غلب على الناس الحبّ في الدنيا والبغض في الدنيا، وهذا أمر خطير، قال:

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم (٦٦٠) ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (١٠٣١).

«وَذَلِكَ لَا يَجْدِي عَنْ أَهْلِهِ شَيْئًا» لا يجدي عليهم: لا ينفعهم، بل يضرهم إذا ثبطهم عن الحق، وصدهم عن الهدى.

أمَّا إذا اشتغلوا بالدنيا بالبيع والشراء وطلب الرزق على وجه لا يضر إيمانهم، ولا يوقعهم في المعاصي، ولا يوقعهم فيما حرم الله عليهم من الرّبا، ولكنهم يتعاطون ما أباح الله ويستعينون بنعم الله على طاعة الله، ولا يصدهم ذلك عن حق الله، ولا يوقعهم في محارم الله، فهذا لا حرج فيه، قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] قال: المودة؛ يعني: مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا على غير دين الله، انقطعت يوم القيامة، وخانتهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فالمحبة التي بين الناس في الدنيا على الشهوات وعلى المعاصي والمخالفات، هذه لا تنفعهم، بل تضرهم يوم القيامة، وإنما ينفعهم يوم القيامة حبهم في الله وبغضهم في الله، وموالاتهم في الله ومعاداتهم في الله؛ لأنه عمل صالح، فيحسب لهم من أعمالهم الصالحة، ويوضع في موازين أعمالهم الصالحة، فينفعهم.

أمَّا ما يتعلق بالدنيا وشهواتها والتحاب فيها فقط، فهذا لا يجدي على أهله شيئًا، ولا ينفعهم، بل يخونهم ذلك اليوم؛ يعني: يوم القيامة، فلا يجدون له فائدة، بل يضرهم إذا كان ذلك الحب أوقعهم في معاصي الله، أو ثبطهم عما أوجب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَة.
- **الثالثة:** وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ وَالمَالِ.

- **الـــرابـــعـــة:** أَنَّ نَفْيَ الإِيمَانِ لا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوجِ مِنَ الإِسْلَامِ.
- **الـخــامــســة:** أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الإِنْسَانُ، وَقَدْ لا يَجِدُهَا.
- **الــســادســة:** أعمال القلب الأَرْبَعِ الَّتِي لا تُنَالُ وِلايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ إلا بِهَا.
- **الــســابــعــة:** فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ أَنَّ عَامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.
- **الــثــامــنــة:** تَفْسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].
- **الــتــاســعــة:** أَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا.
- **الــعــاشــرة:** الوَعِيدُ عَلَى مَن كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ عِنْدَهُ أَحَبَّ مِن دِينِهِ.
- **الحادية عشرة:** أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

٣١- بَابُ قول الله تعالى:
﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ **الآية** [التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ **الآية** [العنكبوت: ١٠].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ مِن ضَعْفِ اليَقِينِ: أَن تُرضِيَ النَّاسَ بِسَخطِ الله، وَأَن تَحمَدهُمْ عَلَى رِزْق الله، وَأَن تَذمَّهمْ عَلَى مَا لَم يُؤتِك اللهُ، إِن رزقَ الله لا يَجرُهُ حِرصُ حَريصٍ، وَلَا يَردُّه كَرَاهيَةُ كَارهٍ»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مِن التَمسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَأَرْضَى عَنهُ النَّاسَ، وَمَن التَمسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ الله، سَخِطَ اللهُ عَليْهِ وَأَسْخطَ عَلَيْه النَّاسَ» رواه ابن حبان في صحيحه[(٢)].

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «**باب قول الله تعالى**: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾»: أراد المؤلف بهذه الترجمة أن

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، في كتاب الإيمان، باب في أن القدر خيره وشره من الله (١/ ٢٢١ برقم ٢٠٧).

(٢) أخرجه في كتاب البر والإحسان، ذكر ما يجب على المرء من القول بالحق وإن كره الناس، برقم (٢٧٦).

يبيِّن وجوب الخوف من الله ومراقبته ﷻ، وأن الواجب على العبد أن يخاف ربَّه خوفًا يحمله على إخلاص العبادة له، ويحمله على أداء ما فرض عليه، ويحمله على الكفِّ عمَّا حرم الله عليه، ويحمله على الوقوف عند حدوده ﷻ.

هذه الفائدة من الخوف: أن يكون خوفًا حقيقيًّا يحمله على أداء الفرائض وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله، والخوف **أقسام ثلاثة**:

أحدها: **الخوف من الله** ﷿: وهو أوجبها وأعظمها، الواجب إخلاصه لله وحده ﷻ، فهذا صرفه لغير الله شرك، فمن خاف غير الله من الأصنام أو الأوثان أو الأشجار أو الأحجار، يعتقد فيها أنها تتصرف، ويخاف شرها، فهذا من الشِّرك الأكبر، وكخوف عبَّاد القبور، وعباد الأصنام منها، وعباد الكواكب، فهذا يقال له: خوف الشِّرك، فهذا الخوف يجب إخلاصه لله، ويجب الحذر من صرفه لغير الله ﷻ.

القسم الثاني: **الخوف من المخلوقين** خوفًا يحمل على فعل معصية، أو ترك واجب، فالخوف الذي على هذا الوجه لا يجوز، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] كونه يحمله الخوف من المخلوقين على عدم الجهاد، على عدم أداء الواجب، أو فعل المحرم إلى غير ذلك، يجب عليه أن يخاف الله ﷿، وأن يراقب الله.

وفي هذا النوع الثاني: نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ حين أرجف المرجفون بعد وقعة أُحد يخوفون المسلمين بقريش وجنودهم وقوتهم فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وإذا خاف المخلوق فليكن خوفه في الحدود الشَّرعية، خوفًا يحمله على فعل ما شرع الله، وعلى ما أباح الله فقط، ولا يحمله على المعاصي أو ترك الواجبات، فالخوف من المخلوق، من الأشياء الطبيعية والأسباب الحسية جائز كالخوف من اللصوص فيغلق بابه، أو يتخذ حارسًا عند بابه، أو في مزرعته نحو ذلك هذا خوف طبيعي فطر الله عليه الناس، وهو خوف جائز يجب أن يوجد مقتضاه من الحراسة، وضبط الأمور ونحو ذلك.

أو خوفه من التخمة فلا يأكل من الطعام ما يضره، أو خوفه من السم، فيبتعد عن كل ما يضره، أو خوفه من السباع فيأخذ السلاح إذا سار في الطريق الذي فيه السباع، أو يتخذ الرفيق في الطريق وما أشبه ذلك من الخوف الذي شرع الله فيه التحرز، والبعد عن ما يضر الإنسان، لكن لا يجوز أن يحمله هذا الخوف على فعل المعاصي أو ترك الواجبات، فإذا خاف من المخلوقين خوفًا يحمله على أن يدع الجهاد الواجب، أو على أن يعصي بظلم الناس أو بسب الناس أو بترك ما أوجب الله أو قرب الفواحش، صار خوفًا محرمًا؛ لأنه جرّه إلى ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ.

القسم الثالث: الخوف الطبيعي خوف عادي، لا يحمله على فعل محرم، ولا على ترك واجب كخوفه من الحية والعقرب وأشباه ذلك، فيتجنب ذلك، وكما تقدم كخوفه من اللصوص والسباع والمرض فيتخذ أسباب الوقاية من ذلك فيغلق بابه، ويأخذ سلاحه، ويتعاطى الأدوية وما أشبه ذلك كل هذا لا بأس به، وهذا خوف جائز، لا محذور فيه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] هذا هو النوع الثاني، وهو المراد من الترجمة، وهو ما وقع يوم أُحد من بثّ الشيطان التخويف من الكفار، والتثبيط عن الجهاد، فنهاهم الله عن ذلك، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وأمرهم بجهاد أعداء الله، فنفر إليهم النَّبِيّ ﷺ بمن معه من الصَّحابة بعد وقعة أُحد فشرد المشركون إلى بلادهم، ورجع النَّبِيّ ﷺ في يوم حمراء الأسد ولم يكن شيء؛ لأن المشركين قد رجعوا وذهبوا إلى بلادهم بعد الوقعة، وهذا ليس خاصًّا بهذه الوقعة، بل هو عام، كل خوف يحمل على فعل المعصية أو ترك الواجب، فهو مذموم منهي عنه.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة: ١٨] يعني: بالخوف، وهذا خوف السِّر الذي أوجبه الله.

وهكذا الخوف الذي يحمل على المعاصي أو ترك الواجبات أمر يجب تركه، فيجب على المؤمن أن يخشى الله وحده خشية عظيمة كاملة يخص الله بها ﷻ، كما يحمله أيضًا خوف الله على فعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله، وكذا يوجب عليه ذلك تقواه سبحانه، والمسارعة إلى ما أوجب وترك ما حرم، فإنَّ هذا كله مما أوجب الله عليه، وهذا خوف مشروع له ومأمور به، إنَّما المنهي عنه أن تخاف من المخلوق خوفًا يحملك على فعل ما حرم الله عليك، وترك ما أوجب الله عليك.

ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يعني: في أموره كلها، بل أفرده بالخوف، وخصه بالخوف الذي أوجبه عليه ﷻ، وليس داخلًا في ذلك الخوف الطبيعي، كما عرفت، بل هو مستثنى من ذلك، إلا إذا حمل على فعل محرم أو ترك واجب.

وهكذا قوله جل وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] هذا ذمّ له، بعض الناس إذا أوذي، لم يصبر ولم يتحمل، بل يحمله ذلك على فعل ما حرم الله، وترك ما أوجب الله، وهذا مذموم، بل يجب عليه أن يتقي الله، وأن يراقب الله، وإذا أوذي في الله أخذ الأمور من وجهها الشرعي؛ من المحاكمة بالقصاص، بالشكوى إلى ولاة الأمور، أمَّا أن يحمله ذلك على ترك ما أوجب الله عليه وفعل ما حرم الله عليه، فهذا غير جائز له، بل يجب عليه الحذر من ذلك، وأن يدفع الأذى بالطرق الشّرعية؛ من المحاكمة، من القصاص، من الرفع إلى ولاة الأمور إلى غير هذا من الطرق الجائزة التي يجوز له فعلها ليدفع الأذى.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه يقول ﷺ: «**إِنَّ مِن ضَعْفِ اليَقِينِ**» من ضعف الإيمان، «**اليقين**»: هو الإيمان كله «**أَن تُرضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأن تَحمَدهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وَأَن تَذمَّهمْ عَلَى مَا لَم يُؤتِكَ اللهُ**» هذا من ضعف الإيمان، إرضاء الناس بسخط الله بالمعاصي، هذا من ضعف الإيمان، كذلك حمدهم على رزق الله الذي ساقه الله إليك، احمد الله

واشكره سبحانه وتعالى، فإذا فعلوا لك معروفًا، فهم يشكرون على معروفهم ويجازون به، لكن الحمد كله لله وحده، هو الذي هداهم، هو الذي جعلهم يحسنون إليك، هو الذي جعلهم يبذلون المعروف، فتشكر الله أولًا وتحمده سبحانه وتعالى وتخصه بذلك.

وتشكر المخلوقين على قدر إحسانهم «**مَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ**»[(١)] فيشكرون على قدر إحسانهم، ويثنى عليهم، ويكافئون، لكن يكون في قلبك حمد الله أعظم، وشكر الله أعظم؛ لأنه المسبب، وهو الذي هداهم، هو الذي حرك قلوبهم حتى ساقوا إليك هذا الخير، من شفاعة، في دفع ظلامتك، من الإحسان إليك، من قضاء دينك، من مواساة لك، تشكرهم على ذلك وتدعو لهم، لكن الشكر الحقيقي الذي يجب أن يستقر في القلب يكون لله وحده؛ لأنه هو الذي ساق إليك هذا الخير.

كذلك ذمهم على ما لم يؤتك الله: ما أعطاني فلان، ما فعل بي فلان، ما أحسن إلي فلان، ما واساني فلان، لا، اسأل الله عز وجل، إن كان لك حق عندهم، فلن يضيعه الله لك، وسوف يجزيك عنه يوم القيامة إذا جحدوك، ولكن هذا لا يمنع من طلب الحق الذي لك، تطلب دينك، تطلب حقك من الزكاة، إذا كنت من أهل الزكاة، لا مانع من ذلك، لكن لا تذمهم على ذلك من أجل أنهم لم يعطوك، لا، تذم من ذمه الله، وتحمد من حمده الله، تذمهم لأنهم عصوا الله ورسوله بترك الزكاة، بترك الواجب، بترك تسليم دينك؛ تذمهم على ما حرم الله عليهم، لكن لا من أجل نفسك، بل من أجل أنهم فعلوا ما لا ينبغي، فلست ممن ينتقم لنفسه، ولكنك تذم من ذمّه الله، وتثني على من أثنى الله عليه.

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، برقم (٤٨١١) والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٤) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ثم قال ﷺ: «إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجرُهُ حِرصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَردُّه كَرَاهيَةُ كَارِهٍ» يعني: الرِّزق الذي لم يقدر لك لا يجرُّه الحرص، إنَّما عليك بالأسباب، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»[(١)] عليك أن تعمل بالأسباب، ولكن لا تجزع، إذا لم يحصل المطلوب، فهذا من أمر الله سبحانه وتعالى، قل: قدر الله وما شاء فعل.

وكذلك تعلم أنه لا يرده كراهية كاره، ما قدَّره الله لك من أرزاق سوف يأتيك، ولو كره زيد وعمرو، ولو كره الناس، فعليك أن تؤمن بهذا، وأن تأخذ بالأسباب، وأن تعلم أن رزق الله الذي كتبه لك سوف يأتي، وأن ما لم يكتب لك سوف لا يأتي، وإن اجتمع الناس على أن يأتوا به لا يستطيعون.

وهكذا قوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: «مِن التَمسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَأَرْضَى عَنهُ النَّاسَ، وَمَن التمسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله، سَخِطَ اللهُ عَليْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْه النَّاسَ» هذا حديث عظيم، يوجب على المؤمن أن يلتمس رضا الله، ويعتني برضاه، وأن يأخذ بأسباب رضا الله؛ لأنه الذي إذا رضي حصل لك به كل خير، وإذا سخط حصل لك كل شر، فعليك بالتماس رضاه وطاعة أمره، وإن غضب الناس، لكن لا يمنع ذلك من مداراتهم واتقاء شرهم بالأسباب التي شرعها الله، ولكن ليس ذلك يوجب لك أو يجيز لك أن ترضيهم بسخط الله، بل عليك أن تؤدي حق الله، وتدع معصية الله، وإن سخط النَّاس، وعليك أن تدفع شرهم بالطرق التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

إِلَى النَّاسِ»(١) أي: لم يغنوا عنه من الله شيئًا، وعَادَ حَامِدُهُ لَهُ ذَامًّا(٢).

فعلى المؤمن أن يأخذ بالحزم، وعليه بالجد، فيلتمس رضا الله وإن سخط الناس، ويبتعد عن رضا الناس بسخط الله، ولو رجا معروفهم أو إحسانهم، فالأمر إلى الله ﷻ، فيلتمس الخير من عند الله، وليأخذ بالأسباب الشَّرعية في طلب الرزق، ولا يضره كونهم سخطوا أو رضوا.

الواجب أن يقدم حق الله، ويلتمس رضاه، وأن يبتعد عن إرضاء النَّاس بسخطه ﷻ، مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله في جلب الرِّزق ودفع الضَّرر، وفي أخذ حقك من الناس بالطرق الشَّرعية التي ليس منها إرضاؤهم بسخط الله، وليس منها ترك ما أوجب الله عليك، أو فعل ما حرم الله عليك من أجل مراعاتهم، بل عليك أن تأخذ بالحزم، وأن تأخذ بمقتضى الإيمان، فتلتمس رضا الله بسخط الناس ولو سخطوا، وتمتنع عن إرضائهم بسخط الله، ولو قطعوا راتبك، أو فعلوا أو فعلوا، فالرِّزق عند الله ﷻ، هو الذي بيده كل الأمور ﷻ. رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** كيف نجمع بين قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى آخر الآية، وبين المنع من الخروج للجهاد إلا بإذن والديه، أو لا يترك الزوجة والابن يضيعون؛ يعني: يعتبرون أعذارًا، وفي نفس الوقت: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤].

○ **الجواب:** لا يلزم أن يكون بينهما منافاة، فإذا كان العذر الشَّرعي لا

(١) أخرج هذه الرواية عنها: الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه (٦٤) برقم (٢٤١٤).

(٢) ذكر هذه اللفظة المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٣٩ برقم ٣٤٠٦) وعزاها للبزار.

يجوز، إنما هو من أجل المراعاة لما أوجب الله من استعداد، أما المحبة ما يكونوا أحب إليه من الله ورسوله، والجهاد في سبيله، مثل ما ذكر أحب إليه أما أن يتركه إيثارًا للدنيا على حب الله ورسوله ﷺ، أو من أجل أن لا يضيعوا فهو محسن بذلك يجب عليه إطاعتهم؛ لأن فيهم أوجب أن يجاهد.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَة.
- **الثالثة:** تَفْسِيرُ آيَةِ العَنْكَبُوتِ.
- **الرابعة:** أَنَّ اليَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى.
- **الخامسة:** عَلامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلاثُ.
- **السادسة:** أَنَّ إِخْلاصَ الخَوْفِ للهِ مِنَ الفَرَائِضِ.
- **السابعة:** ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.
- **الثامنة:** ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

٣٢- بَابُ قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية [المائدة: ٢٣]

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ **الآية** [الأنفال: ٢]. **وقوله**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ **الآية** [الأنفال: ٦٤] **وقوله**: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ **الآية** [آل عمران: ١٧٣]»[(١)] **رواه البخاري والنسائي**.

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في «قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]» وما جاء في معناها، أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان وجوب التوكل على الله، والاعتماد عليه في جميع الأمور، في أمور الدنيا والدين جميعًا.

والتوكل: هو التفويض إلى الله، والثقة به سبحانه، والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن كل شيء بيده، وأن ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى، فالمؤمن يثق بربه، ويعتمد عليه، ويعلم أنه قد سبق قضاؤه وقدره لكل شيء، وأن ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مصرف الأمور ومسبب الأسباب،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] برقم (٤٥٦٣) والنسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خاف قومًا، برقم (١٠٤٣٩) (٦/ ١٥٤).

فيؤمن بهذا ويتعاطى مع ذلك ما شرعه الله وما أباحه من أسباب ﷻ.

التوكل: الثقة بالله، والاعتماد عليه، وهذا واجب على المؤمنين أن يعتمدوا على الله، وأن يعلموا أنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور ومصرف الأشياء، وأن ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ليس للعبد قدرة على أي شيء لم يشأه ربه ﷻ.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] كل هذا يدل على وجوب التوكل فإن حسبك الله؛ يعني: كافيك الله وكافي أتباعك من المؤمنين.

وهكذا قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيه عن كل أحد، ومن كفاه الله ما أهمه، لم يحتج إلى أحد، فالواجب على المؤمن أن يتوكل على الله ﷻ، وأن يضرع إليه، لكن لا يمنعه هذا من تعاطي الأسباب، فيعمل بطاعة الله، ويدع معاصيه؛ لأن هذه أسباب الجنة، ويأكل ويشرب؛ لأنها هي أسباب حياته، ويتجنب المؤذيات التي تضره، كوقوعه في النار، أو إلقائه نفسه في الآبار، أو تعرضه للسباع، أو أكله ما يهلكه كالسموم، أو ما أشبه ذلك، فعليه أن يتعاطى الأسباب النّافعة، وأن يحذر الأسباب الضّارة، كل هذا مع التوكل، فالتوكل يجمع **الأمرين**:

الأمر الأول: الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان بأنه مسبب الأسباب ومصرف الأمور، وأن كل شيء بيده ﷻ.

والأمر الثاني: تعاطي الأسباب، والأخذ بالأسباب التي شرعها الله، من أسباب دخول الجنة، وأسباب السلامة من النار، وذلك بأداء ما أوجب الله من الطاعات، وترك ما حرم الله من المعاصي؛ هذه أسباب دخول الجنة.

كذلك تعاطي ما ينفعه في الدنيا من الأكل والشرب واللباس

والزراعة والتجارة والنجارة، وغيرها من الأسباب التي يحتاج إليها، فيفعل الأسباب التي بها نظام حياته، وبها سلامته، ويتعاطى الأسباب التي تنفعه في العاجلة، وتعينه على طاعة الله ورسوله، ويتباعد عن الأسباب الضارة التي تضره في دينه أو دنياه، فالمعاصي تضره في دينه، وهكذا تضره في دنياه.

وهكذا ما يضره في بدنه من طعنه نفسه بالسلاح، أو إحراق نفسه بالنار، أو إلقاء نفسه في المهلكات، كل هذه الأشياء ممنوعة يجب أن يمتنع منها؛ لأن الله منعه منها.

فعرفت بذلك أن التوكل ليس هو مجرد ـ كما يظن بعض الصوفية ـ مجرد أن يعتمد على الله ويدع الأسباب، ينام في بيته، أو يجلس في المسجد، لا، هذا غلط، الذي يتوكل على الله يعني بثقته به، واعتماده عليه، وإيمانه بأنه يصرف الأمور، وأن أسبابك يا العبد وأعمالك لا تنفعك إذا لم يشأها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم يضيف إلى ثقته بالله واعتماده عليه أخذه بالأسباب؛ أسباب الدين، وأسباب الدنيا، أسباب النجاة يوم القيامة بطاعة الله ورسوله وترك معاصي الله، وأسباب الدنيا من طلب الحلال، طلب الرزق من طريق الزراعة، من طريق البيع والشراء، من طريق النجارة، من طريق الحدادة، من طريق الخياطة، من طريق العمل في البناء، من الطرق المباحة الأخرى التي يحتاجها الناس، يعمل ويعتمد على الله، ويطلب منه جلَّ وعلا التوفيق والإعانة، ويستعين به على الرِّزق الحلال، ويبتعد عن الحرام حتى يلقى ربه عَزَّوَجَلَّ، هذا هو التوكل.

وهكذا حديث ابن عباس، يقول رضي الله تعالى عنهما: «**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٌ، وَمُحَمَّدٌ عليه الصَّلاة والسَّلام لَمَّا قَالُوا لَهُ:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ يعني: يوم أحد ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ

ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]» فإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام أُلقي في النَّار، ألقاه النمرود لما دعاهم إلى الله، ودعاهم إلى توحيد الله، وكسر أصنامهم، غضبوا عليه، وأمر نمرودهم الخبيث أن يجمع له حطبًا، فجمعوا له حطبًا عظيمًا، وأوقدوا نارًا عظيمةً، ثم أمر أن يلقى في النَّار، فلما أُلقي في النَّار قال عند ذلك: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأطفأها الله وجعلها على رسوله بردًا وسلامًا، كما قال: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فأطفأها الله عنه وكفاه شرها وشرهم، وأنجاه من باطلهم، وصارت آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات الدالة على صدقه، وأنه رسول الله حقًّا عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهكذا محمد عليه الصَّلاة والسَّلام لما جرى ما جرى يوم أُحد من غزوة كفار أهل مكة، واجتماعهم عند المدينة، وحصارهم المدينة، ثم خروج النَّبِيُّ إليهم عليه الصَّلاة والسَّلام وحصول الوقعة، وقتل فيها من قتل من الصَّحابة، وجرح من جرح، ثم عاد الكفار إلى بلادهم، فقال المشركون وبعض المرجفين: إنهم قد جمعوا لكم، وأنهم ما عادوا، بل هم يجمعون ويعدون العدة ليعودوا، ويكروا عليكم ثانية، فقال النَّبِيُّ ﷺ عند ذلك: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**» ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

هكذا ينبغي لأهل الإيمان أن يقولوها عند الشدائد، لكن لا تمنعهم من إعداد الأسباب، فالنَّبِيُّ ﷺ قالها، ومع ذلك أعد العدة، وأمر المسلمين أن ينهضوا لقتال عدوهم، على ما بهم من الجراح والتعب، أمرهم أن ينهضوا وأن يقاتلوا عدوهم، لكن عدوهم ألقى الله في قلبه الرعب وعادوا إلى مكة ولم يعد إليهم.

فالمقصود: أن هذا يوجب على المؤمنين الأمرين جميعًا: الثّقة بالله والاعتماد عليه، مع الأخذ بالأسباب، والعناية بالأسباب؛ كإعداد السِّلاح، وإعداد القوت من الطعام والشراب، وفعل ما ينفعهم، ولهذا لما كان يوم الأحزاب، ولما رجع الكفار يوم الأحزاب بعد أُحد بسنتين،

أخذوا عدة عظيمة، وأعدوا لعدوهم، وحفروا الخندق حول المدينة؛ لأنه من أسباب تعويق الكفرة من دخول المدينة، فهذه من الأسباب التي فعلها الرسول ﷺ، لبس درعين يوم أُحد، وحمل السلاح، وجعل البيضة فوق رأسه تقيه السِّلاح، وهكذا الصحابة حملوا السلاح، وقاتلوا كل هذه أسباب مأمور بها، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١] فهذا كله من الأسباب مع الثِّقة بالله والتوكل عليه، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى**: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.
- **الثانية**: أنه مِنْ شُرُوطِ الإِيمَانِ.
- **الثالثة**: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَنْفَالِ.
- **الرابعة**: تَفْسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا.
- **الخامسة**: تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلاقِ.
- **السادسة**: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ.
- **السابعة**: أنها قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.

٣٣- بَابٌ قول الله تعالى:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَن الكَبَائِرُ؟ فَقَالَ: «الشِّرْكُ باللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أَكْبُر الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ باللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه.

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في بيان تحريم الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وبيان بعض هذه الكبائر، يقول: «**باب قوله الله تعالى:** ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] **وقوله سبحانه:** ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]».

---

(١) أورده الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٧٨) عند تفسير قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] وعزاه لابن أبي حاتم والبزار، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٤ برقم ٣٩١): رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله موثقون.

(٢) أخرجه في كتاب الجامع، باب الكبائر (١٠/ ٤٥٩ برقم ١٩٧٠١) ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥٦ برقم ٨٧٨٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٤ برقم ٣٩٣): إسناده صحيح.

أراد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذا التّنبيه على أن هذه كبائر يجب الحذر منها، فالأمن من مكر الله من الكبائر، وهو يفضي إلى التساهل بأمر الله، وركوب محارمه؛ لأن من أمن مكره ساءت أعماله، وساءت أخلاقه، وساءت تصرفاته؛ لأمنه من مكر الله عَزَّ وَجَلَّ.

والقنوط: ضد ذلك، وهو اليأس من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، فيسوء ظنه بالله جلَّ وعلا، ويحصل له من القنوط وانكساف النفس، وسوء ظنها وتحرجها، ما لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله حرم هذا وهذا، فلا قنوط ولا يأس، ولا أمن من مكر الله عَزَّ وَجَلَّ، بل يجب أن يكون بين الأمرين يرجو، ويخاف، يرجو ربه، ويخاف ذنوبه وسيئاته، هكذا يكون المؤمن، وهكذا يكون كل مكلف، بين الرجاء والخوف، بين الأمن والقنوط، فلا يأمن مكر الله ويلجأ إلى معاصيه والسيئات، ويوكل إلى أرض البطالة، ولا يقنط وييئس من رحمة الله، ويسيء ظنه بالله، ويقول: إنه لا يغفر له ولو فعل ما فعل، كل هذا باطل.

فالواجب على كل مكلف أن يكون خائفًا من ربه راجيًا لرحمته، يسير إلى ربه كالطير بين الجناحين، خائفًا راجيًا، حسن الظن بربه خائفًا من ذنوبه حتى يصل إلى الله على هذا الطريق، فهذا هو سبب طريق الأمن وطريق السعادة.

وفَضَّل بعض أهل العلم: أن يُغلب جانب الخوف في حال الصحة، وجانب الرجاء في حال المرض[(١)] لأنه في حال المرض يضعف عمله، فينبغي أن يحسن ظنه بالله أكثر، وفي حال الصحة هو أقدر على المعاصي، فينبغي أن يغلب جانب الخوف والحذر؛ لعله ينجو.

والأصل والأساس: أن يكون بين الأمرين؛ أن يكون بين الخوف، والرجاء، فيخاف الله ويرجوه، ويحسن ظنه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسارع إلى

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب (ص٥١١) وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ (٢/ ٦٠٢).

مراضيه، ويحذر بطشه، فيسارع إلى ترك محارمه ﷻ، هكذا يكون بين الأمرين: راجيًا خائفًا: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

قال ﷻ في الصالحين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هكذا يكون المؤمنون راجين خائفين، فلا قنوط ويأس، ولا أمن وإخلاد، ولكن بين ذلك؛ ولهذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول عَليه الصَّلاة والسَّلام: «**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: اليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**» يروى مرفوعًا وموقوفًا، والموقوف في حكم المرفوع؛ لأن هذه أمور لا يدركها الصَّحابي باجتهاده ويحتمل أن يكون قاله ابن عباس استنباطًا من الآيات والأدلة الأخرى، وبكل حال فالكلام صحيح سواء مرفوعًا أو موقوفًا، فالشِّرك بالله أكبر الكبائر، ثم الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله من أكبر الكبائر أيضًا.

وهكذا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «**أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ**» كله صحيح، فهذه الأمور كلها من الكبائر يجب الحذر منها، ولكن الشرك أكبرها وأعظمها، وهو أعظم الذنوب، فلا حسنة معه، ولا عمل صالح معه، بل جميع الأعمال كلها محبطة مع الشِّرك، نسأل الله العافية.

أمَّا الكبائر الأخرى فإنها لا تحبط الأعمال، ولكنها خطيرة، فاليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، كلها من أكبر الكبائر، فيجب على المؤمن الحذر منها، وأن يكون راجيًا ربه لا آمنًا، وأن يكون خائفًا لا قانطًا، والقنوط: أشد اليأس، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] يعني: لا يقنط إلا الضال ﴿وَمَن﴾ استفهام بمعنى: النفي، المعنى: لا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون؛ يعني: عن الهدى، نسأل الله العافية.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وفي هذا التحذير من اليأس والقنوط، وأن المؤمن يكون راجيًا لربه مع حسن ظنه به، لا آمنًا ولا يائسًا ولا قانطًا، ولكن بين ذلك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ الحِجْرِ.
- **الثالثة:** شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكَرَ الله.
- **الرابعة:** شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ.

٣٤- بَابٌ من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»(١).

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»(٢).

ولهما، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» حسنه الترمذي(٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨/ ٧٩) ومن طريقه أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ١٣٨) عند تفسير للآية المذكورة، والبيهقي في السنن في كتاب الجنائز، باب الرغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع (٤/ ١١٠ برقم ٧٢٣٥) وفي شعب الإيمان (٧/ ١٩٦ برقم ٩٩٧٦).

(٢) أخرجه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب، برقم (٦٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٨٤).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الصبر على البلاء رقم (٢٣٩٦).

(٥) أخرجه الترمذي مقرونًا في تمام الحديث السابق، برقم (٢٣٩٦).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول الشَّيخ الإمام محمد رحمة الله عليه: «باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله»: أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان أن الصبر على المصائب من واجبات الإيمان، وأن الواجب على المؤمن أن لا يجزع إذا أخذته مصيبة في نفسه أو في ماله أو في ولده أو غيره من أقاربه، وأن يتحمل ويتصبر ولا يجزع، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قبلها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ويقول النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١) فمن الإيمان بالله الواجب: الصبر على أقدار الله وعدم الجزع، قال الله جلَّ وعلا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

«**قَالَ عَلْقَمَة**» يعني: علقمة بن قيس النَّخعي أحد كبار التابعين(٢) في تفسير الآية: «**هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ**» يعني: في نفسه أو في ماله أو في ولده، «**فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ**» هذا معنى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ﴾ يعني: يؤمن بأنّ الله قضى هذه القضية، قدرها عليه،

---

(١) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم (١٤٦٩) ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، برقم (١٠٥٣).

(٢) علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ثقة ثبت عابد فقيه عابد من الثانية مات بعد الستين، وقيل: بعد السبعين أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٩٧ برقم ٤٦٨١).

فيحتسب ويصبر ولا يجزع، فإن الله يهدي قلبه للخير، ويطمئنه، ويثبته بسبب عمله الطيب.

وهكذا جميع القضايا، هكذا يجب على المؤمن، سواء كانت في نفسه، أو في جماعته، أو في بلده، أو في المسلمين، أن لا يجزع، بل يتصبر ويتحمل، ويسأل ربَّه العافية، ويدعو الله بما يحب من الدعوات الطيبة، ولإخوانه المسلمين، ولا يجزع.

«وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ» الأولى: الطعن في النسب؛ يعني: تنقص الأنساب، وعيب الأنساب تكبرًا، وتعاظمًا، وازدراءً للناس، واحتقارًا لهم، هذا من أنواع الكفر، منكَّر؛ يعني: من أنواع القبائح والمنكرات.

وقوله: «كُفْرٌ» يعني: شعبة من شعب الكفر، وهذا كفر دون كفر، ليس من الكفر الأكبر، بل هو من الكفر الأصغر الذي يقع في الناس، فكثير من الناس يتنقص أنساب الناس، ويطعن فيهم تفاخرًا، أو تكبرًا، أو حقدًا منه على آل فلان أو آل فلان، وهذا لا يجوز، بل يجب على المؤمن أن ينزِّه لسانه عن ذلك، ولهذا قال ﷺ في الحديث الآخر: **«أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِن أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»**(١) هذا كله من أعمال الجاهلية.

أمَّا إذا كان على سبيل التعريف: هذا من بني تميم، هذا من ربيعة وهذا من بني هاشم، وهذا من كذا، يبيِّن أنساب الناس، لا من قبيل الطعن، ولا من قبيل التنقص، بل من باب الخبر، فهذا لا بأس به، وليس داخلًا في هذا النهي.

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٢).

والثانية: «النِّيَاحَةُ» وهي المقصود هنا؛ لأنها تدل على الجزع، فلا يجوز للمؤمن النياحة، وهي رفع الصوت بالصياح، واكافياه، واعوذاه، وانكسار ظهراه، وانقطاع ظهراه، وما يكون من الصياح والنياحة هذا لا يجوز.

أمَّا دمع العين: وهو البكاء، فهذا لا بأس، كما قال ﷺ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبّ، وَإِنَّا بِفِرَاقِك يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(١) فدمع العين لا يؤاخذ الله به، ولكن رفع الصَّوت وهو النياحة هذا هو الممنوع، وهو نوع من الجزع ضد الصبر، والواجب الصبر.

وهكذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**لَيْسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**» لأن هذا نوع من الجزع، ضرب الخدود، وشق الجيوب، أو شق غير الجيب، لكن غالبًا أنها تضطر لذلك المرأة، من شدّة الجزع، والدعاء بدعوى الجاهلية التي يفعلها الجاهليون: وانقطاع ظهراه، وانكسار ظهراه، واكافياه، واناصراه، مما يفعله الجهال، فهذا كلّه منكر، فيجب التّحمل والصبر والثّبات، والعلم بأنّ الله قدر هذه الأقدار وقسمها، ولا بد من الموت، الموت لا بد منه.

وهكذا المصائب الأخرى: أصابه فقر أو مرض، أو مات ولد له، أو أصابه شيء من آفات الدنيا، فالواجب الصبر والتحمل وعدم الجزع، وعدم عمل الجاهلية، ولكن يتحمل ذلك ويصبر، ولا يقول إلَّا ما يرضي الرّب، ويسأل ربه العافية، ويستعين به على أمور دينه ودنياه، ويتعاطى الأسباب التي شرعها الله جلَّ وعلا من الصَّلاة، ومثل قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، وتعاطي الأسباب التي شرعها الله جلَّ وعلا.

وهكذا قوله في حديث أبي موسى رضي الله عنه عند الشيخين، يقول ﷺ:

---

(١) متفق عليه عن أنس رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب قول النَّبيّ ﷺ: «**إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**» برقم (١٣٠٣) ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (٢٣١٥).

«أَنَا بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»[(١)] والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها، والشاقة: التي تشق ثوبها، وكل هذا من أمر الجاهلية. أخرجه البخاري.

ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: **«إذا أراد الله بعبده الخير؛ عجل له العقوبة في الدنيا»** إذا أراد الله تكفير سيئاته قد تعجل له عقوبة، إمَّا بفقر، وإمَّا بمرض، وإمَّا بتلف مال، وإمَّا بهلاك زراعة، وإمَّا بغيرها من أنوع المصائب، فيصبر ويحتسب؛ فيكفّر بها خطاياه وسيئاته.

«وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه ذنبه» وبقي معافىً في بدنه.. معافىً في ماله.. معافىً في كل شيء. **«حتى يوافى به يوم القيامة»** فتكون العقوبة أشد ولا حول ولا قوَّة إلا بالله، والمعنى: أن مصائب الدنيا تخفف بها الذنوب والعقوبات، وقد يمحى بها جميع ما على العبد من سيئاته، بسبب كثرة ما أصابه من المصائب، فعلى المؤمن ألا يجزع، بل يحتسب ويصبر، ويرجو من الله أن يكفِّر بها خطاياه، وأن يحط بها سيئاته، هكذا يكون المؤمن.

وفي الحديث الآخر يقول: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» حسنه الترمذي** يعني: كلما عظم البلاء عظم الجزاء، فإذا اشتد المرض صار الأجر أكبر وأكثر، وإذا اشتدت المصيبة في المال أو في الولد أو في غير ذلك صار الجزاء أعظم، وصار الثواب أكبر، وصار التكفير أكثر.

قوله: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ» يبتليهم ﷻ ليمحصهم، ويزيل خطاياهم حتى يلقوه وهم نقيون من الذنوب سالمون، فيدخلون الجنة من أول وهلة.

وفي هذا المعنى يقول ﷺ: **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنْبياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأمْثَلُ، يُبتَلَى المرءُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ»** وفي الرواية الأخرى: **«أَشَدُّ النَّاسِ**

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٥).

بَلاءً الأَنْبياءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبتَلَى المرءُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ»(١).

فالمقصود: أن ما يصيب العبد من أنواع البلايا إذا كان مؤمنًا إذا كان طيبًا، فإن الله يكفّر بها من خطاياه، ويحط بها سيئاته، وقد تكون عقوبة عاجلة يسلم بها، فينبغي له أن يرضى ويحتسب ويسلم ويصبر، وأن يحذر الجزع، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــى**: تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ.
- **الـثـانـيـة**: أَنَّ هَذَا مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ.
- **الـثـالـثـة**: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.
- **الـرابـعـة**: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ.
- **الـخـامـسـة**: عَلامَةُ إِرَادَةِ الله بِعَبْدِهِ الخَيْرَ.
- **الـسـادسـة**: عَلامَةُ إِرَادَةِ الله بِعَبْدِهِ الشر.
- **الـسـابـعـة**: عَلامَةُ حُبِّ الله لِلْعَبْدِ.
- **الـثـامـنـة**: تَحْرِيمُ السُّخْطِ.
- **الـتـاسـعـة**: ثَوَابُ الرِّضَا بِالبَلاءِ.

---

(١) وتمامه: «**وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» أخرجه الإمام أحمد عن سعد رضي الله عنه (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٥ برقم ١١٤٨١، ١٥٥٥، ١٦٠٧) والترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم (٢٣٩٨) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم (٤٠٢٣) وقال الترمذي: حسن صحيح، كما صححه الحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان ووافقه الذهبي (١/ ٩٩، ١٠٠ برقم (١٢٠، ١٢١).

٣٥- بَابٌ ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَعَن أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه مَرفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم(١).

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ» رواه أحمد(٢).

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في الرِّياء، عقده المؤلف لبيان الحذر من الرِّياء، و«**الرِّياء**» مصدر: راءى يرائي رياءً ومراءاة؛ يعني: راءى بعمله، بمعنى: أظهر عمله رياء؛ ليمدحه النَّاس ويثنوا عليه، أو ليحصل به شيء من المادة الدنيوية، هذا هو الرياء، فالرِّياء معناه: أن يرائي بعمله كالصَّلاة ونحو ذلك، أو يسمع وهو أيضًا من الرِّياء، فيسمّع بقراءته، أو تسبيحه أو تهليله، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر؛ ليسمعه ناس يريد أن يسمعهم حتى يمدحوه، أو يثنوا عليه، أو يعطوه كذا وكذا.

---

(١) أخرجه في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في علمه غير الله، برقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٠ برقم ١١٢٧٠) وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم (٤٢٠٤).

ولهذا جاء في الحديث الصَّحيح، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَن يُرَاءِ، يُرَاءِ اللهُ بِهِ، وَمَن يُسَمِّعْ يُسَمِّعِ اللهُ بِهِ**»(١) يعني: يفضحه، وفي اللَّفظ الآخر: «**مَنْ رَاءَى، رَاءَى اللهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ**»(٢) فالجزاء من جنس العمل، فمن راءى فضحه الله.

والواجب على المؤمن في عباداته كلها: أن يخلص لله، وأن يعملها لله يرجو ثوابه، ويخشى عقابه، سواء كانت مرئية؛ كالصَّلاة، أو مسموعة؛ كالقراءة والتسبيح ونحو ذلك، هكذا: يصلِّي لله، يقوم لله، يجاهد لله، يتصدق لله، يأمر وينهى لله، يذكر الله، يقرأ لله كل أعماله تكون لله، هذا هو الإخلاص، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فالعمل الصالح هو المشتمل على **أمرين**:

الأول: موافقته للشريعة في الظاهر.

والثَّاني: موافقته للإخلاص في القلب، يكون لله وحده ليس فيه شرك، فهذا هو العمل الصالح الذي ينفع صاحبه، أن يكون لله ليس فيه شرك، وأن يكون موافقًا للشريعة، ليس بدعة، بل موافقًا للشريعة، ولهذا قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يعني: من كان يرجو لقاءه رجاءً صادقًا ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يعني: موافقًا للشريعة ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يعني: لا يجعل لله شريكًا في العبادة، بل يخصه بها من صلاة، وذبح، ونذر، وصدقة، وصيام، وحج، وعمرة، وغير ذلك.

الحديث الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول النَّبيُّ ﷺ:

(١) متفق عليه عن جندب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، برقم (٦٤٩٩) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء) برقم (٢٩٨٧).

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما مسلم في الكتاب والباب السابقين برقم (٢٩٨٦).

«**يقولَ اللهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم.

هذا في بيان براءة الله من الأعمال التي فيها الشِّرك، وأنه بريء منها، وأنه لا يقبلها ﷻ، وبيان أنها لمن أشرك مع الله ﷻ، وفي اللَّفظ الآخر: «**أَنَا بَرِيءٌ مِمَن أَشْرَكَ**» فهذا يدل على وجوب إخلاص العمل لله وحده، وأن لا يكون لله فيه شريك، بل يجب أن يكون لله وحده جلَّ وعلا.

وقد صحَّ عن رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام؛ أنه قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغرُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَوْمَ تُجَازَى العِبَادُ بِأَعْمَالِهِمُ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»[١].

فالأمر خطير على العباد؛ ولهذا قال في **الحديث الثاني**: حديث أبي سعيد: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» خاف على الصَّحابة وهم أفضل النَّاس؛ لأنَّ الرِّياء يقع للصَّالحين، ويبتلون به، كما يبتلى به غيرهم، ويتساهلون به، فالواجب الحذر من الرِّياء في قولك وفي عملك؛ ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث الأول: «**أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**» فسئل عنه، فقال: «**الرِّيَاءُ**» وهنا قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُم عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

«**الدَّجَّال**»: معروف، وله علامات يعرفها المؤمنون ويحذرونه، قال هنا: «**بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**» قالوا: بلى يا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد ﷺ (٥/ ٤٢٩ برقم ٢٣٦٨٦).

رسول الله! قال: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ**» سماه خفيًّا؛ لأنه يكون في القلوب، لا يطلع عليه الناس، هذا شرك الرِّيَاء محله القلوب، والناس لا يطّلعون عليه، لكن يعرف بالأمارات من صاحبه.

ثم قال: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فيُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**» كان عنده واحد ينظر إليه، فجعل يحسنها، من أجل أنه يثني عليه، أو يمدحه، أو يرفع أمره إلى كذا أو إلى كذا، وهكذا: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لأنه رأى أناسًا يسمعون كلامه، حتَّى يقولوا: أنه فعل وأنه فعل، لم يفعله لله، ولكن ليقول هؤلاء: أنه فعل كذا، أو ليعطوه كذا، أو ليرفعوا أمره إلى كذا، وهكذا في قراءته، وهكذا في تسبيحه وتحميده، وهكذا في غير ذلك، يجب أن تكون لله هذه الأعمال، وأن يفعلها بقلبه لله، لا لأجل فلان وفلان، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** مَن ينادي الرسول ﷺ بعد موته، قائلًا: يا رسول الله، أنت كذا وكذا، وأنت فعلت كذا، وعملت كذا، يا سيدي يا رسول الله، هل تصح هذه المناداة؟

○ **الجواب:** إن كانت هذه المناداة من باب استحضار السَّلام عليه، فقال: يا رسول الله! يا نبي الله السَّلام عليك فلا بأس، أمَّا إن قاله على وجه كأنه يدعوه أو يناديه، أو يخشى من هذا أن يفتن الناس، فلا ينبغي، أمَّا إذا كان ليس فيه دعاء لا يكون شركًا، لكن تركه أولى، أمَّا إذا نادى: يا رسول الله انصرني، أو اشفع لي، أو أغثني هذا نفس الشِّرك الممنوع، لكن بعض الناس في خطبه قد يقول هذه الأشياء: يا رسول الله! فعلت كذا وفعلت كذا، لا يقصد دعاءه، بل يفعل ذلك من باب الاستحضار، فهذا لو عبَّر بعبارات أخرى أسلم حتى لا يغتر بهذا الجهلة والغلاة، يكون أفضل وأولى.

• **مداخلة:** هناك أكثر من هذا؟

○ **الجواب:** ترك هذا وأشباهه أولى، الذي يظهر لي أن ترك هذا أولى؛ لأنه قد يظن بعض الناس أنه يقول: يا رسول الله اغفر لي وانصرني فيضر نفسه بذلك، أو كأنه يقول: الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، فعل كذا وأمر بكذا، وهو خليل الله الذي بأبي وأمي فعل كذا، قاله من باب الاستحضار: يا رسول الله فعلت، يا رسول الله فعلت، قد يخشى منه فتنة بعض الجهلة.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

• **الثانية:** هَذَا الأَمْرُ العَظِيمُ فِي رَدِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ الله.

• **الثالثة:** ذِكْرُ السَّبَبِ المُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الغِنَى.

• **الرابعة:** أَنَّ مِنَ الأَسْبَابِ أنه تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

• **الخامسة:** خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

• **السادسة:** أنه فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ يُصَلِّي المَرْءُ لله، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا؛ لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ.

❋ ❋ ❋

٣٦- بَابُ من الشِّرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الآيتين [هود: ١٥، ١٦].

وفي الصَّحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِن لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثٍ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إن كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِن كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِن شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «باب من الشِّرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا»

«الشِّرك»: شركان: أكبر وأصغر، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا تارةً تكون شركًا أكبر، وتارةً تكون شركًا أصغر، فإن أراد بإسلامه ودخوله في الدين للدنيا، كان شركًا أكبر؛ كالمنافقين، فإنهم ما أرادوا بإسلامهم إلا الدنيا، وما آمنوا بالله واليوم الآخر، فكان كفرهم وشركهم كفرًا أكبر ونفاقًا أكبر، فكان مصيرهم في الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من ذلك.

وتارةً يكون شركًا أصغر؛ كالذي يقرأ يرائي، أو يأمر بالمعروف

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم (٢٨٨٧).

وينهى عن المنكر يرائي، وهو مسلم، مؤمن بالله واليوم الآخر، لكن تعرض له هذه الأمور في بعض أعماله الحظوظ الدنيوية، كمن يجاهد للغنيمة لا يجاهد بالإخلاص، فهذا من الشِّرك الأصغر، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] يعني: لا يتركون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] هذا وعيد عظيم، وهذه الآيات في الكفار الذين عبدوا الله لأجل الدنيا؛ كالمنافقين، وعمومها يوجب الحذر من إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ولو كان ذلك في بعض الأمور.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأٓخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] وهكذا قوله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩] ففي هذه الآية قيد، وفي الآيتين السابقتين أطلق.

وهذه الآية المقيدة قيدت ما تقدم من الإطلاق، وأنه ليس كل من أراد الدنيا تحصل له الدنيا، لا، قد يحصل له بعض ما أراد، وقد لا يحصل له شيء مما أراد؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ بهذا القيد، بعض الناس يريدها ويتعب لها ولا تحصل له، وبعض الناس يحصل له بعض ما أراد بمشيئة الله ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

فالإرادة لا تكفي بدون عمل وبدون إيمان، لو أراد الآخرة، وقال: إنه يريد الآخرة، ولكن لا يعمل ولا يؤمن، لا تنفعه هذه الإرادة، فلا بد

من سعي، لا بد من عمل، من توحيد الله وأداء حقه وترك معصيته، ولا بد أن يكون هذا عن إيمان بالله وباليوم الآخر، عن توحيد وعن إخلاص لله، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ يعني: عمل لها عملها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يعني: عن إيمان، لا عن رياء، ولا عن نفاق: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ يشكره الله ويشكره المؤمنون؛ لأنهم أخلصوا لله، وعملوا بطاعته ﷻ، ففي هذا دلالة على أن الواجب على العبد أن يخلص عمله لله، وأن لا يقصد بها حظًّا عاجلًا، وأنه متى أراد بعمله الحظ العاجل، بطل هذا العمل ولم ينفعه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

«**في الصحيح**» في صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ**» الدينار من الذهب، والدرهم من الفضة، والخميصة كساء جميل له أعلام ونقوش، والخميلة كساء سادة ليس فيه نقوش، والمعنى: تعس من كان هذا قصده، من كان بعمله يقصد هذه الأمور، من كان بعمله ودخوله في الإسلام، أو عمل ما أظهر من الإسلام، إنَّما عمله للدّينار أو للدرهم أو للخميصة أو للخميلة؛ يعني: تعس من كانت أعماله للنقود، أو للمتاع العارض؛ كالمنافقين، وأشباههم.

وهكذا من فعل ذلك في بعض الأعمال للدنيا، تعس أيضًا؛ لأنه يذهب ثوابه، ويحصل له الوزر والإثم، «**تَعِسَ وَانْتَكَسَ**» هذا دعاء عليه أيضًا بالتعاسة في أموره، والانتكاس في أموره، «**وَإِذَا شِيكَ**»: إذا أصابته شوكة، «**فَلا انْتَقَشَ**» يعني: فلا وجد من يأخذها ويخرجها.

والمقصود: دعاء عليه بتعتيم الأمور، وسوء العاقبة، ـ نعوذ بالله ـ بسبب نيته الخبيثة وإرادته الفاسدة.

ثم قال: «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، أَشْعَثٍ رَأْسُهُ**

«مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ» يعني: من شدة عنايته بالجهاد غير متفرغ لترجيل الرأس وتحسينه، ودهنه ونحو ذلك، وغير متفرغ لنظافة بدنه، فهو أشعث الرأس مغبر القدمين.

«إِن كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِن كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ» يعني: أنه يعمل جادًّا، إن كان في الحراسة، حفظها وقام بها حق القيام، وحرس إخوانه، وحماهم من عدوهم، وإن كان في الساقة كذلك، يحميهم ويعتني بعمله، ليس هذا فقط، بل هو يعمل ويجد، فهو إن كان في الحراسة، كان فيها حقيقة، لا على الدعوى، وإن كان في الساقة كان فيها على الحقيقة؛ يعني: رجل عامل صادق، **«إِنِ اسْتَأْذَنَ»** على الملوك **«لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِن شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»** يعني: مغمور في الناس، غير معروف، ولهذا لو شفع لم يشفع، ولو استأذن لم يؤذن له؛ لأنه غير معروف، وهذا من كمال إخلاصه، وكمال صدقه، لا يتحرى مناصب الأمور، ولا معالي الأمور من جهة الدنيا، ولا التقدم عند الملوك والأمراء، بل هو مخلص لله في عمله؛ ولهذا لا تعرفه الملوك ولا يعرفه الأمراء، فهو صادق العمل، جاد في العمل، ناصح في العمل.

فهذا هو الذي له الجنَّة والكرامة، وله السَّعادة في يوم القيامة، بخلاف المرائي الذي يرائي بأعماله ليس قصده إلا الدنيا، وبخلاف المنافق الذي إنَّما آمن للدنيا، ولم يؤمن بالله واليوم الآخر، فهذا هالك وخائب، وباطل العمل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]: ليسوا مع المؤمنين الصادقين، وليسوا مع الكفار، بل تارة مع هؤلاء وتارة مع هؤلاء، هذه حال المنافقين الذين ليس عندهم إيمان بالله واليوم الآخر، فلهم نصيبهم من هذا الوعيد الشديد، وهكذا من كان عمله غير النفاق،

من كان عمله للدنيا في أمره بالمعروف أو في نهيه عن المنكر، أو في جهاده، أو في غير هذا من شؤون الدين إذا عمل ذلك للدنيا، حبط ذلك العمل. وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** إِرَادَةُ الإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ.
- **الثالثة:** تَسْمِيَةُ الإِنْسَانِ المُسْلِم عَبْدَ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَم وَالخَمِيصَةِ.
- **الرابعة:** تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأنه إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِن لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.
- **الخامسة:** قَوْلُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».
- **السادسة:** قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ».
- **السابعة:** الثَّنَاءُ عَلَى المُجَاهِدِ المَوْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

٣٧- بَابٌ من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ، أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ»(٢).

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١] فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ؟ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم» رواه أحمد والترمذي وحسنه(٣).

---

(١) أخرجه عنه بنحوه الإمام أحمد (١/ ٣٣٧ برقم ٣١٢١) وذكره بنص اللفظ المستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه في أكثر من موضع منها (٢٠/ ٢١٥، ٢٥١، و٢٦/ ٥٠، ٢٨١).

(٢) عزاه محقق فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٧٢) لابن بطة في الإبانة الكبرى، برقم (٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي بمعناه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب تفسير سورة التوبة، برقم (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٩٢ برقم ٢١٨).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله**». مراده بهذه الترجمة: تحقيق التوحيد، واتِّباع الشَّريعة وتعظيم أمر الله ونهيه، والحذر من تقليد الشُّيوخ والآراء في خلاف شرع الله؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ وضع كتابه هذا لبيان توحيد العبادة، وبيان ما ينافيه، أو ينافي كماله الواجب، أو يقدح فيه، أو ينقص ثوابه، فأراد أن يبيِّن تحريم التقليد الأعمى للشيوخ والعلماء والأمراء والمعظمين في خلاف شرع الله جلَّ وعلا، ومن فعل ذلك، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، وأن الواجب على أهل العلم والإيمان أن يعظموا أمر الله ونهيه، وأن يحلوا ما أحله الله ورسوله، وأن يحرموا ما حرمه الله ورسوله، وألَّا يطيعوا أحدًا في خلاف ذلك، فالعلماء والأمراء إنَّما يطاعون في طاعة الله: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(١).

فإذا أمر العالم أو الأمير أو السلطان أو أبوك أو زوج المرأة، أو غير ذلك أمر بفعل ما حرم الله، لم يجز طاعته في ذلك، أو أمر بترك ما أوجب الله، لم يجز طاعته في ذلك أيضًا، إنما الطاعة في المعروف، فكيف إذا حلل ما حرم الله، أو حرم ما أحل، الله أكبر وأعظم «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**» و«**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ**»(٢) ولهذا من

---

(١) متفق عليه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم (٧١٤٥) وفي كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، برقم (٧٢٥٧) ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه باللفظ المذكور: الإمام أحمد من حديث عمران بن حصين، والحكم بن عمرو الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٥/ ٦٦ برقم ٢٠٦٧٢) والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ برقم (٥٨٧٠) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (٣/ ٥٠١).

أطاع العلماء والأمراء والرهبان وغيرهم في تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرمه الله، فقد اتخذهم آلهة مع الله والعياذ بالله، كما سيأتي من حديث عدي رضي الله عنه.

«**قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ**» إذا أطلق ابن عباس، فهو عبد الله، العباس له أولاد عدة، لكن أشرفهم وأفضلهم وأكثرهم علمًا وفضلًا هو: عبد الله بن عباس رضي الله عن الجميع، قال: «**يُوشِكُ**» يعني: يقرب، يقال: أوشك على كذا، إذا قرب منه «**أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ**»: عقوبة لهم، وهذا وعيد لهم، «**أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ**» يعني: أذكر لكم قول رسول الله، وتحتجون عليَّ، تقولون: «**قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» يعني: تردون عليَّ بخلاف أمر الله ورسوله بقول أبي بكر وعمر، فهذا الرد من ابن عباس، معناه: أنه لا يجوز للمسلم إذا عرف شرع الله، وأن الله أمر بهذا والرسول ﷺ أمر بهذا أن يخالف ذلك، ولو بقول أبي بكر وعمر، ومعلوم حالهما ومقامهما وفضلهما، وأنهما أفضل الصَّحابة، خير الناس بعد الأنبياء، ومع ذلك لا يجوز الطاعة لهما في خلاف شرع الله، فإذا أخطأ أبو بكر أو أخطأ عمر في شيء، لم يجز أن يطاعا في ذلك إذا خالفا شرع الله، فإذا كان هذا في أبي بكر وعمر، فكيف بحال من دونهم من الناس، المعنى: من باب أولى أنه لا يجوز.

قال ذلك لما سمع بعض الناس ينكر عليه الفتوى بالمتعة في الحج، ويحتج عليه بقول أبي بكر وعمر، وأنهما كانا يريان إفراد الحج، بل الواجب تقديم طاعة الله ورسوله؛ لأن الله جلَّ وعلا قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] ويقول الله ﷻ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

هذا الإنكار من ابن عباس معناه: الحث على اتِّباع الشَّريعة، وعلى

طاعة الله ورسوله، وتعظيم أمر الله ورسوله، والحذر من تعظيم الرِّجال، حتى يخالف شرع الله من أجلهم.

«**وَقَالَ أَحْمَدُ** رَحِمَهُ اللهُ» يعني: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الإمام المشهور أحد الأئمة الأربعة[(١)]، يقول: «**عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ**» يعني: عرفوا أن الإسناد صحيح إلى النَّبِيِّ ﷺ والصحابة، و«**يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ**» ابن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي الإمام المشهور، والمتوفى سنة إحدى وستين ومائة[(٢)]، وهو شيخ مشايخ أحمد رحمهما الله، «**يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ**» يعني: وهو مخالف لما جاء به النَّص، هذا القول من أحمد يبيِّن إنكاره لهذا الأمر، وأنه لا يليق بالعالم أن يفعل ذلك، ثم قال: والله يقول سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يخالفون؛ يعني: يحيدون ويتركون أمره عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثم قال: «**أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ**» يعني: قول النَّبِيّ ﷺ، «**أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلَكَ**» يعني: يخشى عليه أن يفتن، فيقع في الشِّرك وإلى الردة، فهذا في معناه الحذر من مخالفة النَّص، إذا جاء النَّص عن رسول الله ﷺ فليس للعلماء أن يخالفوا ذلك، ليس لأهل العلم أن يخالفوا نص الرسول ﷺ ويفتوا الناس بخلافه، عليهم أن يتبعوا ما قاله الرسول ﷺ وأن يدعوا ما خالفه من أقوال الناس، وإن كان من خالفه عظيمًا، أو عالمًا كبيرًا، لكنه قُصاراه أن يكون تابعًا للرسول ﷺ فإذا خالف النَّص، وجب رد قوله

---

(١) تقدم توثيق ترجمته في: صفحة (٢٣٩). وينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٨٤ برقم ٩٦).

(٢) أخرج له الجماعة. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٤٤ برقم ٢٤٢٥).

ورأيه والأخذ بالنَّص، هكذا قال الصَّحابة، وهكذا قال العلماء كلهم يقولون: إذا خالف قولنا قول الرسول ﷺ.

فالواجب ترك قولنا، والأخذ بالقول الأولى، قول رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنهم يعلمون أن الرسول ﷺ هو المتبع وهو المطاع وهو المشرع وهو المبلغ عن الله، فليس لأحد أن يخالف أمره عليه الصَّلاة والسَّلام، بل يجب أن يطاع ويتبع فيما جاء به، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] ـ لما قدم على النَّبِيِّ ﷺ مسلمًا وسمعه تلا قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ـ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، ظن عدي أن العبادة لهم معناها: السجود لهم أو الركوع لهم أو نحو ذلك، فقال له ﷺ: «**أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟ وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟**» قَالَ: بَلَى. قَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم**» والمعنى: أن طاعة العلماء في تحريم حلال، وفي تحليل حرام، واعتقاد أن هذا جائز مع العلم بأنه خلاف شرع الله، يكون عبادة لهم.

أمَّا إذا فعل ذلك جهلًا منه، لا يكون عبادة لهم، إنَّما هذا إذا اعتقد ذلك، واستحل ذلك، فإنه يكون عابدًا لهم ويكون كافرًا، نسأل الله العافية، أمَّا ما يقع من الناس جهلًا من غير علم، من غير بصيرة، ويتبع العلماء في شيء يظنه حقًّا ويظنه دينًا، ولا يعلم أنه مخالف لشرع الله هذا لا يكون من هذا الباب؛ لأن الإنسان يخطئ ويصيب، بل يتبع عالمًا في شيء من دينه، ويأخذ بفتواه يظن أنها صواب، أو يعتقد أنها

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي أبو طريف، صحابي شهير، مات سنة ثمان وستين، وهو ابن (١٢٠) وقيل: ٨٠، أخرج له الجماعة. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٨٨ برقم ٤٥٤٠).

صواب، فلا يدخل في هذا الوعيد، إنَّما هذا الوعيد لمن استحل محارم الله بفتوى زيد أو عمرو، هذا هو الذي يدخل في هذا الوعيد، ويكون عابدًا لمن قلده في ذلك، واتبعه في ذلك؛ لأنه قدَّمه على شرع الله، وهو يعلم أنه عامد، ولهذا استحق هذا الوعيد، نعوذ بالله، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةٌ.
- **الثالثة:** التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى العِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.
- **الرابعة:** تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.
- **الخامسة:** تَغَيُّرُ الأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَتَسْمِيَتُهَا وِلايَةً، وَعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ العِلْمُ وَالفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ الحَالُ إِلَى أَنَّ عُبِدَ مَن لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالمَعْنَى الثَّانِي مَن هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ.

٣٨- بَابُ قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»(١). قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح(٢).

وقال الشَّعْبِي: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الـمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ خُصُومَة، فَقَالَ اليَهُودِيّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ لأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرَّشْوَة، وَقَالَ المُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى اليَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرَّشْوَة، فَاتَّفَقَا عَلَى أَن يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَة، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية [النساء: ٦٠](٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ١٢ برقم ١٥) وابن بطة في الإبانة (١/ ٢٩٨ برقم ٢٩١) والبغوي في شرح السُّنَّة في كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء (١/ ٩٨ برقم ١٠٤).

(٢) ذكر ذلك في الأربعين النووية، الحديث الحادي والأربعين منها (١/ ٤١).

(٣) ذكره بنحوه ابن جرير الطبري في تفسيره، عند تفسير الآية المذكورة (٨/ ٥٠٨).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النَّبِيِّ ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله[1].

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

يقول المؤلف رحمة الله عليه: «باب قوله جلَّ وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]» أراد المؤلف بهذه الترجمة: بيان التحذير من التحاكم إلى غير الله، وأن الواجب التحاكم إلى شريعة الله في كل الأمور، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وكما قال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] وكما قال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] هذه الآيات وما جاء في معناها كلّها دالة على وجوب التحاكم إلى شريعة الله، وأنه لا يجوز التحاكم إلى غير الله كائنًا من كان.

فأراد المؤلف بهذه الترجمة: بيان هذا الأساس العظيم، والأصل المجمع عليه، وبيّن ربنا سبحانه في هذه الآية: أن بعض النّاس يدّعي الإسلام ويدعي الإيمان وهو ليس كذلك، كالمنافقين، فإذا جاءت

(١) ذكره بنحوه الطبري(١/ ٩٩) والقرطبي في تفسيره عند الآية المذكورة (٥/ ٢٦٣) وانظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٥/ ٣٧).

الحوادث وجاءت الخصومات، طلب التّحاكم إلى غير الله، فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] **والطاغوت**: كلّ ما عبد من دون الله وهو راضٍ، وكل من حكم بغير ما أنزل الله، عن عمد، وعن هوى، فهو طاغوت.

فالمنافقون يريدون من يوافق أهواءهم، ومن يقبل منهم الرشوة، حتى يحكم لهم، وهذا دليل على نفاقهم وضلالهم، ولهذا قال: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦١] فهذا شأنهم: الإعراض عن الحق، والصدود عن الحق واتِّباع الهوى، فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا صفاتهم وأخلاقهم الذميمة.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] فهم يفسدون في الأرض، ويزعمون للناس أنهم مصلحون بجهلهم وضلالهم ونفاقهم وفساد قلوبهم، انقلبت عليهم الأمور حتى ظنوا الفساد صلاحًا، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢] لضلالهم وجهلهم، وانتكاس قلوبهم.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] فصلاح الأرض بحكم الله ﷻ واتِّباع شريعته، وفسادها بمخالفة أمر الله والتّحاكم إلى غيره، فالصّلاح والاستقامة والهدى والسَّداد في التَّحاكم إلى شرع الله، والأخذ بأمر الله، والفساد والإفساد في التحاكم إلى غيره، واتِّباع غير شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا قوله جلَّ وعلا: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] يعني: أفحكم الجاهلية يبغي هؤلاء الذين يريدون التحاكم إلى اليهود، وإلى غيرهم من الطواغيت؟ وهل هناك حكم أحسن من حكم الله؟ ليس هناك حكم أحسن من حكم الله؛ لأنه هو العالم بمصالح عباده، والعالم بما تنتهي إليه أمورهم، والعالم بعواقب الأمور، فهو العالم بكل شيء، فلا حكم أحسن من حكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه

يتضمن إيصال الحقِّ إلى مستحقه، ودفع الظلم، والقضاء على أسباب الفساد، فهو أعلم بأحوال عباده، وهو أعلم بما يصلحهم ﷻ، ولهذا جعل شريعته حكمًا بينهم، فمن أراد خلاف ذلك، فقد أراد الفساد في الأرض، فصلاح الأرض بطاعة الله ورسوله، وفسادها بعصيان الله ورسوله.

وفي الباب حديث عبد الله بن عمرو بن العاص[1] رضي الله تعالى عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» يعني: لا يؤمن الإيمان الكامل الواجب، حتى يكون هواه وإرادته وقصده وطلبه تبعًا لما جاء به النَّبِيّ عليه الصَّلاة والسَّلام، هكذا يجب على المؤمن أن تكون ميوله، وأهواؤه، ونيَّاته، وإراداته كلّها خاضعة لحكم الله ﷻ، لا يبغي بذلك بديلًا.

وقيل: نزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠] في رجلين اختصما، قال الشعبي ﵀ وهو: عامر بن شراحيل الهمداني تابعي جليل، يقال له: الشعبي نسبة إلى قبيلة شعب[2] من جرهم.

قال: إنها نزلت في رجلين: يهودي ومنافق اختصما؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمَّد ﷺ؛ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق ـ الذي يدعي الإسلام وهو منافق ـ: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف لعلمه أنه يأخذ الرشوة، ثم تحاكما إلى رجل من جهينة، فقضى بينهما.

---

(١) بن وائل بن هاشم، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليال الحرة على الأصح بالطائف على الراجح، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٥ برقم ٣٤٩٩).

(٢) أبو عمرو: فقيه فاضل من الثالثة مات بعد المائة وله نحوًا من ثمانين، أخرج له الجماعة. وينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٧ برقم ٣٠٩٢). وينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢٤٦).

المقصود: أن هذا يدل على أن المنافق شر من اليهود، نسأل الله العافية، وأن المنافقين شر من اليهود؛ لأنهم يلبِّسون على الناس أمرهم، ويدّعون الإسلام وهم على خلافه، فلهذا يشتبه أمرهم، ويخف بهم الضلال، فصاروا بذلك في الدرك الأسفل من النَّار، نعوذ بالله.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، قال أحدهما: نتحاكم إلى النَّبِيِّ ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم تحاكما إلى عمر، فأخبراه بالقضية، فقال: «أمهلوني» ثم خرج إليه بسيفه، فقتل الذي أبى حكم النَّبِيّ ﷺ، وفي صحة هذه القصة نظر، فيها ضعف، وعمر لم يقتله إلا بأمر النَّبِيِّ ﷺ لكن **المقصود**: أنه لا يجوز التحاكم لغير الله.

أمَّا هذه الرواية: عن عمر حكاها المؤلف بصيغة التمريض، ولا تثبت عن عمر؛ لأن عمر لا يستطيع أن يتصرف بالقتل إلا بإذن الرسول ﷺ ومراجعته عليه الصَّلاة والسَّلام، **والحاصل**: أن التحاكم لغير الله لا يجوز مطلقًا يجب التحاكم إلى شرع بين الجميع في كل ما يتنازع فيه الناس سواء كان الحكم بين المسلمين أو بين المسلمين وغيرهم، يجب الرجوع إلى حكم الله وشرعه.

فالحاصل: أن في القصتين نظرًا، ولكن هما شاهدان لعمل المنافقين وأنَّ المنافقين شرٌّ من اليهود وشرٌّ من الوثنيين الصرحاء؛ لأن اليهودي معروف كفره، والوثني معروف كفره، فيتحرز منه، ويعرف حكمه، لكن المنافق يتظاهر بالإسلام، فيغر الناس، ويخدع الناس، ويلبس على الناس أمرهم، فلهذا صار كفره أكبر، وصارت عاقبته أشد وخامة وأشد شرًّا، وصار من أهل الدرك الأسفل من النَّار، نعوذ بالله.

والواجب على جميع المسلمين التحاكم إلى شرع الله، والتمسك بشرع الله، وعدم التحاكم إلى غيره كائنًا من كان، هذا هو الواجب على المسلمين جميعًا، ولهذا في هذه الرواية عن عمر أنه أنكر على هذا الرجل الذي طلب التحاكم إلى غير النَّبِيِّ ﷺ، ورآه أنه قد ارتد بذلك؛ فلهذا قتله، فهو صحيح من جهة المعنى، فإن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ فهو كافر.

فالواجب الرِّضا بشرع الله، والرِّضا بحكم الله ﷻ، فمن كره حكم الله، فهو كافر: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] نسأل الله العافية، ورزق الله الجميع العافية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** أحسن الله إليكم قول الله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] هل هذا بعد دخولهم النَّار؟

○ **الجواب:** الظاهر عندما يرون نجاة المؤمن يوم القيامة، يودون لو أنهم أسلموا في موقف يوم القيامة، نسأل الله العافية.

• **السؤال:** ما حكم حديث: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ**»؟

○ **الجواب:** فيه بعض الكلام، صححه جماعة وضعفه جماعة[(١)] لكن معناه صحيح.

• **السؤال:** ما معنى قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[(٢)].

○ **الجواب:** يعني: خلقه إنسان يتكلم وذا وجه، وذا يد، وذا قدم، ولا يشبه الله سبحانه في شيء، فالله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لكنه بصير متكلم، ذا وجه وذا علم وذا كلام.

---

(١) وممن صححه: الخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ٣٦٩) والنووي في الأربعين الحديث (٤١) كما تقدم في المتن، ونقل المؤلف تصحيحه، وصحح معناه قطعًا حفيد المصنف في تيسير العزيز الحميد (٥٠٥) وابن حفيده في فتح المجيد (٣٨٤).

ومن ضعفه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٣٨٦) بسبب نعيم بن حماد المروزي في إسناده، وقد ضعف. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٦٤ برقم ٧١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، برقم (٢٦١٢).

• **مداخلة:** ما معنى حرف «على»؟ في قوله: «**عَلَى صُورَتِهِ**».

○ **الجواب:** حرف على أنه في صورته من جنس أنه سميع، بصير، لا من جهة المشابهة بأن العلم كالعلم، والسمع كالسمع، والبصر كالبصر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، لكن الله سميع، وآدم سميع، الله بصير وآدم بصير، الله يتكلم وآدم يتكلم وهكذا؛ يعني: أنه خلقهم متكلمين سامعين مبصرين، كما أنه كذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لكن ليس الذات كالذات، ولا الصفات كالصفات، وليست الصورة كالصورة، وليس السمع كالسمع، وليس البصر كالبصر، كما قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

• **السؤال:** هل من أعاد الضمير إلى آدم لا يعد من أهل السُّنَّة؟

○ **الجواب:** هذا خطأ، هو من أهل السُّنَّة لكنه أخطأ، بعض الناس يقع في هذا الخطأ فرارًا منهم من التشبيه.

• **السؤال:** بعض العوام يقول: بعينه التي لا تنام؟ هل هذا القول صحيح؟ هل يوصف الله بأن له العين؟

○ **الجواب:** نعم، صحيح، فالله لا ينام، قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»(١). والله يوصف بأن له العين، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

(١) وتمامه: «**يَرْفَعُ القِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ وَعَمَلُ اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ**»، أخرجه مسلم عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إن الله لا ينام...**» برقم (١٧٩).

- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [١١].
- **الثالثة:** تَفْسِيرُ آيَةِ الأعراف: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [٥٦].
- **الرابعة:** تَفْسِيرُ: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ [المائدة: ٥٠].
- **الخامسة:** مَا قَالَ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ الأُولَى.
- **السادسة:** تَفْسِيرُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ.
- **السابعة:** قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ المُنَافِقِ.
- **الثامنة:** كَوْنُ الإِيمَانِ لا يَحْصُلُ لأحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

٣٩- بَابُ من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري، قال علي رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه: «أنه رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النَّبِيّ ﷺ في الصفات، استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه؟!»[(٢)] انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمٰن أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠][(٣)].

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب **عقد المؤلف رحمة الله عليه** هذا الباب لبيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، على الوجه اللائق بالله، وأن الواجب على كل مسلم أن يثبت أسماء الرب وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وألا يغتر بأقوال أهل

---

(١) أخرجه في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا، برقم (١٢٧).

(٢) أخرجه بنحوه في كتاب الجامع، باب صفة أهل النار (١١/ ٤٢٣ برقم ٢٠٨٩٥).

(٣) أخرجه بنحوه عن مجاهد مرسلًا: الطبري في تفسيره للآية (١٦/ ٤٤٦ برقم ٢٠٣٩٨).

التجهم والاعتزال، ومن سار في ركابهم من أهل الباطل والضلال.

بل يجب أن يأخذ بما قاله أهل السُّنَّة والجماعة من الصَّحابة، ومن سلك سبيلهم رضي الله عن الجميع، وهو الذي جاءت به الرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعًا من أولهم: نوح، إلى آخرهم: محمد عليه الصَّلاة والسَّلام، كلّهم جاءوا بإثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله سبحانه.

ودرج على هذا أصحاب النَّبيّ ﷺ رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان، فأمرُّوا آيات الصِّفات وأحاديثها كما جاءت، وأثبتوا ما دلّت عليه من الأسماء والصّفات من المعاني على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، عملًا بقول الله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وعملًا بقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] وعملًا بقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وبقوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] يعني: لا سمي له ولا كفء له سبحانه وتعالى.

وأمَّا الجهمية والمعتزلة فأنكروا صفات الله عز وجل، وزادت الجهمية أن أنكروا الأسماء أيضًا، وتأولوها، حتى صاروا معطلة، مقتضى قولهم نفي وجود الله بالكلية نعوذ بالله؛ ولهذا حكم عليهم أهل السُّنَّة بالكفر والضلال، وأن الواجب قتلهم إن لم يتوبوا؛ لإنكارهم ما جاء به الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة والإجماع.

ولهذا **قال المؤلف** رحمه الله: «**باب من جحد** يعني: باب حكم **من جحد شيئًا من الأسماء والصفات**» أطلق المؤلف الترجمة، ولم يذكر الحكم، **والجواب**: أنه كافرٌ، من جحد أسماء الرب وصفاته، فهو كافرٌ؛ لأنه مكذب لله ورسوله، ومكذب لما أجمع عليه المسلمون، فيكون كافرًا بالله، يجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل.

«**وقول الله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾** [الرعد: ٣٠]» وفي أولها قال: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] بيَّن سبحانه وتعالى أن الرحمٰن هو ربنا وإلٰهنا عز وجل، وأن كُفر الكافرين بالرحمٰن كفر بالله سبحانه وتعالى.

فعلى المؤمن أن يحذر صفات هؤلاء الضَّالين، وأن يبتعد عن أخلاقهم وسيرتهم، وأن يسلك مسلك أهل العلم والإيمان في إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله، وسمى إنكار الصفة كفرًا بالرحمٰن، فدلَّ ذلك على أن من أنكر الصفات فقد كفر بالرحمٰن.

«**وروى البخاري في صحيحه عن علي** رضي الله عنه»[1] هو: علي بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة رضي الله عنها، من السابقين قال: «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله**» ولفظ البخاري: «**أتحبون أن يكذب الله ورسوله**» كأن المؤلف رواه بالمعنى.

والمعنى في هذا: أن الواجب على المذكِّر والواعظ أن يذكِّر الناس بالألفاظ التي يعرفونها، والأساليب التي يعقلونها، حتى يستفيدوا، وحتى ينتفعوا، كل قوم لهم أساليب، فيحدث العجم بأساليبهم ولغاتهم، ويحدث العرب بأساليبهم ولغاتهم حتى يفهموا؛ لأنك إذا حدثت قومًا بغير ما يفهمون قد يصدقونك على غير ما أردت، وقد يفهمون غير ما قصدت، فأنت عليك أن تحدثهم بما يعرفون عن أسماء الله أو صفاته، أو عن أحكامه، وإن كانوا لا يفهمون إلا اللغة بالإنجليزية تخبرهم بها، وإن كانوا لا يفهمون إلا اللغة الأردية تحدثهم بها، أو اللغة التركية تحدثهم بها، وهكذا بقية الأقوام تحدثهم بما يفهمون من لغاتهم،

---

(١) سبقت ترجمته وتوثيق إحالتها في: (٧٤، ١١٨) وينظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٤٠٢ برقم ٤٧٥٣).

وتحدث العربي بأسلوبه، حتى العرب يختلفون في فهمهم ولغتهم، تحدث كل أناس بما يفهمون.

فأسلوب اليمنيين غير أسلوب الشماليين، كلٌّ له أسلوب، فينبغي أن تحدث الناس بما يفهمون، وتجتهد في إيضاح الأمر باللغة التي يفهمونها، والعبارات التي يفهمونها، والألفاظ التي اعتادوها، حتى يفهموا عنك ما قلت، وحتى لا يكذَّب الله ورسوله.

فهؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من نفاة الصفات في الحقيقة أنهم وقعوا في خطر عظيم، وفي باطل كبير؛ لأنهم تأولوا الصفات على غير تأويلها، وتكلموا فيها بغير ما ينبغي؛ حتى عطلوا صفات الله وعطلوا أسماءه لضلالهم وجهلهم، وكثير منهم قد يكون فهم الأمر على غير ما هو عليه لعجمته، كما قال بعض السلف لعمرو بن عبيد(١) لما قال عن العصاة: إنهم مخلدون في النار، قال: لأن الله جلَّ وعلا أوعدهم بذلك، قال: إن الله يخلف إيعاده ولا يخلف موعده، فإخلاف الإيعاد كرم وجود، وأما إخلاف الوعد فلؤم، ولهذا يتنزه الله عن إخلاف الوعد، إنه لا يخلف ميعاده ﷻ، أمَّا كونه يعفو ويصفح، هذا من كرمه وجوده ﷻ، ولهذا قال بعض السّلف لعمرو بن عبيد: من عجمتك أُتيت حيث ظننت أن إخلاف الإيعاد أمر مستقبح، وليس الأمر كذلك.

قال الشاعر:

وَإِنِّـي وَإِنْ أَوْعَـدْتُـهُ أَوْ وَعَـدْتُـهُ لمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي(٢)

فالإنسان يمدح إذا أنجز موعده ويذم إذا أخلف إيعاده، فإذا قال لك الإنسان: سوف أفعل بك، سوف أضربك، سوف أهينك، ثم عفا

---

(١) ابن باب التيمي مولاهم، أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعته اتهمه جماعة مع أنه كان عابدًا من السابعة مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين. ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر (ص٤٢٤ برقم ٥٠٧١).

(٢) الحماسة البصرية (١/ ١٢٥) وتفسير القرطبي (٣٣٤).

يمدح بذلك، إذا عفا وصفح، أمَّا إذا وعدك أن يكرمك ويحسن إليك، ثم أخلف، يذم على ذلك، فالإنسان يمدح بالوفاء بالوعد، ويمدح بإخلاف الوعيد إذا كان في محله؛ **فالمقصود**: أن الإنسان قد يؤتى من جهة فهمه، وقد يغلط من جهة فهمه، ما فهم النص، ما عرف المراد، فيغلط، فينبغي أن يوضح له النص، وأن يبيّن له المعنى، حتى يكون على بينة.

وروى عبد الرزاق بن همام[1] الصَّنعاني، الإمام المشهور رَحِمَهُ اللَّهُ، عن شيخه معمر بن راشد، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، وهذا سند عظيم. «**أنه سمع قومًا أصابهم فرق لما سمعوا آيات الصفات،** فقال: **«ما فَرَقُ هؤلاء»** فَرَقُهم؛ يعني: خَوْفُهمْ، فَرِقَ فرقًا؛ يعني: خاف؛ يعني: ما فرق هؤلاء وما جزع هؤلاء؟ **«ما فرق هؤلاء؟! يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»** يعني: ما جزعهم؟! وما الذي أوجب لهم هذا الخوف وهذا الجزع؟!

فإذا سمعوا الآيات المحكمات في القرآن والسُّنَّة يجدون رقة، ويجدون خشوعًا وخضوعًا، وإذا سمعوا آيات الصفات؛ اشتبهت عليهم، وهلكوا عندها بالجزع والإنكار، هذا يدل على أن هذا من قديم، وأنه في عهد الصَّحابة وجد شيء من هذا **«يجدون رقة عند محكمة، ويهلكون عند متشابهه»** يعني: يجدون رقة عند الأشياء الواضحة والمعاني الواضحة.

وإذا جاءتهم الأحاديث التي تشتبه عليهم أو الآيات، هلكوا بإنكارها أو الشك فيها والريب فيها، فدلَّ ذلك على أن إنكار الصفات، وإنكار ما بيّنه الله لعباده، أو الشك في ذلك، هلاك، وإنما الحياة والحق والصواب في الإيمان بما أخبر الله به ورسوله، إن كنت فهمته،

(١) ابن نافع الحميري مولاهم، أبو بكر ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغيَّر، من التاسعة مات سنة إحدى عشر وثلاثمائة، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٥٤ برقم ٤٠٦٤).

فالحمد لله، وإن كنت لم تفهم، فكِله إلى عالمه، وقل: الله أعلم بمراده، واسأل أهل العلم. وانظر في الآيات والأدلة الأخرى حتى تفهم، وإياك والإنكار، وإياك والجزع، وإياك والشك والريب، فإن هذا طريق المنافقين وطريق الهالكين.

أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة، فهم يؤمنون بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ويقفون عنده، ويخضعون له ويعملون به، وإذا اشتبهت عليهم الأمور، ردوها إلى المحكمات، وردوها إلى البيِّنات، وفسروها بما اتضح من حكم الله في الآيات الأخرى والأحاديث الأخرى، ولا يضربون كتاب الله ولا سُنَّة رسول الله ﷺ بعضها ببعض، ولا يشكُّون ولا يرتابون، بل يؤمنون بالمتشابه، وأنه لا يخالف المحكم، بل هو من جنس المحكم، ويكِلون ما جهلوا من ذلك إلى عالمه كالكيفية، فالله هو الذي يعلم كيفية صفاته، وأمَّا معانيها فمعروفة للناس من طريق اللغة العربية التي خاطب الله بها الناس.

فالله معروف من الألوهية، بمعنى الإلٰه والتأله التعبد فالله هو الذي يعبد ويقصد، والرحمٰن معروف من الرحمة، والعزيز معروف من العزة، والسميع معروف يدل على السمع، والعليم معروف، والحكيم معروف، وهكذا بقية صفات الله معروفة، وأسماءه معروفة معانيها، أمَّا كيفية تلك الصفات، فإلى الله علمها، لا يعلم كيفيتها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولما سئل مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه في القرن الثاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال السَّائل: كيف استوى؟ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**»[(١)] يعني: عن الكيفية،

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٤١ برقم ٦٦٤) والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٧، ١٨) وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦، =

فبيّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاستواء الّذي هو الارتفاع والعلو معلوم، أمَّا كيف استوى؟ لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** سمعت أحد المشايخ يتحدث عن الجهم بن صفوان، وفيما يتحدث عنه القول بأن الجنة والنار يفنيان، ويقول الشيخ المذكور وأنا كذلك أقر على هذا؛ لأنه من رحمة الله، أنهما يفنيان بعدله؟

○ **الجواب:** الذي يقول: إن الجنة والنار تفنيان كافر، أما الخوض في فناء النار، فهذا قول معروف، أمَّا من قال بفناء الجنة، هذا كافر، الله يقول: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٨] ويقول: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] نعم، هذا القول غلط عظيم نعوذ بالله، حتى القول بفناء النار غلط من قائله وضعيف، والصحيح الذي عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة: أن النار لا تنتهي، بل تبقى أبد الآباد، نسأل الله العافية.

• **السؤال:** ما صحة ما نسمع عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قبل أن يسلم دفن بنته وهي حية؟

○ **الجواب:** يروى هذا، وهي أمور جاهلية معفو عنها، الإسلام يجب ما قبله، الكفر أعظم من أن تدفن المرأة، الإسلام يجب ما قبله، سواء لعمر أو غير عمر.

• **السؤال:** ما حكم من قال: أنا لا أصلي، وأن الله غفور رحيم؟

○ **الجواب:** يعلم أنه كافر، والله غفور رحيم للمسلمين وليس للكافرين.

• **مداخلة:** هل يجوز أن يطلق عليه أنه كافر؛ يعني: يصح أنِّي أقول له: إنَّك كافر؟

○ **الجواب:** ليس هو قولك، هو قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ**

= ٤٠٧): إسناده جيد، وصححه الذهبي في العلو (ص١٠٣).

الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»[(١)].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** عَدَمُ الإِيمَانِ بِشَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.
- **الثانية:** تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ.
- **الثالثة:** تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لا يَفْهَمُ السَّامِعُ.
- **الرابعة:** ذِكْرُ العِلَّةِ؛ أنه يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ الله وَرَسولِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ المُنْكِرُ.
- **الخامسة:** كَلامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِن ذَلِكَ، وَأنه أَهْلَكَهُ.

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (٨٢).

٤٠- بَابٌ قول الله تعالى:

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٣]

قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي»[١]. وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا وكذا»[٢]. وقال ابن قتيبة: يقولون: «هذا بشفاعة آلهتنا»[٣].

وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»[٤] الحديث، وقد تقدم ـ: وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إنْعَامَهُ إلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ: «كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا»[٥] وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب قول الله تعالى**: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾» أراد المؤلف رحمة الله عليه: الحث على الاعتراف بنعم الله، وشكره سبحانه على ذلك، كثير من الناس قد يغفل عن هذا، ويشغل عن هذا، فيتمتع بنعم الله، ولكن لا يشكره، ولا

---

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير الطبري في التفسير (١٧/ ٢٧٣ برقم ٢١٨٤٠).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (١٧/ ٢٧٣ برقم ٢١٨٤٢).
(٣) ذكر كلامه ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٧٩) وابن القيم في شفاء العليل (١/ ٣٦).
(٤) سبق تخريجه (ص ٢٨٧).
(٥) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٣).

يعترف بنعم الله ﷻ، بل ينسبها إلى أسبابه وقوته وحذقه وأعماله ونحو ذلك، غافلًا عن المسدي لها والمنعم لها ﷻ.

فأراد المؤلف بهذه الترجمة: الحث على شكر الله، والاعتراف بنعمه، وإسنادها إليه ﷻ حتى يعرف المؤمن أنه عبد مأمور مربوب، وأن هذه النِّعم من ربه إليه، وليست بأسبابه وقوته، فلو شاء الله لسلبه الأسباب وسلبه القوة ﷻ، هو الذي أعطاه الأسباب: أعطاه السمع، وأعطاه البصر، وأعطاه الحذق في التجارة، وأعطاه القوة، وأعطاه العقل، إلى غير ذلك.

فالواجب على العبد أن ينتبه لهذا الأمر، وأن يعترف بنعم الله، وأن يشكره عليها، وألَّا يقول كقول الكافرين: هذا مالي ورثته عن آبائي وأشباه ذلك، ولا يلتفت إلى شكر الله وإنعامه ﷻ، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يعرفون أنَّ هذه النِّعم من الله، ثم ينسبونها إلى آلهتهم وأوثانهم، وهذا من باب النكران للنعم، وعدم الاعتراف بها للمنعم بها ﷻ.

«قال مجاهد» وهو: ابن جبر[1]، تابعي جليل من أصحاب ابن عباس رضي الله عنه: **«هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي»** يعني: يقول ذلك تبجحًا وتعظمًا بهذا الشيء، من غير أن يعترف بنعم الله له، ويسندها إليه جلَّ وعلا؛ يعني: غافلًا عن ذلك، وليس قصده الإخبار عن الأسباب، ولكن يقول ذلك غافلًا عن نعم الله، وعن شكره ﷻ.

وإلا معلوم أنه يجوز أن يقول: هذا ورثته عن أبي، هذا ورثته عن أخي، لا بأس، لكن إذا قاله على سبيل الإخبار بالأسباب، أمَّا أن ينسبها إلى آبائه وأجداده، وينسى المنعم، فهذا هو المنكر، وهذا هو الذي ينبغي للمؤمن أن يبتعد عنه، وأن يقول ذلك عن إيمان بالله، واعتراف بنعمه سبحانه.

---

(١) أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة مات سنة (٢ أو ٣ أو ٤) ومائة عن (٨٣ عامًا) أخرج له الجماعة.
ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٢٠ برقم ٦٤٨١).

وهكذا القول الآخر[(١)]: «**لولا فلان لم يكن كذا**» كذلك ينبغي له أن يقول: لولا الله سبحانه ثم كذا، فينسب النعم إلى المنعم بها، والذي أسداها ﷻ، ولا يغفل عن ذلك.

وهكذا قول «**ابن قتيبة**[(٢)]: **يقولون: إن هذا بشفاعة آلهتنا**» ينسبونها إلى آلهتهم، فالمقصود من هذا كله: أنه ينبغي للمؤمن إذا أخبر عن الأسباب ألا ينسى المنعم الحقيقي؛ لأن الأسباب هو الذي سخرها، هو الذي يسَّرها، فإذا كان المال حصل عن بيعه وشرائه، أو عن إرثه، أو عن هبة، أو عن غير ذلك، لا يغفل عن كون المنعم هو الله الذي يسَّر الهبة، هو الذي يسَّر البيع والشراء، هو الذي يسَّر الإرث وشرع الإرث فكله من نعمه سبحانه.

فليكن المؤمن على بصيرة، وعناية، واعتراف بنعم الله ﷻ، مع اعترافه بالأسباب، لا مانع من الاعتراف بالأسباب، لكن يقول ذلك مع إيمانه بأن النِّعم من الله، هو المنعم بها، ومع قيامه به بشكره له عليها بطاعته، وترك معصيته، والوقوف عند حدوده، والإيمان بأنه، هو المنعم على الجميع، وأن جميع ما به من النعم فهو من الله، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

«**وقال أبو العباس**» هو ابن تيمية شيخ الإسلام رحمة الله عليه[(٣)]

---

(١) هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي، ثقة عابد من الرابعة مات قبل سنة عشرين ومائة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٣٤ برقم ٥٢٢٣).

(٢) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، ولد سنة ٢١٣هـ، أحد العلماء الأدباء والحفَّاظ الأذكياء متقنًا صادقًا فيما يرويه عالمًا بمشكل القرآن وغريب الحديث، وله مؤلفات في التفسير والمعارف والنحو واللغة وغيرها، المتوفى سنة (٢٧٦هـ). ينظر: تاريخ بغداد للخطيب (١٠/ ١٧٠، ١٧١) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٠).

(٣) تقدم توثيق ترجمته في: (ص١٧٢) وكذا تخريج حديث زيد بن خالد ﵁ في: (ص٢٨٧).

على حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه الذي فيه: إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِر» يعني: في المطر: «فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ».

«قال أبو العباس»: هذا كثير في الكتاب والسُّنَّة يذم سبحانه من يضيف النِّعم إلى غيره، فيقول: هذا بنوء كذا، هذا ورثته عن آبائي، هذا كذا، هذا كذا، عند التَّمدح بذلك، والاعتراف بذلك، والفخر على غيره، ولكن يقول: هذا بفضل الله ورحمته، الله الذي يتفضل علينا بهذا، ويسر لنا هذا، وهو المنعم، وإذا بين السبب مثل: ورثته عن أبي، أو عن أخي، أو عن كذلك، مع الاعتراف بفضل الله ورحمته سبحانه وتعالى، فهذا لا بأس.

كذلك المطر يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته، هذا من فضل الله، هذا من جوده وكرمه، لا بنوء كذا، ونوء كذا، ولقد صدق نوء كذا، أو ما أشبه ذلك «وقال بعض السلف: والقول كقول الرجل: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا» يعني: إذا صارت السفينة جيدة في السير، قالوا: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونسوا المنعم سبحانه وتعالى، فالله الذي يسَّر، من جاء بالريح؟ ومن الذي علم الملاح حتى صار حاذقًا؟.

فينبغي للمؤمن أن يلاحظ هذه الأمور، مع معرفة الأسباب، يقول: نعم الله يسَّر لنا ريحًا طيبة، الله منَّ علينا بالريح الطيبة، الله الذي وفقنا بسائق جيد، ملاح جيد، لا بأس، أمَّا أن ينسى المنعم، ويضيف النعم إلى غيره: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، وينسى المنعم؛ يعني: هذا من دقة السَّلف رحمة الله عليهم من دقتهم وحرصهم على العناية بالشكر لله، والاعتراف بنعمه سبحانه وتعالى، فإذا قال ذلك على سبيل الإخبار بالسبب، لا على سبيل إضافة النِّعم إلى غير المنعم سبحانه وتعالى.

يقول: الله منَّ علينا بريح طيبة حتى صار سيرها أسرع، وهكذا السيارة إذا يسَّر الله أنها جيدة وجديدة، نفع الله بها، وحصل بذلك سرعة

القدوم ونحو هذا، لكن يكون كلامه مشغولًا بالاعتراف بنعم الله، مشغولًا بالإضافة إلى الله، وشكره سبحانه حتى لا تكون العبارة جافة كعبارة الجفاة من الجهلة والمشركين الذين ينسون المنعم، وينسبون النعم إلى أسبابهم وقوتهم، ونحو ذلك.

هذا الباب المقصود منه العناية بشكر الله، والاعتراف بنعم الله، وألَّا يغفل المؤمن عند ذكر النِّعم عن المنعم بها ﷻ، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** ما صحة الحديث الذي يقول: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَام فَسَيَرَانِي فِي اليقظة، أَوْ لَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي اليَقَظَة؟**»(١) **هل الحديث صحيح؟**

○ **الجواب:** جاء هذا اللفظ بالشك: «**فَسَيَرَانِي**» أو «**كَمَا رَآنِي**» والصواب: «**فَقَدْ رَآنِي**» هو صحيح، لكنه جاء بالشك «**فَسَيَرَانِي**» أو«**كأنما رَآنِي**» ولكن الروايات الصحيحة: «**فَقَدْ رَآنِي**» بدون شك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** تَفْسِيرُ مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا.

• **الثانية:** مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

• **الثالثة:** تَسْمِيَةُ هَذَا الكَلامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.

• **الرابعة:** اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي القَلْبِ.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ، برقم (٦٩٩٣) ومسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من رآني في المنام فقد...**»، برقم (٢٢٦٦).

٤١- بَابُ قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الآية [البقرة: ٢٢]

قال ابن عباس في الآية: «الأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولُ: لَوْلا كُلْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا البَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللهُ وَفُلانٌ، لا تَجْعَلْ فِيهَا فُلانًا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»(١) رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»(٢) رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»(٤) رواه أبو داود بسند صحيح.

---

(١) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، في تفسيره للآية، وعنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله، برقم (١٥٣٥) والحاكم في المستدرك في كتاب الأيمان والنذور، ووافقه الذهبي في تصحيحه له (٤/ ٣٣٠ برقم ٧٨١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الأيمان (٣/ ٤٨٠ برقم ٧) والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٣ برقم ٨٩٠٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الآداب، باب لا يقال: خبثت نفسي، برقم (٤٩٨٠).

وجاء عن إبراهيم النَّخعي: «أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الباب في تحريم اتخاذ الأنداد لله عَزَّ وَجَلَّ، **يقول المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ:
«باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]»
أراد بهذه الترجمة: تحذير النَّاس من اتخاذ الأنداد.

والأنداد: جمع ندٍّ، وهو المثل والشبيه والنظير، سمى الله جلَّ وعلا من يُتخذ من دونه ويُعبد من دونه، أندادًا؛ لأنهم مثلوه بالله لما عبدوه مع الله عَزَّ وَجَلَّ، فاتخاذ القبور المعبودة من دون الله، أو الأصنام أو الأشجار والأحجار، أو الكواكب تدعى ويستغاث بها دون الله هذا كله يقال له: أنداد، فمن اتخذ شيئًا دون الله، ميتًا، أو صنمًا، أو شجرة، أو غارًا، أو كوكبًا أو غير ذلك يدعوه ويستغيث به أو ينذر له، أو يعتقد فيه أنه يتصرف في الكون، أو ينفع ويضر أو ما أشبه ذلك، فقد اتخذه ندًّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: وأنتم تعلمون أنه الخلّاق الرَّزاق، الإلٰه الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال ذمًّا لبعض الناس: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ الآية [البقرة: ١٦٥] فهو سبحانه ذمّ المتخذين أندادًا، ونهى عن اتِّخاذ الأنداد.

والمقصود من هذا: الدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، وأن يكون الله هو المعبود بالحق؛ لأنه الإلٰه الحق: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

(١) أخرجه بنحو اللفظ المذكور: ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (٣٤٤).

وقال ابن عباس في الآية: «**هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فسَّر ابن عباس اتِّخاذ الأنداد بالشِّرك الخفي، بالشِّرك الأصغر، ومراده رَحِمَهُ اللهُ: أنه داخل في ذلك؛ أي: أن الشِّرك الأصغر يدخل في اتخاذ الأنداد، ولكن أعظم من ذلك وأكبر هو دعوة الأصنام والأشجار والأحجار والأموات ونحوهم من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، واتخاذهم أندادًا مع الله، هذا أعظم، هذا شرك أكبر، والآية في ذلك أعظم وأظهر وأبين، ولكن مراده من هذا رَحِمَهُ اللهُ: التَّنبيه على الشِّرك الخفي، بالشِّرك الأصغر؛ لأنه يجر إلى الأكبر، يجر إلى عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ، فلهذا نبَّه على هذا الشِّرك الخفي ليحذر النَّاس هذا وهذا، ويبتعد النَّاس عن هذا وهذا.

عن عبادة غير الله، واتخاذ الأصنام والأنداد مع الله، وعبادة أصحاب القبور، أو الأشجار والأحجار، أو غير هذا من المخلوقات، كله داخل في اتخاذ الأنداد، فالشِّرك شركان: أكبر وأصغر، فاتخاذ الأصنام تعبد مع الله، أو أصحاب القبور أو الكواكب أو الأشجار أو غير ذلك، هذا الشرك الأكبر، وهو الذي كان عليه قريش وأشباههم من العرب.

والشِّرك الأصغر واقع أيضًا، ومنه الرِّياء، كأن يصلي يرائي، أو يقرأ يرائي، أو ما أشبهه هذا من الشِّرك الأصغر، وهكذا قوله: «**لولا الله وفلان**» وهذا من الله ومن فلان، وما شاء الله وشاء فلان وما أشبهه، هذا من الشِّرك الأصغر، وهو داخل في اتخاذ الأنداد؛ ولهذا لما قال رجل: يا رسول الله، ما شاء الله وشئت؟ قال: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا**» وفي لفظ: «**عَدْلًا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(١) فجعل قول: ما شاء الله وشاء محمد من اتخاذ الأنداد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (١/ ٢٨٣، ٣٤٧ برقم ٢٥٦١، ٣٢٤٧) والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٤٥ برقم ١٠٨٢٥) وسيأتي في كلام المؤلف في باب ما شاء الله وشئت في صفحة (٣٧٧).

وهذا يوجب الحذر من مثل هذه الكلمات، ما شاء الله وشاء فلان، أو: لولا الله وفلان، أو: هذا من الله ومن فلان، أو: أنا عائذ بالله وبفلان، أو ما أشبه ذلك من اتخاذ الواو، فإن هذا نوع من التنديد؛ لأن الواو تقتضي المشاركة والمساواة، فيحرم ذلك ولا يجوز فعله مع الله ﷻ.

ويلحق بهذا قول: «**لولا البط في الدار**» البط: طير معروف يتخذونه في المنازل يصيح إذا دخل مستنكَر، وهكذا الكلب يتخذ عند الأبواب؛ لأنه ينبح إذا رأى مستنكَرًا، فينبه أهل البيت، فيقولوا: لولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، لولا البط في الدار لأتى اللصوص؛ يعني: لكن الكلب والبط نبَّه، فابتعد اللصوص، وهذا من الأغلاط، ينبغي أن يقول: لولا الله ثم الكلب، لولا الله ثم البط، لولا الله ثم الحارس، لولا الله ثم الحرس، لولا الله ثم فلان لا بأس، فالسبب الأول الوحيد الذي به العصمة هو الله وحده سبحانه وتعالى.

وإنَّما هذه أسباب جعلها الله أسبابًا، جعل وجود الحارس عند الباب من السبب، جعل إغلاق الباب من السبب، جعل الكلب عند الغنم ونحوه من السبب، جعل البط عند الباب من السبب، هذه أسباب ينبغي ألا تُوكل إليها ولا تسند إليها الأمور، بل تسند إلى الله وحده ثم إليها؛ لأن «**ثم**» تقتضي التراخي، فلا يقال لها وحدها ولا بالواو، لولا الله والبط، لولا الله والكلب، لولا الله والحرس، لولا الله والجيش، لا، ولكن يقال: لولا الله ثم الجيش، ثم الحرس، لولا الله ثم فلان، أنقذ مثلًا أو وجد غريقًا، فنزل إليه في البحر أو في البئر وأنقذه، يقول: لولا الله ثم فلان لمت؛ لأنه هو الذي تسبب في إنقاذه، وجده مع إنسان يضربه أو خاف عليه، وقال: لولا الله ثم فلان الذي أنقذني منه لقتلني أو لأوجعني، هذا لا بأس به.

فالمقصود: يأتي بـ«**ثم**» فيزول المحظور، هذا معنى كلام ابن عباس رضي الله عنهما، ولهذا قال: «**هذا كلّه به شرك**» رواه ابن أبي حاتم: وابن

أبي حاتم هو: عبد الرحمٰن بن أبي حاتم[١] إمام مشهور، وعالم كبير رَحِمَهُ اللهُ، له تفسير وله كتب أخرى.

وهكذا حديث عمر، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» لفظ هذه الرواية هي عن ابن عمر، ولد عمر، وليست عن عمر، وابن عمر هو: عبد الله بن عمر[٢]، كما هي عند أبي داود، والترمذي، والحاكم عن ابن عمر نفسه[٣]، وهو الصواب عن ابن عمر لا عن عمر عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» شك من الراوي ابن عمر، أقال: «كَفَرَ» أو قال: «أَشْرَكَ» ويحتمل أنَّ الشَّك من الرواة الذين بعده، والمعنى واحد، المعنى: أن من حلف بغير الله، فقد كفر، فقد أشرك؛ لأن الحلف بغير الله تعظيم له، واعتقاد فيه أنه يصلح لهذا الأمر، وهذا إنَّما يليق بالله هو الذي يحلف به ويعظم جلَّ وعلا؛ لأنه عالم السر، وعالم الخفيات، وعالم ما في القلوب، فلا يحلف إلا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكانت العرب تحلف بآبائها وأمهاتها، وبالمعظمين، وكان هذا موجودًا في أول الإسلام، ثم نهى النَّبِيّ عن ذلك عَليه الصَّلاة والسَّلام، وحذرهم من ذلك، ونهاهم أن يحلفوا إلا بالله وحده، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[٤] وقال: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلَا بِالأَنْدَادِ»[٥].

(١) محمد بن إدريس بن المُنْذِر، أبو محمد التميميّ الحنظلي الرَّازي، مات سنة (٣٢٧هـ) عن٩٠ عامًا. ينظر ترجمته في: مقدمة كتابه الجرح والتعديل.
(٢) سبق توثيق إحالة ترجمته في (١٥٢).
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء، برقم (٣٢٥١).
(٤) أخرجه البخاري عن ابن عمر في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، برقم (٢٦٧٩).
(٥) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية =

وأدرك يومًا بعض أصحابه في بعض غزواته، وهم يحلفون بآبائهم، فقال: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»[(١)].

وروى الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بسند صحيح، عن عمر نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» هذه الرواية محفوظة عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، وروى ابنه عبد الله أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» ولعله حضر المجلس، والرواية: «**فَقَدْ أَشْرَكَ**» كما في رواية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، والحديث ثابت عن طريق عمر وعن طريق ابنه في بيان أن الحلف بغير الله من الشِّرك.

والحلف بغير الله من الشِّرك الأصغر، وقد يكون أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به له شأن، وأنه يتصرف في الكون، أو أنه يصلح أن يعبد من دون الله، أو أنه عظيم كعظمة الله، صار من الشِّرك الأكبر، وإلا فالأصل أنه من الشِّرك الأصغر، ولهذا جاز في أول الإسلام، وكان النَّاس يحلفون بآبائهم، ثم نهوا عن ذلك بعد ذلك، إكمالًا للتوحيد، وتعظيمًا لجانب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسدًّا لذرائع الشِّرك.

«**وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» هو: عبد الله بن مسعود الصَّحابي الجليل، أحد علماء الصَّحابة «**لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا**»[(٣)] وما ذاك إلا لأن الحلف بغير الله شرك، والشِّرك أعظم من

= الحلف بالآباء، برقم (٣٢٥٠) وتمامه: «**وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللهِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ**».

(١) أخرجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، برقم (١٦٤٦).

(٢) سبق توثيق إحالة ترجمته في (ص١٧٨) وأخرج هذه الرواية عنه الإمام أحمد (١/ ٤٧ برقم ٣٢٩).

(٣) سبق توثيق إحالة ترجمته في (ص٢٦) وتخريج هذا الأثر أيضًا في مطلع هذا الباب (ص٣٦٣).

الكذب، الحلف بالله كاذبًا معصية، والمعصية دون الشِّرك، ولهذا قال هذا القول.

فالحلف بغير الله أعظم من الحلف بالله كاذبًا، فدلَّ ذلك على شدة الوعيد في الحلف بغير الله، وأن الواجب ترك ذلك والحذر منه، وإن كان الحلف بالله كاذبًا محرم ولا يجوز، لكن مقصود ابن مسعود: أن الحلف بغير الله أشد من الحلف بالله كاذبًا، هذه معصية، وهذا شرك، والشرك خطره عظيم، وهو ضد التوحيد، بخلاف المعاصي فإنها دون الشِّرك، ومآلها: إمَّا عفو من الله، أو توبة العبد، أو رجحان الحسنات، فيسلم من شرها.

الحاصل: أن جنس الشرك أعظم من جنس المعاصي، ولهذا قال ابن مسعود: «**لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا**».

«**وقال حذيفة**[1] رضي الله عنه، **عن النَّبِيِّ** ﷺ **أنه قال: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»** وهذا مثلما تقدم؛ لأن الواو تقتضي التَّشريك والمساواة، فلا تجوز، كذلك «**ثم**» فإنها للتراخي والتعقيب فجازت، فيقول: «**مَا شَاءَ اللهُ ثم شَاءَ فُلَانٌ، لولا الله ثم فلان**» والكمال أن يقول: لولا الله وحده، ما شاء الله، هذا هو الكمال.

«**وقال إبراهيم النخعي**» **إبراهيم**: هو إبراهيم بن يزيد النخعي، تابعي جليل فقيه رحمه الله[2]، يقول: كان ينهى أن يقول الرجل: أعوذ بفلان، أو أعوذ بالله وفلان، ويجوز أن يقول: بالله ثم بفلان، فلا بأس أن يقول الإنسان: أنا عائذ بالله ثم بفلان من كذا وكذا، ولا يجوز أن يقول: أعوذ بفلان، أو أعوذ بالله وبفلان بـ«**الواو**» هذا لا يجوز.

---

(١) سبق توثيق إحالة ترجمته في (ص٩٣) وتخريجه هذا الأثر أيضًا في مطلع هذا الباب (ص٣٦٣).

(٢) سبق ترجمته في (ص١٠٤) وتخريج هذا الأثر في (ص٣٦٤).

وإنَّما يجوز: بالله ثم بفلان، كأن يقول للأمير أو للسلطان: أنا عائذ بالله ثم بك من خدمك، من جندك، من حرسك، من كذا، لا بأس بهذا؛ لأن ثم تقتضي التراخي والتعقيب، وأن هناك سعة وبونًا بين الله وبين المخلوق، وهذا كلّه من كمال التوحيد وكمال الإيمان.

فالواجب على المؤمن: أن يحرصَ على كمال إيمانه، وكمال توحيده، وذلك بالبعد عن الشّرك كله، دقيقه وجليله، وبالبعد أيضًا عن المعاصي؛ لأن المعاصي تنقص التوحيد وتنقص الإيمان، فينبغي للمؤمن أن يكون حريصًا جدًّا على كمال إيمانه، وكمال يقينه بابتعاده عن المعاصي كلها، وبابتعاده عن أنواع الشِّرك دقيقه وجليله، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

؟ الأسئلة:

- **السؤال:** ورد في رواية مسلم: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**»؟[(١)].
  - **الجواب:** هذا الحديث كان قبل النَّهي، على الصحيح أنه قبل النهي.
- **السؤال:** بعض العوام يقول: الله والنَّبِيّ، هل يدخل هذا في الشِّرك؟
  - **الجواب:** لا يجوز ذلك.
- **مداخلة:** وإذا قال: الله ثم النَّبِيّ؟
  - **الجواب:** لا يجوز كذلك، وما ينبغي هذا، لا يقال: لولا الله ثم النَّبِيُّ ما اهتدينا.
- **السؤال:** ما حكم من يقول: «**لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ**»؟[(٢)].
  - **الجواب:** هذا ليس هو من هذا الباب، هذا في آخر الزمان؛ يعني:

---

(١) أخرجه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، برقم (١١).

(٢) أخرجه البخاري عن خباب رضي الله عنه في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، برقم (٦٩٤٣).

تأمن البلاد حتى لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، وذلك من كمال الأمن في البلاد، ما يخاف النَّاس، فهو ليس داخلًا في مسألة الخوف الشركي.

• **السؤال:** إذا قال أحد لآخر: بذمتك، هل هذه اللفظة تنقص التوحيد؟ وإذا قال: بأمانتك؟

○ **الجواب:** إن كان قصدَ بهما الحلف فلا يجوز، لا بذمته ولا بذمة غيره، ولا بالأمانة، لكن المعروف بقوله: في ذمة الله، يقصدُ أخبرني بالحقيقة، ولا تكذب عليَّ، فإذا قالها بهذا القصد فليست هي بحلف. وكلك بأمانة، ليست هي من حلف.

• **السؤال:** إذا قال شخص عند الغضب: أعوذ بالله منك، هل جائز؟

○ **الجواب:** إذا قال: أعوذ بالله منك، أعذه من قال ذلك يُعَوَّذ، لما قالت امرأة للنَّبِيِّ ﷺ ذلك قال لها: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ**»(١).

• **السؤال:** هل يجوز قول هذه الكلمة: «أعوذ بالله منك؟».

○ **الجواب:** نعم! إذا كان ظلمه، فقال: أعوذ بالله منك، حتى لا يظلمه، مثلما قالت مريم: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] نعم، حق عليه أن يعيذه، لكن من قالها وعليه دين لا يجب إعاذته، الدين لا بد أنه يؤدي الحقّ الذي عليه.

• **السؤال:** شخص قال لشخص: أنت المنقذ العظيم! هل في ذلك شيء؟

○ **الجواب:** على حسب نيته، فإن قصد فيه الشيء فعليه من قبل، لكن إذا قال: لولا الله ثم أنت، ولولا الله ثم عملك، يكون أسلم من الكلام؛ لأن هذا قد يوهم، لكن إذا كان نيته هذا الشيء المعين الذي فعله فلا بأس.

• **السؤال:** الذي يقول: ما صدقت والله هل في ذلك شيء؟

○ **الجواب:** هذه لغة عامية ليس فيها شيء.

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة ﵂ في كتاب الطلاق، باب من طلّق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، برقم (٥٢٥٤) وسيأتي في (ص٤٢٦).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ.
- **الثانية:** أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرُونَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ أنها تَعُمُّ الأَصْغَرَ.
- **الثالثة:** أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.
- **الرابعة:** أنه إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ الله صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ اليَمِينِ الغَمُوسِ.
- **الخامسة:** الفَرْقُ بَيْنَ «الوَاوِ» و«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

٤٢- بَابُ ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ حَلَفَ بِالله فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِالله فَلَيْسَ مِنَ الله» رواه ابن ماجه بسند حسن(١).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: **«باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله»** أراد المؤلف بهذه الترجمة: بيان وجوب القناعة باليمين، والحكم الشَّرعي، وأنَّ الواجب على المؤمن أن يقنع بحكم الله، وإن كان في نفسه شيء من صدق الحالف، أو تهمته بذلك، أو علمه بأنه كاذب، لا يضر، فعليه أن يقنع بالحكم الشَّرعي، ويرضى بالحكم الشَّرعي، وإن علم أن هذا الحالف أو هذه البينة كاذبة؛ لأنه ليس للنَّاس إلا ما ظهر، وأمور الغيب إلى الله عز وجل، وليس للقاضي إلا ما ظهر، من شهادة العدول، ويمين الخصم عند عدم البينة.

فالواجب على المؤمن: أن يقنع بالحكم الشَّرعي، وإن علم أن هناك ما يدل على كذب الحالف، أو كذب الشهود، أو ما أشبه ذلك بالنسبة إليه.

ولهذا ذكر المؤلف حديث ابن عمر، عن النَّبِيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام؛ أنه قال: **«لا تحلفوا بآبائكم»** كان الناس يحلفون بآبائهم وأمهاتهم وبالأنداد، فنهوا عن هذا بعد ذلك، كانوا في أول الإسلام وفي أول الهجرة إلى المدينة كانوا يحلفون بآبائهم وبأمهاتهم، ثم شرع الله ترك ذلك، ونهى عن ذلك، وحرم على العباد الحلف بغيره سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه في كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، برقم (٢١٠١).

وفي الصَّحيحين؛ أن عمر ﵁ وأرضاه أدركه النَّبِيّ فِي رَكْبٍ وَهْوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله، أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق عليه[(١)].

وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلا يَحْلِفْ إلا بِالله، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٢)].

وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيءٍ دُونَ الله فَقَدْ أَشْرَكَ**»[(٣)].

وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**» شك من الراوي؛ فدل ذلك على أنه لا يجوز الحلف بغير الله كائنًا من كان، وأن الحلف من خصائص الله ﷻ.

ثم قال: «**من حلف بالله فليصدق**» يعني: واجب على من حلف بالله أن يتحرى الصِّدق ويحذر الكذب، ولهذا يقول ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهْوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»[(٤)].

فالواجب الحذر من الأيمان الكاذبة، ولا سيما في الخصومات، واقتطاع حقّ المسلم باليمين، ولهذا في اللفظ الآخر: «**مَنْ حَلَفَ بيمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ**»[(٥)].

وفي اللفظ الآخر: «**مِنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ**

(١) سبق تخرج البخاري في (٣٦٧) ومسلم في كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، برقم (١٦٤٦).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، برقم (٢٦٧٩) ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، برقم (١٦٤٦).
(٣) أخرج هذا اللفظ: الإمام أحمد عن عمر ﵁ (١/ ٤٧ برقم ٣٢٩).
(٤) متفق عليه عن عبد الله ﵁، أخرجه البخاري في كتاب المساقاة (الشرب) باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، برقم (٢٣٥٦) ومسلم باختلاف يسر في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم (١٣٨).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذر، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] برقم (٦٦٧٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق امرئ مسلم، برقم (١٣٨).

لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»(١) رواه مسلم.

فالمقصود: أن الأَيْمان بالله يجب فيها الصِّدق، ولا سيما إذا كان يقطع بها شيئًا، فإنَّ الأمر أعظم، فالواجب تحري الصدق في الأيمان، وألا تأخذ حق أخيك إلا بالبيِّنة الشَّرعية أو بالوجه الشَّرعي، وإذا توجهت اليمين إليك، فاحذر أن تحلف وأنت كاذب، فقد يقع هذا كثيرًا، قد يسلفك يقرضك مالًا، ولا يُشْهد عليك، قد يبيعك إلى أجل ولا يشهد عليك، ثم تخونه، وتقول: ما شريت ولا اقترضت، وليس عنده بيِّنة، فيضطر إلى أن يقبل يمينك، والقاضي ليس له إلا ذلك، ليس للقاضي إلا هذا أن يقول: احلف، فعليك أن تتقي الله، وأن تحلف بالصِّدق لا بالكذب، فإذا كان عندك الحق، فالواجب أن تسلِّم الحق، وأن تبتعد عن اليمين الفاجرة، ولهذا قال: «**مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ**» هذا الشاهد؛ يعني: من حلف له بالله فليرض، فليقنع، ليس له إلا هذا، هو الذي فرط، لماذا ما أشهد البينة؟ لماذا ما كتب؟ هو مأمور بالكتابة.. مأمور بالإشهاد، فهو الذي فرط؛ فعليه أن يلوم نفسه، فنفسك لُم، عليه أن يلوم نفسه؛ لأنه مفرط، وليس له إلا الحكم الشرعي باليمين؛ لتفريطه، وسوف يعطيه الله حقه يوم القيامة من هذا الرجل الذي ظلمه باليمين الفاجرة.

«**وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِالله فَلَيْسَ مِنَ الله**» هذا وعيد شديد، يدل على وجوب الرِّضا باليمين، والقناعة باليمين، ولا يجوز تسخطه من ذلك، ولا أن يقع في قلبه شيء من حكم الله، بل يرضى بحكم الله ويسلم بحكم الله، ويلوم نفسه لتفريطه، وفق الله الجميع.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم (١٣٧).

؟ الأسئلة:

- **السؤال:** حكم حديث الباب: «**لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» هل هو حسن جزاك الله خيرًا؟
  - **الجواب:** جيِّد مثل ما قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.
- **السؤال:** كفارة من حلف كاذبًا؟
  - **الجواب:** التوبة، وأداء الحقّ.
- **السؤال:** إذا حلف عليه بآبائه، فقال: عليه أن يفعل كذا؟ عليه أن يعصيه لأنه حلف بغير الله؟
  - **الجواب:** عليه التوبة من ذلك، وما تعتبر يمينًا حلف باطل، والمحلوف عليه لا يلزمه شيء.
- **السؤال:** حلف أن لا يكلم فلانًا وكرر ذلك مرارًا ما كفّارة ذلك؟
  - **الجواب:** لو قال: والله ما أكلم فلانًا، والله ما أكلم فلانًا، والله ما أكلم فلانًا، كررها مائة مرة، ما هي إلا كفارة يمين، أمَّا إذا قال: والله ما أكلم فلانًا، والله ما أزور فلانًا، والله ما آكل طعام فلان، هذه مختلفة، كل واحدة لها كفارة.
- **السؤال:** ما المراد بقوله: «**فَلَيْسَ مِنَ الله**».
  - **الجواب:** المراد به الوعيد مثل قوله: «**لَيْسَ مِنَّا**» وعيد بالعقوبة يذكر من باب الوعيد على إطلاقه.
- **السؤال:** حكم قول: شاءت عناية الله؟
  - **الجواب:** ترك هذا أولى، قول: شاء الله، هو الذي ينبغي.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالآبَاءِ.
- **الثانية:** الأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِالله أَنْ يَرْضَى.
- **الثالثة:** وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

٤٣- بَابُ قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة؛ أن يهوديًّا أتى النَّبِيِّ ﷺ فقال: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ» فَأَمَرَهُمُ النَّبِيّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الكَعْبَةِ» وَأَنْ يَقُولُوا: «مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ» رواه النَّسائيُّ وصححه[1].

وله أيضًا، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال للنّبيِّ ﷺ: «مَا شَاءَ الله وشئت» فقال: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2].

ولابن ماجه، عن الطفيل أخي عائشة لأمها، قال: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ الله، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأنتم الْقَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

ثُمَّ مَرِرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: المَسِيحُ ابْنُ الله، قَالُون: وإِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ لَوْلا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيّ ﷺ فأخبرته، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أنهاكُمْ عَنْهَا، فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[3].

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، برقم (٣٧٧٣).
(٢) سبق تخريجه (ص ٣٦٥).
(٣) أخرجه بنحوه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشاء =

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الباب أراد به المؤلف رحمة الله عليه، بيان حكم قول: «**ما شاء الله وشاء فلان**، وبيان حكم: لولا الله وفلان وما أشبه ذلك، وأنَّ الواجب أن يؤتى بـ«**ثم**» في هذه المسائل وأمثالها، فيقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، أو لولا الله ثم فلان، هذا هو مقتضى التوحيد، والإخلاص لله، والعناية بكمال التوحيد، والبعد عن الشِّرك دقيقه وجليله، وهكذا لا يحلف إلا بالله وحده، وتقدم الكلام في ذلك[1] فلا يحلف بشرف فلان ولا بحياة فلان، ولا بالأنبياء ولا بغير ذلك، فالحلف بالله وبالرحمٰن.

قال: «**باب قول: ما شاء الله وشئت**» يعني: باب حكم ذلك، حكمه أنه لا يجوز، وأنه نقص في التوحيد، وشرك أصغر، فلا يقل: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، أو يقول: ما شاء الله وحده.

فالأقسام ثلاثة: ما شاء الله وحده، وهو أكملها، ما شاء الله، ثم شاء فلان، وهذا جائز، ما شاء الله وشاء فلان، هذا لا يجوز، وهو من الشِّرك الأصغر.

وهكذا قول: لولا الله وفلان لا يجوز هذا، يقول: لولا الله ثم فلان، لولا الله وحده يكون الكمال، لولا الله ثم فلان جائز، لولا الله وفلان لا يجوز.

عن قتيلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[2] «أن ناسًا من اليهود قالوا للصحابة: إنَّكم

= فلان، برقم (٢١١٨) وبنصه المستشهد به أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٧٢ برقم ٢٠٧١٣).

(١) في باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله (ص٣٧٣ ـ ٣٧٥).

(٢) قتيلة بنت صفي الأنصارية أو الجهنية صحابية من المهاجرات لها حديث عند النسائي، لعله هو هذا. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٧٥٢ برقم ٨٩٦٢).

تشركون، تقولون: ما شاء الله وشاء فلان، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النَّبِيّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله وحده**».

هذا يُبيِّن لنا أنَّ النَّاس من أهل الباطل قد يفهمون أشياء إذا كان لهم هوى، صاحب الهوى قد يفهم إذا كان له هوى في بعض المسائل، وإن كان هو على ما هو أكبر من الذنب والفساد، فالكافر والمجرم قد يفهم أشياء بما هو فيه من الباطل إذا كان له هوى وبغض للآخرين، حتى يعيبهم، وحتى ينتقصهم، فلهذا اليهود على كفرهم وضلالهم استنكروا: ما شاء الله وشاء محمد، واستنكروا الحلف بالكعبة، فقالوا: «إنكم تشركون، تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، والكعبة» ففهموا هذا لما لهم من الهوى في أصحاب النَّبِيّ ﷺ ولما لهم من الغيظ والحقد، فقد أصابوا في هذا، وإن كانوا قد أخطأوا فيما هو أعظم وأكبر من شركهم وكفرهم كقولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، هذا قول النصارى، فأمرهم النَّبِيّ ﷺ لما شكوا إليه ذلك وأخبروه، أمرهم أن يقولوا: ما شاء الله وحده، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، وأن يقولوا: ورب الكعبة؛ حتى لا يقعوا في الشِّرك.

وهكذا لما قال له رجل: «يا رسول الله! ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًا**» وفي اللفظ الآخر: «**أجعلتني لله عدلًا، ما شاء الله وحده**» فبهذا بيَّن الرسول ﷺ ما هو الأفضل، وهو أن يقول: ما شاء الله وحده، هذا هو الكمال والتمام.

وفي حديث الباب: «**مَا شَاءَ الله وحده**» وفي الأحاديث الأخرى قال: «**لا تقولوا: مَا شَاءَ الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» فهذا هو الجائز إذا كان له تسبب، كإنسان نفعكَ الله به، تسبب في إطلاق سراحك، تسبب في إعطائك مالًا تستعين به، تسبب في إنجائك من غرق أو من حرق، تقول: لولا الله ثم فلان، ما شاء الله ثم شاء فلان؛ لأن له تسبب، فتقول: «**مَا شَاءَ الله ثُمَّ شِئْتَ**» فلان؛ لا بأس في

ذلك، وإذا قلت: ما شاء الله وحده، لولا الله وحده لكان هذا هو الأكمل والأفضل.

لهذا جاء في حديث الطفيل بن سخبرة[(١)]، أخي عائشة لأمها عند ابن ماجه: أنه رأى رؤيا في عهد النَّبِيِّ ﷺ وهو أنه مر على جماعة من اليهود، قال: إنكم لأنتم القوم؛ يعني: المستحقون المدح، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، فقال له اليهود: وأنتم؛ يعني: أصحاب محمد، إنكم لأنتم القوم؛ يعني: المستحقون المدح ـ لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مرَّ على نفر من النَّصارى في رؤياه، فقال: إنَّكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله؛ يعني: عيسى، فقال النّصارى: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح الطفيل أخبر بها من أخبر من الناس، ثم أتى النَّبِيّ فأخبره عليه الصَّلاة والسَّلام، فقال: **«هل أخبرت به أحدًا؟»** قال: نعم، فخطب الناس عَليه الصَّلاة والسَّلام، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **«إنكم تقولون كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»**.

بيَّن لهم ﷺ ما هو الواجب، وما هو الأفضل في حقهم، ونهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأخبرهم أنه لم ينهاهم عنها من قبل لكذا وكذا، وفي رواية أخرى: **«كان يمنعني الحياء من أن أنهاكم عنها»** يعني: لأنه لم يأت فيها أمر من الله ﷻ ووحي من الله، فلما جاءت الرؤيا صارت سببًا للمنع، وجاء الوحي من الله جلَّ وعلا بمنعها، وألا يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن يقولوا: ما شاء الله وحده، أو ما

---

(١) ويقال الطفيل بن عبد الله بن الحارث: أخو عائشة لأمها صحابي له حديث عند ابن ماجه، لعله هذا الحديث. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٢ برقم ٣٠١٨).

شاء الله ثم شاء فلان، كما في حديث حذيفة عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[(١)].

كذلك حديث الثلاثة: الأبرص والأقرع والأعمى الذي رواه الشيخان، وفيه أن الملك: «جاء إلى الأبرص، فقال: لا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك»[(٢)] فيقول الإنسان في مثل هذه المسائل: يا أخي لولا الله ثم أنت لأصابني كذا وكذا، إذا كان أنقذه، أعطاه مالًا، خلصه من حرق، خلصه من غرق، يقول: لولا الله ثم أنت، لا بأس، لكن لا يقول: لولا الله وأنت بالواو؛ لأن هذه الواو تقتضي التَّشريك والمساواة، فتمنع.

أمَّا إذا قال: لولا الله ثم فلان، أو ما شاء الله ثم شاء فلان، أو هذا من الله ثم فلان، فلا بأس في ذلك، ولهذا بيَّن لهم النَّبيّ ﷺ ما هو الأفضل وما هو الأكمل، وبيَّن لهم ما هو الجائز، وبيَّن لهم ما هو المحرم.

فـ«**ما شاء الله وشاء فلان**» محرم، ونوع من الشِّرك الأصغر، وقد يكون أكبر إذا اعتقد أنه له مشيئة مستقلة، يتصرف بها يكون شركًا أكبر.

وبيَّن الجائز «**ما شاء الله ثم شاء فلان**» هذا جائز، وما هو الأفضل، وهو «**ما شاء الله وحده**» «**لولا الله وحده**» وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** إذا قال: ما شاء الله وشاء فلان، تعظيمًا ألا يكون هذا شركًا أكبرًا؟

○ **الجواب:** شرك أصغر، إلا إذا أراد أنه مثل الله في العظمة، أو أنه يستقل بالمشيئة دون الله، نسأل الله السَّلامة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٦٣).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، برقم (٣٤٦٤) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٤) وسيأتي بنصه (ص٤٠١، ٤٠٢).

• **السؤال:** أحسن الله إليك: إذا قال: إذا شئت ولم يذكر الله؟

○ **الجواب:** إن قال: إن شئت تعطني كذا وكذا جزاك الله خيرًا، إن أحببت تعطني كذا وكذا لا يضر هذا، أمَّا إذا قال: لولا الله، وما شاء الله، فلا يقول: شئت، وإنَّما يقول: ما شاء الله ثم شئت.

• **السؤال:** أهل اللغة يرون أن حروف العطف الواو والفاء وثم، ينوب بعضها عن بعض؟

○ **الجواب:** يختلف الترتيب فالواو للجمع والفاء للترتيب باتصال وثم بانفصال، فتختلف معانيها، وإن كانت كلها حروف عطف.

• **السؤال:** لولا فلان لضاع علم الحجاز؟

○ **الجواب:** هذا غلط، الصحيح: لولا الله ثم فلان.

• **السؤال:** اليهودي الذي قال: إنكم تشركون هل أسلم؟

○ **الجواب:** الله أعلم لا ندري عنهم، هذا فيه تهم الإنسان إذا كان له هوى هم عندهم الشِّرك بالله، الشِّرك الأكبر، لكن لما كان لهم الهوى اعترضوا بهذا فنبه النَّبيّ ﷺ.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** مَعْرِفَةُ اليَهُودِ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

• **الثانية:** فَهْمُ الإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

• **الثالثة:** قَوْلُهُ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا**» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ... وَالبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟!

• **الرابعة:** أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ لِقَوْلِهِ: «**يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا**».

• **الخامسة:** أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِن أَقْسَام الوَحْي.

• **السادسة:** أنها قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ.

٤٤- بَابُ من سبَّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ الآية [الجاثية: ٢٤].

وفي الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(١).

وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»(٢).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمة الله عليه: «باب من سب الدهر فقد آذى الله» أراد بهذه الترجمة: بيان منع سب الدهر، وهكذا غيره من المعاصي من جملة الأشياء التي تنقص التوحيد وتضعفه، وتنافي كماله، فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا المعاصي التي تضرهم، وتضعف إيمانهم وتوحيدهم.

ومن ذلك: سب الدهر، وسب الريح، وسب من لا يستحقّ السب، فالموحد والمؤمن مأمور باجتناب ما يضعف إيمانه، مأمور بتعاطي ما يكمل إيمانه، وسب الدهر مما ينقص الإيمان ويضعف الإيمان، ويضعف التوحيد، ويغضب الله عز وجل لأنَّ الدَّهر مخلوق مدبر،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] برقم (٤٨٢٦) ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، برقم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجها مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، برقم (٢٢٤٦).

ليس بيده تصرف، فهو مدبر من الله ﷻ، هو اللَّيل والنَّهار، فسبه إيذاء لله، والعباد لا يضرون الله شيئًا، ولكن معاصيهم تؤذيه، فينبغي للمؤمن بل يجب عليه أن يحذر المعاصي كلها.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] فالمعاصي وأنواع الكفر والضلال كلها مؤذية؛ لأنها تغضبه سبحانه، فينبغي للمؤمن أن يحذرها ويبتعد عنها.

وسَبُّ الدهر: هو سب الزَّمان، وهو اللَّيل والنّهار؛ لأن كثير من الناس إذا ضاقه أمر أو حزبه أمر سبَّ الدهر، كأن يقول: قاتل الله هذه الساعة، لعن الله هذه الساعة، لعن الله هذا اليوم، قاتل الله هذا اليوم، لا بارك الله في هذه السنة وما أشبه ذلك، هذا معنى سب الدهر؛ يعني: شتمه أو لعنه أو الدعاء عليه، هذا هو سبُّه.

أمَّا وصفه بالشدة، فليس من السب، تقول: هذا يوم شديد، هذا يوم عسر، هذا يوم نحس، هذا ليس من السب، هذا يوم بارد، هذا يوم حار، هذا ليس من السب.

في الحديث يقول ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» بيَّن معنى الدهر: أنه هو الذي يقلب الليل والنهار، فسبه سب للذي قلبه وخلقه، فلا يجوز لمن يتعاطى ذلك، بل يحذر ويتوب إلى الله من ذلك.

وفي الرواية الأخرى: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**» يعني: مقلب الدهر، هو الدهر؛ يعني: مقلبه وخالقه ومصرفه، قد غلط من قال: إن الدهر من أسماء الله كابن حزم(١) فليس الدهر من أسماء الله، وإنَّما هو الزمان، قوله: «**هُوَ الدَّهْرُ**» يعني: خالق الدهر، ومصرف شؤون

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله عبد الوهاب (ص٥٤٧) وفتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ (ص٤١١).

الدهر ومكون الكائنات في الدهر، فيجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يصون لسانه عن مثل هذا.

ومنها: قوله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ**»[(١)] وهكذا: سب الإبل، وسب الغنم، وسب الأشياء الأخرى.

المقصود: أن المؤمن لا يسب، إلا لمن يستحق السب، والسب الذي لا يجوز له، يكون نقصًا في إيمانه، ونقصًا في توحيده، ونقصًا فيما شرع الله له من الدين، فالواجب على المؤمن أن يصون لسانه عمَّا لا ينبغي، وأن يطلق لسانه فيما ينفعه ويرضي الله عنه، من ذكر الله ودعائه، واستغفاره ﷻ، أمَّا سبّ الدهر، وسب المخلوقات التي لا تستحق السّب، فنهينا عن ذلك، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة[(٢)]:

- **السؤال:** هل الدهر اسم من أسماء الله؟ وهل هو صفة من صفاته؟

○ **الجواب:** لا، بل الله هو خالق الدهر، الدهر هو الزمان، الله خالقه، ولهذا قال جلَّ وعلا: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» ولا يوصف به الله، فالدهر: هو الزمان، كما في نص الحديث: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

- **السؤال:** أحسن الله إليك: إذا سب الدنيا؟

○ **الجواب:** كذلك لا يسب الدنيا ولا يسب الدهر، الدنيا وأي شيء في يدها.

---

(١) أخرجه عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح، برقم (٢٢٥٢) وسيأتي ذكره في كلام المؤلف «باب لا تسبوا الريح» (ص٤٣٧).

(٢) ألحقت هذه الأسئلة من تدريس سماحته للكتاب بقراءة تلميذه الشيخ إلياس بن عبد القادر الهندي إمام مسجد اليحيى بجوار بيت سماحته رحمه الله بالبديعة.

● **السؤال:** ما قولكم في قول بعض العامة الله لا يعيدها من سنة؟

○ **الجواب:** لا يقال هذا إلا مقيدًا، الله لا يعيد هذا الكرب وهذه الشدة يبين، الله يعافين من هذا الكرب في هذه الدنيا إذا اشتد الجدب والقحط.

● **السؤال:** هل يشرع مدح الدهر، فيقول: هذه ساعة مباركة؟

○ **الجواب:** ما يضر هذا، هذا ليس بسب لا بأس، هذه ساعة مباركة أو زمن خصب أو زمن خير والحمد لله، النهي عن سب الدهر.

● **السؤال:** هل سب الدهر من الشِّرك الأصغر؟

○ **الجواب:** لا، معصية من المعاصي.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

● **الأولــــــى:** النَّهْيُ عَن سَبِّ الدَّهْرِ.

● **الــثـــانـــية:** تَسْمِيَتُهُ أَذَى الله.

● **الــثـــالــثـــة:** التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «**فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**».

● **الــرابـــعـــة:** أنه قَدْ يَكُونُ سَابًّا، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

٤٥- بَابُ التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبِيّ ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاه[(١)].

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ»[(٢)]. **قوله: أخنع؛ يعني: أوضع.**

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

أراد المؤلف بهذه الترجمة: بيان النهي عن الأسماء التي يكون لها تعلق بمشابهة أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأنه جلَّ وعلا له أسماء يختص بها ليس لأحد أن يتسمى بها، مثل: الرحمٰن، ومثل: مالك الملك، ومثل: الخلَّاق والرَّزاق، مثل: ربِّ العالمين وما أشبه ذلك، ومثل: حاكم الحكام، وسلطان السلاطين، وأشباه ذلك.

فلهذا أراد التّنبيه على هذا رَحِمَهُ اللهُ لأنَّ من كمال التوحيد وتمام التوحيد عدم التسمي بهذه الأسماء، والتسمي بها نقص في التوحيد ونقص في الإيمان، ودخول فيما لا ينبغي؛ ولهذا ذكر المؤلف هذه الترجمة: **«باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه»** مثل: مالك الملوك، أو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، برقم (٤٨٢٦، ٤٨٢٧) ومسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، برقم (٢١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، برقم (٢١٤٣).

ملك الملوك، أو حاكم الحكام، وسلطان السلاطين وما أشبه ذلك.

وهذا يقع في بعض الدول، يسمون قاضي القضاة ويطلقون، وهذا لا ينبغي؛ لأن معنى قاضي القضاة حاكم الحكام، وإن كان مرادهم حكام البلد أو نحوه، لكن إطلاقها غير مناسب، أمّا لو قال: قاضي قضاة مصر، قاضي قضاة مكة، لو قيّد ذلك كان أسهل، وترك ذلك أولى، بأن يسمي: رئيس القضاة، أو أمين القضاة، أو ما أشبه ذلك مما يبتعد به عن هذه الصفة المطلقة.

عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: **«إن أخنع اسم»** أخنع؛ يعني: أوضع وأذَّل، **«إن أخنع اسم عند الله»** يقال: هذا الاسم قصده الدرج، مثلما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨] ما يقال: «تبارك اسم ربك» ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» بإسقاط الهمزة في الدرج.

«إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لا مالك إلا الله» فأنكر النَّبِيّ ﷺ هذا الاسم؛ لأنه يوهم وصفًا لا يليق به، هذا لا يليق إلا بالله جلَّ وعلا، فلهذا أنكره النَّبِيّ ﷺ؛ لأنه وصف لا يليق بالمخلوق، فليس المخلوق ملك الأملاك ولا ملك الملوك؛ فلهذا أنكر عليه.

قال: **«إن أخنع اسم عند الله رجل»** يعني: أوضع اسم وأخبث اسم وأرداه. **«رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله»** قال سفيان بن عيينة[(١)]: مثل: شاهان شاه عند العجم، يقولون: شاهان شاه؛ يعني: ملك الملوك.

وفي رواية: **«أغيظ رجل على الله»** وهو أخبثه، بمعنى: أخنع، فهذا يدل على أن هذا التسمي لا يجوز؛ لأنه تسم بشيء لا يليق بالمتسمي ولا يناسبه، وليس هو أهلًا له، بل هو رفع لنفسه في مقام لا يليق به،

---

(١) سبق توثيق إحالة ترجمته في (ص٢٧٨).

وإنّما يليق بالله وحده ﷻ، فلهذا جاء عن السّلف بإنكار هذا الاسم وأشباهه، وإنّما يتسمى الإنسان بالأسماء التي تليق بالمخلوق: عبد الله، وعبد الرحمٰن، عبد الكريم، عبد العزيز، عبد الرحيم، محمد، صالح، عامر، الأسماء المعروفة.

أمَّا ملك الأملاك، وملك الملوك، أو حاكم الحكام، قاضي القضاة، سلطان السلاطين، أو ما أشبه ذلك مما يدل على التفضيل العام والوصف العام الذي لا يليق إلا بالله سبحانه، فلا يجوز للمخلوق أن يتسمى به، تكميلًا للتوحيد وصيانة لجنابه، وحرصًا على حفظ توحيده وإيمانه عن النقص.

؟ الأسئلة:

● **السؤال:** ما صحة حديث «**أفضل الأسماء ما عُبد وحُمد**»؟

○ **الجواب:** ليس له أصل، هذا الحديث لا أصل له، والصحيح: «**أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ تَعَالَى: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ**»[(١)] أي: ما عُبِّد لله، وأما ما ذكره السائل فلا أصل له.

● **السؤال:** أحسن الله إليك الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ما الوارد في ذلك؟

○ **الجواب:** الصحيح في ذلك أن بعد موته لا بأس بذلك، يقال: محمد أبو القاسم، إنَّما نهى عنه في حياته ﷺ.

● **السؤال:** هل أفضل الأسماء مقتصرة على: عبد الله وعبد الرحمٰن، أم يشمل عبد العزيز وغيره؟

○ **الجواب:** العزيز اسم الله مثل عبد الله وعبد الرحمٰن، الأسماء

(١) أخرجه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الآداب، باب في تغير الاسم القبيح، برقم (٤٩٤٩) والترمذي في كتاب الآداب، باب ما جاء ما يستحب من الأسماء برقم (٢٨٣٣، ٢٨٣٤) وحسنه.

المعبدة لله كعبد العزيز وعبد الرؤوف وعبد القدير وعبد السميع مثل عبد الله كلها من أسماء الله.

- **السؤال:** إذا كان أكبر أولاد الرجل بنتًا لا يكنى بها؟

○ **الجواب:** يكنى بالرجل أحسن؛ لأن النَّبِيّ ﷺ ما سأله عن بناته، يكنى بالرجال، كناه أبو شريح، والنَّبِيّ ﷺ لم يكنى ببناته تكنى بأبي القاسم وهو ليس من أكبر أولاده ﷺ.

- **السؤال:** إذا لم يكن للشخص أبناء ذكور، لم يرزقه الله إلا بالبنات، فكيف يكنى؟ وماذا يكون أمره؟

○ **الجواب:** الكنية ليست بلازمة، إذا أحب أن يتكنى بشيء فلا بأس أن يكنى بأبي فاطمة وبأبي عائشة ليس عليه من بأس في ذلك.

- **السؤال:** هل الأفضل التسمية بالأسماء المفردة أم المضافة؟

○ **الجواب:** في أسماء الله عبد الله وعبد الرحمٰن المضافة، وإذا كان مفردة مثل محمد وزيد لا بأس لكن ما عُبد لله يكون أفضل.

- **السؤال:** هل يجوز التسمي بالسيد الفلاني؟ وكذلك لفظ ومولانا؟

○ **الجواب:** لا ينبغي التسمي بالسيد، كذلك مولانا تركها أولى.

- **السؤال:** هل يجوز التسمي بملك الملوك، إذا كان المقصود به ملوك الأرض؟

○ **الجواب:** لا يجوز التسمي بملك الملوك

- **السؤال:** هل يجوز بعبد النَّبِيّ وعبد العلي؟

○ **الجواب:** التعبيد لغير الله لا يجوز فلا يقال: عبد النبي ولا عبد الكعبة بإجماع المسلمين، لا يتسمى بذلك.

- **السؤال:** هل من كان اسمه يغيره؟ وإن كان مما مضى؟

○ **الجواب:** نعم يغيره، وأما ما مضى فلا، النبي ما غير عبد المطلب ولا عبد مناف.

• **السؤال:** بعض الناس يسمي عزيز، حكيم وما أشبه ذلك؟

○ **الجواب:** ما فيه شيء، النَّبِيّ ﷺ أقر حكيم بن حزام، وحكيم بن معاوية، وامرأة العزيز، لا حرج في ذلك، ويأتي إن شاء في الآتي.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولــــــــى:** النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ.

• **الــثـــانـــية:** أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

• **الــثـــالــثــة:** التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ القَطْعِ بِأَنَّ القَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

• **الــرابـــعــة:** التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجْلِ الله سبحانه.

٤٦- بَابُ احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح؛ أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ الله، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» رواه أبو داود وغيره[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك»** أراد بهذا الباب: وجوب احترام أسماء الله، والحذر من امتهانها، أو احتقارها أو تسمية غير الله بها من الأسماء التي اختص بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال: **«وتغيير الاسم لأجل ذلك»** يعني: لأجل احترامها وتعظيمها.

والأسماء قسمان:

أسماء لا يسمى بها سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كالرحمٰن، وخالق الخلق، رب العالمين، ورازق العباد، والرزاق، وأشباه ذلك.

وأسماء يتسمى بها غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وللعبد فيها ما يليق به، ولله ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومراده بها هنا الأسماء التي لا تصلح لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عن أبي شريح[(٢)] أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النَّبِيّ ﷺ:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الآداب، باب في تغير الاسم القبيح، برقم (٤٩٥٥).

(٢) هو: هانئ بن يزيد المذحجي الكندي، صحابي أسلم يوم الفتح، ونزل الكوفة ومات بها، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والنسائي. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٧٠ برقم ٧٢٦٥).

«إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلا الفَرِيقَيْنِ؛ يعني: فلهذا سموني أبا الحكم، فقال النَّبِيُّ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا» يعني: ما أحسن هذا العمل، الإصلاح بينهم والتوسط بينهم حتى يرضوا، وحتى تزول المنازعات، هذا شيء مطلوب، فالإصلاح بين الناس أمر مطلوب، وقد جاءت به النصوص، فالله يقول فيه: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

«فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ الله، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ شُرَيْحٌ قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ» هذا يدل على **فوائد**:

منها: ما ذكره المؤلف من احترام أسماء الله، وتغيير الاسم لأجل ذلك، ولهذا غيَّر اسمه من أبي الحكم إلى أبي شريح.

وفيه من الفوائد: أن الإنسان يكنى بأكبر أولاده، هذا هو الأفضل، ولهذا قال: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قَالَ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

وفيه من الفوائد: شرعية الإصلاح بين الناس، وأنه شيء مطلوب، وأنه ينبغي لأعيان الناس وكبرائهم ورؤسائهم أن يتوسطوا بين الجماعات في النزاعات، وأن يحرصوا على إزالتها بينهم، والإصلاح بينهم؛ حتى لا تبقى الشّحناء والعداوة.

فالإصلاح بين الناس أصلح لقلوبهم من الحكم، فالحكم قد يحصل فيه حزازات، ولكن متى صلحوا عن طيب نفس وعن رضا، كان أقرب إلى زوال الحزازات وزوال ما في النفوس، ولهذا شرع الله الإصلاح، وحث عليه، ورغب فيه؛ حتى تحل محل النزاعات المحبة والمودة والألفة.

وهذا الحديث رواه أبو داود، وظاهر كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه صالح للحجة، ولهذا اعتمده واكتفى به رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما يدل على أن فلانًا يسمى الحكم أو أبا الحكم أمر لا ينبغي، وإنما يسمى بغير ذلك؛ لأن هذا وصف لله عَزَّ وَجَلَّ، فهو الحاكم بين عباده، وله الحكم في الدنيا والآخرة،

في الدنيا بشرعه، وفي الآخرة بنفسه ﷻ يحكم بين الناس بنفسه جلَّ وعلا، فله الحكم وإليه المرجع ﷻ، وهو الحاكم بين عباده، فلا يجوز أن يتسمى الإنسان بما هو وصف خاص به ﷻ، فلا يقال: الحكم، ولا يقال: أبا الحكم.

ولكن يرد على هذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة من تسمية الحكم والحكيم، ولم يغيّره النَّبِيّ ﷺ وهي أصح من هذه الرواية، والحكم يكون بالشّرع بين الناس، ولا يضره ذلك، أن يسمى الحكم، ويسمى القاضي، ويسمى الحاكم، فهذا مما يدل على أن هذا النَّص فيه نظر، وفي صحته نظر، قد أقر النَّبِيّ ﷺ أسماء: منها: الحكيم بن حزام، ومنها: الحكم بن عمرو الغفاري، وأسماء أخرى ولم يغيرها، فلو كانت منكرة لغيرها عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذا يدل على أنها لا بأس بها، لا بأس أن يسمى بالحكم، أو أبا الحكم، أو ابن حكيم، كل هذه أسماء من أسماء الصحابة لم يغيرها عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذا الحديث يبدو أن فيه نظر، يحتاج إلى تأمل وجواب يأتي لاحقًا إن شاء الله.

؟ الأسئلة:

- **السؤال:** في بعض الصحف تكتب أسماء الله، وآيات الله، وترمى وتلقى في القمائم، ألا يعتبر هذا من امتهانها؟

○ **الجواب:** ليس هو من الامتهان، كونه يكتب في الصحف أسماء الله وآيات الله للوعظ والتذكير لا يكون امتهانًا لها ولا إثم عليه، لكن الإثم على من رماها في القمائم، وليس على من كتبها، فالإثم على من رماها في القمائم هذا الذي يأثم.

- **السؤال:** أحد القراء قرأ في بعض الكتب أن الله ﷻ يضع رجله في جهنم، بمعنى قدمه، يضع قدمه هل بمعنى رجله أو قِدَمه، يعني: الفوج الأخير من الجماعة؟

○ **الجواب:** هذا من تأويل أهل الكلام، هذا من التأويل، قدمه نفسه، نفس الصفة، رجله، وهو لا يضره شيء ﷻ، فهو خالق لكل شيء، وهو خالق النار ولا تضره ولا يضره غيرها. لكن أهل الكلام الذين أعرضوا عن الله وعن رسوله تأولوا النصوص، تأولوا رحمة الله بأنها إراد الثواب يوم القيامة، وتأولوا يديه بأنها نعمته، وقدمه بأنها فريق من الناس يقدمون للنار؛ كل هذا باطل، كلها من التأويلات الباطلة.

• **السؤال:** أحسن الله إليك! الوجه الصحيح بأن يقال: بالنسبة للنفس أنها هي الذات المتصلة بالصفات؟

○ **الجواب:** يقال كما قال الله فقط له نفس، كما أخبر عن نفسه قال تعالى عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المَائدة: ١١٦] «الله نفسه» يعني: ذاته[(١)].

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** احْتِرَامُ صِفَاتِ الله وأَسْمَائِهِ، وَلَوْ كَلامًا لَمْ يُقْصَدْ مَعْنَاهُ.

• **الثانية:** تَغْيِيرُ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ.

• **الثالثة:** اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (٢٨/ ٣٩٥).

٤٧- بَابٌ من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض؛ أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه القراء، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه.

فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنَّما كنَّا نخوض ونتحدث حديث الرَّكب نقطع به عنَّا الطريق، قال ابن عمر: كأنّي أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنّما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب: في بيان حكم المستهزئين بالله، أو

(١) خبر ابن عمر أخرجه ابن جرير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر في تفسيره (١٤/ ٣٣٣ برقم ١٦٩١٢) وأثر زيد بن أسلم أخرجه أيضًا ابن جرير (١٤/ ٣٣٣ برقم ١٦٩١١) وأثر قتادة (١٤/ ٣٣٤ برقم ١٦٩١٢) وأما أثر محمد بن كعب (١٤/ ٣٣٥ برقم ١٦٩١٦).

بالقرآن، أو بالرسول، أو بشيء من الدين، وأنَّ حكمهم أنهم مرتدون عن الإسلام إذا كانوا مسلمين، نسأل الله العافية، وأن الاستهزاء ردة عن الإسلام وكفر بواح.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو الرسول أو القرآن**» حذف الجواب، والجواب معناه: فقد كفر «**من هزل**» هذا شرط «**من**» شرطية «**هزل**» فعلها، والجواب: فقد كفر، وحذف الجواب؛ لأنه معلوم.

«**قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** [التوبة: ٦٥]» **قال المؤلف**: «**عن ابن عمر**» يعني: عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**ومحمَّد بن كعب**» يعني: القرظي «**وزيد بن أسلم**» يعني: العدوي مولى عمر «**وقتادة**» يعني: ابن دعامة السدوسي، التابعي المعروف[(١)].

قال: «**دخل حديث بعضهم في بعض**» يعني: امتزج حديثهم، واختلط حديثهم، أن ناسًا في غزوة تبوك، قالوا: «**ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء**» يعني: الرسول ﷺ وأصحابه «**أرغب بطونًا**» يعني: أكثر أكلًا «**ولا أكذب ألسنًا**» جمع لسان «**ولا أجبن عند اللّقاء**» يعني: ليسوا بشجعان عند اللقاء، فسمعه عوف بن مالك الأشجعي، سمع عوف بن مالك هذا الرجل يقول هذا الكلام.

«**فقال له عوف: كذبت ولكنك منافق**» هذا فيه إنكار المنكر على من سمع، وأن من سمع المنكر ينكره، ويبلغ المسؤولين عنه، ولا سيما مثل هذا المنكر العظيم الذي فيه سبّ لله ولرسوله وسبّ لدينه.

---

(١) سبق توثيق إحالة ترجمة ابن عمر، وقتادة في (ص١٥٢، ٢٧٧) ومحمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني، ثقة عالم مات سنة عشرين ومئة، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٠٤ برقم ٦٢٥٧) وزيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب يكنى أبا عبد الله ثقة مشهور، أخرج له الجماعة، مات سنة (١٣٦هـ). ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٣ برقم ٢١١٧).

«لأخبرن الرسول ﷺ بذلك» فذهب عوف إلى النَّبيِّ ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، نزلت الآية فيه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦].

هذا يُبيِّن لنا أن المستهزئ بالقرآن، أو بالسُّنَّة، أو بشيء من دين الله، ولو زعم أنه يخوض ويلعب، ولو زعم أنه يتحدث حديث الرّكب، يقطع الطريق، ولو زعم أنه ما تعمد ذلك، يكون كافرًا بذلك؛ لأن التّلاعب بهذا لا يجوز، لا في الطريق ولا في غير الطريق، وهو يدل على نفاق في القلب ومرض في القلب وخبث في القلب، وأن الرجل الهازل ليس مسلمًا، ولكنه منافق يتظاهر بالإسلام، وقلبه مملوء من الحقد عليه وعلى أهله، وهل يستطيع المسلم أن يقول هذا الكلام: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء؛ الرسول وأصحابه، أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء».

وشرُّها قوله: «ولا أكذب ألسنًا» فإن هذا تكذيب للرسول ﷺ والصَّحابة، ثم رميًا لهم بالجبن وعدم الشجاعة، مع رميهم بأنهم حريصون على الأكل، كثيرو الأكل، وهذا يدل على الرغبة في الدنيا، والحرص عليها.

فجاء ذاك الرجل يعتذر، يقول: ما فعلنا هذا إلا لنتحدث حديث الرَّكب نقطع به الطريق، ما قصدنا شيئًا، فلم يلتفت إليه النَّبيّ ﷺ ولا يبالي، بل كان يقول له: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] «ما يلتفت إليه ولا يزيده على هذا الكلام» معنى ذلك: أنه لم يقبل منه هذا الاعتذار، وبيَّن له أنه كافر بهذا العمل، ولهذا أجابه بقوله: «﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٦٦]».

هذا يُبيِّن لنا أن المستهزئ بالشَّرع كافر بعد الإيمان، إذا تنقَّص الرسول، أو قال: إنه جبان، أو قال: إنه كذاب، أو قال: إنه لم يبلغ الرسالة، أو ما أشبه ذلك مما يدل على التَّنقص، فإنه يكون كافرًا.

وهكذا من قال: إن القرآن متناقض، أو القرآن لم يستوف ما يحتاجه الناس، أو الشريعة لم تستوف ما يحتاجه الناس، أو ما أشبه ذلك؛ يعني: على سبيل الذم والعيب.

أمَّا إذا قال: جاءت السُّنَّة لبيان أشياء ليست في القرآن هذا حق، لكن إذا كان كلامه على سبيل الذم، وأن الناس في حاجة إلى القوانين، في حاجة إلى تشريع جديد، وأن النصوص لا تكفي، ولا تفيد بالمطلوب، وما أشبه ذلك، أو أن الجنة ليست حقًّا، أو النَّار ليست حقًّا، أو هذا شيء خيال لا حقيقة له كما يقوله بعض الفلاسفة، أو ما أشبه هذا مما يدل على الاستهزاء والتَّنقص والحيرة، ونحو ذلك، فإن هذا يكون كفرًا وردةً عن الإسلام، نعوذ بالله من ذلك، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** بعض المفسرين يقول: إنه منافق، والله أثبت له الإيمان من فوق سبع سمٰوات؟

○ **الجواب:** هذا ليس منافقًا، كفر بعد ذلك، أظهر النفاق، لكن ظاهره قبل ذلك أن عنده إيمان.

• **السؤال:** ما حكم الاستهزاء بالعلماء؟

○ **الجواب:** لا، الاستهزاء بالعلماء غير، من استهزئ بالله، وبذات الله، وبرسوله، أمَّا إذا استهزأ بالعلماء؛ لأنهم أهل دين، وأنهم يعظمون من أجل الدين، أمَّا إذا استهزأ به لخلقته، أو لحساده هذا شيء آخر، على حسب نية العبد، نعم على حسب نية العبد.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولـــــــى:** وَهِيَ العَظِيمَةُ، أَنَّ مَن هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.
- **الـــثـــانـــية:** أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الآيَةِ فِيمَن فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَن كَانَ.
- **الـــثـــالـــثـــة:** الفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لله وَرَسُولِهِ.
- **الـــرابـــعـــة:** الفَرْقُ بَيْنَ العَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَيْنَ الغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ الله.
- **الـخـامـسـة:** أَنَّ مِنَ الاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَن يُقْبَلَ.

٤٨- بَابُ قول الله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

الآية [فصلت: ٥٠]

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به(١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد: من عندي.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة: على علم منّي بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أنّي له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أُوتيته على شرف(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلاثَةً مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - إِلَّا أَنَّ الأَبْرَصَ أَوِ الأَقْرَعَ قَالَ: أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ.

(١) أخرجه ابن جرير عند تفسيره للآية (٢١/ ٤٩١ برقم ٣٠٥٩٩).

(٢) أخرجه ابن جرير عند تفسيره للآية (٢١/ ٣٠٣، ٣٠٤ برقم ٣٠١٧١).

قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ؛ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ أَنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِالله، ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لله، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» أخرجاه(١).

---

(١) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، برقم (٣٤٦٤) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٤).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عقده المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب لبيان ما غلب على النفوس من إنكار النعم، وجحدها وكفرانها، وعدم الاعتراف بها لمسديها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠] هذا من طبيعة ابن آدم إلا من عصم الله، إنكار النعم، ونسبتها إلى نفسه، وعدم اعترافه بها لربه عَزَّ وَجَلَّ.

«قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، قال ابن عباس: يريد من عندي» كذلك: يعني هذا من عملي، أو من عندي، أو من أسبابي، ومثل ما قال قارون، على علم لي بوجوه المكاسب، وقال آخر: على علم من الله أني له أهل، وقال آخرون: أوتيته على شرف آبائي وأسلافي، هذا من شأن بني آدم، ليس من شأنهم الشكر، ولكن من شأنهم الكفر بالنعم وإنكارها، إلا من رحم الله وعصم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمقصود من هذا: الحث على شكر الله، إذا عرفت قول النَّاس في هذا، هذا يقول: هذا من عندي، هذا من كسبي، هذا من كذا، هذا ورثته كابرًا عن كابر، هذا أعطيته على شرف، هذا من حرصي، أو ما أشبه ذلك، عرفت أن الأكثرين حادوا عن الصواب، وأن الواجب على المؤمن ـ إذا رزقه الله المال وأعطاه الخير أن يكون شكورًا، معترفًا بالنعم لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن كان له أسلاف، وإن كان قد باع واشترى، وإن كان قد زرع، وإن كان قد فعل؛ لكن كله بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ، هو الذي علمه، هو الذي ينبت له النبات، هو الذي يسر له السلع، هو الذي أربحه فيها، هو الذي لم يجعله خاسرًا، إلى غير ذلك.

فالواجب عند النعم الشكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاعتراف بفضله، وأنه جلَّ وعلا المنعم، المحسن، فيقول: أشكر الله، الشكر لله، الحمد لله، هذا من فضل الله، أحمد الله على ذلك، وما أشبه ذلك.

ولا مانع أن يقول: أن هذا من كسبي، أو مما يسر الله لي من أبي، أو مما حصل لي من فلان، لكن يبيِّن أن الفضل لله، هذا من الله

ثم من فلان، الشكر لله، الحمد لله، وما أشبه هذا من الكلمات الطيّبة، ولا مانع من بيان الأسباب، لكن كونه ينسبها لأسبابه، أو لآبائه، أو ينسى الله ﷻ هذا هو المنكر العظيم.

وفي قصة الثلاثة عبرة، الأبرص والأقرع والأعمى، حكاها النَّبيّ ﷺ وقصَّها علينا؛ لما فيها من العبر، وهو حديث صحيح، رواه الشيخان، البخاري ومسلم في الصَّحيحين. أنَّ النَّبِيَّ ﷺ يذكر بعض أخبار الماضين للعبر، وللتذكر، حتى ينتبه المؤمن، وحتى لا يصيبه ما أصاب أولئك الماضين، مثل ما ذكر في قصة الأبرص والأقرع والأعمى، وقصة الذين آواهم الغار، وغيرها من القصص المعروفة التي فيها عبر وذكرى لأهل الإيمان.

هذا رجل أبرص ممن كان قبلنا، وآخر أقرع ليس له شعر في رأسه، وآخر أعمى، ابتلاهم الله، بالضراء والسراء، ابتلاهم الله ـ أولًا ـ بالضراء، فأصاب هذا برص، وهذا قرع، وهذا العمى، هذا ضراء، ثم ابتلاهم بالنعماء والإحسان، فأزال ما في الأبرص من اللون السيئ، وأعطاه اللون الحسن والجلد الحسن، وهكذا الأقرع، رزقه الله الشعر الحسن، وهكذا الأعمى رد الله عليه بصره، فكفر اثنان بنعم الله، وأقر واحد، وهذا شاهد لقوله ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] قليل، ثلاثة: واحد اعترف، واثنان أبيا.

ثم ذكرا، أتاهم الملك أولًا، قال: أي شيء أحب إليك؟ يقول الأبرص: جلد حسن ولون حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به؛ يعني: عابوني، قال: فمسحه، فبعد عنه برصه، وأعطاه الله جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا، قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو البقر، شك الراوي، فأعطاه الله ناقة عشراء؛ يعني: حامل، في بطنها ولد، ثم قال له: بارك الله لك فيها دعا له.

ثم أتى الأقرع، قال: أي شيء أحب إليك؟ فقال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به؛ يعني: عابوني، فمسح رأسه،

فأذهب الله عنه ما به، وأعطاه الله شعرًا حسنًا، وذهب عنه قذره، قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، شك الراوي، فأعطاه الله بقرة عشراء حاملًا، فقال: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال: أن يرد الله لي بصري فأبصر به الناس، فمسح على عينيه، فرد الله إليه بصره، ثم قال له: أي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدة؛ يعني: ولودة، من شأنها أنها تلد، فقال له: بارك الله لك فيها.

قال: «**فأنتج هذان**» يعني: الأبرص والأقرع أنتجا ما في بطون ناقة هذا وبقرة هذا؛ يعني: ولدت كل واحدة، ثم انتشرت الذرية، وجعل الله فيها البركة، وهكذا شاة هذا جاء لها أولاد، حتى صار للأبرص واد من الإبل، وللأقرع واد من البقر، وللأعمى واد من الغنم، ثم ابتلوا بعد ذلك، جاءت البلية الأخرى بهذا السؤال، هل يشكرون أم يكفرون؟

تمت النعمة في البدن، وتمت النعمة في المال، فالكل في هذه النعمة، هل يشكرونها أم لا؟ جاءهم ملك في صورة الأبرص، وفي صورة الأعمى، وفي صورة الأقرع، حتى يتذكروا حالهم الأولى، لعلهم ينتبهون، لعلهم يستفيدون، فلم يستفد الأبرص والأقرع، فذكرهم أيضًا، قال: ألم تكن أبرص؟ ألم تكن أقرع؟ ألم تكن فقيرًا؟ كل واحد ذكَّره، فأنكر، وقال: إنَّما ورثت هذا كابرًا عن كابر؛ يعني: أبًا عن جد، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت عليه.

فالأقرب والله أعلم أن الله أجاب دعوة المَلَك، في الأقرع والأبرص، فعادا إلى حالهما الأولى ابتلاءً، وامتحانًا، وعقوبة عاجلة، نسأل الله السَّلامة.

أمَّا الأعمى، فاعترف بنعم الله، قال: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري، فقيرًا، فأعطاني الله من المال، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال الملك: إنما ابتليتم، ليس لي حاجة فيه.

أمسك عليك مالك؛ يعني: ما لي فيه حاجة، وإنَّما هي ابتلاء من الله.

«**فقد رضي الله عنك**» بسبب الشكر والاعتراف بالنعم، «**وسخط على صاحبيك**» بسبب كفرانهم وإنكارهم النعم، نسأل الله العافية.

وفي هذا من الفوائد: الحث على شكر النعم، والاعتراف بها لله، والأدب في السؤال، قال: لا بلاغ لي إلا بالله ثم بك، ما قال: إلا بك، أو: إلا بالله وبك، بل أتى بالعبارة المشروعة: «**إلا بالله ثم بك**».

وفيه أيضًا: بيان قدرة الله ﷻ، وأنه يقول للشيء: كن فيكون، بينما هو أبرص، أقرع، كفيف، في الحال أزال الله برصه، وقرعه، ورد عليه بصره، في الحال على يد هذا الملك: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] سبحانه وتعالى.

ثم إنزال البركة في هذا المال، فصار لهذا واد، وهذا واد، وهذا واد؛ ابتلاء وامتحانًا، فينبغي للمؤمن أن يأخذ حذره، ويكون دائمًا على حذر من الله، وعلى حذر من عقوبته سبحانه وتعالى، ويكون شكورًا على نعم الله، معترفًا بالحق سبحانه، صارفًا لها في مرضاته وطاعته جلَّ وعلا؛ حتى تنفعه، وحتى يبارك له فيها، وحتى يسلم من تبعتها ومضرتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى**: تَفْسِيرُ الآيَةِ.
- **الثانية**: مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [القصص: ٥٠].
- **الثالثة**: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].
- **الرابعة**: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

٤٩- بَابُ قول الله تعالى:
﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾
الآية [الأعراف: ١٩٠]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب(١).

وعن ابن عباس في الآية، قال: لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَم حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِك، فَيَشُقَّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهُمَا سَمِّيَاهُ عبد الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَانِهِ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتِ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبَّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عبد الحَارِثِ، فَذَلِكَ قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]» رواه ابن أبي حاتم(٢).

وله بسند صحيح، عن قتادة قال: «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته».

وله بسند صحيح، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال: أشفقا ألا يكون إنسانًا، وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما»(٣).

---

(١) ذكره ابن حزم في «مراتب الإجماع» (١٥٤) ونقله عنه ابن القيم في تحفة المولود (٨٠).

(٢) عند تفسيره للآية (٦/ ٣١٠ برقم ٩٤٢١) كما أخرجه ابن جرير (١٣/ ٣١٠ برقم ١٥٥١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم أثر قتادة ومجاهد وسعيد (٦/ ٣١١ برقم ٩٤٢٦) وابن جرير =

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**».

أراد المؤلف بهذه الترجمة: بيان تحريم التعبيد لغير الله، وأنه لا يجوز أن يُعبَّد أحد لغير الله، فلا يقال: عبد النَّبِيّ، ولا عبد الكعبة، ولا عبد الحسين، ولا عبد عمر، ولا ما أشبه ذلك، بل التعبيد يكون لله وحده: عبد الله، عبد الرحمٰن، عبد العزيز، عبد الكريم، عبد القدوس، إلى غير ذلك؛ لأن الله ذمَّ من فعل ذلك: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا ذمٌّ وعيب لمن فعل ذلك.

الآية سِياقها في آدم وحواء عليهما الصَّلاة والسَّلام، وهذه على ما قاله السلف زلةٌ من آدم وحواء حيث أطاعا فيها الشيطان في عبد الحارث.

وقال آخرون: إن المراد بالآية جنس من بني إسرائيل، وقع في بني إسرائيل، ففعلوا هذا الفعل، ولكن ظاهر السِّياق يأبى ذلك، ظاهر السِّياق هو مثلما قال ابن عباس وغيره من السلف: أن هذا وقع لآدم، بسبب موت الأول والثاني من أولادهما، ابتلاء من الله وامتحانًا، فأدركهما حب الولد، وزيَّن لهما الشيطان هذه الوسوسة، وهذا الاسم: عبد الحارث، وظنّا أنه يعيش بسبب ذلك، فوقعت منهما المعصية.

وقال العلماء: والمعصية قد تقع من الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إذا كانت صغيرة، ويحتمل أنهما حين فعلا ذلك يعتقدان أنه جائزٌ لهما؛ فلهذا فعلاه ولم يعلما أنه منكر، وإنَّما كرهاه أولًا، ثم خضعا بوسوسته وما أراد ظنًّا منهما أنه جائز، فخفي عليهما الحكم الشّرعي، فلهذا فعلا ذلك.

وبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما أنزل على رسوله محمَّد ﷺ أن هذا لا يجوز، وأنه

= (١٣/٣١٢ برقم ١٥٥٢١، ١٥٥٢٢، و١٣/٣١٣ برقم ١٥٥٢٣، ١٥٥٢٤).

لا يجوز التعبيد لغير الله، أما آدم وحواء فلم يعلما ذلك، فأطاعا الشيطان في وسوسته جهلًا منهما بالحكم الشرعي، أو لأمر آخر وهو أن الأمر الذي قاله الشيطان لآدم وحواء لم يثبت أنه قاله لهما، وإنَّما وقع في بني إسرائيل كما قال بعض السلف، فالأمر مختلف، لكن السياق يقتضي ما قاله ابن عباس وجماعة، والله جلَّ وعلا أعلم.

والحكم يناقض شريعة محمد ﷺ؛ لأنها الشَّريعة العامة، وما كان فيمن قبلنا فله ما فيه من إباحة في بعض المسائل، ومنعه في بعض المسائل التي من شرائع من قبلنا.

وأمَّا هذه المسألة فبيَّن الله سبحانه وتعالى فيها الحكم، وأنه لا يجوز التشريك في الاسم لغير الله سبحانه وتعالى، بل يجب أن يكون ذلك لله وحده؛ لأنه ذمَّ من فعل ذلك، فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] فعلم بذلك أنه لا يجوز التعبيد لغير الله.

ولهذا قال أبو محمد ابن حزم(١): اتفق العلماء على تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله؛ كعبد عمر، وعبد الكعبة، ونحو ذلك، حاشا عبد المطلب؛ لأن الرسول ﷺ أقر ذلك، فدل ذلك على أن لفظة: عبد المطلب مستثنى، فمن الصَّحابة من اسمه: عبد المطلب بن ربيعة، لم يغير النَّبِيّ اسمه عليه الصَّلاة والسَّلام.

فدل على استثنائه؛ لأنه أصله تعبيد للرّق، كان عبد المطلب، سمي بذلك؛ لأنهم ظنوه عبدًا للمطلب، ظنوا شيبة وهو عبد المطلب ظنوه عبدًا لعمه المطلب بن عبد مناف، فقالوا: عبد المطلب من جهة الرّق، وهو ليس كذلك، لكن لما رأوا وجهه تغير بسبب الشمس والسفر، فظنوه مولى له، ثم أقرّ في الإسلام عبد المطلب.

---

(١) هو: علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، عالم الأندلس، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة، وله اثنتان وسبعون سنة. انظر ترجمته في: لسان الميزان للحافظ ابن حجر (٤/ ١٩٨).

أمَّا بقية الأسماء المعبدة لغير الله، فإنه يمنع كعبد عمر، وعبد الكعبة، وعبد النَّبِيّ، ونحو ذلك..

«**قال قتادة: أشركا في طاعته ولم يكن في عبادته**» يعني: أطاعوه في هذا الاسم عن غير علم فنبَّه على ذلك كما بيَّن الله جلَّ وعلا في كتابه العظيم.

والحاصل من هذا كله: أن القضية وقعت من آدم أو من بعض بني إسرائيل؛ فبيَّن الله في كتابه العظيم أنه لا يجوز، وأنّ الواجب التّعبيد لله وحده، وأنه لا يقتدى بمن فعل ذلك، لا من الأولين من بني إسرائيل، ولا ما وقع من آدم ـ إن كان وقع من آدم فهو ظاهر السياق ـ بل يجب أن تكون التسمية والتعبيد لله وحده.

وما وقع في بني إسرائيل أو في عهد آدم وحواء لا يفعل في شريعة محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، بل الله منع من ذلك في شريعة محمد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهذا كلّه من باب كمال التوحيد، وكمال الإيمان، وكمال العبادة لله وحده، وكمال الخضوع له ﷻ، وشريعة محمد ﷺ جاءت بغاية كمال التوحيد، وغاية كمال تعظيم الرّبوبية، وغاية الكمال في البعد عن وسائل الشِّرك ووسائل التعبد لغير الله ﷻ، فهي أكمل الشَّرائع وأعظمها وأتمها وأبعدها عن كل شرك، هذه الشريعة المحمدية التي جاء بها نبينا محمد عليه الصَّلاة والسَّلام، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال**: هل قوله ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ**»[1] غير داخل في النهي عن التعبيد لغير الله؟

(١) متفق عليه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابَّة غيره في الحرب، برقم (٢٨٦٤) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم (١٧٧٦).

○ **الجواب:** هذا إخبار عن الماضي، لا يضر.

● **السؤال:** مجرد الإخبار عن الماضي أو إقرار؟

○ **الجواب:** إخبار عن الماضي؛ لأنه مشهور به الإخبار عن الأسماء الماضية لا يضر، عبد مناف، وعبد عمرو، وأشباهه لا يضر، وعبد المطلب مستثنى لإقرار النَّبيّ ﷺ له.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

● **الأولى:** تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ الله.

● **الثانية:** تَفْسِيرُ الآيَةِ.

● **الثالثة:** أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

● **الرابعة:** أَنَّ هِبَةَ الله لِلرَّجُلِ البِنْتَ السَّوِيَّةَ مِن النِّعَم.

● **الخامسة:** ذِكْرُ السَّلَفِ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ.

٥٠- بَابٌ قول الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠]

ذكر ابن أبي حاتم، عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ﴾: يشركون، وعنه: سموا «اللَّات» من الإلٰه، «والعزّى» من العزيز(١).

وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها»(٢).

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾» **عقد المؤلف هذا الترجمة**: ليُبيِّن للناس أن الله سبحانه له الأسماء الحسنى، التي لا يعتريها نقص، بل هي كمال، كلها أسماء حسنى دالة على معان عظيمة، موصوف بها ربنا عَزَّ وَجَلَّ على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الحكيم، وهو العزيز، والرؤوف، والقدير، والقدوس، والملك، ونحو ذلك.

وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: يؤمنون بأسماء الله وصفاته ويمرُّونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل يثبتونها لله على الوجه اللائق بالله، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يعني: اسألوه بها وتضرعوا إليه بها.

---

(١) في تفسيره، عند تفسير الآية، وأخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٨٣ برقم ١٥٤٥٥) وكلاهما ذكرا عنه تفسيره: الإلحاد بالتكذيب، أما تفسير: الإلحاد بالشرك، فمروي عن قتادة ابن أبي حاتم عند تفسير الآية.

(٢) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره، عند تفسيره للآية.

وقد قرر أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الواجب إمرارها كما جاءت والإيمان بمعناها، وأنها أسماء لله دالة على معاني تليق بالله لا يشبه فيها خلقه ﷻ، ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ فأسماء الله يدعى بها، فيقال: يا رحمٰن، يا رحيم، يا عزيز، يا حكيم، اغفر لنا، ارحمنا، أنجنا من النَّار، فهو يدعى بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ ذروهم؛ أي: اتركوهم، سيحاسبون على ما يقولون، والإلحاد فيها: هو الميل بها عن الحقِّ، والإشراك مع الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كمن جعل لغير الله شيئًا من العبادة؛ كاللات، والعزى، والأصنام، قد أشرك فيها مع الله غيره، وجعلها إلٰهًا معبودًا لغيره، فصار كافرًا بذلك.

وهكذا من أَلَحد فيها بأن أمالها عن الحقِّ، وزعم أنه لا معنى لها؛ كالجهمية، والمعتزلة الذين نفوا صفات الله، أو نفوا أسماءه وصفاته جميعًا، فقد ألحدوا في ذلك؛ يعني: ما مالوا عن الحقِّ، الإلحاد: الميل عن الحقِّ، ومنه اللحد في القبر، إذا جعل جانبه مائلًا.

فالملحد: هو المائل عن الحقِّ، الذي صدف عنه وأعرض عنه، ويدخل فيه الكفار جميعهم، فإنهم ملحدون، وهكذا أهل البدع، من نفاة الصِّفات والأسماء وغيرهم من أهل البدع قد ألحدوا، لكن الإلحاد قسمان:

القسم الأول: إلحاد كامل: وهو ما يقع من الكفرة.

القسم الثاني: إلحاد ناقص: وهو ما يقع من بعض المسلمين في عدم انقياده للحقِّ على التمام والكمال، فيكون له نوع إلحاد وميل عن الحقِّ، فيفوتهم من الإيمان ويفوتهم من الإسلام بقدر ما عندهم من الإلحاد، فالواجب على المؤمن أن يكون منقادًا للحقِّ، ثابتًا عليه، ملتزمًا به، متصلًا به، حتى لا يزل عنه يمينًا ولا شمالًا.

قال الأعمش[(١)]: «يدخل فيها ما ليس منها» يعني: يدخل في أسماء الله ما ليس منها، هذا نوع من الإلحاد، كونه يسمي الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا نوع من الإلحاد؛ يعني: نوع من الباطل، فلا يسمى سبحانه إلا ما سمى به نفسه.

وكذلك قول بعضهم في «**اللات**»: أنها من الإلٰه، و«**العزى**» من العزيز، هذا نوع من الإلحاد، ولهذا سموا إلٰههم الذي في الطائف: «**اللات**» وقالوا: أنه مؤنث الإلٰه، وسموا العزى من العزيز، اشتقوها من ذلك، وكله باطل، فالعزى: هي شجرة لا وجه لها، ولا حق لها، وإنَّما زين لهم الشيطان عبادتها، وهكذا اللات صخرة، أو ميتًا قد انقطعت أسبابه، لكن الجهال جعلوه إلٰهًا لهم، وعبدوه من دون الله، وهكذا مناة صخرة معروفة عند المشلل[(٢)] عند قديد[(٣)] عبدها الأوس والخزرج وجماعة معهم، وكلّه ضلال وإلحاد.

والواجب أن يعبد الله وحده ﷻ، وأن يخص بالعبادة، فتسمية آلهة المشركين آلهة إلحاد، ونفي الصفات وتأويلها إلى غير معناها إلحاد، ونفي الأسماء بالكلية إلحاد، ونفي بعضها أو تأويل بعضها إلحاد، فالإلحاد يتفاوت ويختلف، بعضه أشد من بعض.

وهكذا الميل عن الحقِّ بتعاطي المعاصي والسيئات، والميل عن

---

(١) هو: سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد الأعمش، ثقة حافظ عالم بالقراءات من الخامسة، أخرج له الجماعة، مات سنة (٢٤٧ أو ٢٤٨هـ). ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٥٤ برقم ٢٦١٥).

(٢) المُشَلَّلُ: بضم الميم وفتح الشين وفتح اللام مشددة ثم لام مكسورة، وهو جبلُ يُهبط منه إلى قدَيد من ناحية البحر. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب الميم والشين وما يليهما (٥/ ١٣٦).

(٣) قديد: بضم أوله مصغر، اسم موضع يقع في الطريق بين مكة والمدينة، بينها وبين الجحفة ميقات أهل الشام، وهو حصن صغير. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، باب القاف والدال وما يليهما (٤/ ٣١٣).

العدالة نوع من الإلحاد، لكنه إلحاد أصغر غير الإلحاد الأكبر الذي يقع من الكفرة في عبادتهم غير الله، وفي إنكارهم ما أخبر الله به على ألسنة الرسل.

فمن كذَّب الله أو عَبَد معه غيره، فقد ألحد إلحادًا يجعله من الكافرين، وهكذا من نفى صفات الله وأسماءه؛ كالجهمية، ونحوهم، ألحد إلحادًا يلحقه بالكافرين عند أهل السُّنَّة والجماعة.

ومن ألحد في بعض الشيء، أو تأوَّل بعض الصِّفات، فله نصيب من الباطل، وعليه وزره في ذلك، ولكن لا يخرجه ذلك عن دائرة الإسلام، بل هو مسلم عنده نقص بسبب ما تأوله من بعض الصفات، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ.
- **الثانية:** كَوْنُهَا حُسْنَى.
- **الثالثة:** الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.
- **الرابعة:** تَرْكُ مَن عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ المُلْحِدِينَ.
- **الخامسة:** تَفْسِيرُ الإِلْحَادِ فِيهَا.
- **السادسة:** وَعِيدُ مَن أَلحَدَ.

❊ ❊ ❊

٥١- بَابُ لا يقال: السلام على الله

في الصَّحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيّ ﷺ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا: السَّلامُ عَلَى الله مِن عِبَادِهِ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى الله، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»»[(١)].

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «باب لا يقال: السَّلام على الله» لأنَّ الله هو السَّلام سبحانه وتعالى، كان الصَّحابة في أول الأمر، يقولون: إذا جلسوا في التحيات: السلام على الله من عباده، السَّلام على جبرائيل، السَّلام على ميكائيل، السَّلام على فلان وفلان، فقال لهم النَّبيّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ» وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيَّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرُ مِنَ الدّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو» رواه الشيخان[(٢)] من حديث عبد الله بن مسعود.

فهذا هو الذي يقال: التحيات، لا يقال: السلام على الله؛ لأن الله هو السلام، وكان يقول إذا سلم من صلاته واستغفر ثلاثًا، قال: «اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يتخيَّر من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، برقم (٨٣٥) ومسلم في كتاب الصَّلاة، باب التشهد في الصَّلاة، برقم (٤٠٢).

(٢) سبق تخريجه في الحاشية السابقة.

أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»[(١)] فالله هو السَّلام، معناه: أنه السالم من كل نقص وعيب ﷻ، ومعناه: أنه يسلم عباده، وكلمة «**السَّلام**» لها معنيان:

أحدهما: أنه هو المسلم لعباده، أنه السَّلام الذي يعطي السَّلام.

والمعنى الثاني: أنه الكامل، والسالم من كل نقص وعيب، فله الكمال المطلق من كل الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يسلم عليه، لا يقال: على الله السَّلام؛ لأنَّ السَّلام دعاء، فلا يقال: على الله السَّلام؛ لأنه غني عن كل أحد ﷻ، ليس الله في حاجة إلى دعاء النَّاس، وإنَّما المشروع تعظيمه وتقديسه، والإيمان بأنه موصوف بصفات الكمال، والإيمان بأنه المسلم لعباده، النَّافع الضَّار، المعطي المحسن، هذا هو الذي يليق به ﷻ.

أمَّا أن يقال: على الله السَّلام، أو عليك يا رب السَّلام هذا نوع من الدعاء لا يليق بالله، وإنَّما يسلم على المخلوق، يقال: السَّلام على فلان؛ يعني: له السَّلام، له العافية؛ لأنه محتاج إليه، أمَّا الله ﷻ فهو الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، الغني بذاته عن كل ما سواه، فهو الذي يعطي السَّلام، ويمن بالسَّلام، ويجود بالسَّلام على عباده، وهو ليس بحاجة إلى شيء من عباده، يمدونه به، أو ينفعونه به، فهو الغنيّ بذاته عن كل ما سواه سبحانه، هذا معنى السَّلام. وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

● **السؤال:** قول البعض: لولا رسول الله ما اهتدينا؟

○ **الجواب:** هذا القول له تأويل؛ يعني: لولا دعوة رسول الله، ولولا أن الله أرسله إلينا، فبهذا المعنى صحيح، لكن الأولى أن يقول:

---

(١) أخرجه مسلم عن ثوبان في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صف، برقم (٥٩١).

لولا الله، ثم دعوة الرسول وبيانه؛ لأنه قد أدركه ناس ما اهتدوا، فالرحمة من الله هو الذي هدى من هدى ﷻ، فالأولى أن يقول: لولا الله ثم ما بعث به رسوله من الهدى.

وإذا أراد: لولا هداية الله، ولولا ما جاء به رسول الله من الهداية التي بعث الله بها رسوله، وليس قصده هداية الرسول، قصده ما بعث به من الهدى، هذا صحيح.

• **السؤال:** أحسن الله إليك لو خاطب شخص نفسه، وقال: يا رسول الله لو ترى حال الأمة؛ لأشفقت عليها ولدعوت لها؟

○ **الجواب:** هذا الخطاب لا يجوز، هذا معناه: أنه ﷺ يسمع كلامه ويعي عنه ما يقول والنَّبيُّ ﷺ قد مات، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وبموته انقطع عمله، كما جاء في الحديث: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**»(١) وعلمه؛ ولهذا يقال له يوم القيامة: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٢).

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** تَفْسِيرُ السَّلامِ.

• **الثانية:** أنه تَحِيَّةٌ.

• **الثالثة:** أنها لا تَصْلُحُ لله.

• **الرابعة:** العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

• **الخامسة:** تَعْلِيمُهُمْ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لله.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (١٦٣١).

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب فِي الْحَوْضِ، برقم (٦٥٨٢) ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيِّنا ﷺ وصفاته، برقم (٢٣٠٤).

٥٢- بَابُ قول: اللّهم اغفر لي إن شئت

في الصَّحيح، عَن أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُم اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِن شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِن شِئْتَ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»(١).

ولمسلم: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(٢).

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: **«باب لا يقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِن شِئْتَ»**.

أراد المؤلف بهذا الباب: بيان أن من كمال الإيمان، وكمال التوحيد، العزم على المسألة وعدم التردد، ولا يجوز أن يعلِّق دعاءه بالمشيئة، بل ليجزم وليلح في الدعاء، فالمؤمن إذا دعا ربَّه يعزم ولا يتردد، فإنَّ جوده عظيم، وهو الغني الحميد، فلا يليق بالمؤمن أن يستثني في سؤاله، ويعلقه بالمشيئة، إنَّما يستثني إذا طلب شيئًا من المخلوق؛ لأنه قد يعجز، فيقول: أعطني كذا إن شئت، أو إن استطعت، هذا في حقِّ المخلوق.

أمَّا الرَّبُّ عز وجل هو الغنيُّ الكامل والقادر على كل شيء، فلا يليق بالعبد الفقير أن يستثني في سؤاله، فيقول: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِن شِئْتَ، أو**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، برقم (٦٣٣٩) وفي كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، برقم (٧٤٧٧) ومسلم في كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم في الدعاء، ولا يقل: إن شئت، برقم (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الموضع السابق.

اللَّهُمَّ أدخلني الجنَّة إن شئت» كأنه مستغني غير محتاج، كأنه ليس بمضطر إلى هذا المسؤول، ولكن ليعزم المسألة وليجزم؛ ولهذا يقول ﷺ: **«لا يَقُلْ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِن شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِن شِئْتَ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لا مُكْرِهَ لَهُ»** لا أحد يكره الله على شيء حتَّى يقال: إن شئت، وليس بعاجز حتى يقال: إن شئت، فلا يليق هذا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفي اللَّفظ الآخر: **«وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيءٌ أَعْطَاهُ»** فهو جلَّ وعلا عظيم الشأن، غني حميد، فلا يتعاظمه شيء أعطاه عباده، وجاد به على عباده، وكلها عنده قليلة ويسيرة، وإن أعطاهم الشيء العظيم.

فالمشروع للمؤمن أن يكون عظيم الرغبة فيما عند الله، كبير التعلق بالله، كثير اللّجوء إليه والانكسار إليه، فإذا سأله، سأله سؤال المضطر، سؤال الرَّاغب، فلا يستثن، ولا يقل: اللَّهُمَّ اغفر لي إن شئت، أو اللَّهُمَّ ارحمني إن شئت، اللَّهُمَّ اشفني إن شئت، أو اللَّهُمَّ أعطني الجنَّة إن شئت، لا.

وهكذا من دعا لإخوانه، لا يقل: غفر الله لك إن شاء الله، أو رحمك الله إن شاء الله، لا؛ بل يجزم «اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه، رحمك الله يا أخي» ولا يقل: إن شاء الله، لا يستثني، ولا يعلق بالمشيئة، بل يكون دعاؤه دعاء الرَّاغب، دعاء الجازم، دعاء الملح، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

- **السؤال:** إذا قال العبد: اللَّهُمَّ اغفر لي كما شئت؟

○ **الجواب:** لا، يقول: اللَّهُمَّ اغفر لي فقط، اللَّهُمَّ اغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم، اللَّهُمَّ ارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، هكذا، كان النَّبيّ ﷺ يعدُّ له في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، ما قال: كما شئت، فلا تقل أنت كما

شئت، قل ما قال النَّبِيّ والصَّحابة، تمسك بهديهم، ولا تزيد شيء على ذلك.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.
- **الثانية:** بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ.
- **الثالثة:** قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةِ».
- **الرابعة:** إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.
- **الخامسة:** التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ.

٥٣- بَابُ لا يقول: عبدي وأمتي

في الصَّحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِئ رَبَّكَ، وَلْيقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»[(١)].

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «**باب لا يقول: عبدي وأمتي**».

أورد المؤلف هذا الباب في كتابه «**كتاب التوحيد**» لأنه كتاب جامع ذكر فيه التوحيد، وذكر فيه ما يكون من كماله وتمامه، وذكر ما ينافيه ويضاده، وذكر ما يكمله، وذكر ما ينافي كماله.

وهذا باب مما ينافي كمال التوحيد، فلهذا ذكره «**باب لا يقول: عبدي وأمتي**» يعني: لا يقول العبد عندما يخاطب جاريته أو غلامه بعبدي وأمتي، تأدبًا مع الله عز وجل، بل يقول: فتاي، وفتاتي، وغلامي، وخادمي، ونحو ذلك؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله، هذا من باب كمال التأدب مع الله عز وجل، والاعتراف بأنه سبحانه هو المالك لكلِّ شيء، وهو ربُّ كل شيء سبحانه وتعالى، بخلاف ما إذا قيل: عبد فلان، أو إماء فلان، فهذا ليس من باب الإضافة إلى نفسه، بل من باب الإخبار، وهو أسهل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ**» وفي اللَّفظ الآخر: «**اسْقِ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ**»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، برقم (٢٥٥٢) ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد، برقم (٢٢٤٩).

وهذا أيضًا من باب التأدب؛ لأنَّ ربّ الجميع هو الله ﷻ، فلا يليق هذا الإطلاق: أطعم ربك، فالله جلَّ وعلا لا يطعم، هو الغني عن كلِّ ما سواه ﷻ، وهكذا الوضوء، وهكذا السقي، كله لا يناسب في حقِّه سبحانه؛ لأنَّ له الكمال المطلق، فليس في حاجة إلى طعام وشراب وغير ذلك، هو الغني عن كلِّ ما سواه ﷻ.

فلا يناسب هذا التعبير: أطعم ربك، وضئ ربك، فالله ربّ الجميع، سيده الذي هو مالك، ولكن يقول عبارة أخرى: أطعم سيدك، أطعم مولاك، أو عمك؛ لأن هذه عبارات معروفة، لا تشتبه بالربوبية، والسيد هو المالك والرئيس، فإذا قال لك: أطعم سيدك؛ يعني: مالكك، رئيسك، وهكذا المولى له معان كثيرة، ومنها: السيد والمالك، والقدير الناصر.

وجاء في بعض الروايات الأخرى: «**لا يقولون: مولاي؛ لأن مولاكم الله**» لكن المحفوظة عند أهل العلم، رواية الإذن؛ لأن كلمة «**مولى**» مشتركة.

فقوله جلَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ١١] يعني: لا ناصر لهم، بل هم مخذولون بالنِّسبة إلى من استقام على دين الله، ونصر دين الله.

فلا حرج أن يقول: مولاي؛ يعني: قريبي، أو عتيقي، أو معتقي أو سيدي كما في الحديث هذا: «**وليقل: سيدي ومولاي**» أو عمي، فيقال: عمي، ويقال: سيدي، ويقال: مولاي، ويقال ما أشبهه مما اصطلحوا عليه واعترفوا به، بدلًا من ربي. «**وليقل: فتاي، وفتاتي وغلامي**».

ولا يقل: «**عبدي وأمتي**» كما تقدَّم، كل هذا من باب الأدب مع الله، في عدم إطلاق الرَّب على السيد، أو في عدم قول: عبدي وأمتي، وليستعمل الألفاظ البعيدة عن المشابهة، والبعيدة عن سوء الأدب، فيقول: غلامي، فتاي، جاريتي، ولا يقل: عبدي وأمتي.

وكذلك لا يقل: أطعم ربك، وضِئ ربك، أطع ربك، يقصد به السيد، ولكن يقول: سيدي، مولاي، عمي، رئيسي، العبارات التي يصطلحون عليها غير هذه العبارات، وفق الله الجميع.

قال الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــى:** النَّهْيُ عَن قَوْلِ: «عَبْدِي وَأَمَتِي».
- **الــثــانــيـة:** لا يَقُولُ العَبْدُ: «رَبِّي» وَلا يُقَالُ لَهُ: «أَطْعِمْ رَبَّكَ».
- **الــثــالــثــة:** تَعْلِيمُ الأَوَّلِ قَوْلَ: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي».
- **الــرابــعــة:** تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: «سَيِّدِي وَمَوْلايَ».
- **الــخــامــسـة:** التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الأَلْفَاظِ.

٥٤- بَابُ لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَن دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَن صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[(١)] رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح.

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في النَّهي عن ردِّ من سأل بالله، **ذكره المؤلف** في «كتاب التوحيد» لما فيه من تعظيم الله وإجلاله، بإعطاء من سأل بالله، فقال: **«باب لا يرد من سأل بالله»**.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: **«مَن سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ...»** الحديث هذه الكلمات من جوامع الكلم، التي أوتيها عليه الصَّلاة والسَّلام، فمشروع لأهل الإيمان أن يعطوا من سأل بالله تعظيمًا لله، وإجلالًا له سبحانه وتعالى.

وقد جاءت عدة أحاديث تدل على كراهة السؤال بالله[(٢)] لما فيه التشديد على الناس، ولكن متى سأل بالله حقًّا له كالزَّكاة، أو من بيت المال، أو كان مضطرًا للسؤال، وجب أن يعطى، وأمَّا إذا كان على غير

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عز وجل، برقم (١٦٧٢) والنسائي في كتاب الزكاة والصدقة، باب من سأل بالله عز وجل، برقم (٢٥٦٧) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٥٤).

(٢) منها ما أخرجه الترمذي وحسنه عن ابن عباس بلفظ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللهِ وَلَا يُعْطِي بِهِ**» في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء أي الناس خير، برقم (١٦٥٢) وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة، برقم (٢٥٥).

ذلك، فالأفضل أن يعطى، ولا ينبغي له أن يسأل بالله، عملًا بالأحاديث الدَّالة على كراهة ذلك.

ومن استعاذ بالله شرع أن يعاذ؛ ولهذا لما استعاذت عمرة الجونية من الرَّسول الله ﷺ قال: «**لَقَدْ عُذْتِ بِمُعَاذٍ**» وفي لفظ آخر: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ الحَقِي بِأَهْلِكِ**»(١) ولم يتزوجها.

المقصود: أنَّ من استعاذ بالله؛ فإنه يشرع أن يعاذ، إذا كان ليس حقًّا عليه، أمَّا إذا كان يستعيذ بالله في إسقاط حقٍّ عليه، فلا يعاذ؛ لأنَّ الله أمر بأداء الحقوق، ولا يجوز أن يستعاذ بالله في ترك الحقوق، فلا يقل: أعوذ بالله أن تلزموني بالصَّلاة، أو أن تلزموني بأداء الزّكاة، أو أن تلزموني بأداء الحقوق التي عليّ كالدين، والكفارات، ونحو ذلك.

أمَّا إذا استعاذ بالله من أمر لا يلزمه فلا بأس يشرع أن يعاذ تقديرًا لما استعاذ به، كأن يستعيذ بالله أن يولى القضاء، وهناك من يقوم مقامه، أو استعاذ بالله أن يولى الإمارة، وهناك من يقوم مقامه، وما أشبه ذلك من الأشياء التي فيها الخطر، كما يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لما أمره عثمان بالقضاء استعاذ بالله أن يولى القضاء، فأعاذه عثمان، وهذا إن صح محمول على أن هناك، والحمد لله من يقوم بالواجب، وكان الصَّالحون لذلك في عهد عثمان كثيرين.

قوله: «**وَمَن دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» يعني: من دعا إلى وليمة يجاب، لما في إجابة الدّعوة من المصالح، والتآلف والتواصل، والتقارب، ولهذا شرع الله إجابة الدعوة، سواءً كان للعرس أو لغير عرس، وأهمها وأعظمها دعوة العرس، ولهذا في الحديث الصَّحيح: «**مَن لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ**»(٢) رواه مسلم.

---

(١) سبق تخريجه بلفظيه في (ص٣٧١).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم (١٤٣٢).

فالواجب أن تجاب الدعوة، إلَّا أن يكون بها مانع، أو يكون له مانع كأن يكون مريضًا، أو بعيدًا عن محل الدَّعوة، يشق عليه المجيء إليها، ولا يتيسر له الركوب، أو كانت الدَّعوة فيها منكر كالأغاني والملاهي، وشرب الخمر ونحو ذلك.

فإذا كانت الدَّعوة سليمة، والمدعو مستطيع، وجب أن يجيب، أو تأكد على الأقل أن يجيب؛ لقوله ﷺ: «مَن دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ» وللحديث الصحيح عنه ﷺ قال: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ أَن يُجِيبَ دَعْوَتَهُ»(١) ولعموم: «مَن لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَهُ».

قال: «وَمَن صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ» هذا من مكارم الأخلاق، ومن كمال الإيمان، المكافئة على المعروف، بما استطاع، إن كان ماليًّا بالمال، وإن كان غير مال بالكلام الطيب والدعاء.

قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ» إذا عجز عن المكافئة على المعروف دعا له «حَتَّى تَرَوْا» تَروا: بفتح التاء، بمعنى تعلمون، ويروى بضمها، حتى تُرون؛ يعني: حتى تظنوا، والمعنى: حتى يغلب على ظنّه، أو يعلم أنه «قَدْ كَافَأْهُ» بكثرة دعائه له، وثنائه عليه، والمعروف يتنوع، قال النَّبِيّ ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(٢).

فمن صنع لك معروفًا بإنقاذك من ظالم، ومن تفريج كربة، بقضاء دين، وبإنقاذك من هلكة، إلى غير هذا من أنواع التفريج، وأنواع المعروف شرع لك مكافأته بما يناسب المقام، من مال أو غيره، حسب أحوال الناس، وحسب أحوال المعروف، ومَن عجز عن ذلك، فالدعاء يقوم مقام المكافأة، وفق الله الجميع.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه كتاب الجنائز، باب الأمر باتِّباع الجنائز، برقم (١٢٤٠) ومسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم (٢١٦٢).

(٢) أخرجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، برقم (٦٠٢١).

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** بعض العوام إذا طلب شيئًا من شخص، يقول: بوجه الله أن تفعل كذا، وجه الله، هل هذا يكون معناه من السؤال بالله؟

○ **الجواب:** لا، ولكن ينبغي ترك ذلك، والحديث فيه ضعف ينبغي ترك ذلك.

• **السؤال:** لكن هو لا يقول: أسألك، يقول: وجه الله، هذه لغة العوام، وجه الله أن تفعل، وجه الله أن تأكل مثلًا؟

○ **الجواب:** ليس هو معنى: بوجه الله، وتركه أولى.

• **السؤال:** هل السؤال بالله، توسل به ﷻ؟

○ **الجواب:** لا، التوسل بالله هو أن يعظم هذا الأمر، مثل ما قال الملك للأبرص والأقرع والأعمى لما بعث إليهم، قال: «**أسألك بالذي أعطاك الوجه الحسن واللون الحسن..**» الحديث المشهور[(١)].

• **السؤال:** هل يجوز الدعاء بالصفات؟

○ **الجواب:** لا يجوز، الدعاء بالصفات، الصفات لا تدعى، فلا يقال: يا وجه الله افعل بي كذا، أو يا سمع الله، أو يا عين الله، إنَّما يدعى هو سبحانه، يقال: يا رب.. يا رحمٰن.. يا رحيم.. يا سميع.. يا بصير، الصفات يتوسل بها ولا تدعى، حكى شيخ الإسلام الإجماع على ذلك، ولكن كيف يتوسل بها؟ أسألك بعلمك العظيم.. أسألك برحمتك.. أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك.. إلى غير ذلك.

• **السؤال:** إذا جاءت الدعوة عامة لربِّ الأسرة هل تجب على جميع أفراد الأسرة إجابة الدعوة؟

○ **الجواب:** إذا نصَّ عليه، إذا نصت عليه الدعوة.

---

(١) سبق تخريجه. ينظر: (ص٤٠٢).

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولـــــــــى:** إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله.
- **الـــثـــانـــية:** إِعْطَاءُ مَن سَأَلَ بِالله.
- **الـــثـــالـــثـــة:** إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.
- **الـــرابـــعـــة:** المُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ.
- **الـــخـــامـــسـة:** أَنَّ اَلدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَن لَمْ يَقْدِرْ إِلا عَلَيْهِ.
- **الـــســـادســـة:** قَوْلُهُ: «حَتَّى تُرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

٥٥- بَابُ لا يسأل بوجه الله إلا الجنَّة

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ»(١) رواه أبو داود.

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «باب لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة» ثُمَّ ذكر حديث جابر الَّذي رواه أبو داود، وما ذاك إلَّا لأنَّ الجنَّة هي أعلى المطالب، وفيها النَّظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وفيها النَّعيم المقيم، ووجه الله له شرفه العظيم، فلا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة؛ يعني: وما يقرب إليها، فإذا قال: اللَّهُمَّ إني أسألك بوجهك الكريم إدخالي الجنَّة ونجاتي من النَّار، أو اللَّهُمَّ إنِّي أسالك بوجهك الكريم أن توفقني للاستقامة على طاعتك، أو للإخلاص لك، فكل ما يقرب إلى الجنَّة هو من جنس الجنَّة، لكن الحديث في سنده بعض اللِّين أو الضَّعف(٢).

---

(١) أخرجه في كتاب الزَّكاة، باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى، برقم (١٦٧١).

(٢) مدار إسناد هذا الحديث على سليمان بن قَرْم بن معاذ أبو داود البصري النحوي، ومنهم من ينسبه إلى جده سيئ الحفظ يتشيع من السابعة، أخرج له البخاري تعليقًا وأبو داود والترمذي والنسائي، تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٥٣ برقم ٢٦٠٠) كما أن شيخ أبي داود أبو العباس القلوري، قيل: اسمه أحمد وقيل: محمد بن عمرو بن العباس، لم يذكر الحافظ ابن حجر: أحدًا من العلماء وثقه، ولكنه وثقه هو، فقال: ثقة من الحادية عشرة مات سنة ثلاث وستين ومائتين، أخرج له أبو داود. انظر: تقريب التهذيب (ص٦٥٤ برقم ٨٢٠٤) وله متابعة من محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي عند البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٧٦ برقم ٣٥٣٧) والموصلي هو ثقة. انظر: التقريب (ص٤٨٩ برقم ٦٠٣٦).

والمؤلف أراد بذلك أن هذا من الكمال، من كمال التوحيد، ومن كمال الإيمان، أن لا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة؛ لأنها أعلى المطالب، وهكذا ما يقرب إليها، من سؤال الله الثبات على الإيمان، وسؤال الله الفقه في الدين، وسؤال الله صلاح القلب والعمل، وسؤال الله العافية من مضلات الفتن، كل هذه تقربه إلى الجنَّة، وتباعده عن النَّار.

والحديث وما فيه من اللِّين ينجبر بما جاء في الروايات الأخرى من النَّهي عن السؤال بوجه الله، فيكون هذا خاصًّا بسؤال الله عَجَّلَ بوجهه الكريم، الجنَّة، وما يقرب إليها وما يدعو إليها، والله أعلم، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** كيف يجمع بين حديث: يولد الدجال ويخرج من أصبهان، وبين أنه موجود الآن مكبل؟

○ **الجواب:** خروج الدجال صحيح ثابت، وهو الذي عليه العمدة، أمَّا مولده الله أعلم، المعروف أن خروجه من أصبهان ثابت من جهة الشرق.

• **السؤال:** وردت آيات في العين، بلفظ الإفراد، والتثنية والجمع، هل العين هي الرِّعاية والحرص فقط؟

○ **الجواب:** إذا أضيف الضمير إلى المثنى أو أضيف إلى نون العظمة، أو الجماعة جاز جمعه، مثل ما قال جلَّ وعلا: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] أريد بهما اثنتان، ولم يقل: قلباكما، وهكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ولم يقل: يديهما، هكذا قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧ والمؤمنون: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وهذا الجمع لا يمنع التثنية، وقد ثبت في الأحاديث ما يدل على أنهما عينان.

وإذا فُسرت العين بمعنى الرعاية، هذا لا ينافي إثبات العين، وأنه على مرأى من الله ومسمع وحماية منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا منافاة، بين إثبات العين وإثبات الرعاية، فالعين تشمل هذا وهذا، ويثبت هذا وهذا.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** النَّهْيُ عَن أَن يُسْأَلَ بِوَجْهِ الله إِلا غَايَةُ المَطَالِبِ.
- **الثانية:** إِثْبَاتُ صِفَةِ الوَجْهِ.

***

٥٦- بَابُ ما جاء في الـ«لـو»

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] **وقوله**: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ **الآية** [آل عمران: ١٦٨].

في الصَّحيح، عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

«باب ما جاء في: لو» يعني: كلمة **«لو»** هل تجوز أو لا تجوز؟

المقصود: من هذا الباب: بيان أنه لا ينبغي استعمالها لمعارضة القدر، بل يجب التسليم، والصبر، وعدم المعارضة للقدر بقوله: **«لو»** عند مرض أو موت قريب أو غير ذلك، بل يجب التسليم والصبر والاحتساب.

قال الله ذامًّا للمنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ هذا قاله ذمًّا لهم وعيبًا لهم، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ كل هذا على سبيل الذم، فدلَّ ذلك على أنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤) وقد سبق ذكره في كلام الشارح في (ص١٠٢، ٣٢٨).

لا يجوز استعمالها عند معارضة القدر في مرض أو هزيمة أو غير ذلك، وأن هذا من شأن المنافقين، فإن قدر الله ماض وأمره نافذ ﷻ، وإنَّما شرع الأسباب لحكمة بالغة، فالأسباب يتعاطاها المؤمن، فإذا نزل القضاء، فليس له أن يعترض بعد ذلك.

ولهذا في الصَّحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام؛ أنه قال: «**الـمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الـمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجِزْ، وَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله، وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» يعني: هذا قدر الله وما شاء فعل.

وبعضهم ضبطه «**قَدَّر الله**» يعني: هذا الشيء الواقع فـ«**قدر**» جعل و«قدَّر» فعل ماض «**وَاللهُ**» فاعل، والمعنى الأول أظهر؛ يعني: هذا الواقع قدر الله؛ يعني: مقدور الله «**وَمَا شَاءَ فَعَلَ**» ﷻ.

«**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» يعني: تفتح على العبد عمل الشَّيطان بوساوسه وتشكيكه، فينبغي للمؤمن أن لا يستعملها، حتى لا يقع في حبائل الشيطان ووساوسه، وتشكيكه، وإملائه ما لا ينبغي، فإن الأمور التي بيد الله ﷻ هو الذي قدرها جلَّ وعلا.

فإذا فعل المؤمن ما شرع الله من تهيئة الأسباب بالعلاج، والسفر له، والأكل والشرب في الإقامة والسفر إلى غير ذلك من الأسباب التي تعاطاها، ثم غلبه القدر، فليقل: قدر الله وما شاء فعل، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فليس الأمر بيده، بل بيد الله ﷻ.

ولهذا قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِن عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»(١) فالمؤمن هكذا تحت القدر، لكن لا يمنعه القدر من تعاطي الأسباب، يفعل الأسباب التي يستطيعها، فإذا قدر أن الأسباب لم تنفع فلا يجزع، ولا يقل: لو، لو، بل يقول: قدر الله وما شاء فعل، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

«**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله**» يعني: خذ بالأسباب واستعن بالله في الأمور كلها، فمن عنده مريض مثلًا ذهب به إلى الطبيب الفلاني، أو المستشفى الفلاني، أو المستوصف الفلاني، فلم يقدر نفع الأسباب، فلا يقل بعد الموت: لو أنِّي سافرت به إلى الخارج، لو أنِّي ذهبت إلى المستشفى الآخر، لو أني ذهبت إلى فلان هذا لا ينفع قد مضى الأمر، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لو شاء ذلك لوقع، لكن هذه المنية انتهت، والأجر قد تم فلا ينبغي الاعتراض بقول: لو، لو.

أمَّا إذا كان «لو» لبيان ما ينبغي مثل ما قال ﷺ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِن أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الهَدْيَ لأَحْلَلْتُ**»(٢) هذا ليس من الاعتراض، على القدر، ولكن لبيان الأفضل، مثل: لو علمت أن هذا واقع لفعلت كذا وكذا مما يبين للنَّاس أنه الأفضل وأنه الأحرى، ولو علمت أن فلانًا موجود لزرته، ولو علمت أن فلان مريض لعدته.. أو ما أشبهه مما يخبر عن أسفه على ما فات عليه، ليس على سبيل الاعتراض، هذا ليس داخلًا في هذا الباب.

---

(١) أخرجه مسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨).

(٢) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب العمرة ليلة الحصبة، برقم (١٧٨٥) ومسلم في كتاب الحج، باب حجة النَّبِيّ ﷺ، برقم (١٢١٨).

وإنَّما الممنوع هو الاعتراض على القدر، وأمَّا إخباره أنه لو كان كذا لفعل كذا، لو كان فلانًا موجودًا لقرأت عليه، لو كان العالم موجودًا لقرأت عليه، لو علمت أن فلانًا مريضًا لزرته، لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سافرت إلى كذا، وما أشبه ذلك، ليس هذا من باب الاعتراض، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.
- **الثانية:** النَّهْيُ الصَّرِيح عَن قَوْلِ: «**لَوْ أَنِّي**» إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.
- **الثالثة:** تَعْلِيلُ المَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلُ الشَّيْطَانِ.
- **الرابعة:** الإِرْشَادُ إِلَى الكَلامِ الحَسَنُ.
- **الخامسة:** الأَمْرُ بِالحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ، مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِالله.
- **السادسة:** النَّهْيُ عَن ضِدِّ ذَلِكَ، وَهُوَ العَجْزُ.

٥٧- بَابُ النهي عن سب الريح

عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»[(١)] صححه الترمذي.

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب فيما يتعلق بسب الرِّيح، لما كان سب الرِّيح وغيرها من المخلوقات نقصًا في الإيمان، وضعفًا في التوحيد نبَّه المؤلف على ذلك، فجعله في «كتاب التوحيد» ليعلم المؤمن أن سائر المعاصي مما ينقص التوحيد، وينقص الإيمان، ويضعفه، والإيمان يزيد وينقص، والتوحيد يكمل وينقص أيضًا، فالمعاصي تضعف الإيمان، وتنقص كمال التوحيد، والطاعة تزيد الإيمان، وتزيد كمال التوحيد.

وسب الريح من جملة المعاصي؛ لأنها مخلوق مدبر، ترسل بالخير والشَّر، فلا يجوز سبها، فلا يقال: لعن الله الريح، أو: قاتل الله الريح، أو: لا بارك الله في هذه الريح أو ما أشبه ذلك، بل يعمل المؤمن ما أرشد إليه النَّبِيُّ ﷺ في حديث أُبَيٍّ بن كعب[(٢)] فإذا رأى منها ما يكره

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النهي عن سبّ الريح، برقم (٢٢٥٢) ولحديث أبي شاهد من حديث عائشة في الصحيحين يأتي تخريجه، كما له شاهد آخر عند أبي داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم (٥٠٩٧).

(٢) ابن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، وأبو الطفيل سيد القراء من أفاضل الصحابة اختلف في سنة وفاته فقيل: (١٩ وقيل: ٣٢ وقيل غير ذلك، =

لشدتها، قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».

وهكذا جاء في الصَّحيحين، من حديث عَائِشَةَ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيح قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»[(١)] أمر بهذا، أمر أن يقال الدُّعاء.

وجاء في المعنى أيضًا، الدُّعاء بأن يجعلها الله رياحًا ولا يجعلها ريحًا، وأن يجعلها رحمة ولا يجعلها عذابًا، هذا هو المشروع للمؤمن عند هبوب الرِّياح وشدتها، يسأل الله خيرها، ويعوذ بالله من شرها، ويسأل الله أن يجعلها رياحًا ولا يجعلها ريحًا؛ لأنَ الله أرسل الرِّيح لهلاك قوم هود، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦].

أمَّا الرِّياح فجعلها الله مبشرات: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] وقد تكون رحمة لقوم وكفارة لهم، وقد تكون عذابًا لآخرين، كما جرى لعاد، فالمؤمن يسأل الله خيرها، فهو الذي دبرها وأرسلها، يسأله خيرها، ويستعيذ بالله من شرها، هذا هو الواجب عند هذا الأمر.

وهذا من كمال التّوحيد وكمال الإيمان، أن يمتثل أمر الرسول ﷺ في ذلك، وأن لا يسب الريح، كما لا يسب غير ذلك من المخلوقات التي لم يشرع الله سبها، وفق الله الجميع.

= أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٩٦ برقم ٢٨٣).

(١) متفق عليه واللَّفظ لمسلم، أخرجه البخاري مختصرًا في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الفرقان: ٤٨] برقم (٣٢٠٦) كما أورده في كتاب التفسير، برقم (٤٨٢٩) ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، برقم (٨٩٩).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــــــى:** النَّهْيُ عَن سَبِّ الرِّيح.
- **الــثــانــية:** الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَام النَّافِعِ إِذَا رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.
- **الــثــالــثــة:** الإِرْشَادُ إِلَى أنها مَأْمُورَةٌ.
- **الــرابــعــة:** أنها قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

٥٨- بَابُ قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لن ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسره بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته.

وفسره بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ وأن يظهره على الدِّين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح.

وإنَّما كان هذا ظن السُّوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصَّادق، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحقِّ إدالة مستقرة يضمحل معها الحقّ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظنَّ الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النَّار.

وأكثر النَّاس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللَّبيب النَّاصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السُّوء، ولو فتشت ما فتشت؛ لرأيت عنده تعنتًا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل، ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا[(١)]

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الآية** [آل عمران: ١٥٤]» وذكر بعدها آيتين آل عمران والفتح، ثم ذكر كلام ابن القيم[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب.

والمقصود بهذا الباب: بيان أنَّ كثيرًا من النَّاس لا يسلم لله حكمته، ولا يسلم لله قدره السابق، ولا يسلم لله ما أراده سبحانه من تنبيه العباد على أغلاطهم وأخطائهم، حتى يستعدوا وحتى ينتبهوا، بل أساء الظن بالله من وجوه كثيرة:

منهم من يظن: أنّ ما يقع من الأشياء التي تخالف هواه أنه لم يكن عن حكمة ولا عن قدر سابق.

ومنهم من يظن: أنه لمجرد المشيئة لا عن حكمة فقط.

ومنهم من يظن: أن الله جار على عباده وظلمهم حتى فعل كذا وفعل كذا، ظلم فلانًا، وأفقر فلانًا، وأصح فلانًا، وأمرض فلانًا.

هذه الأمور في النَّاس كثيرة؛ ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ في المنافقين:

---

(١) كلام ابن القيم هذا أورده المؤلف بتصرف يسير، وقد ذكره ابن القيم في كتابه: «زاد المعاد» في فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أُحد (٣/ ١٩٦) والبيت الأخير في النص المذكور ينسب لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في زيادات رزين عن هاني مولى عثمان، الذي أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٨) وابن ماجه برقم (٤٢٦٧) كما نسبه أبو نعيم في «الحلية» للحسن (٢/ ٢٤١).

(٢) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي أبو عبد الله الدمشقي الحنبلي شمس الدين المشهور بابن القيم الجوزية، التلميذ البار بشيخه ابن تيمية أبو العباس، مات في (١٣/ ٧/ ٧٥١هـ ١٣٥٠م) بدمشق. ينظر: ترجمته في البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤) والعبر في خبر من غبر في حوادث سنة ٧٥١هـ.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤] في قصة أُحد، لما وقعت وقعة أُحد، وجرى على المسلمين ما جرى من الهزيمة والجراح، وقتل سبعين منهم في يوم أُحد، نجم النِّفاق، تكلم المنافقون بما تكلموا به، وظنوا بالله غير الحقِّ، قال جلَّ وعلا: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ هل لنا تصرف في هذا الأمر، ويقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] يعني: أننا مجبورون وليس لنا أمر، ولكن قادنا محمد إلى هذا الأمر، حتى وقع ما وقع، وهذا كله من جهلهم وضلالهم، وقلة بصيرتهم وعمى قلوبهم.

فلهذا ظنوا بالله ظن السوء، وظنوا أنَّما وقع لم يكن عن حكمة بالغة، وظنوا أنه لا ينصر رسوله، وأنَّ هذا النَّبِيّ سيضمحل أمره، وستكون الدائرة عليه، وظنوا أنَّ ما وقع لم يكن إلا بمجرد المشيئة، وصار ظنهم هذا يجمع بين سوء الظن بالله من جهة أنه لا ينصر أولياءه ولا ينصر رسوله، ومن جهة أنه لا يعمل عن حكمة، ولا تقع أفعاله عن حكمة، بل لمجرد المشيئة المجردة، هذا كله باطل.

ولهذا بيَّن الله في كتابه العظيم حكمه وأسراره فيما يفعله وفيما يقضيه وفيما يشرعه سبحانه وتعالى، وأنه يبتلي عباده بالسّراء والضّراء، والشدة والرخاء؛ ليبتليهم وليمحص ما في قلوب المؤمنين، ويمحق الكافرين وليتوب المذنبون إليه ويستغفروه، وليعدوا أنفسهم إعدادًا عظيمًا للقائه عز وجل والقيام بحقِّه سبحانه وتعالى.

قال جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٥ ـ ١٦٧].

فله الحكمة البالغة في ابتلاء هؤلاء وهؤلاء، فالمؤمنون يبتلون ليتمحص إيمانهم، ولتكفر سيئاتهم، وليعدوا العدة من جديد للقاء ربهم والاستقامة على دينه، وليحاسبوا أنفسهم بترك المعاصي والمخالفات، والمبادرة بالتوبة إلى الله ﷻ.

والكُفَّار يمحقون ويدمرون ويقطع دابرهم، والمنافقون يفضحون ويظهر خزيهم وباطلهم، فله الحكمة البالغة في كل شيء ﷻ، وربك هو الأحكم والأعلم جلَّ وعلا، فمن ظن أنه سبحانه يديل الباطل على الحقِّ إدالة مستقرة ويضمحل معها الحقِّ فقد أساء بالله الظن.

أمَّا كون المسلمين قد يقع عليهم هزيمة، قد يبتلون بقتل بعضهم، قد يبتلون بجراحات، هذا واقع، يبتليهم ليرفع درجاتهم، ويكفر سيئاتهم، ويضرعوا إليه، ويعدوا العدة، ويجتنبوا أسباب الهزيمة، ولهذا جرى عليهم ما جرى يوم أُحد، لكن ما أقر ذلك، بل نصرهم الله بعد ذلك، وأعزّهم، وقضى على عدوهم، وهزمهم يوم الأحزاب، وهزمهم يوم فتح مكة، وصارت الدائرة للمسلمين والعاقبة للمتقين.

ولكن أعداء الله من المنافقين قد فسدت قلوبهم، فلم يعقلوا الحقَّ ولم يفهموه، وأساءوا الظن بالله جلَّ وعلا، وبرسوله، وبالمؤمنين، وصارت الدائرة على أعداء الله، والهزيمة على أعداء الله، والنّصر والتوفيق لأولياء الله، كما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧] قال ﷻ: ﴿...وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وهذا الوعد لا يقدح فيه ما قد يقع من الهزيمة في بعض الأحيان من قتل بعض المؤمنين؛ ليتخذ منهم شهداء، وليمحص ما في قلوب المؤمنين، فهذا من حكمته سبحانه، ومن فضله على أوليائه، أن يمحصهم، ويعدهم إعدادًا أكمل، ويتخذ منهم شهداء، ويرفع درجاتهم في الآخرة، إلى غير

هذا من حكمته ﷻ ولأن النَّاس لو نصروا دائمًا ولم يصبهم شيء من الخلل لربما ابتلوا بالعُجب والكبرياء، وعدم الضروع لله، وعدم الاعتراف بتقصيرهم ونقصهم، ولربما ظنوا أن هذا بحيلتهم وقوتهم وأعمالهم، حين ابتلاهم الله بهذه الأشياء انكسرت نفوسهم، وعرفوا عيوبهم، وضرعوا إلى الله، وانقادوا لأمره، وتباعدوا عن أسباب غضبه ﷻ.

والواجب على المؤمن: أن يبحث عن نفسه، وأن ينظر إليها ويحاسبها؛ لعله يسلم من هذا البلاء، ولهذا قال المؤلف:

فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

يعني: لا أظنك ناجيًا، فمن بحث عن نفسه وجد عندها عيوبًا كثيرة، ووجد عندها اعتراضًا على القدر، ووجد عندها عُجبًا بنفسها وفي أعمالها، إلَّا من عصم ربك.

فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه ويجاهدها لعله ينجو، لعله يسلم من هذا البلاء الذي وقع فيه المنافقون، ووقع فيه ضعفاء الإيمان، ووقع فيه الكافرون، وأن يؤمن جازمًا أن ربه حكيم عليم، وأن ما يقضيه عن حكمة بالغة، وعن قدر سابق، وله فيه الحكمة البالغة والأسباب العظيمة من تهيئة عباده المؤمنين لما هو أفضل، ومن رفع درجاتهم، واتخاذ شهداء منهم، ومن تكفير سيئاتهم، ومن تنبيههم على أخطائهم، حتى يستعدوا وحتى يتوبوا، إلى غير هذا من الحكم والأسرار.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولــــى:** تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.
- **الـثـانـيـة:** تَفْسِيرُ آيَةِ الفَتْحِ.
- **الـثـالـثـة:** الإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لا تُحْصَرُ.
- **الـرابـعـة:** أنه لا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَن عَرَفَ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

٥٩- بَابُ ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدَيْهِ لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ».

ثم استدل بقول النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(١)] رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت؛ أنه قال لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[(٢)].

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تعالَى القَلَمُ، فَقَال لَهُ: اكْتُبْ. فَجَرى فِي تلك السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والقدر، برقم (٨) رواية ابن عمر عن أبيه عمر في قصة جبرائيل، وقد أخرج الشيخان ما استدل به ابن عمر من رواية أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الإيمان، باب في القدر، برقم (٤٧٠٢) والترمذي في كتاب القدر عن رسول الله ﷺ باب (١٧) برقم (٢١٥٥) وفي كتاب تفسير القرآن، باب (٦٧) من تفسير سورة «ن» برقم (٣٣٣١٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣١٧ برقم ٢٢٧٥٧) وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ١٠١، ١٠٢ برقم ١٠٦ ـ ١٠٩).

وفي رواية لابن وهب، قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنّار»[(١)].

وفي المسند والسنن، عن ابن الديلمي قال: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْك حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارَ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ وحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكُلُّهمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِك عَن النَّبِيِّ ﷺ حديث صحيح[(٢)] رواه الحاكم في صحيحه.

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا الباب فيما يتعلق بالقدر، لما كان الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، **وضع المؤلف** هذا الباب في «كتاب التوحيد» لأن ذلك مما يحصل به التوحيد، وينتفي به الكفر، ولهذا **قال**: «**باب ما جاء في منكري القدر**» يعني: من الوعيد الشديد، والتحذير الأكيد من إنكاره والتكذيب به.

قد كان المسلمون في عهده ﷺ قد آمنوا بالقدر، وسلموا لله أمره، ثم نبغت نابغة بعد ذلك في آخر عهد الصحابة وبعد ذلك، فأنكروا القدر، وقالوا: الأمر أُنفٌ، وزعموا أن في إثبات القدر خلافًا للعدل، وكيف تقدر الأمور، ثم يعاقب العاصي والكافر على ما فعله جهلًا منهم وضلالًا والتباسًا للأمر عليهم.

---

(١) أخرجه في كتاب «القدر» (١/ ١٢١ برقم ٢٦) تحقيق: عبد العزيز العثيم، الناشر دار السلطان بمكة، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في القدر، برقم (٤٦٩٩) وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، برقم (٧٧) والإمام أحمد في المسند (٥/ ١٨٥ برقم ٢١٦٥١) والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٤ برقم ٦٣٠٤).

أمَّا أهل الحقِّ من أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النَّبِيّ ﷺ ومن سار على نهجهم، فقد آمنوا بالقدر وصدقوه، وأن الله قدر المقادير، وكتبها سبحانه، فلا يقع في ملكه ما لا يريد، بل قدّر كل شيء وأحصى كل شيء، وهو العالم بكل شيء، وكان الإمام الشافعي محمد بن إدريس رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في شأن القدرية[١]: «ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا».

والمعنى: قولوا لهم: هل الله يعلم الأشياء قبل وجودها، فإذا قالوا: نعم، يعلمها قبل وجودها، فهذا هو القدر، القدر أن الله عَلِم الأشياء وكتبها عنده، ويعلمها قبل أن تقع، يعلم من يكفر ومن يعصي ومن يؤمن، ومن يطيع، يعلم كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن أنكروه، وقالوا: لا يعلم كفروا؛ لأنهم في هذه الحالة نسبوا الله إلى الجهل، والله يقول: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فمن نسب ربه إلى الجهل، وأنه لا يعلم الأشياء، فقد طعن فيه غاية الطعن، وتنقصه غاية التنقص، فيكون كافرًا، ولهذا ذهب جم غفير من أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة إلى كفر القدرية؛ لأنهم كذبوا بقدر الله، وأنكروا علمه في الحقيقة.

وصحَّ عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأله جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

وقد دلَّ على هذا كتاب الله، حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ

---

(١) القدرية: هم الذين ينكرون القدر، يقولون: إن أفعال العباد ومعاصيهم لا تدخل تحت قضاء الله وقدرته، سموا بذلك لتكذيبهم بالقدر، وأول من أظهر القول بالقدر في البصرة معبد الجهني. ينظر: الملل (١/ ٣١، ٣٤) والفرق بين الفرق (ص٦٨) والتعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي (١/ ٢٢٢ برقم ١١٢٦).

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠].

فهو ﷻ بيَّن كل شيء وقَدَّر كل شيء: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢] فقد دلَّ كتاب الله على سبق علمه بالأشياء، وهذا هو التقدير، وهذا هو القدر، ودلت السُّنَّة على ذلك، فمن أنكر ذلك وزعم أنه لا قدر، فهو كافر مُكذب لهذه النصوص، متعد لحدود الله، ناسب لربّه الجهل وعدم العلم.

ولهذا قال ابن عمر لما بلغوه عنهم، قال: «إِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي» فأنتم لستم منه وليس هو منكم، وقال: «**لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُم حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ**».

وهكذا قال زيد بن ثابت وأُبي بن كعب وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وهكذا قال أهل السُّنَّة والجماعة، فالواجب على كل مسلم وعلى كل مكلف يدخل في الإسلام أن يؤمن بالقدر، ويصدق بعلم الله بالأشياء، والإيمان بالقدر يشمل **أمورًا أربعة**:

يشمل علم الله بالأشياء، وكتابته لها، وأنه خالق كل شيء، ومقدر كل شيء، ومدبر كل شيء، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ﷻ.

وجميع المخلوقات هو الذي خلقها ﷻ، بمشيئته جلَّ وعلا، وحكمته ﷻ، وقدرته العظيمة، فلا بد من هذه الأمور الأربعة: الإيمان بعلم الله، وأنه علم كل شيء، وأنه كتب كل شيء، وأنه الخالق لكل شيء، وأنَّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هذه مراتب القدر الأربعة، من آمن بها فقد آمن بالقدر، ومن كذب بشيء منها فقد كذب بشيء من القدر.

وهكذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين قال: «**يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان**» يعني: راحة الإيمان وطمأنينته وذوقه، «**إلا بالإيمان بالقدر، وحتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» يعني: العبد إذا آمن بهذا، استراح قلبه واطمأن، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، ويعمل بما شرعه الله له، ويأخذ بالأسباب وهو مطمئن القلب، لن يصيبه إلا ما كتب الله له، فلا يلقي بنفسه إلى التهلكة، ولا يتعدى حدود ربه، بل يأخذ بالأسباب، ويعمل بالأسباب، ويتقي أسباب الشَّر، ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

وبيَّن له عُبادة أنه من مات على غير هذا فليس منه، وأنه قال: «**لَيْسَ مِنِّي**» أو قال: «**أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ**» كما في رواية ابن وهب[(١)]، فلا بدَّ من الإيمان بأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا تفسير القدر من باب تفسير الشيء ببعض معناه، فإنك إذا آمنت بأنه لم يصبك إلا ما كتب الله لك، فقد عرفت أن الله قدر الأشياء ومضى بها علمه سبحانه وتعالى.

«**وهكذا سأل ابن الديلمي**» وهو: عبد الله بن فيروز الديلمي، تابعي معروف[(٢)] سأل زيد بن ثابت وأُبي بن كعب وحذيفة بن اليمان وابن مسعود عن ذلك، فأخبروه أنه لن يؤمن إلا بالإيمان بالقدر، وأنه لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وأنه لا بد من الإيمان

---

(١) هو: الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، المصري الفقيه ثقة حافظ عابد، من التاسعة وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب القدر، مات سنة سبع وتسعين ومائتين هجرية، وله اثنتان وسبعون سنة، وأخرج له الجماعة. ينظر ترجمته في: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٧ برقم ٣٥٣٤).

(٢) فيروز الديلمي، يكنى أبا الضحاك، ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة، أخرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه. ينظر ترجمته في: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣١٧ برقم ٣٥٣٤).

بالقدر، وإلا فإن أعماله مُحبَطةٌ، وهذا يدل على أنهم اعتقدوا وأرادوا أنه يكفر بذلك؛ لأن الله قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فإن الذي لا تقبل أعماله ولا تقبل نفقاته هو الكافر، الذي لم يتحقق فيه الإيمان، فمن أنكر القدر فقد أخلَّ بشيء من الإيمان، وبركن من أركان الإيمان، فحينئذ لا تقبل أعماله ولا تقبل نفقاته، حتى يؤمن بالقدر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

هذا هو الواجب على المسلمين جميعًا: أن يؤمنوا بأن الله علم الأشياء وأحصاها قبل أن تكون، وكتبها، وأنه هو الخلاق العليم، الله خالق كل شيء سبحانه، وأن ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣] فهو سبحانه المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، والخالق لكل شيء، ومدبر كل شيء سبحانه وتعالى، فعلى العبد أن يؤمن بذلك ويصدق بذلك.

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند مسلم، قال ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**»(١) فالأمر قد أُحكم، ومضى به علم الله، وكتابته سبحانه، وهو الخلاق ومدبر الأمور، خالق الأشياء مصرفها كما يشاء، على ما قدرها عليه سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

(١) أخرجه في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

فكل شيء قد قدره وأحصاه، وكتبه وعلمه، فلا يخرج عن ملكه ما لا يريد، ولا يقع في ملكه ما لا يريد، بل كل شيء تحت تصرفه وتدبيره ومشيئته ﷻ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا هو عقد أهل السُّنَّة والجماعة، من استقام عليه فقد استقام على الحقِّ، ومن حاد عنه فقد حاد عن الحقِّ، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** بَيَانُ فَرْضِ الإِيمَانِ بِالقَدَرِ.
- **الثانية:** بَيَانُ كَيْفَيَّةِ الإِيمَانِ.
- **الثالثة:** إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.
- **الرابعة:** الإِخْبَارُ أَنَّ أَحَدًا لا يَجِدُ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ.
- **الخامسة:** ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ.
- **السادسة:** أنه جَرَى بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
- **السابعة:** بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.
- **الثامنة:** عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ.
- **التاسعة:** أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ عَنْهُ الشُّبْهَةَ، وَذَلِكَ أنهمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَطْ.

٦٠- بَابُ ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلقوا شَعِيرَةً»[(١)] أخرجاه.

ولهما، عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ»[(٢)].

ولهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا في جَهَنَّمَ»[(٣)].

ولهما، عنه مرفوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[(٤)].

ولمسلم، عن أبي الهياج، قال: قال لي علي رضي الله عنه: «أَلَا أَبْعَثُكَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور، برقم (٥٩٥٣) وفي كتاب التوحيد، برقم (٧٥٥٩) ومسلم مختصرًا في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان...، برقم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير، برقم (٥٩٥٤) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، برقم (٢١٠٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب في التصاوير، برقم (٢٢٢٥) وفي كتاب اللباس، باب من صور صورة، برقم (٥٩٦٣) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان...، برقم (٢١١٠).

(٤) ينظر تخريجه في: الحاشية السابقة.

عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَها وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»(١).

قال الشارح رَحِمَهُ اللهُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: «**باب ما جاء في المصورين**» **عقد المؤلف** هذا الباب، في «**كتاب التوحيد**» هذا الكتاب العظيم الذي ألفه لبيان توحيد العبادة وبيان ما ينافيه من الشِّرك الأكبر والأصغر، وبيان بعض أنواع من الشِّرك، وأنواع من البدع، وأنواع من المعاصي التي تقدح في التوحيد، وتنقص ثواب أهله.

ومن جملة ذلك: ما يتعلق بالتصوير؛ لكونه من الكبائر التي تنقص درجة الموحدين، وتعرضهم لغضب الله، وتعرضهم للنَّار، ولهذا ذكر هذا الباب في هذا الكتاب، تحذيرًا لأهل التوحيد وأهل الإيمان من هذه المعصية التي تنقص إيمانهم وتضعف إيمانهم.

والمصورون: هم الذين يضاهون بخلق الله في تصوير الحيوانات، سواء باليد أو بأي آلة، إذا كان المُصوَّر من ذوات الأرواح من بني آدم، أو من غيرهم، كالطيور والحيوانات الأخرى، والتصوير من الكبائر، وفيه من الوعيد ما فيه، وقد ذكر فيه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ خمسة أحاديث، كلها صحيحة، مخرجة في الصَّحيحين، ما عدا الأخير الذي انفرد به مسلم، تحذيرًا لأهل التوحيد ولأهل الإيمان من هذه المعصية التي تنقص إيمانهم وتضعف إيمانهم.

الحديث الأول: يقول ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» متفق عليه، والمعنى: لا أحد أظلم، هذه العبارة «**وَمَنْ أَظْلَمُ**» استفهام معناه: النفي؛ يعني: لا أحد أظلم من هذا العامل، والمراد التهديد، والتنفير

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، برقم (٩٦٩).

من هذا العمل، ولهذا جاء في القرآن في مواضع: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها هذا الأسلوب العظيم، المحذِّر، المنفِّر من العمل الذي ذكر في هذه الآيات.

وهكذا هنا، يقول الله ﷻ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» يعني: يصور كتصويري «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً» يعني: إن كان عندهم قوة، فليخلقوا ذرة من هذه الذَّرات المعروفة يكون لها صفات هذه الذَّرة من العقل والشم والمشي وغير ذلك من خصائصها، وهي حيوان صغير، لكن فيها عجائب وغرائب، فإن كان عندهم قدرة، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة لها شأنها في الإنبات والنفع للناس، أو شعيرة، حتى في الجماد قد يعجزون عن هذا الشيء، فكيف بالحيوانات.

فالمقصود: أن مخلوقات الربِّ التي لها خصائصها لا يستطيعها العباد، فالواجب أن يقف الإنسان عند حده، وأن يتقيَ الله في ذلك، وأن يحذر أن يقع في محارم الله فيهلك، ويخسر الدنيا والآخرة.

والحديث الثاني: حديث عائشة: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذابًا يَومَ القِيامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلقِ الله» وفي اللفظ الآخر: عنها ﵂: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُون يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: احْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(١) وفي اللفظ الآخر: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»(٢).

والحديث الثالث: عن ابن عباس «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب التجَارة فيما يكره لبسه لِلرِّجال والنِّساء، برقم (٢١٠٥) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان...، برقم (٢١٠٧).

(٢) متفق عليه عن عبد الله بن مسعود ﵁، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، برقم (٥٩٥٠) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان...، برقم (٢١٠٩).

بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» وفي اللفظ الآخر: **«مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»** هذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها تدل على أن التصوير من الكبائر.

وقد أجمع العلماء على ذلك، أجمع أهل العلم على أن تصوير ذوات الأرواح كبيرة من الكبائر، ومن المحرمات إذا كان له ظل، أمَّا إذا كان لا ظل له كالصور في الجدران، وفي الألواح أو في الملابس، أو في القراطيس، فقد خالف في هذا بعض التابعين، وأجمع الأئمة الأربعة والجمهور على أنه محرم أيضًا كالذي له ظل.

وقول الجمهور هو الصواب؛ لأن الأحاديث عامة، تعم ما له ظل وما لا ظل له، وتعم التصوير الشمسي المعروف الآن بالفتوغرافي، وتعم غيره، فإنها أحاديث عامة، وقد دَلَّ على عمومها قوله ﷺ لمَّا قدمَ على عائشة ذات يوم فرأى في البيت سترًا فيه تصوير فهتكه وغضب، وقال: **«إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»**.

والستر ليس فيه روح وهو من جنسه التصوير الشمسي، ويدل عليه أيضًا ما وقع في يوم الفتح من محوه الصور التي في جدران الكعبة، الذي قدَّمه له أسامة أو غيره، ومحا الصور التي كانت هناك، فالمقصود: أنه يعمُّ ما له ظل وما لا ظل له.

فالواجب الحذر من ذلك، وأن يبتعد المؤمن عن هذه المعاصي، ويحذرها لما فيها من تعرض لغضب الله وعقابه ﷻ.

قوله ﷺ لعلي(١): **«وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»** ولذلك يجب إزالتها

---

(١) في حديث أبي الهياج عن علي عن النبي ﷺ. وأبو الهياج هو: حبان بن حصين الأسدي الكوفي ثقة من الثالثة، أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي، انظر ترجمته في: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٨٤ برقم ١٥٩٦ وفي الكنى ص٦٨١).

وطمسها لقوله: «**لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَها**» يعني: أزلتها وغيَّرتها، والطمس يكون بالمحو، ويكون بإزالتها وإتلافها، قوله: «**وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا**» يعني: مرتفعًا بارزًا «**إِلَّا سَوَّيْتَهُ**» لأنَّ الرسول ﷺ نهى عن البناء على القبور؛ لأنها من وسائل الشِّرك.

وهكذا الصور من وسائل الشِّرك، ولهذا وقع الشِّرك في قوم نوح بأسباب الصور، لما صوروا ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، لما صوروا هذه الصور، ونصبوها في مجالس أهلها، دس عليهم الشَّيطان أن هؤلاء لهم شأن، وأنهم ينفعون من سأل بهم الله، ومن يتوسل بهم، وأنه يستسقى بهم، ويستغاث بهم، حتى وقع الشِّرك نعوذ بالله.

فأصل الصور وسيلة للشِّرك، ومضاهاة لخلق الله، والبناء على القبور كذلك وسيلة للشِّرك، وتعظيم الموتى كما قد وقع ذلك من الناس، لما صوروا، ولما بنوا وقع الشِّرك، فالواجب الحذر، والواجب على ولاة الأمور وعلى عامة الناس الحذر من هذه الأشياء، والبعد عنها؛ طاعة لله ورسوله، وحذرًا من إيقاع الناس في الشِّرك ووسائله التي وقع فيها من قبلنا من قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيرهم.

أمَّا ما يتعلق بما وقع فيه الناس اليوم من الحاجة إلى بعض الصور، فهذا يقيد بقيده، من باب الإكراه؛ يعني: إذا اضطر إلى ذلك، فهو من باب أن يكره على الشيء في أخذ حفيظة النفوس أو ما أشبه ذلك مما قد يضطر إليه، فيكون ذلك وهو غير راض، وكاره لهذا الشيء، لكن للضرورة إليه.

وهي أيضًا تمنع دخول الملائكة، كما في الحديث الصَّحيح: «**لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ**»[(١)] لكن يستثنى من ذلك ما يكون

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس عن أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة فِي السَّمَاءِ...، برقم (٣٢٢٥) ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان =

ممتهنًا، ولا يجوز تصويره ولو ممتهنًا، لكن إذا استعمل ممتهنًا في الفراش، لا يمنع من دخول الملائكة، كما أن الكلب الذي للحرث والزرع والماشية لا يمنع من دخول الملائكة؛ لأنه مأذون فيه، ومرخص فيه، فهكذا القول فيما يمتهن لا يمنع من دخول الملائكة، لكن لا يجوز التصوير، ليس للمصور أن يصور، لكن لو اشترى البساط أو الوسادة وفيها تصوير وامتهنها، لا يضر ذلك، وفق الله الجميع.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** ما المقصود بـ«**مَنْ أَظْلَمُ**» في نصوص القرآن والسُّنَّة، كقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤] وكقوله ﷺ: «**وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**؟»

○ **الجواب:** لكل مقام له ما يناسبه من مقال ويدل عليه، و«**مَنْ أَظْلَمُ**» يدل على التحريم وهذه الصيغة صيغة مبالغة، واستفهام معناه النفي، تدل على شدة التحريم.

• **السؤال:** ما حكم تصوير المجاهدين ونشر صورهم، هل تدخل في النهي؟

○ **الجواب:** نعم داخلة في النهي، يكفي الجهاد بدون الصور، وكذلك التصوير في أشرطة الفيديو ليس له لزوم.

• **السؤال:** من العلماء المعاصرين: من يرى إن الصور الشمسية هي حبس للظل؟

○ **الجواب:** هذه هي المكابرة، أقول: هي صورة، وتدخل في عموم النهي.

= وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، وأن الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يدخلون بيتًا فيه صورة ولا كلب، برقم (٢١٠٦).

• **السؤال:** تسجيل المحاضرات وتصويرها بالفيديو والتلفاز، ونقلها إلى صالات أخرى أو دول ما حكم ذلك شرعًا[(١)]؟

○ **الجواب:** أصل التصوير لذوات الأرواح أنه ممنوع محرم لا يجوز، لورود الأحاديث بلعن المصورين وتوعدهم بالعذاب، كما ذكر في هذا الباب، لكن التصوير إذا دعت الضرورة إليه كالصورة للحفيظة ورخصة القيادة وأشباه ذلك نرجو أن لا يكون به حرج، لقول الله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [١١٩] أما من دون ضرورة فلا يجوز[(٢)].

ومثل الصور رسم ذوات الأرواح محرم، ويستثنى منه ما تدعو الضرورة إليه، كرسم صور المجرمين حتى يعرفوا وحتى يمسكوا، أو الصورة التي لا بد منها ولا يستطيع الحصول عليها إلا بذلك، وهكذا ما تدعو الضرورة إليه من سوى ذلك، فإذا رأى ولي الأمر أن هذا الشيء مما تدعو الضرورة إلى تصويره لخطورته ولقصد سلامة المسلمين من شره حتى يعرف أو لأسباب أخرى فلا بأس[(٣)].

ومما يلحق بالضرورة تصوير المحاضرات، كنت أكره ذلك كثيرًا عمدتي في ذلك على الأحاديث الواردة فيه، لكن تأملت الموضوع ورأيت أن مثل هذا فيما يتعلق بوجود المحاضرات والندوات التي تنقل من إقليم إلى إقليم ومن بلاد إلى بلاد أرجو أن لا يحرم ذلك، وأن لا يضر ذلك؛ لأن هذا أهم من التابعية ومن جنس رخصة القيادة وأشباه

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز (٩/ ٣٩٠) جمع د. الشويعر وينظر: (٤/ ٢١٠ ـ ٢٢٥).

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ ابن باز (٩/ ٣٩٠).

(٣) فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ ابن باز (١/ ٣٠٢ س١٣٤) جمع د. الطيار والشيخ الموسى.

ذلك التي قلنا يباح فيها الصور للضرورة(١).

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.
- **الثانية:** التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ، وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ الله، لِقَوْلِهِ: «**وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**».
- **الثالثة:** التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً**».
- **الرابعة:** التَّصْرِيحُ بِأنهمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.
- **الخامسة:** أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ.
- **السادسة:** أنه يُكَلَّفُ أَن يَنْفُخَ فِيهَا الرَّوحَ.
- **السابعة:** الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

* * *

(١) ينظر: حديث المساء لسماحته (ص٤١٢ ـ ٤١٤) والغزو الفكري له (ص٤٨ ـ ٥٢) جمع صلاح الدين عثمان تحت إشراف: مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية.

٦١- بَابُ ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ للكَسْبِ»(١) أخرجاه.

وعن سلمان رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكلِمُهُم اللهُ، ولَا يُزَكِيهِمْ وَلَهمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ الله بِضَاعَته، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»(٢) رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصَّحيح، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَال عمران: فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مرتين أَوْ ثَلاثًا: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦] برقم (٢٠٨٧) ومسلم في كتاب البيوع، باب النهي عن الحلف في البيع، برقم (١٦٠٦).

(٢) في المعجم الكبير (٦/ ٢٤٦ برقم ٦١١١) وفي الأوسط (٥/ ٣٦٧ برقم ٥٥٧٧) وفي الصغير (١/ ٨٢ برقم ٨٢١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله رجال الصحيح (٤/ ٩٢ برقم ٦٣٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، برقم (٣٦٥١) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم رقم (٢٥٣٥).

وفيه، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» وقال إبراهيم: «كَانُوا يَضْرِبُونَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَنَحْنُ صِغَار»(١).

قال الشارح رحمه الله:

قال المؤلف رحمه الله: **«باب ما جاء في كثرة الحلف»** **أراد المؤلف** بهذا الباب بيان: أن كثرة الحلف نقص في الإيمان، ونقص في التوحيد؛ لأن كثرة الحلف تفضي إلى **شيئين**:

أحدهما: التساهل في ذلك، وعدم المبالاة. والشيء **الثاني**: الكذب.

فإن من كثرت أيمانه وقع في الكذب، فينبغي التقليل من ذلك وعدم الإكثار من الأيمان، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] هذا الأمر للوجوب، يجب حفظ اليمين إلَّا من حاجة لها؛ فالمؤمن يحفظها ويصونها إلَّا من حاجة لمصلحة شرعية، أو عند الخصومة والحاجة إليها، ونحو ذلك، ولا يكثر منها، فإنه متى أكثر وقع في الكذب، ووقع في التساهل، وظُنَّ به الكذب.

ذكر المؤلف رحمه الله هنا أربعة أحاديث، وأثرًا عن إبراهيم.

الحديث الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ؛ أنه قال: **«الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْكسبِ»** وفي اللَّفظ الآخر: **«مُمْحِقَةٌ لِلرِّبْحِ»** وهو حديث عظيم صحيح، يدل على أن كثرة الحلف من أسباب الوقوع في الخطأ، فهو يعتني باليمين لينفق السلعة، ولكنه يقع في الخطر وهو محق الكسب وقلة البركة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، برقم (٣٦٤٥٢) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصَّحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٣).

فالحلف منفقة للسلعة؛ يعني: مُروِّجٌ لها، إذا حلف، والله إن هذه بكذا، والله أنها تسوى كذا، والله أنها طيبة، والله والله، والله يَغرُّ الراغب، يَغرُّ الناس الذين يسومون منه، وربما صدقوه فاشتروها، ولكنها ممحقة للكسب، ممحقة لربحه الذي يتعاطاه بسبب تساهله في هذه اليمين.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكلِمُهُم اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَومَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: المُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالمَنَّانُ فِيمَا أَعْطَى، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الكَاذِبِ**»[(١)] نسأل الله العافية، خرَّجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر، هذا يدل على أن تنفيق السلع بالحلف قد يُوقع في الكذب، وقد يقع في الصدق، لكن كثرة الأيمان توقعه في الكذب، وربما جره الطمع، وساقه إلى أن يكذب، فالواجب الحذر، ثم هذه الأيمان من أسباب محق البركة، ومن أسباب الوقوع فيما حرَّم الله، فليحذرها المؤمن.

وهكذا الحديث الثاني: حديث سلمان الفارسي أبو عبد الله رضي الله عنه[(٢)]، عن النَّبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكلِمُهُم اللهُ، ولَا يُزَكِيهِمْ وَلَهمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أُشَيْمِطٌ زَانٍ**» أشيمط؛ يعني: شيخ، قد شمطه الشيب، «**وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» يعني: فقير مستكبر، مع فقره يتكبر، الغني قد يتكبر لأجل المال، ولكن الفقير ما الذي يدعوه إلى التكبر إلا أنه سجية له، وشيء استقر في قلبه نعوذ بالله.

---

(١) أخرجه عن أبي ذر رضي الله عنه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، برقم (١٠٦).

(٢) سلمان الفارسي صحابي، ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، أول مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين ويقال: بلغ الثلاثمائة أخرج الجماعة. ينظر: التقريب (ص٢٤٦ برقم ٢٤٧٧).

«وَرَجُلٌ جَعَلَ الله بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ» فهذا فيه الحذر من هذه الخصال، وأن الزنا قبيح ومنكر ولا سيما من الشيخ، فإنه أكبر وأقبح، فالشاب قد يؤوب إلى رشده، قد يتوب، ولكن الشيخ ما الذي حمله إلَّا أن هذا شيء استقر عليه، وبقي في قلبه، وعاش عليه، نعوذ بالله من ذلك، تكون الجريمة أعظم وأكبر، والإثم أشد.

وهكذا العائل الفقير، الغني قد يتوب، وقد ينتبه إذا زال ماله، لكن هذا الفقير لماذا يتكبر؟ هذا يدل على أن الداعي في قلبه كبير، قال العلماء: وهذا يدل على عظم الذنب مع قلة الداعي وضعف الداعي، فإن الشيب من أسباب ضعف الدعوة إلى الفاحشة وإلى الجماع، والشاب أقوى، فإذا كان يعتاد الزنا مع شيبته دل على أنها سجية له، وأن هذا الشيء مستقر في قلبه، نسأل الله العافية.

وهكذا العائل يتكبر مع فقره، هذا يدل على أن الكبر سجية له، وأنه صفة ملازمة له، نسأل الله العافية.

وهكذا الرجل الذي جعل الله بضاعته **وهو الشاهد في الباب** كونه لا يبيع إلَّا بيمينه، ولا يشتري إلَّا بيمينه، هذا فيه وعيد على هذا العمل، وما ذاك إلا لأن هذا العمل يجره إلى الكذب، ويوقعه في الحرام، إذا اعتاد ذلك واستكثر من ذلك، وقع في الكذب.

وهكذا الحديث الثالث: حديث عمران بن حصين ﵁، يقول النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» يعني: القرن الثاني والثالث، قال عمران: «فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً» لكن المحفوظ مرتين فقط، هذا المحفوظ من حديث عمران، كما رواه أحمد في المسند(١)، ومن حديث ابن مسعود ﵁ كما هنا «خَيْرُ النَّاسِ

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٤٢٦، ٤٣٦، ٤٤٠ برقم ١٩٨٣٣، ١٩٨٣٦، ١٩٩٢٠، ١٩٩٦٧).

قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»(١).

قال في حديث عمران رضي الله عنه: **«ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»** تتغير الأحوال بعد القرون المفضلة الثلاث، حتى توجد الخيانة، ويوجد عدم الوفاء بالنذر، وتوجد شهادة الزور؛ يعني: تكثر بعد القرون المفضلة؛ لضعف الإيمان، وغلبة الجهل، وكثرة الأخلاط، الذين تضر خلطتهم، فلهذا توجد شهادة الزور، فيشهد وهو ما استشهد يشهد كذبًا، لطمع أو قرابة أو عداوة، ويخون ولا يؤتمن في أمانته وفي سائر أموره؛ لضعف الإيمان أو عدم الإيمان.

وينذر ولا يوفي بنذر الطاعات، والله مدح المؤمنين بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] والنَّبِيُّ ﷺ قال: **«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ»**(٢) فالواجب الوفاء بنذر الطاعة، فمن نذر طاعة لله وجب عليه الوفاء.

والنذر لا ينبغي؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهى عن النَّذر، وقال: **«إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ»**(٣) وقال: **«لَا تَنْذُرُوا فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يردُّ مِنَ قَدَرِ الله شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»**(٤). فلا ينبغي النَّذر، ولكن إذا نذر طاعة لله فعليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، برقم (٢٦٥٢) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٣).

(٢) سبق تخريجه في: صفحة (ص١٣١) وتوثيق ترجمتها في (ص١٣٣).

(٣) متفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وتمامه: **«وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ»** أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء النَّذر العبد إلى القدر، برقم (٦٦٠٨) ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، برقم (١٦٣٩).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء النَّذر العبد إلى القدر، برقم (٦٦٠٨) ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا، برقم (١٦٤٠).

الوفاء، كأن ينذر لله أن يصلي كذا ركعة أو أن يصوم كذا يومًا أو أن يتصدق بكذا وكذا، فليوفي بنذره، إذا كان نذرًا يوافق الشَّرع، طاعة لله ﷻ.

أمَّا إذا نذر أن يشرب الخمر، أو يعق والديه، أو يقطع الرحم، أو يقطع الطريق، هذه نذور باطلة، معصية لله، لا يجوز الوفاء بها، وأن عليه كفارة يمين، هذا هو الصَّواب، ولا يجوز له الوفاء بهذه النذور التي فيها معصية لله ومخالفة للشَّرع.

وفي حديث عمران رضي الله عنه قوله: «**وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**» يعني: بسبب إقبالهم على الدُّنيا، واجتهادهم في التَّنعم بنعيمها يغلب عليهم السمن؛ يعني: سمن الأجسام؛ لعظم الغفلة، وكثرة الشهوات والنعم فيكثر السمن، وهذا واقع في الناس.

ولكن لا يلزم أن يكون كل من كان سمينًا أن يكون عاصيًا، لا، قد يقع السمن في أناس طيبين، لكن مراد النَّبيّ ﷺ أن هذا يغلب على الناس، يكثر فيهم، بسبب إقبال الناس على الدنيا، وكثرة التنعم بها يكثر السمن ويظهر في الناس بسبب هذا الأمر.

وهو إشارة إلى الغفلة والإعراض، وقلة الاستعداد للآخرة؛ فلهذا تعظم الأبدان، ويكثر السمن في الناس من هذه الحيثية، ولا يلزم من هذا ـ كما تقدم ـ أن يكون كل سمين فيه شر، لا، قد يكون سمينًا، وقد يكون من خيرة الناس، كما وقع في الأولين.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» هذا يعم الناس كلهم، خير الناس الصَّحابة، أصحاب النَّبيّ ﷺ بعد الأنبياء عليهم السلام، ثم الذين يلونهم التابعون، ثم أتباع التابعين، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته من قلة مبالاته واستهتاره، وعدم مبالاته بالأيمان والشهادات، لا يبالي، يشهد، أو يحلف؛ لقلة إيمانه وضعف إيمانه.

وأمَّا المؤمن يحترم اليمين، يحترم الشهادة، ولا يشهد إلا عن صدق، ولا يحلف إلا عن حاجة.

«**قال إبراهيم**» يعني: النخعي، هو: إبراهيم بن يزيد النخعي، تابعي صغير رَحِمَهُ اللهُ[(١)]: «**وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ**» يعني: كان السلف يؤدبون أولادهم إذا قالوا: أشهد ويحلف، ويقول: عهد الله، يضربونه، حتى لا يعتاد هذا إذا كبر، فيسهل عليه الأيمان الفاجرة، والعهود الظالمة، والشهادة الرديئة؛ يعني: يؤدبونهم ويوجهونهم، حتى لا يتكلموا بهذا إلا على بصيرة؛ لأن الصبي إذا اعتاد هذا في صغره، قد يتساهل به في كبره، ولا يتحرى الصدق، وهذا من دلائل عناية السلف بالأخلاق الفاضلة، وحرصهم على تربية الأولاد على الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة.

وهذا هو الواجب على المؤمنين، أن يربوا أولادهم على الأخلاق الفاضلة، وأن يعتنوا بهم حتى لا يعتادوا ما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ، وحتى لا يتساهلوا فيما يجب احترامه أو يجب اجتنابه، رزق الله الجميع التّوفيق والهداية.

؟ الأسئلة:

• **السؤال:** رجل حلف أو حرّم امرأته بأن قال: علي الحرام، والطلاق أني لا أقعد في هذه المنطقة، ثم قعد لمصلحة، فما يلزمه؟ وهل هناك فرق بين الجمع بين لفظ: الحرام والطلاق، أو قال أحدهما؟

○ **الجواب:** إن كان الحالف قصده منع نفسه من الجلوس، ولا يقصد فراقها، أو وحرم أنه لا يبقى معها في الدار أو في مكان واحد، عليه كفارة يمين: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، هذا هو الصواب، ولا عليه شيء؛ لأن الأعمال بالنّية.

---

(١) سبقت توثيق إحالة ترجمته في (ص ١٠٤).

• **السؤال:** ما مقدار إطعام كفارة اليمين؟

○ **الجواب:** نصف صاع، ما يقارب كيلو ونصف تقريبًا.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولـــــى:** الوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ.

• **الـثـانـية:** الإِخْبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.

• **الـثـالـثـة:** الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ.

• **الـرابـعـة:** التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

• **الـخـامـسـة:** ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.

• **الـسـادسـة:** ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى القُرُونِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

• **الـسـابـعـة:** ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

• **الـثـامـنـة:** كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ.

٦٢- بَابُ ما جاء في ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل: ٩١].

وعن بريدة قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَن مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرًا، فقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَن كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِن أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِمْ إِلَى دَارِ المُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنهمْ إِن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى المُهَاجِرِينَ، فَإِن أَبَوْا أَن يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أنهمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الَّذِي يَجْرِي عَلَى المُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ.

فَإِن هُمْ أَبَوْا فَاسَأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِن هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَن تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَن تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِن أَن تُخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رَسُولِهِ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ الله فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ الله وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ الله أَمْ لا»[(١)] رواه مسلم.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **«باب ما جاء في ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه»** يعني: باب ما جاء فيه من تعظيمهما، والتحذير من إخفارهما، والتحذير أيضًا من جعلهما للنَّاس؛ لأنَّ جعلهما للنَّاس وسيلة إلى إخفارهما؛ أي: نقضهما، فليس لولاة الأمور أن يجعلوا للنَّاس ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، ولكن يجعل لهم ذمَّة الأمير، والرئيس، والملك وأصحابه.

وهذا من باب تعظيم ذمَّة الله، وتعظيم ذمة نبيِّه ﷺ وهذا من مقام إكمال التوحيد، وإكمال الإيمان، ولهذا **ذكر المؤلف** هذه الترجمة هنا في كتاب التوحيد؛ لأنَّ تعظيم ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه ﷺ من كمال الإيمان، ومن كمال التوحيد؛ ولأنَّ إخفارهما نقص في التوحيد، ونقص في الإيمان، وضعف في الإيمان، ووسيلة للتلاعب.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] يعني: إذا عاهدتم أحدًا فأوفوا، فلو جعل ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، فالواجب أن يوفي، وإن كان أخطأ في جعل ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه ليس له أن يجعل ذلك، لكن عليه أن يوفي بذلك، ولا يخفر، ينقض، والإخفار: النقض، أخفر: نقض وغدر.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ فمن عاهد بذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، فالواجب عليه أن يوفي، وأن لا يخفر ولا يغدر ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] يعني: لا تنقضوا العهود بعدما أن

---

(١) أخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، برقم (١٧٣١).

أكدتموها بالأيمان الشديدة والمعاهدة، بل أوفوا، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

ويقول النَّبِيُّ ﷺ: «**يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ يَوْمَ القِيَامَةِ لِوَاءٌ عِندَ اسْتِهِ، يُنادَى عَلَيْهِ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنُ فُلانٍ**»(١) وهذا فيه وعيدٌ عظيم، يدل على وجوب الوفاء بالعهود، وتحريم نقض العهود، والغدر.

ثم **ذكر المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢) المخرج في صحيح مسلم، قال: «كان النَّبِيُّ ﷺ **إِذَا بَعَثَ بَعْثًا أَوْ أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ يُوصِيهِ بِتَقْوَى اللهِ**» يعني: إذا أرسل الجيوش وأمَّر عليهم، كان ﷺ يوصي الأمراء والجيش بتقوى الله، يوصي الأمير في خاصة نفسه بنفسه، وبمن معه من المسلمين خيرًا، ويقول له: اتق الله فيهم، أرفق بهم، لاحظ حاجاتهم إلى غير هذا من الوصايا التي تنفعهم، وهذا هو الواجب على ولاة الأمور عند تعيين الأمراء.

ثُمَّ يقَولَ له: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**» كانت هذه وصاياه ﷺ لأمراء الجيش والسرايا التي يبعثها للجهاد، يوصيهم جميعًا بتقوى الله، وأن لا يغلوا: والغلول السرقة من الغنائم قبل قسمتها، وأن لا يغدروا: إذا أعطوا عهدًا لا ينقضوه، وإذا انتصروا على الأعداء أن لا يمثلوا بقطع الأيدي والأرجل، أو الأنوف والآذان، بل إذا قتلت فأحسن القتلة، ولا يقتلوا الصبيان ولا النساء في الحرب، إلَّا إذا قاتلوا.

هكذا كان يوصيهم أن يستقيموا على طريق شرع الله، وأن يحذروا ما حرم الله عليهم جلَّ وعلا، ويوصيهم أن يعتمدوا في غزوهم وجهادهم

---

(١) متفق عليه بنحوه عن ابن عمر، دون قوله: «**عِندَ اسْتِهِ**» أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، برقم (٦١٧٨) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، برقم (١٧٣٨).

(٢) سبق توثيق إحالة ترجمته في: صفحة (٤٩).

ثلاثة أمور: الدعوة إلى الإسلام، أو إعطاء الجزية، أو المقاتلة، قال ﷺ: «إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَال أو خِلَالٍ» شك من الراوي هل قال: خصال أو خلال؟ والمعنى واحد، الخلال هي الخصال، لكن من باب عناية الرواة وتحفظهم وحرصهم على أداء الرواية، كما سمعوا رحمهم الله، قال: «فأَيَتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُم وَكُفَّ عَنْهُم».

الخصلة الأولى: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ» أولًا: ادعهم أن يسلموا، إلى أن يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويدينوا بالإسلام هذا أول شيء يجب أن يُدعى إليه الكُفَّار، كما أمر النَّبِيُّ ﷺ معاذًا رضي الله عنه[(١)] لما بعثه إلى اليمن أمره أولًا أن يدعوهم إلى الشهادتين، هذا أول شيء يجب، فإذا أجابوا دخلوا في الإسلام، ثم أمره أن يعلمهم أركان صلاتهم وغيرها من أركان الدين.

«فَإِن أَجَابُوكَ لذلك، فادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِن دَارِهِمْ إِلَى دَارِ المُهَاجِرِينَ» يعني: من الأعراب إلى دار المهاجرين «وَأَخْبِرْهُمْ أنهم إِن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى المُهَاجِرِينَ، فَإِن أَبَوْا أَن يَتَحَوَّلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أنهم يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله» في الأوامر والنواهي «وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَن يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ» من بقي في الأعرابية لا يكون له حقٌّ في بيت المال، ولا يكون له حقٌّ فيما يحصل من الغنائم حتى يجاهد مع المسلمين.

الخصلة الثانية: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ، فَاسَأَلْهُمُ الجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ إِلَى الجِزْيَةِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ» ويبقون على دينهم، وهذا في حقِّ اليهود والنصارى والمجوس.

---

(١) سبق توثيق إحالة ترجمته في: صفحة (٢٧). وينظر: تخريج الحديث في صفحة (٦٧).

كما قال الله ﷻ في سورة براءة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وهذا الموضع مما قيدت به السُّنَّة بالكتاب، حيث جاءت السُّنَّة مطلقة في أخذ الجزية، وجاء الكتاب مقيدًا لها بأهل الكتاب، فالسُّنَّة هنا مقيدة بالكتاب العزيز في أخذ الجزية، وقد ألحق النَّبيُّ ﷺ بأهل الكتاب المجوس، وجعلهم كاليهود والنصارى في أخذ الجزية فقط[(١)] لا في حل الطعام والنِّساء، بل في أخذ الجزية فقط.

الخصلة الثالثة: القتال: إذا لم يسلموا ولم يقبلوا بأداء الجزية: «**فَاسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ**» هذا فيه وجوب الاستعانة بالله، وأن المسلمين يستعينون بربهم في قتال أعدائهم، ولا يعتمدون على قواهم وأنفسهم، بل يستعينون بالله ويسألوه النَّصر، ويضرَّعوا إليه، ويستقيموا على دينه حتى ينصرهم ﷻ.

ثُمَّ بيَّن له ماذا يفعل إذا حاصر أهل الحصون، فقال: «**وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ**» الحصون: هي الأبنية والقلاع المبنية التي كان يتحصن فيها أهل الكتاب في الغالب، من القرى والمدن وأشباههما، أمَّا الأعراب ففي الغالب يقطنون في البوادي والصحاري.

قوله: «**فَأَرَادُوكَ أَن تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَن تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِن أَن تُخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رَسُولِهِ**».

قوله: «**تُخْفِرُوا**» هذا من الفعل الرباعي: أخفر يخفر، مثل: أعلم

---

(١) حيث قال ﷺ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ**» أخرجه عن عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ الإمام مالك في الموطأ في كتاب الصدقة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، برقم (٤١).

يُعلم، وأكرم يُكرم، فالإخفار: مصدر أخفر مثل: إعلام مصدر أعلم، والإكرام مصدر أكرم، والإخفار: كما تقدم، هو نقض العهد(١).

بخلاف الخفر الثلاثي، فإنه الحماية والنصر، يُقال: خفره يخفُره ويخفِره إذا حماه ونصره، وفلان يخفر آل فلان يحميهم وينصرهم ويحوطهم، وإذا جاءت بلفظ أخفر؛ يعني: أزال حمايته ونقض عهده، وخافر القوم الذي يمشي معهم هو الذي يحميهم، وكانت العرب إذا جاءت في بلاد غير بلادها، أخذوا خفيرًا من القبيلة التي قدموا إليها، حتى يحميهم من جماعته ويؤمنهم منهم، هذا يسمى خفيرًا، وهو الحامي.

والمعنى: أن الواجب على المسلمين إذا أعطوا عهدًا وميثاقًا أن لا يخفروا ذمتهم، ولكن ليس لهم أن يجعلوا ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، بل يجعلوا ذمتهم هم؛ لأنهم إذا وقع منهم إخفار، صار في حقهم أسهل من الإخفار في ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، وإن كان هذا لا يجوز، وهذا لا يجوز، لكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الكبائر أشد من بعض.

فالإخفار والغدر في ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، أشد وأعظم إثمًا من الإخفار والغدر بذمته وذمَّة أصحابه، وإن كان كلاهما لا يجوز.

وهكذا «**إِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَن تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ الله، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ الله**» لا ينزلهم على حكم الله، بل يقول لهم: «أَنْزِلْكُمْ عَلَى حُكْمِي» وحكم أصحابي، ولا يكفي أن يقول: أنا أجتهد إن شاء الله وأحرص على موافقة الشَّرع، ولكن لا أستطيع أن أقول: أنزلكم على حكم الله؛ لأني قد أغلط، مثل ما قال النَّبِيّ ﷺ: «**فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ الله أَمْ لا**».

الإنسان قد يغلط في حكمه، فلا يقول: هذا حكم الله، بل يقول: هذا حكمي واجتهادي، وأنا أنظر وأجتهد، وأنفذ حكم الشَّرع، من باب

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة: [خفر] (٤/ ٢٥٣).

الحيطة؛ لئلا يقول: حكم الله، فيغلط في حكم الله، يحكم بحكم لا يوافق حكم الله، فيكون بهذا قد كذب على الله، بأن يقول: حكم الله.

ولهذا قال: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ الله أَمْ لا» أمر النَّبيُّ ﷺ بالحيطة، كما أمر في الذمة بذلك، فإخفاره ذمَّة الله أشد، وغلطه في حكم الله أشد، والغلط في حكمه هو أسهل، وهذا من باب الآداب الشَّرعية في إعطاء العهود والمواثيق، وفي إنزال العدل على الحكم، يكون على العبد، وعلى اجتهاد ولي الأمر، وما يراه موافقًا لشرع الله، لكن لا يقول: إن هذا الذي قلته هو حكم الله؛ لأنه قد يغلط في بعض المسائل التي يجتهد فيها، وفق الله الجميع.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** الفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ الله وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ المُسْلِمِينَ.
- **الثانية:** الإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الأَمْرَيْنِ خَطَرًا.
- **الثالثة:** قَوْلُهُ: «اغْزُوَا بِسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله».
- **الرابعة:** قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله».
- **الخامسة:** قَوْلُهُ: «اِسْتَعِنْ بِالله وَقَاتِلْهُمْ».
- **السادسة:** الفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ الله وَحُكْمِ العُلَمَاءِ.
- **السابعة:** فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الحَاجَةِ بِحُكْمٍ، لا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ الله أَمْ لا؟

٦٣- بَابُ ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[(١)] رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن القائل رجل عابد، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»[(٢)].

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: «باب ما جاء في الإقسام على الله» يعني: باب ما جاء فيه من الوعيد، فلما كان الإقسام على الله جرأة على الله، ونقصًا في التوحيد، وضعفًا في الإيمان، ذكره المؤلف هنا بأن المقصود فعل ما يكون فيه كمال الإيمان، وترك ما يكون فيه نقص الإيمان.

عن جندب بن عبد الله البجلي، يقال: جُندَب بفتح الدَّال، وجُندُب بضم الدال، لغتان، وهو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي رضي الله عنه[(٣)]، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ» يعني: نبينا صلى الله عليه وسلم يخبر عمن قبلنا؛ أن رجلًا قال: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ فَقَالَ اللهُ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ» يعني: يحلف علي، التّألّي الحلف، والأليّة اليمين،

---

(١) أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، برقم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، برقم (٤٩٠١) والإمام أحمد (٢/ ٣٢٣ برقم ٨٢٧٥).

(٣) سبق توثيق إحالة ترجمته في (ص ١٩٩).

«مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رواه مسلم في الصحيح.

هذا معناه: التحذير من التّألّي على الله والإقسام عليه أنه لا يفعل كذا ولا يفعل كذا: «وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ» وَالله لَا يُدْخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ، والله لا يوفقه ونحوه، بل هذا ظلم لا يجوز، ليس عندك علم من الله، وليس عندك حق عليه، الواجب حفظ اللِّسان، والحذر من أخطاره، فإن اللِّسان خطره عظيم، قد يتكلم الإنسان بكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالًا، يزل بها في النَّار أبعد ما بين المشرق والمغرب، كما جاء به الحديث، نسأل الله العافية.

وهذا من هذا الباب، ولو ساء ظنك به، ولو كان صاحب معاصي، لا تقل هذا الكلام، قل: أخشى عليه، أخاف عليه، اللَّهُمَّ اهده، تدعو له بالهداية، أمَّا أن تقسم على الله أن لا يدخله الجنَّة ولا يغفر له، هذا غلط منك، إنّ ربك حكيم، قد يغفر الله له، قد يتوب الله عليه وأنت لا تدري، **فالحاصل**: أن هذا القول من ظلم الإنسان، ومن جور اللِّسان، ومن خطر اللِّسان، فالواجب الحذر، وهذا نقص في التوحيد، ونقص في الإيمان.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن القائل رجل عابد؛ يعني: حملته غيرته، وعبادته التي كان يتعبدها على أن قال هذا الكلام السيئ، وهذا يفيد أن الإنسان قد يغار غيرة فاسدة، قد يجترئ بها على الله، قد يكون عابدًا غيورًا لله، لكن توقعه غيرته غير المقيدة بالشرع في الإثم، قد يكون غيورًا فيتكلم بكلام لا ينبغي مثل هذا الكلام، قد يكون غيورًا فيأمر بمعروف وينهى عن منكر على غير بصيرة، قد يكون غيورًا فينكر المنكر على غير بصيرة، فلا بد من التقيد بالحدود الشَّرعية في الغيرة لإنكار المنكر، لا بد من الحدود التي حدَّها الله، تلزمها، ولا تتعدّاها.

قال أبو هريرة: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» ـ يعني: هذه الكلمة ـ أَوْبَقَتْ ـ يعني: أهلكت ـ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» لأنها خطيرة، حيث قال: «وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ» فقال الله: «قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» ممَّا اجترأت على الله، هذا وعيد عظيم يفيد الحذر من الجرأة

على الله، وأن الإنسان قد يتكلم بكلمة تهلكه، كما في هذا الحديث.

يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»(١) رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وفي اللَّفظ الآخر: «**يَزِلُ بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»(٢).

وفي اللَّفظ الآخر: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا** ـ يعني: ما يتثبت فيها ـ **يَكْتُبُ الله له بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**»(٣).

فالواجب على المؤمن وعلى طالب العلم وعلى الغيور لله: أن يتثبت، وأن يحفظ لسانه، وأن لا يتكلم إلا عن بصيرة، وأن لا يعمل إلا عن بصيرة.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللهُ:

فيه مَسَائِلُ:

- **الأولى:** التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى الله.
- **الثانية:** كَون النار أَقْرَبَ إِلَى أَحدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.
- **الثالثة:** أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.
- **الرابعة:** فِيهِ شَاهِدٌ لِقَولِهِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ..» إِلَى آخِرِهِ.
- **الخامسة:** أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، برقم (٦٤٧٧) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، برقم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق، برقم (٦٤٧٨) ومسلم، برقم (٢٩٨٨) والترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، برقم (٢٣١٤) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٧٠).

(٣) أخرج هذا اللفظ من حديث بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه الترمذي في كتاب الزهد، باب في قلة الكلام، برقم (٢٣١٩) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم (٣٩٦٩).

٦٤- بَابٌ لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى الله، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «سُبْحَانَ الله، سُبْحَانَ الله» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَهُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ - مِنْ خَلْقِهِ -»(١) وذكر الحديث، رواه أبو داود.

قال الشارح رحمه الله:

هذا الباب في التحذير من الاستشفاع بالله على خلقه، **ذكره المؤلف** هنا في «كتاب التوحيد» لأن هذا الكتاب أُلف في بيان توحيد الله والإخلاص له، وبيان تحريم الشِّرك وذرائعه ووسائله، من البدع، والمعاصي التي تنقص التوحيد وتنقص ثوابه، فالاستشفاع بالله على خلقه مما ينقص التوحيد وثوابه، ولهذا ذكره المؤلف هنا رحمه الله.

ولأنَّه من وسائل الشِّرك، وهو التوسل والتشفع بالله على خلقه؛ لأنَّ شأن الله عظيم، فلا يستشفع بالله على خلقه، فهو سبحانه فوق ذلك وأعظم من ذلك جلَّ وعلا، ولهذا **قال المؤلف** رحمه الله: **«باب لا يستشفع بالله على خلقه»** يعني: لا يقول: استشفع بالله عليك، بل من كمال التوحيد، والإيمان أن يستشفع بالمخلوق على الخالق سبحانه وتعالى.

هذا حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه(٢) أنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءه ناس،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية والمعتزلة، برقم (٤٧٢٦).

(٢) ابن عدي بن نوفل القرشي صحابي عالم بالأنساب، مات سنة ثمان أو تسع =

فقالوا: يا رسول الله «نُهِكَتِ الأَمْوَالُ وَجَاعَ العِيَالُ» وفي اللفظ الآخر: «هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ» يعني: بسبب الجدب والقحط «فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ» يعني: اشفع لنا إلى ربك يسقينا الغيث «فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ» فاستنكر هذا عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال: «سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ» شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، هذا يبيِّن أنه لا يجوز أن يقال: أستشفع بالله عليك يا فلان، ولكن يستشفع بالمخلوق على المخلوق، فيقال: يا فلان أنا أستشفع بفلان عليك، فهذا لا بأس فيه، أمَّا على الله فلا، لا يقال: أستشفع بالله عليك يا فلان؛ لأن شأن الله أعظم من ذلك، ومن شأن المستشفع به إلى المشفوع إليه أن المشفوع أعظم، وهذا لا يليق؛ لأن الله فوق الجميع، وأعظم من الجميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولا ينبغي لعاقل أن يستشفع بالله على خلقه، ولكن يسأل ربه بأسمائه وصفاته، ويضَّرع إليه في طلب حاجاته، أمَّا المخلوقون فلا يستشفع إليهم بالله، وإنَّما يستشفع إليهم ببعضهم بعضًا، فيستشفع إليه بأبيه، بأخيه، بعمه، بمن يعز عليه أن يعطيه كذا، أو يعينه على كذا، أو ما أشبه ذلك.

قوله ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ» نزَّه الله وهذا من عادته ﷺ إذا سمع ما يكره، قال: سُبْحَانَ الله، سُبْحَانَ الله، وقد يقول: الله أكبر، الله أكبر، عند الأمر العظيم أيضًا، وهكذا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، يقولون ذلك، فلما قال بعض الصَّحابة: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الله أكبر قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»[(١)] استعظم

= وخمسين هجرية، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٣٨ برقم ٩٠٣).

(١) سبق تخريجه (ص ١٠٨).

هذا؛ لأنه من طلب الشِّرك، فاستعظم هذا وحذرهم منه، بهذا الكلام العظيم الذي يفيد الزَّجر، والتحذير، ثم قال: الله أكبر، يبيَّن أن هذا الأمر لا يليق.

ولما قال النَّبيّ ﷺ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرُوا قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ الثُّلُثَيْنِ أَمْ لَا»[(١)] من باب تعظيم هذا الأمر، والفرح به، والسرور به.

فهذا التكبير والتعظيم عند ذكر الأمر العظيم المحبوب، وعند ذكر الأمر العظيم المكروه والمنهي عنه، فيقال: سبحان الله والله أكبر، عند هذا وعند هذا، عند المحبوب فرحًا به، وعند المكروه إنكارًا له.

ومن هذا: تستشفع بالله على خلقه؛ من باب الإنكار، وبيان أنه لا يليق أن يستشفع بالله على أحد من خلقه ﷻ.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** إِنْكَارُهُ عَلَى مَن قَالَ: «**نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيْكَ**».
- **الثانية:** تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ.
- **الثالثة:** أنه لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «**نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى الله**».
- **الرابعة:** التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «**سُبْحَانَ الله**».
- **الخامسة:** أَنَّ المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ ﷺ الاسْتِسْقَاءَ.

(١) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم (٣٣٤٨) ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: «**يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**»، برقم (٢٢٢).

٦٥- بَابُ ما جاء في حماية النَّبِيّ ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشِّرك

عن عبد اللهِ بن الشِّخير رضي الله عنه قال: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فقالَ: «السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[(١)] رواه أبو داود بسند جيِّد.

وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ أناسًا قَالوا: يَا رَسُولَ الله، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا» فَقَالَ: «يَا أَيُّها النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عز وجل» رواه النسائي بسند جيِّد[(٢)].

قال الشارح رحمه الله:

يقول المؤلف رحمه الله: **«باب حماية النَّبِيّ ﷺ حمى التوحيد، وسدِّه طرق الشِّرك»** تقدَّم في أوّل الكتاب: باب ما جاء في حمى النَّبِيّ ﷺ جناب التوحيد، وسدّه كل طريق يوصل إلى الشِّرك[(٣)].

فالباب الأول: فيما يتعلق بالأعمال، وأنه حما حِمى التوحيد، جناب التوحيد من جهة الأعمال، فنهى عن اتّخاذ المساجد على القبور، والغلو فيها؛ لأن هذا من وسائل الشِّرك.

---

(١) أخرجه في كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح، برقم (٤٨٠٦).
(٢) أخرجه في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة (٦/ ٧٠ برقم ١٠٠٧٨).
(٣) وهو الباب (٢١) من كتاب التوحيد، وقد سبق ذكره في صفحة (٢١١).

وهنا: الحماية للتوحيد من جهة الأقوال، والأول: من جهة جناب التوحيد، وجنابه جزء منه، والباب الثاني: هذا في حماه، والحمى غير خارج عن الذّات، فهذه الترجمة أبلغ بما يتعلق بالحمى ويتعلق بالأقوال، ويتعلق بجزء التوحيد، بجنابه الذي هو جزء منه، وتتعلق بالأفعال، وتعم الأقوال أيضًا، فالرَّسول ﷺ حَمى حِمى التوحيد، وحمى جناب التوحيد أقوالًا وأعمالًا عليه الصلاة السلام، حمى جنابه؛ يعني: حمى ذات التوحيد، وحمى حماه من جهة القول والعمل، حتى لا يقع الناس في الشِّرك، وحتى لا يدنوا منه ولا يقربوا منه، وهذا من كمال البلاغ، وتمام البلاغ أن يكون الداعي يحذر من الشرك، ومن وسائله وذرائعه الموصلة إليه.

يقول: عن عبد الله بن الشخير، وهو صحابي من بني عامر[1]، أتى في وفد بني عامر إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا له حين خاطبوه: **«أَنْتَ سَيِّدُنَا»** فقال: «السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى» هذا من باب التواضع؛ خوفًا عليهم من الغلو، وإلا فهو سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، لكن قال لهم هذا من باب التواضع، ولئلا يقعوا في الغلو.

وهو يدل على أنه إذا خوطب الإنسان، بقول: أنت سيدنا، ينبغي له أن يقول: لا **«السَّيِّدُ الله»** حتى لا يقع في قلبه شيء من الترفع والتعاظم، فلا يخاطب: أنت سيدنا، فإذا قال قائل مثل هذا، ينبغي له أن يقول: يا أخي! لا تقل كذا، قل: يا أخي، يا أبا فلان، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: **«السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى»** من باب التواضع، والحذر من وقوع ما قد يقع في النفوس من التكبر والتعاظم.

ثم قال لما قالوا: **«وَأَنْتَ أَعْظَمُنَا طَوْلًا»** فَقَالَ: **«يَا أَيُّها النَّاسُ،**

---

(١) هو: عبد الله بن الشخير بن عوف العامري من مسلمة الفتح صحابي، أخرج له مسلم وأصحاب السنن الأربعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٠٧ برقم ٣٣٨١).

«قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» يعني: لا يجرنكم الشَّيطان إلى ما لا ينبغي؛ يعني: لا يتخذنكم جريًا؛ يعني: رسولًا، الجري: الرسول، لا يتخذنكم رسلًا إلى مَنْ بعدكم في جرهم إلى الشِّرك، وجرهم إلى الغلو، الزموا الأقوال المعتادة: يا أبا القاسم، يا رسول الله، يا نبي الله، ودعوا عنكم الأقوال التي قد تفضي إلى الغلو.

وفي حديث أنس رضي الله عنه: **«قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»** يعني: لا يوقعنكم في الضلالة، **«أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عز وجل»** فإن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله، يا عبد الله ورسوله، ونحو ذلك.

والمقصود من هذا: سد الذرائع التي قد توصل الناس بالتساهل إلى الشِّرك، فإنهم إذا قالوا له: أنت سيدنا، وأتوا بالألفاظ الكثيرة التي يأتي بها الناس الآن من الغلو، قد تجرهم إلى أن يعبدوه من دون الله، ويدعوه، ويستغيثوا به، ويقولوا فيه: إنه يعلم الغيب، كما فعلوا، وكما قال صاحب البردة(١):

يا أكرَمَ الخلق ما لي مَن أَلُوذُ به ... سِوَاكَ عندَ حلولِ الحادثِ العَمِمِ
إن لَمْ يَكُن في مَعادِي آخِذًا بِيَدِي ... فضلًا وإلا فقلْ يا زَلَّةَ القدمِ

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري المصري المتوفى (٦٩٦هـ) شاعر، أغلب شعره في مديح النبي ﷺ على طريقة الصوفية الغلاة، من أشهر قصائده: البردة والهمزية والرائية. انظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي (٣/ ٣٦٢) والدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري برد (٢/ ٦٢٢).

فإنَّ من جُودِكَ الدنيا وَضَرَّتها ومن علومكَ علمَ اللوحِ والقلمِ[(١)]

هكذا أوقعهم الغلو في هذا، نسأل الله العافية، حتى قال في حق النَّبِيّ ﷺ: أنه الذي ينجي يوم القيامة، وهو الذي يأخذ بزلة الناس يوم القيامة، وأن من لا ينجيه النَّبِيّ لا ينجو، وهذا من أعظم الغلو والشِّرك، نسأل الله العافية، وحتى زعم أن من جود النَّبِيّ الدنيا وضرتها، وهي الآخرة، ومن علومه علم اللوح والقلم؛ يعني: النَّبِيّ اطَّلع على كل شيء، والدنيا في قبضته والآخرة في قبضته، كل هذا من الغلو الخبيث، والكفر البواح، نعوذ بالله.

المقصود: أن الواجب على المؤمن أن يحذر سبق لسانه، وأن يقتصد في قوله، لا مع الرسول ولا مع غيره عليه الصَّلاة والسَّلام، عليه بالتأدب بالآداب الشرعية في أقواله وأعماله، مع الرُّسل، ومع الصَّالحين، ومع العلماء، ومع غيرهم حتى يتقيد بالأمر المشروع، وحتى لا يقع في الغلو الذي وقع فيه اليهود والنصارى وأشباههم حتى عبدوا أنبياءهم، وحتى استغاثوا بأنبيائهم وصلحائهم، وحتى عبدوا علماءهم، فوقعوا في الشِّرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر، نعوذ بالله من ذلك.

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

فِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ.
- **الثانية:** مَا يَنْبَغِي أَن يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».
- **الثالثة:** قَوْلُهُ: «لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» مَعَ أنهمْ لَمْ يَقُولوا إِلَّا الْحَقَّ.
- **الرابعة:** قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

❊ ❊ ❊

(١) الأبيات للبوصيري. ينظر: دواوين الشعر العربي على مر العصور (٨٧/ ٤٨١).

٦٦- بَابُ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية»(١).

وفي رواية لمسلم: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَر عَلَى إِصْبعٍ، ثُمَّ يَهزُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الملكُ، أنا اللهُ»(٢).

وفي رواية للبخاري: «يَجعَلُ السَّمَواتِ عَلى إِصْبعٍ، والماءَ عَلى إِصْبعٍ والثَّرَى عَلَى إِصْبعٍ، وَسَائرَ الخَلقِ عَلَى إِصْبعٍ»(٣) أخرجاه.

ولمسلم، عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] برقم (٤٨١١) ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجها مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٦).

(٣) أخرجها البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] برقم (٧٤١٤).

القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأرضيينَ السَّبع ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمالهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ»[(١)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «مَا السَّمٰواتُ السَّبعُ والأرضونَ السَّبعُ فِي كَفِّ الرحمٰن، إلَّا كَخرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[(٢)].

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا السَّمَواتِ السَّبْع فِي الكُرسِيِّ إِلَّا كَدَراهِمَ سَبْعَةٍ أُلقِيتْ فِي تُرسٍ»[(٣)].

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا الكُرْسِيّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَينَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِن الأَرْضِ»[(٤)].

قال الشارح رحمه الله:

وهذا الباب الأخير في الكتاب جمع أنواع التوحيد الثلاثة، فذكر الآية الكريمة، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] فهذه الآية العظيمة تبيِّن عظم قدرته، وأنه الخلَّاق العليم، وأنه يطوي السَّمٰوات ويطوي الأرض جلَّ وعلا، فَدلَّ ذلك على عِظم قدرته، وأن من كان بهذه المثابة هو الَحرِي بأن يعبد ويطاع

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره عند تفسير الآية (٢١/ ٣٢٤) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السُّنَّة (٢/٤٧٦ برقم ١٠٩٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره عند تفسير آية الكرسي (٥/ ٣٩٩ برقم ٥٧٩٤) وعنه الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسير آية الكرسي أيضًا (١/ ٦٨٠).
(٤) جزء مكمل للخبر السابق، وأخرجه ابن حبان في حديث طويل في كتاب البر والإحسان، برقم (٣٦٢).

ويعظم، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا ندَّ له، ولا يقاس بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالله جلَّ وعلا له الصِّفات العليا، والأسماء الحسنى، وهو الخلَّاق الرَّزاق، المستحق للعبادة، فجميع أنواع التوحيد ثابتة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الخالق لكل شيء، والمالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، وهو الحكيم الخبير، السميع البصير، العلي القدير، الحميد المجيد، الموصوف بصفاته العليا، وبالأسماء الحسنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وبذلك يُعلم أيضًا أنه المستحق للعبادة؛ لكمال قدرته، وكمال علمه، وكمال أسمائه وصفاته، فمن كان بهذه المثابة، فإنه يستحق لأن يعبد ويطاع.

وفي هذا الحديث، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ**» يقال: حَبر بفتح الحاء، وحِبر بكسرها، وهو العالم؛ يعني: أنَّ عالمًا من علماء اليهود «جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُ أَنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِنَا» يعني: التوراة. «**أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ**».

وفي اللَّفظ الآخر: «**وَالجِبَالَ وَالشَّجَر عَلَى إِصْبعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ**» يعني: أنه سبحانه يحمل هذه المخلوقات على أصابعه الخمس جلَّ وعلا، مع عظمتها وسعتها هذه السَّمٰوات، وهذه الأرض مع ما فيها من الجبال والشجر والأنهار وغير ذلك وهذه المخلوقات العظيمة هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأخذها بيده جلَّ وعلا على أصابعه ويهزها، ويقول: «**أَنَا المَلِكُ أَنَا الجَبَّارُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ أَيْنَ مُلُوكِ الأَرْضِ**» هذا كله يبيِّن لنا عظمته وقدرته العظيمة، ولهذا ضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيقًا لقول الحبر، ثم تلا الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ تلاها تصديقًا له.

وفي هذا إثبات الصِّفات، وأنَّ له يمينًا وشمالًا، وأن كلتا يديه يمين، كما في الحديث الآخر: «**وَكِلْتَا يَدَيْ الرَّب يَمِينٌ مبُاَرَكة**»[(١)] سمى إحدهما يمينًا، وسمى الأخرى شمالًا من حيث الاسم، ولكن من حيث المعنى والشرف كلتاهما يمينٌ مباركة، ليس في شيء منها نقص.

وكذلك «**الكف**» كما في حديث ابن عباس: «**مَا السَّمَوَات السَّبْع وَالأَرَاضِين السَّبْع فِي كَفِّ الرحمٰن إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ**[(٢)] **فِي يَدِ أَحَدُنَا**» وهذا يُبيِّن عظمته سبحانه، وعظمة مخلوقاته كالسمٰوات والأرض، ومع ذلك ليست بشيء أمام عظمة الله وسعة جوده، وكبريائه ﷻ.

ومع عظم السمٰوات والأرض فالعرش أعظم منهما ومن الكرسي، كما في خبر زيد بن أسلم[(٣)] وأبي ذر اللذين رواهما ابن جرير[(٤)]، وهذه المخلوقات العظيمة تبين لنا أنّ الله الخلَّاق العليم، العظيم، وأنه المالك لكل شيء، وأنه المستحق لأن يعبد جلَّ وعلا، دون كل ما سواه، من كان بهذه الصفة، وهذه القدرة، وهذا الكمال، فهو مستحق أن يعبد ويطاع.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٧).

(٢) **الخردلة**: هي حبة نبات عشبي صغيرة جدًّا، يضرب بها المثل في الصغر والقلة. ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٧٠).

(٣) هو: زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله، أو أبو أسامة المدني، عالم ثقة وكان يرسل من الثالثة مات سنة ١٣٦هـ، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٢ برقم ٢١١٧).

(٤) ابن جرير: هو محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري من كبار أئمة أهل السُّنَّة، المتبعين لمنهج السلف الصالح في فهم أصول الإيمان والدين، له تصانيف كثيرة من أبرز: جامع البيان في تفسير آي القرآن، وتاريخ الرسل والملوك، وتهذيب الآثار، توفي (٣١٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ١٩١) والأعلام لزركلي (١/ ٦٩).

ولهذا خلق الخلق ليعبدوه، وأمرهم بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] وأرسل الرُّسل لهذا الأمر، وبيَّن أسماءَه وصفاته لعباده؛ ليعظموه ويذلوا له، وينقادوا لأوامره، وينتبهوا لعظمته، ويجتهدوا في طاعته، ويحذروا مناهيه سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بَينَ السَّماءِ الدُّنيا والَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئةِ عَامٍ، وبَينَ كِلِ سَماءٍ وسَماءٍ خَمسُ مِئةِ عَامٍ، وبَيْنَ السَّماءِ السَّابِعةِ والكُرسِيِّ خَمسُ مئةِ عَامٍ، وبَينَ الكُرسيِّ والماءِ خمسُ مِئةِ عَامٍ، والعَرشُ فَوقَ الماءِ، واللهُ فَوقَ العَرشِ، لَا يَخفَى عَلَيْهِ شَيءٌ مِن أَعْمالِكُمْ» أخرجه ابن مهدي[(١)] عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.

ورواه بنحوه المسعودي[(٢)]، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق[(٣)].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَينَ السَّماءِ والأَرْضِ؟ قُلنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: بَيْنَهُمَا

---

(١) هو: عبد الرحمٰن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة حافظ، عارف بالرجال والحديث، من التاسعة أخرج له الجماعة، مات سنة ١٩٨هـ. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٥١ برقم ٤٠١٨) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٤).

(٢) هو: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي، صدوق اختلط قبل موته، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، من السابعة مات سنة ١٦٥، وقيل: ١٦٦هـ أخرج له البخاري تعليقًا وأصحاب السنن الأربعة في سننهم. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٤٤ برقم ٣٩١٩).

(٣) الكبرى لابن بطة، باب ذكر مناظرة الممتحنين (٦/ ١٥٨).

مَسِيرةُ خَمسِ مِئةِ سَنةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَماءٍ إِلى سَماءٍ مَسيرةُ خمسِ مِئةِ سَنةٍ، وَكِثْفُ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرةُ خَمسِ مِئةِ سَنةٍ، وَبَيْنَ السَّماءِ السَّابعةِ وَالعَرشِ بَحْرٌ بَينَ أَسْفلِهِ وَأَعْلاَهُ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأرضِ، واللهُ تَعالَى فَوقَ ذَلكَ، وَلَيسَ يَخفَى عَليْهِ شَيءٌ مِن أَعْمالِ بَنِي آدمَ»[١] أخرجه أبو داود وغيره، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد.

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذان الحديثان من أحاديث الصِّفات، ومن أحاديث العلو، وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ الله سبحانه في العلو، فوق العرش، فوق جميع الخلق[٢]، وعلمه في كل مكان، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصر من الكتاب والسُّنَّة.

فقد جاء في القرآن الكريم من الآيات الكثيرات ما يشهد لهذا، وأنه سبحانه فوق العرش، كما في آيات الاستواء، وفي غيرها كقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠] في آيات كثيرات، وهكذا السُّنَّة، ومن ذلك: حديث ابن مسعود هذا وهو حديث صحيح جيد.

أمَّا حديث العباس[٣]، وإن كان في سنده بعض الانقطاع، لكنه ينجبر؛ لأن بعض أهل العلم أعله بالانقطاع، وله روايات أخرى: **«بين السماء الدنيا والتي تليها إحدى وسبعين سنة، أو اثنتان وسبعون**

---

(١) في كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية والمعتزلة، برقم (٤٧٢٣).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، باب ذكر مناظرة الممتحنين (٦/١٥٨).

(٣) العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النَّبِيِّ ﷺ صحابي مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، أخرج له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٩٣ برقم ٣١٧٦).

سنة، أو ثلاث وسبعون سنة»[(١)].

قال بعض أهل العلم: الجمع بينهما أن السير يختلف، وأن الخمسمائة عام في النظر إلى سير الأحمال والمشي بالأقدام، السير العادي، وثلاثة وسبعون سنة ونحوها بالنظر إلى سير البرد السير الخفيف القوي، فإنه يكون بمقدار السدس بالنسبة إلى الأحمال والمثقلات، أو حول ذلك.

فالحاصل: أن هذا على كل تقدير يدل على علو الله جلَّ وعلا، وفوقيته سبحانه، وأنه فوق العرش، وفوق جميع الخلق، ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، له العلو والفوقية ﷻ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

وفيه الدلالة على ارتفاع هذه المخلوقات، وسعة ما بينها من هذه المسافات العظيمة، وربك هو الخلَّاق العليم جلَّ وعلا، فخمس مئة عام لها شأن عظيم، هذا الفضاء الذي بين الأرض وبين السماء، وهكذا بين كل سماء، سواء كان خمس مئة عام، كما في حديث ابن مسعود، أو ثلاثة وسبعين عام في الرواية من حديث العباس بالنظر إلى سير البريد، والرواحل المستعجلة.

فهو يدل على سعة ما بين هذه المخلوقات، وبُعد ما بين هذه المخلوقات، والذي خلقها ﷻ أعظم منها وأكبر جلَّ وعلا، فهو المستحق لأن يعبد، ويُعظم، مع الإيمان بعلوه وفوقيته، وأنه لا تخفى عليه خافية من عباده، يعلم ما في قلوبهم، ويعلم السر وأخفى ﷻ، مع كونه فوق جميع هذه المخلوقات وفق الله الجميع، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود (٩/ ٢٠٢ برقم ٨٩٨٧).

قال الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وَفِيهِ مَسَائِلُ:

- **الأولى:** تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].
- **الثانية:** أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اَليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يُنْكِرُوهَا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.
- **الثالثة:** أَنَّ الحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.
- **الرابعة:** وُقُوعُ الضَّحِكِ الكَثِيْرِ مِن رَسُوْلِ الله ﷺ لَمّا ذَكَرَ الحَبْرُ هَذَا العِلْمَ العَظِيمَ.
- **الخامسة:** التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ اَلسَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمْنَى، وَالأَرضِينَ فِي اليَدِ اَلأُخْرَى.
- **السادسة:** التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالِ.
- **السابعة:** ذِكْرَ الجَبَّارِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.
- **الثامنة:** قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ».
- **التاسعة:** عِظَمُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اَلسَّمَوَاتِ.
- **العاشرة:** عَظَمَةُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ.
- **الحادية عشرة:** أَنَّ العَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ.
- **الثانية عشرة:** كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.
- **الثالثة عشرة:** كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ.
- **الرابعة عشرة:** كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ؟
- **الخامسة عشرة:** أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ.
- **السادسة عشرة:** أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ.

- **السابعة عشرة:** كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟
- **الثامنة عشرة:** كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةً.
- **التاسعة عشرة:** أَنَّ البَحْرَ الَّذِي فَوْقَ اَلسَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.

هَذَا آخِرُ الأَبْوَابِ وَالمَسَائِلِ.
وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ

الخلاصة

وتتضمن تلخيصًا لأبرز أقوال سماحته في شرحه للكتاب:

• **بيَّن سماحته**: جهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى الله، وإعادة الأمة للتمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما، وفهمهما على منهج السلف الصالح، فالكتاب والسنة فيهما الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة.

• بدأ الشيخ محمد دعوته إلى التوحيد بالدرعية، وأعانه على ذلك أبناؤه وحكام آل سعود، ثم انتشرت دعوته في بقية أرجاء الجزيرة والشام والعراق ومصر والهند وغيرها من الأقطار؛ بسبب تلاميذه والعلماء الذين اقتنعوا بدعوته الإصلاحية ونشروها، وبسبب رسائله ومؤلفاته التي بعثها للديار الإسلامية.

• إن كتاب التوحيد للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أفضل الكتب لا نعلم أنه سبق أن ألف مثله في معناه مع صغر حجمه وكثرة فوائده، فهو كتاب عظيم الشأن اشتمل على مهمات الأمور التي يجب إخلاصها لله تعالى.

• **مقصود الشيخ من الكتاب**: بيان حقيقة التوحيد، وبيان حقيقة الشرك، والرد على المشركين الذين خلطوا بين التوحيد والشرك، وضمنه بعض الشيء من وسائل الشرك وذرائعه، وشيئًا من البدع والمعاصي التي تقدح في التوحيد أو تنقص ثوابه.

• **التوحيد**: هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها دون كل ما سواه سبحانه، وإفراده بالربوبية فهو الخالق الرازق المدبر وحده لشؤون

الكون، وإفراده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ﷻ، وإفراده بحق التشريع ﷻ.

• بيان فضل الدعوة إلى التوحيد، وأنه يكفر الذنوب إلا الشرك، وأن لا إله إلا الله أرجح في الميزان عند الله، من جميع المخلوقات، فمن أخلص توحيده لله فله الجنة والكرامة في الدنيا والآخرة.

• العبادة حق الله يجب أن تخلص لله، وأن تؤدى وفق ما شرعه على لسان رسوله يجب على العبد أن يصرف جميع أنواع عبادته لله، من دعائه وذبحه ونذره واستعانته واستغاثته وخوفه ومحبته ورجائه، والتوكل على الله سبحانه.

• **الشرك**: هو صرف العبادة أو شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يتقرب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة، أو يخاف الموتى أن يضروه، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله ﷻ.

• **الشرك نوعان**: أكبر وأصغر، وأن الأكبر مخرج من الملة ويضاد التوحيد ويناقضه، وهو الذي لا يغفره الله أبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

• أن الشرك الأصغر صاحبه على خطر إن لم يتب منه، وأنواعه كثيرة، كالرياء مثلًا، والذي قد يقع فيه بعض الصلحاء وغير الصلحاء، ومن أنواعه الحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت أو فلان وغيرها من ألفاظ العطف بالواو.

• والشرك قد يكون بالقصد والإرادة والنية، وقد يكون بالدعاء،

وقد يكون بالطاعة في خلاف أمر الله ورسوله، وقد يكون في محبة غير الله كمحبة الله، أو خوف غير الله كخوف الله ونحو ذلك.

• أن من سلم من الشرك والبدع والمعاصي، فله الأمن الكامل والهداية الكاملة في الدنيا والآخرة، وأن في من هذه الأمة من يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، لقيامهم بالواجبات وتركهم المحرمات، بل وتركهم بعض المباحات من الأسباب المشروعة كالرقى والكي اعتمادًا على الله وتوكلاً عليه وثقة به ﷻ.

• **على المرء المسلم**: أن يحذر من كبائر الذنوب كالشرك والسحر والنشرة والكهانة والتنجيم والطيرة، والاستهزاء بالله ودينه ونبيه، وسب مخلوقاته كالريح ونحوها من الأمور التي تقدح في التوحيد أو في كماله وتمامه الواجب على العبد.

• ومن تمام توحيد العبد وكماله بُعْده عن الألفاظ التي لا تليق إلا بالله كقاضي القضاة وحاكم الحكام، وكقوله: عبدي وأمتي وسيد ونحو ذلك من الألفاظ الموهمة.

• على المرء المسلم أن يتعرف على أسماء الله فيدعوه بها، ولا يجحد شيئًا منها ولا يتأولها، بل يثبتها لله كما جاءت في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بالله سبحانه.

• عظمة مخلوقات الله كالأرض والسموات والعرش والكرسي التي تدل على عظمة خالقها، وأن الله هو العظيم الذي لا أعظم ولا أكبر منه شيء ﷻ.

• شأن الله عظيم فلا يستشفع على الله بخلقه، ولا يسأل بالله ولا بوجهه إلا عظيمًا كالجنة، وأن من سأل بالله ووجهه يُعطى إن لم يسأل أمرًا محرمًا.

* وخلاصة الخلاصة:

على العبدِ أن يخلص توحيده وعبادته لله ويفرده بجميع أفعاله وأقواله، واعتقاده، ويبتعد عن الشرك دقيقة وجلله، وعن كبائر الذنوب وصغائرها مما تقدح في أصل توحيده وإيمانه، أو في كماله وتمامه الواجب، وتنقص ثوابه وأجره.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهارس العامة

فهرس الآيات

سورة المائدة

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار والأقوال

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس أهم المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم.**

١- **الإبريزية في التسعين البازية**، تأليف: د. حمد بن إبراهيم الشتوي، طبعة دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

٢- **الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز**، للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة، طبعة دار ابن الجوزي بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨هـ.

٣- **ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، ومحمد زياد بن عمر تكلة، دار أصالة الحاضر، بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ.

٤- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المكي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، طبعة دار طيبة بالرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الثالثة عام ١٤٢٦هـ.

٥- **تقريب التهذيب**، للحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتحقيق: محمد عوَّامة، طبعة دار الرشيد بسوريا، الطبعة الرابعة عام ١٤١٨هـ.

٦- **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ.

٧- **جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز**، تأليف: الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٨- **السُّنَّة**، لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: الأستاذ الدكتور باسم بن فيصل الجوابرة، طبعة دار السميعي بالرياض، الطبعة الثالثة عام ١٤٢٦هـ.

٩- **سنن ابن ماجه**، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ومصدرة بحكم علامة العصر المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

١٠- **سنن أبي داود**، تصنيف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ومصدرة بحكم علَّامة العصر المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

١١- **سنن الترمذي**، تصنيف: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ومصدرة بحكم علَّامة العصر المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

١٢- **سنن النسائي**، تصنيف أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي الشهير (بالنسائي) اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ومصدرة بحكم علَّامة العصر المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ.

١٣- **صحيح البخاري**، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار بإشراف واعتناء: أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٤- **صحيح مسلم بن الحجاج**، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار، بإشراف واعتناء: أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية طبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٥- **فتاوى نور على الدرب**، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٦- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر العسقلاني، الطبعة السلفية.

١٧- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي مجد الدين بن يعقوب، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٨- **لسان العرب**، لابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي، طبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات بمصر، الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ.

١٩- **مجمع الزائد ومنع الفوائد**، للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٢٠- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، لسماحته، جمع وترتيب وإشراف: الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ.
٢١- **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة الأولى الميمنية المعروفة بالطبع الهندية الحجرية، مع ترقيم مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع بالرياض.
٢٢- **المصنف فِي الأحاديث والآثار**، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفِي، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٣- **المصنف**، للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرَّزاق بن همام الصنعاني، ومعه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد رواية عبد الرزاق، اعتنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه: الشيخ المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٤- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: د. محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٥- **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج: أحمد عبد الحميد السلفي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٢٦- **النهاية فِي غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، بتعليق: علي حسن بن عبد الحميد الأثري، طبعة دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة شوال عام ١٤٢٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة